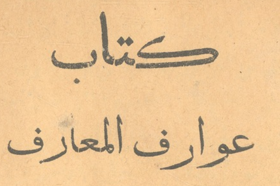


للعارف بالله تعالى الامام السهروردى أبو حفص

عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن (عمويه)

الصديقى القرشى التيمى البكرى

الشافعى الملقب بشهاب الدين

نفعنا الله به

(آمين)

« يطلب من »



لصاحبها : عبد القادر علام

(١٣٥٨هـ — ١٩٣٩م)



عوارف المعارف

للعارف بالله تعالى الامام السهروردى أبو حفص
عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن (عمويه)
الصديقى القرشي التميمى البكرى
الشافعى الملقب بشهاب الدين

نفعنا الله به

(آمين)

(يطلب من)



(١٣٥٨هـ (لصاحبها : عبد القادر علام) ١٩٣٩م)

السهروردي ﴿ شهاب الدين ﴾

٥٣٩ - ٦٣٢ (٠)

أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن ـ عمويه ـ الصديقي القرشي التميمي البكري الشافعي الملقب (بشهاب الدين)

ولد بسهرورد ونشأ في حجر عمه أبي النجيب وأخذ عنه التصوف والوعظ والحديث والفقه

كان شيخا صالحا ورعاً كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرج عليه كثير من الصوفية في المجاهرة والخلوة قرأ الأدب وعمل مجلس الوعظ سنين وكان شيخ الشيوخ ببغداد

قال ابن النجار كان شيخ وقته في علم الحقيقة وانتهت إليه الرئاسة في تربية المريدين ودعاء الخلق إلى الله وتسليك طريق العبادة والزهد ، صحب عمه الشيخ أبا نجيب عبد القاهر وسلك طريق الرياضات والمجاهدات وقرأ الفقه والخلاف والعربية وسمع الحديث ثم انقطع ولازم الخلوة وداوم الصوم والذكر والعبادة ، قال ثم تكلم على الناس عند علو سنه وعقد مجلس الوعظ بمدرسة عمه على دجلة (السبكي) كانت وفاته ببغداد

(١) جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب تصوف مطبعة البهاء حلب ١٣٢٨ (ص ٣١)

(٢) عوارف المعارف تصوف يشتمل على ثلاثة وستين بابا كلها في سير القوم وأصول سلوكهم وأعمالهم مصر ١٢٩٤ وبهامش احياء علوم الدين للغزالي

---

(٠) ابن خلكان ١ ـ ٤٨٠ طبقات السبكي ٥ ـ ١٣٤ طبقات الأسدي ورقة ٤٩ مفتاح السعادة ٢ ـ ٢١٤ عن معجم سركيس ص ١٠٦٠



الحمد لله العظيم شانه القوى سلطانه الظاهر إحسانه الباهر حجته وبرهانه المحتجب بالجلال والمنفرد بالكمال والمتردي بالعظمة فى الآباد والآزال لا يصوره وهم وخيال ولا يحصره حد ومثال ذى العز الدائم السرمدى والملك القائم الديموى والقدرة الممتنع ادراك كنهها والسطوة المستوعر طريق استيفاء وصفها نطقت الكائنات بأنه الصانع المبدع ولاح من صفحات ذرات الوجود بأنه الخالق المخترع وسم عقل الانسان بالعجز والنقصان وألزم فصيحات الألسن وصف الحصر فى حلبة البيان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم وسدت تعززا وجلالا مسالك الوهم وأطرق طامح البصيرة تعظيما واجلالا ولم يجد من فرط الهيبة فى فضاء الجبروت مجالا فعاد البصر كليلا والعقل عليلا ولم ينتهج إلى كنه الكبرياء سبيلا فسبحان من عزت معرفته لولا تعريفه وتعذر على العقول تحديده وتكييفه ثم ألبس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان فصارت ضمائرهم من مواهب الأنس مملوة ومرائى قلوبهم بنور القدس مجلوة فتهيأت لقبول الامداد القدسية واستعدت لورود الأنوار العلوية واتخذت من الأنفاس العطرية بالأذكار جلاسا وأقامت على الظاهر والباطن من التقوى حراسا وأشعلت فى ظلم البشرية من اليقين نبراسا واستحقرت فوائد الدنيا ولذاتها وأنكرت مصايد الهوى وتبعاتها وامتطت غوارب الرغبوت والرهبوت واستفرشت بعلو همتها بساط الملكوت وامتدت إلى المعالى أعناقها وطمحت إلى اللامع العلوي أحداقها واتخذت من الملأ الأعلى مسامرا ومحاورا ومن النور الأعز الأقصى مزاورا ومجاورا أجساد أرضية بقلوب سماوية وأشباح فرشية بأرواح عرشيه نفوسهم فى منازل الخدمة سيارة وأرواحهم فى فضاء القرب طيارة مذاهبهم فى العبودية مشهورة وأعلامهم فى أقطار الأرض منشورة

يقول الجاهل بهم فقدوا وما فقدوا ولكن ضمت أحوالهم فلم يدركوا وعلا مقامهم فلم يملكوا كائنين بالجثمان بائنين بقلوبهم عن أوطان الحدثان لأرواحهم حول العرش تطاف ولقلوبهم من خزائن البر أسعاف يتنعمون بالخدمة فى الدياجر ويتلذذون من وهج الطلب بظما الهواجر تسلوا بالصلوات عن الشهوات وتعوضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات يلوح من صفحات وجوههم بشر الوجدان وينم على مكنون سرائرهم نضارة العرفان لايزال في كل عصر منهم علماء بالحق داعون للخلق منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة وجعلوا للمتقين قدوة فلايزال تظهر فى الخلق آثارهم وتزهر فى الآفاق أنوارهم من اقتدي بهم اهتدى ومن أنكرهم ضل واعتدي فلله الحمد على ما هيأ للعباد من بركة خواص حضرته من أهل الوداد والصلاة على نبيه ورسوله محمد وآله وأصحابه الأكرمين الأمجاد ثم ان ايثاري لهدى هؤلاء القوم ومحبتى لهم علما بشرف حالهم وصحة طريقتهم المبنية على الكتاب والسنة المتحقق بهما من الله الكريم الفضل والمنة حداني ان ذهب عن هذه العصابة بهذه الصبابة وأؤلف أبوابا فى الحقائق والآداب معربة عن وجه الصواب فيما اعتمدوه مشعرة بشهادة صريح العلم لهم فيما اعتقدوه حيث كثر المتشبهون واختلفت أحوالهم وآستتر بزيهم المتسترون وفسدت أعمالهم وسبق إلى قلب من لايعرف أصول سفلهم سوء ظن وكاد لايسلم من وقيعة فيهم وطعن ظنا منه ان حاصلهم راجع إلى مجرد رسم وتخصصهم عائد إلى مطلق اسم ومما حضرني فيه من النية ان أكثر سواد القوم بالاعتزاء إلى طريقهم والاشارة إلى أحوالهم وقد ورد من كثر سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم صحة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل مافتح الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل المنح عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا والله المعين

فى فضل الصوم وحسن آثره (الباب الاربعون) فى أحوال الصوفية في الصوم والافطار (الباب الحادى والاربعون) فى آداب الصوم ومهامه (الباب الثاني والاربعون) فى ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة (الباب الثالث والاربعون) في آداب الاكل (الباب الرابع والاربعون) فى ذكر آدابهم فى اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه (الباب الخامس والاربعون) فى ذكرفضل قيام الليل (الباب السادس والاربعون) فىالاسباب المعينة على قيام الليل (الباب السابع والاربعون) فى آداب الانتباه من النوم والعمل بالليل (الباب الثامن والاربعون) فىتقسيم قيام الليل (الباب التاسع والاربعون) فياستقبال النهار والادب فيه (الباب الخمسون) في ذكر العمل فىجميع النهار وتوزيع الأوقات (الباب الحادى والخمسون) فىآداب المريد مع الشيخ (الباب الثاني والخمسون) فيما يعتمده الشيخ مع الاصحاب والتلامذة (الباب الثالث والخمسون) فىحقيقة الصحبة وما فيها من الخير والشر (الباب الرابع والخمسون) فى آداء حقوق الصحبة والاخوة فى الله تعالي (الباب الخامس والخمسون) في آداب الصحبة والاخوة (الباب السادس والخمسون) فى معرفة الانسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك (الباب السابع والخمسون) فىمعرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها (الباب الثامن والخمسون) فى شرح الحال والمقام والفرق بينهما (الباب التاسع والخمسون) فىالاشارة إلى المقامات على الاختصار والايجاز (الباب الستون) فىذكر اشارات المشايخ فىالمقامات على الترتيب (الباب الحادى والستون) فى ذكر الاحوال وشرحها (الباب الثاني والستون) فى شرح كلمات من اصطلاح الصوفية مشيرة إلي الاحوال (الباب الثالث والستون) فىذكر شىء من البدايات والنهايات وصحتها * فهذه الابواب تحررت بعون الله تعالى مشتملة على بعض علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وآدابهم وأخلاقهم وغرائب مواجيدهم وحقائق معرفتهم وتوحيدهم ودقيق اشاراتهم ولطيف اصطلاحاتهم فعلومهم كلها أنباء عن وجدان واعتزاء إلى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح المقال لأنها مواهب ربانية ومنائح حقانية استنزلها صفاء السرائر

وخلوص الضمائر فاستحصت بكنهها على الاشارة وطفحت على العبـارة وتهادتها الأرواح بدلالة التشام والائتلاف وكرعت حقائقها من بحر الألطاف وقد اندرس كثير من دقيق علومهم * كما انطمس كثير من حقائق رسومهم (وقد قال الجنيد) رحمه الله علمنا هذا قد طوى بساطه منذ كذا سنة ونحن نتكلم فى حواشيه بدا هذا القول منه فى وقته مع قرب العهد بعلمـاء السلف وصالحى التابعين فكيف بنا مع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم الدين والله المأمول أن يقابل جهد المقل بحسن القبول والحمد لله رب العالمين

﴿ الباب الأول فى ذكر منشأ علوم الصوفية ﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب عبد القاهر بن عبـد الله بن محمد السهروردى املاء من لفظه فى شوال سـنة ستين وخمسمائة قال أنبأنا الشريف نور الهدى أبو طالب الحسين بن محمد الزينبي قال أخبرتنا كريمة بنت احمد بن محمد المروزية المجاورة بمكة حرسها الله تعالى قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكى الكشميهنى قال أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربرى قال أخبرنا أبو عبدالله محمد بن اسمعيل البخارى قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما مثلى ومثل مابعثنى الله به كمثل رجل أتي قوما فقال يا قومى انى رأيت الجيش بعينى وانى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ماجئت به ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق (معنى اجتاحهم أى استأصلهم ومن ذلك الجائحة التى تفسد الثمار) وقال صلى الله عليه وسلم مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أخاذات أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة أخرى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل

من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به * قال الشيخ أعد الله تعالى لقبول ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصفى القلوب وأزكى النفوس فظهر تفاوت الصفاء واختلاف التزكية فى تفاوت الفائدة والنفع فمن القلوب ماهو بمثابة الأرض الطيبة التى أنبتت الكلأ والعشب الكثير وهذا مثل من انتفع بالعلم في نفسه واهتدى ونفعه علمه وهداه إلى الطريق القويم من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن القلوب ما هو بمثابة الأخاذات أى الغدران جمع أخاذة وهو المصنع والغدير الذي يجتمع فيه الماء فنفوس العلماء الزاهدين من الصوفية والشيوخ تزكت وقلوبهم صفت فاختصت بمزيد الفائدة فصاروا أخاذات * قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالأخاذات لأن قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم (أخبرنا) الشيخ الامام رضى الدين أبو الخير احمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنبأنا أبو سعيد محمد الخليلى قال أنبأنا القاضى أبو سعيد محمد الفرخزاذى قال أنبأنا أبو اسحق احمد بن محمد الثعالبي قال أنبأنا بن فنجويه قال حدثنا ابن حبان قال حدثنا اسحق بن محمد قال حدثنا أبى قال حدثنا ابراهيم بن عيسى قال حدثنا على بن على قال حدثنا أبو حمزة الثمالى قال حدثنى عبد الله بن الحسن قال حين نزلت هذه الآية وتعيها أذن واعية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى سألت الله سبحانه وتعالى أن يجعلها أذنك ياعلى قال على فما نسيت شيئا بعد وما كان لى أن أنسى * قال أبو بكر الواسطى آذان وعت عن الله تعالى أسراره وقال أيضا واعية فى معادنها ليس فيها غير ماشهدته شىء فهى الخالية مما سواه فما اضطراب الطبائع إلا ضرب من الجهل فقلوب الصوفية واعية لأنهم زهدوا في الدنيا بعد أن أحكموا أساس التقوى فبالتقوى زكت نفوسهم وبالزهد صفت قلوبهم فلما عدموا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد انفتحت مسام بواطنهم وسمعت آذان قلوبهم وأعانهم على ذلك زهدهم فى الدنيا فعلماء التفسير وأئمة الحديث وفقهاء الاسلام أحاطوا علما بالكتاب والسنة واستنبطوا منهما الاحكام وردوا الحوادث المتجددة إلى أصول من النصوص وحمى الله بهم الدين وعرف

علماء التفسير وجه التفسير وعلم التأويل ومذاهب العرب فى اللغة وغرائب النحو والتصريف وأصول القصص واختلاف وجوه القراءة وصنفوا فى ذلك الكتب فاتسع بطريقتهم علوم القرآن على الامة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان وتفردوا بمعرفة الرواة وأسامى الرجال وحكموا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم ويتميز المعوج من المستقيم فيتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع في المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع إلى الأصول بالعلل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه إلى شيء من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة إلى غير ذلك فتمهدت الشريعة وتأيدت واستقام الدين الحنيفى وتفرع وتأصل الهدي النبوى المصطفوي فأنبتت أراضى قلوب العلماء الكلأ والعشب بما قبلت من مياه الحياة من الهدي والعلم قال الله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) قال ابن عباس رضى الله عنهما الماء العلم والأودية القلوب (قال أبو بكر الواسطى) رضى الله عنه خلق الله تعالى درة صافية فلاحظها بعين الجلال فذابت حياء منه فسالت فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فصفاء القلوب من وصول ذلك الماء إليها * وقال ابن عطاء أنزل من السماء ماء هذا مثل ضربه الله تعالى للعبد وذلك إذا سال السيل فى الأودية لا يبقى فى الاودية نجاسة إلا كنسها وذهب بها كذلك إذا سال النور الذى قسمه الله تعالي للعبد فى نفسه لا تبقى فيه غفلة ولا ظلمة أنزل من السماء ماء يعنى قسمة النور فسالت أودية بقدرها يعنى فى القلوب الانوار على ما قسم الله تعالى لها فى الأزل (فأما الزبد فيذهب جفاء) فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة (وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض) تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم أنزل من السماء ماء أنواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب

الصوفية من العلماء الزاهدين فى الدنيا المتمسكين بحقائق التقوى بقدرها فمن كان فى باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المناصب والرفعة سال وادى قلبه بقدره فأخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد فى الدنيا اتسع وادى قلبه فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت أخاذات * قيل للحسن البصرى هكذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت فقيها قط انما الفقيه الزاهد فى الدنيا فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء فى علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هى علوم الوراثة وعلم الوراثة هو التفقه فى الدين قال الله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احياء المنذر بماء العلم والاحياء بالعلم رتبة الفقه فى الدين فصار الفقه فى الدين من أكمل المراتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد فى الدنيا المتقى الذى يبلغ رتبة الانذار بعلمه فورد العلم والهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا ورد عليه الهدى والعلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطناً فظهر من ارتواء ظاهره الدين والدين هو الانقياد والخضوع مشتق من الدون فكل شىء اتضع فهو دون فالدين أن يضع الانسان نفسه لربه قال الله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فبالتفرق فى الدين يستولى الذبول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر بتزيين الجوارح بالانقياد فى النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب فى ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والهدى بحرا مواجا ثم وصل من بحر قلبه إلى النفس فظهر على نفسه الشريفة نضارة العلم وريه فتبدلت نعوت النفس وأخلاقها ثم وصل إلي الجوارح جدول فصارت ريانة ناضرة فلما استتمت نضارة وامتلأ ريا بعثه الله تعالي إلي الخلق فأقبل على الأمة بقلب مواج بمياه العلوم واستقبل جداول الفهوم وجرى من بحره فى كل جدول قسط ونصيب وذلك

القسط الواصل إلى المفهوم هو الفقه فى الدين * روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله عز وجل بشىء أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شىء عماد وعماد هذا الدين الفقه * حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب املاء قال حدثنا سعيد بن حفص قال حدثنا أبو طالب الزينى قال أخبرتنا ريمة بنت أحمد ابن محمد المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرنا الفربرى قال أخبرنا البخاري قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميـد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيباً يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين وانما أنا قاسم والله يعطى * قال الشيـخ إذا وصل العلم إلى القلب انفتح بصر القلب فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشد من الغى ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاعرابي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الاعرابى حسبي حسبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل * وروى عبد الله بن عباس أفضل العبادة الفقه فى الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب لا يفقهون بها فلما فقهوا علموا ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتدوا فكل من كان أفقه كانت نفسه أسرع اجابة وأكثر انقيادا لمعالم الدين وأوفر حظا من نور اليقين فالعلم جملة موهوبة من الله للقلوب والمعرفة تميز تلك الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم أخبر أنه وجد القلب النبوي العلم وكان هاديا مهديا وعلمه صلوات الله عليه منهما وراثة معجونة فيه من آدم أبى البشر صلى الله عليه وسلم حيث علم الأسماء كلها والاسماء سمة الأشياء فكرمه الله تعالي بالعلم وقال تعالى (علم الانسان مالم يعلم) فآدم لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا الفهم والفطنة والمعرفة والرأفة واللطف والحب والبغض والفرح والغم والرضا والغضب والكياسة ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة واهتداء إلى الله تعالى بالنور الذى وهب له فالنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلي الامة بالنور الموروث

والموهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والأرض بقوله (ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) نطق من الارض وأجاب موضع الكعبة ومن السماء مايحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الأرض بمكة فقال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب من الارض ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل فى التكوين والكائنات تبع له وإلى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفي رواية بين الروح والجسد وقيل لذلك سمى أميا لأن مكة أم القري وذرته أم الخليقة وتربة الشخص مدفنه فكان يقتضي أن يكون مدفنه بمكة حيث كانت تربته منها ولكن قيل الماء لما تموج رمى الزبد إلى النواحى فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مايحاذى تربته بالمدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه إلى مكة وتربته بالمدينة والاشارة فيما ذكرناه من ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ماقال الله تعالي (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) ورد فى الحديث ان الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كهيئة الذر استخرج الذر من مسام شعر آدم فخرج الذر كخروج العرق وقيل كان المسح من بعض الملائكة فأضاف الفعل إلى المسبب وقيل معنى القول بأنه مسح أى أحصى كما تحصى الارض بالمساحة وكان ذلك ببطن نعمان واد بجنب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب الذر وأجابوا ببلى كتب العهد فى ورق أبيض وأشهد عليه الملائكة وألقم الحجر الاسود فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هى المجيبة من الارض والعلم والهدى فيه معجونان فبعث بالعلم والهدى موروثا له وموهوبا وقيل لما بعث الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الارض فأبت حتى بعث الله تعالى عزرائيل فقبض قبضة من الارض وكان إبليس قد وطىء الارض بقدميه فصار بعض الارض بين قدميه وبعض الارض بين موضع أقدامه فخلقت النفس مما مس قدم إبليس فصارت مأوى الشر وبعضها لم يصل إليه قدم إبليس فن تلك

التربة أصل الانبياء والاولياء وكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم إبليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار منزوع الجهل موفرا حظه من العلم فبعثه الله تعالى بالهدى والعلم وانتقل من قلبه إلى القلوب ومن نفسه إلى النفوس فوقعت المناسبة فى أصل طهارة الطينة ووقع التأليف بالتعارف الاول فكل من كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان أوفر حظا من قبول ماجاء به فكانت قلوب الصوفية أقرب مناسبة فأخذت من العلم حظا وافرا وصارت بواطنهم أخاذات فعلموا وعملوا كالأخاذ الذى يسقى منه ويزرع منه وجمعوا بين فائدة علم الدراسة وعلم الوراثة بأحكام أساس التقوى ولما تزكت النفوس انجلت مرايا قلوبهم بما صقلها من التقوى فانجلى فيها صور الاشياء على هيئتها وماهيتها فبانت الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا فى الدنيا انصبت إلى بواطنهم أقسام العلوم انصبابا وانضاف إلى علم الدراسة علم الوراثة (واعلم) ان كل حال شريف نعزوه إلى الصوفية فى هذا الكتاب هو حال المقرب والصوفى هو المقرب وليس فى القرآن اسم الصوفى واسم الصوفي ترك ووضع للمقرب على ما سنشرح ذلك فى بابه ولا يعرف فى طرف بلاد الاسلام شرقا وغربا هذا الاسم لأهل القرب وانما يعرف للمترسمين وكم من الرجال المقربين فى بلاد المغرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون صوفية لأنهم لا يتزيون بزى الصوفية ولا مشاحة فى الالفاظ فيعلم انا نعنى بالصوفية المقربين فمشايخ الصوفية الذين أسماؤهم فى الطبقات وغير ذلك من الكتب كلهم كانوا فى طريق المقربين وعلومهم علوم أحوال المقربين ومن تطلع إلى مقام المقربين من جملة الأبرار فهو متصوف مالم يتحقق بحالهم فاذا تحقق بحالهم صار صوفيا ومن عداهما ممن تميز بزى ونسب اليهم فهو متشبه وفوق كل ذى علم عليم

﴿ الباب الثانى فى تخصيص الصوفية بحسن الاستماع ﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى املاء قال أنا أبو منصور المقرى قال أنا الامام الحافظ أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمى قال أنا

أبو على اللؤلؤى قال أنا أبو داود السجستاني قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة قال حدثنى عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب عن عبد الرحمن ابن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه وليس بفقيه أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم * يقول بعضهم علامة الخير فى السماع أن يسمع العبد بفناء أوصافه ونعوته ويسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم أهلا للسماع لفتح آذانهم للاستماع فمن تملكته الوساوس وغلب على باطنه حديث النفس لايقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علموا ان كلام الله تعالى ورسائله إلى عباده ومخاطباته إياهم رأوا كل آية من كلامه تعالى بحرا من أبحر العلم بما تتضمن من ظاهر العلم وباطنه وجليه وخفيه وبابا من أبواب الجنة باعتبار ماتنبه أو تدعو إليه من العمل ورأوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لاينطق به عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى من عند الله تعالى يتعين الاستماع إليه فكان من أهم ماعندهم الاستعداد للاستماع ورأوا ان حسن الاستماع قرع باب الملكوت واستنزال بركة الرغبوت والرهبوت ورأوا ان الوساوس أدخنة ثائرة من نار النفس الأمارة بالسوء وقتام يتراكم من نفث الشيطان وان الحظوظ العاجلة والاقسام الدنيوية التي هى مناط الهوى ومثار الردي بمثابة الحطب الذى تزداد النار به تأججا ويزداد القلب به تحرجا فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار النفس أحطابها وفترت نيرانها وقل دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهيؤا مواردها بصفاء الفهوم فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالي إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (قال الشبلى) رحمه الله موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله لايغفل عنه طرفة عين قال يحيى بن معاذ الرازي القلب قلبان قلب قد احتشى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه مايصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا

لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه فى الآخرة فانظر كم بين بركة تلك الافهام الثابتة وشؤم هذه الاشغال الفانية التى أقعدتك عن الطاعة وقال بعضهم لمن كان له قلب سليم من الأغراض والأمراض قال الحسين بن منصور لمن كان له قلب لايخطر فيه إلا شهود الرب وأنشد

أنعى إليك قلوبا طالما هطلت ‏ ‏ سحائب الوحى فيها أبحر الحكم

(وقال) ابن عطاء قلب لاحظ الحق بعين التعظيم فذاب له وانقطع إليه عما سواه وقال الواسطى أى لذكرى لقوم مخصوصين لا لسائر الناس لمن كان له قلب أى فى الأزل وهم الذين قال الله تعالى فيهم (أو من كان ميتاً فأحييناه) وقال أيضاً المشاهدة تذهل والحجبة تفهم لأن الله تعالى إذا تجلى لشىء خضع له وخشع وهذا الذى قاله الواسطى صحيح فى حق أقوام وهذه الآية تحكم بخلاف هذا لأقوام آخرين وهم أرباب التمكين يجمع لهم بين المشاهدة والفهم فموضع الفهم محل المحادثة والمكالمة وهو سمع القلب وموضع المشاهدة بصر القلب وللسمع حكمة وفائدة وللبصر حكمة وفائدة فمن هو فى سكر الحال يغيب سمعه فى بصره ومن هو فى حال الصحو والتمكين لايغيب سمعه فى بصره لتملكه ناصية الحال ويفهم بالوعاء الوجودى المستعد لفهم المقال لأن الفهم مورد الالهام والسماع والالهام والسماع يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ انشاء ثانيا للتمكن فى مقام الصحو وهو غير الوجود الذى يتلاشى عند لمعان نور المشاهدة لمن جاز على ممر الفناء إلى مقار البقاء * وقال ابن سمعون إن فى ذلك لذكري لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهى ثلاثة أشياء فالقلب إذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف على شهوته وجد ثلث الأدب ومن افتقر إلى مالم يجد من الادب بعد الاشتغال بما وجد فقد وجد ثلثى الادب والثالث امتلاء القلب بالذى بدئ بالفضل عند الوفاء تفضلا فقد وجد كل الادب * وقال محمد بن على الباقر موت القلب من شهوات النفس فكلما رفض شهوة نال من الحياة بقسطها فالسماع للأحياء لا للأموات قال الله تعالى إنك لاتسمع الموتي * قال سهل بن عبدالله القلب دقيق تؤثر فيه الخطرات

المذمومة وأثر القليل عليه كثير قال الله تعالي (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) فالقلب جمال لا يفتر والنفس يقظانة لا ترقد وإن كان العبد مستمعا إلي الله تعالى وإلا فهو مستمع إلى الشيطان والنفس فكل شيء سد باب الاستماع فمن حركة النفس وفى حركتها يطرق الشيطان (وقد ورد) لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات * وقال الحسين بصائر المبصرين ومعارف العارفين ونور العلماء الربانيين وطرق السابقين الناجين والأزل والأبد وما بينهما من الحدث لمن كان له قلب أو ألقى السمع * وقال ابن عطاء هو القلب الذى يلاحظ الحق ويشاهده ولا يغيب عنه خطرة ولا فترة فيسمع به بل يسمع منه ويشهد به بل يشهده فاذا لاحظ القلب الحق بعين الجلال فزع وارتعد وإذا طالعه بعين الجمال هدأ واستقر وقال بعضهم لمن كان له قلب بصير يقوى على التجريد مع الله تعالي والتفريد له حتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس فلا يشتغل بغيره ولا يركن إلى سواه فقلب الصوفى مجرد عن الأكوان ألقى سمعه وشهد بصره فسمع المسموعات وأبصر المبصرات وشاهد المشهودات لتخلصه إلى الله تعالى واجتماعه بين يدى الله والاشياء كلها عند الله وهو عنده فسمع وشاهد فأبصر وسمع جملها ولم يسمع ويشاهد تفاصيلها لان الجمل تدرك لسعة عين الشهود والتفاصيل لاتدرك لضيق وعاء الوجود والله تعالى هو العالم بالجمل والتفاصيل وقد مثل بعض الحكماء تفاوت الناس فى الاستماع وقال ان الباذر خرج ببذرة فملأ منه كفه فوقع منه شيء على ظهر الطريق فلم يلبث أن انحط عليه الطير فاختطفه ووقع منه شيء على الصفوان وهو الحجر الاملس عليه تراب يسير وندى قليل فنبت حتى إذا وصلت عروقه إلي الصفا لم تجد مساغا تنفذ فيه فيبس ووقع منه شيء فى أرض طيبة فيها شوك نابت فنبت فلما ارتفع خنقه الشوك فأفسده واختلط به ووقع منه شيء على أرض طيبة ليست على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك فنبت ونما وصلح فمثل الباذر مثل الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ماوقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد أن يسمعه فما يلبث الشيطان أن

يختطفه من قلبه فينساه ومثل الذى وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الكلام فيستحسنه ثم تقضي الكلمة إلى قلب ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ومثل الذى وقع في أرض طيبة فيها شوك مثل الرجل يسمع الكلام وهو ينوى أن يعمل به فاذا اعترضت له الشهوات قيدته عن النهوض بالعمل فيترك ما نوي عمله لغلبة الشهوة كالزرع يختنق بالشوك ومثل الذى وقع في أرض طيبة مثل المستمع الذى ينوي عمله فيفهمه ويعمل به ويجانب هواه وهذا الذى جانب الهوى وانتهج سبيل الهدى هو الصوفى لأن للهوى حلاوة والنفس إذ تشربت حلاوة الهوى فهى تركن إليه وتستلذه واستلذاذ الهوى هو الذى يخنق النبت كالشوك وقلب الصوفى نازله حلاوة الحب الصافى والحب الصافى تعلق الروح بالحضرة الالهيـة ومن قوة انجذاب الروح إلى الحضرة الالهية بداعيـة الحب تستتبع القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الالهية تغلب حلاوة الهوى لان حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار لكونها لا ترتقى عن حد النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبـة أصلها ثابت وفرعها في السماء لأنها متأصلة فى الروح فرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة فى أرض النفس فاذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشربها بالروح والقلب والنفس ويفديها بكليته ويقول

أشم منك نسيما لست أعرفه أظن لميـاء جرت فيك اردانها

فتعمه الكلمة وتشمله وتصير كل شـعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقولون

إن تأملتكم فكلى عيون أو تذكرتكم فكلى قلوب

قال الله تعالي فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب * قال بعضهم اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي صلى الله عليه وسـلم وجزء فى سائر المؤمنين والجزء الذى فى سائر المؤمنين احد وعشرون منها قسهم يتساوى المؤمنون كلهم فيـه وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعشرون جزءا يتفاضلون فيها على

مقادير حقائق إيمانهم * قيل في هذه الآية اظهار فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأحسن ماياتى به لانه لما وقعت له صحبة التمكين ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الانوار فى الاحوال كلها وكان معه أحسن الخطاب وله السبق فى جميع المقامات ألا تراه صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يعنى الآخرون وجودا السابقون فى الخطاب الاول فى الفضل فى محل القدس وقل تعالى ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم * قال الجنيد تنسموا روح مادعاهم إليه فأسرعوا إلى محو العلائق المشغلة وهجموا بالنفوس على معانقة الحذر وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله فى المعاملة وأحسنوا الادب فيما توجهوا إليه وهانت عليهم المصائب وعرفوا قدر مايطلبون وسجنوا هممهم عن التفلت إلى مذكور سوى وليهم فحيوا حياة الأبد بالحى الذى لم يزل ولا يزال (وقال الواسطى) رحمه الله تعالى حيا بها تصفيتها عن كل معلول لفظا وفعلا وقال بعضهم استجيبوا لله بسرائركم وللرسول بظواهركم فحياة النفوس بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة القلوب بمشاهدة الغيوب وهو الحياء من الله تعالي برؤية التقصير (وقال ابن عطاء) فى هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه أولها اجابة التوحيد والثانى اجابة التحقيق والثالث اجابة التسليم والرابع اجابة التقريب فالاستجابة على قدر السماع والسماع من حيث التفهم والفهم على قدر المعرفة بقدر الكلام والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالمتكلم ووجوه الفهم لاتنحصر لان وجوه الكلام لا تنحصر قال الله تعالي (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى) فالله تعالى فى كل كلمة من القرآن كلماته التي ينفد البحر دون نفادها فكل الكلام كلمة نظرا إلى ذات التوحيد وكل كلمة كلمات نظرا لسعة العلم الازلي (حدثنا) شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنبأنا الرئيس أبو على بن نبهان قال أنا الحسن بن شاذان قال أنا دعلج بن أحمد قال أنا أبو الحسن بن عبدالعزيز البغوى قال أنا أبو عبيد بن القاسم بن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن الحسن يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما نزل من القرآن

آية إلا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع قال فقلت ياأبا سعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به قال أبو عبيـد أحسب ان قول الحسن هذا انما ذهب إلى قول عبد الله بن مسعود قال أبو عبيد حدثنى حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال ما من حرف أو آية إلا وقد عمل بها قوم أولها قوم سيعملون بها فالمطلع المصعد يصعد إليه من معرفة علمه فيكون المطلع الفهم بفتح الله تعالي على كل قلب بما يرزق من النور واختلف الناس فى معنى الظهر والبطن قال قوم الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظاهر صورة القصة مما أخبر الله تعالى عن غضبه على قوم وعقابه إياهم فظاهر ذلك اخبار عنهم وباطنه عظة وتنبيه لمن يقرأ ويسمع من الأمة وقيل ظاهره تنزيله الذى يجب الايمان به وباطنه وجوب العمل به وقيل ظهره تلاوته كما أنزل قال الله تعـالى (ورتل القرآن ترتيلا) وبطنه التدبير والتفكر فيه قال الله تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألبـاب) وقيل قوله لكل حرف حد أي فى التلاوة لايجاوز المصحف الذى هو الامام وفى التفسير لا يجـاوز المسموع المنقول وفرق بين التفسير والتأويل فالتفسير علم نزول الآية وشـأنها وقصتها والاسباب التى نزلت فيها وهذا محظور على الناس كافة القول فيـه لا بالسماع والأثر وأما التأويل فصرف الآية إلي معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذى يراه يوافق الكتاب والسنة فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول على ماذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعـالى (قال أبو الدرداء) لايفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة فما أعجب قول عبدالله ابن مسعود مامن آية إلا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام محرض لكل طالب صاحب همة أن يصغى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسراره من قلبه فللصوفى بكمال الزهد فى الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة فى التلاوة مطلع جديد وفهم عتيد وله بكل فهم عمل جديد ففهمهم يدعو إلي العمل وعملهم يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر فى معاني الخطاب فمن الفهم علم ومن العلم عمل والعلم والعمل يتناوبان فيه وهذا العمل

آنفا انما هو عمل القلوب وعمل القلوب غير عمل القالب وأعمال القلوب للطفها وصداقتها مشاكلة للعلوم لأنها نيات وطويات وتعلقات روحية وتأديبات قلبية ومسامرات سرية وكلما أتوا بعمل من هذه الأعمال رفع لهم علم من العلم واطلعوا على مطلع من فهم الآية جديد ويخالج سري أن يكون المطلع ليس بالوقوف بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر فى الآية ولكن المطلع أن يطلع عند كل آية على شهود المتكلم بها لانها مستودع وصف من أوصافه ونعت من نعوته فتتجدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماعها ويصير له مرآة منبئة عن عظيم الجلال ولقد نقل عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال لقد يجلى الله تعالى لعباده فى كلامه ولكن لايبصرون فيكون لكل آية مطلع من هذا الوجه فالحد حد الكلام والمطلع الترقى عن حد الكلام إلى شهود المتكلم * وقد نقل عن جعفر الصادق أيضا أنه خر مغشيا عليه وهو فى الصلاة فسئل عن ذلك فقال مازلت أردد الآية حتي سمعتها من المتكلم بها فالصوفي لما لاح له نور ناصية التوحيد وألقى سمعه عند سماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدى الله حاضرا شهيدا يرى لسانه أو لسان غيره فى التلاوة كشجرة موسى عليه السلام حيث أسمعه الله منها خطابه إياه بأني أنا الله فاذا كان سماعه من الله تعالى واستماعه إلي الله صار سمعه بصره وبصره سمعه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد آخره أوله وأوله آخره ومعنى ذلك ان الله تعالي خاطب الذر بقوله ألست بربكم فسمعت النداء على غاية الصفاء ثم لم تزل الذرات تتقلب فى الأصلاب وتنتقل إلى الأرحام قال الله تعالى (الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين) يعنى تقلب ذرتك فى اصلاب أهل السجود من آبائك الأنبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت بين أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبعالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم ظلمتها بالتقلب في الاطوار فاذا أراد الله تعالي بالعبد حسن الاستماع بأن يصيره صوفيا صافيا لايزال يرقيه فى رتب التزكية والتحلية حتي يخلص من مضيق عالم الحكمة إلي فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافذة سجف الحكمة فيصير سماعه ألست بربكم كشفا وعيانا وتوحيده وعرفانه تبيانا وبرهانا وتندرج له ظلم الاطوار

في لوامع الأنوار * قال بعضهم أنا أذكر خطاب ألست بربكم اشارة منه إلي هذا الحال فاذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرمدا وشهوده مؤبدا وسماعه متواليا متجددا يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السماع * قال سفيان ابن عيينة أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت إلى الجوانب والاقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعي قال الله تعالى لنبيه عليه السلام (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) وقال (ولا تحرك به لسانك لتعجل به) هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لا تمله على الصحابة حتى تتدبر معانيه حتى تكون أنت أول من يخلص بغرائبه وعجائبه وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبرائيل عليه السلام وأوحى إليه لا يفتر من قراءة القرآن مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك أي لا تعجل بقراءته قبل أن يفرغ جبرائيل من إلقائه إليك وقد تكون مطالعة العلوم وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى السماع ويحتاج المطالع للعلوم والأخبار وسير أهل الصلاح وحكاياتهم وأنواع الحكم والأمثال التي فيها نجاة من عذاب الآخرة أن يكون في ذلك كله متأدبا بآداب حسن الاستماع لأنه نوع من ذلك وكما ان القلب استعد بحسن الاستماع بالزهادة والتقوى حتى أخذ من كل ماسمعه أحسنه فيكون آخذا بالمطالعة من كل شيء أحسنه ومن الادب في المطالعة ان العبد إذا أراد أن يطالع شيئا من الحديث والعلم يعلم انه قد تكون مطالعة ذلك بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل فتستروح بالمطالعة كما تتروح بمجالسة الناس ومكالمتهم فليتفقد المتفطن نفسه في ذلك ولا يستحلى مطالعة الكتب إلي حد يأخذ ذلك من وقته ويراعي الافراط فيه فاذا أراد مطالعة كتاب أو شيء من العلم لايبادر إليه إلا بعد التثبت والانابة والرجوع إلى الله تعالى وطلب التأييد من رحمة الله تعالي فيه فانه قد يرزق بالمطالعة مايكون من مزيد حاله ولو قدم الاستخارة لذلك كان حسنا فان الله تعالى يفتح عليه باب

الفهم والتفهيم موهبة من الله زيادة على ما يتبين من صورة العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن وهو الفهم والله تعالى نبه على شرف الفهم بقوله (ففهمناها سليمان وكلا آتيناحكماوعلما) أشار إلى الفهم بمزيد اختصاص وتمييز عن الحكم والعلم قال الله تعالى (إن الله يسمع من يشاء) فاذا كان المسمع هو الله تعالى يسمع تارة بواسطة اللسان وتارة بما يرزق بمطالعة الكتب من التبيان فصار ما يفتح الله تعالى بمطالعة الكتب على معنى ما يرزق من المسموع ببركة حسن الاستماع ليتفقد العبد حاله في ذلك ويتعلم علمه وأدبه فانه باب كبير من أبواب الخير وعمله صالح من أعمال المشايخ والصوفية والعلماء الزاهدين المتبتلين لاستفتاح أبواب الرحمة والمزيد من كل شيء ينفع سلوك الآخرة

﴿ الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والاشارة إلى أنموذج منها ﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله قال أنبأنا أبو عبد الرحمن الصوفي قال أنا عبد الرحمن بن محمد قال أنا أبو محمد عبد الله بن احمد السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا بقية عن الاحوص بن حكيم عن أبيه قال سأل رجل النبي عليه السلام عن الشر فقال لا تسألوني عن الشر وسلوني عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء فالعلماء أدلاء الامة وعمد الدين وسرج ظلمات الجهالات الجبلية ونقباء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وأمناء الله تعالى في خلقه وأطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفية وحملة عظيم الامانة فهم أحق الخلق بحقائق التقوي وأحوج العباد إلي الزهد في الدنيا لانهم يحتاجون إليها لنفسهم ولغيرهم ففسادهم فساد متعد وصلاحهم صلاح متعد * قال سفيان بن عيينة أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم وأعلم الناس من عمل بما يعلم وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى وهذا قول صحيح يحكم بأن العالم إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم فلا يغرك تشدقه واستطالته وحذاقته وقوته في المناظرة والمجادلة فانه جاهل وليس بعالم إلا أن يتوب الله عليه ببركة العلم فان العلم في الاسلام لا يضيع أهله ويرجى

عود العالم ببركة العلم والعلم فريضة وفضيلة فالفريضة مالا بد للانسان من معرفته ليقوم بواجب حق الدين والفضيلة مازاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة فى النفس موافقة للكتاب والسنة وكل علم لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند إليهما كائناً ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزداد الانسان به هوانا ورذيلة فى الدنيا والآخرة فالعلم الذى هو فريضة لا يسع الانسان جهله على ماحدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم المستملى قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى قال أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصفهاني قال أنا أبوسعيد بن الاعرابي قال حدثنا جعفر بن عامر العسكرى قال حدثنا الحسن بن عطية قال حدثنا أبو عاتكة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم * واختلف العلماء فى العلم الذى هو فريضة قال بعضهم هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الاعمال لأن الاخلاص مأمور به كما ان العمل مأمور به قال الله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين) فالاخلاص مأمور به وخدع النفس وغرورها ودسائسها وشهواتها الخفية تخرب مبانى الاخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضاً حيث كان الاخلاص فرضاً وما لا يصل العبد إلى الفرض إلا به صار فرضا وقال بعضهم معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأن الخواطر هى أصل الفعل ومبدؤه ومنشؤه وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل إلا بصحتها فصار علم ذلك فرضا حتى يصح الفعل من العبد لله وقال بعضهم هو طلب علم الوقت وقال سهل بن عبد الله هو طلب علم الحال يعنى حكم حاله الذى بينه وبين الله تعالى فى دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحلال فريضة وقد ورد طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث انه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو مايزداد به العبد يقينا وهذا العلم هو الذى يكتسب بالصحبة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين إليهم ويقويهم بطريقهم ويرشدهم

بهم فهم وارث علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول فى شىء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملا يجهل ما لله عليه في ذلك فلا يجوز له أن يعمل برأيه إذ هو جاهل فيما له وعليه فى ذلك فيراجع عالما يسأله عنه ليجيبه على بصيرة ولا يعمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض فمن قائل يقول طريقه النظر والاستدلال ومن قائل يقول ان طريقه النقل وقال بعضهم إذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والانقياد فى الاسلام ولا يحيك فى صدره شىء فهو سالم فان حاك في صدره شىء أو توسوس بشىء يقدح فى العقيدة أو ابتلى بشبهة لا تؤمن غائلتها أن تجره إلى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه ويراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب وقال الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله هو علم الفرائض الخمس التى بنى عليها الاسلام لأنها افترضت على المسلمين وإذا كان عملها فرضا صار علم العمل بها فرضا وذكر ان علم التوحيد داخل فى ذلك لان أولها الشهادتان والاخلاص داخل فى ذلك لان ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل في صحة الاسلام وحيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فريضة على كل مسلم يقتضى أن لا يسع مسلما جهله وكل ما تقدم من الاقاويل أكثرها مايسع المسلم جهله لانه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة كما ترى وأكثر المسلمين على الجهل بهذه الاشياء ولو كانت هذه الاشياء فرضت عليهم لعجز عنها أكثر الخلق إلا ما شاء الله وميلى فى هذه الاقاويل إلى قول الشيخ أبي طالب أكثر وإلى قول من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح والطلاق إذا أراد الدخول فيه وهذا لعمرى فرض على المسلم علمه وهكذا الذى قاله الشيخ أبو طالب وعندى في ذلك حد جامع لطلب العلم المفترض والله أعلم (فأقول) العلم الذى طلبه فريضة على كل مسلم علم الأمر والنهى والمأمور مايثاب على فعله ويعاقب على تركه والمنهى ما يعاقب على فعله ويثاب على تركه

والمأموريات والمنهيات منها ماهو مستمر لازم للعبد بحكم الاسلام ومنها مايتوجه الأمر فيه والنهى عنه عند وجود الحادثة فما هو لازم مستمر لزومه متوجه بحكم الاسلام علمه به واجب من ضرورة الاسلام ومايتجدد بالحوادث ويتوجه الأمر والنهى فيه فعلمه عند تجدده فرض لايسع مسلما على الاطلاق أن يجهله وهذا الحد أعم من الوجوه التى سبقت والله أعلم * ثم ان المشايخ من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدين فى الدنيا شمروا عن ساق الجد في طلب العلم المفترض حتى عرفوه وأقاموا الامر والنهى وخرجوا من عهدة ذلك بحسن توفيق الله تعالى فلما استقاموا فى ذلك متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى فاستقم كما أمرت ومن تاب معك فتح الله عليهم أبواب العلوم التى سبق ذكرها قال بعضهم من يطيق مثل هذه المخاطبة بالاستقامة إلا من أيد من المشاهدات القوية والانوار البينة والآثار الصادقة بالتثبيت ببرهان عظيم كما قال تعالى ولولا أن ثبتناك ثم حفظ فى وقت المشاهدة ومشافه الخطاب وهو المزين بعتام القرب والمخاطب على بساط الأنس محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك خوطب بقوله فاستقم كما أمرت ولولا هذه المقامات ما أطاق الاستقامة التي أمر بها * قيل لابي حفص أى الاعمال أفضل قال الاستقامة لان النبي صلى الله عليه وسلم يقول استقيموا ولن تحصوا وقال جعفر الصادق فى قوله تعالى فاستقم كما أمرت أى افتقر إلى الله بصحة العزم ورأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام قال قلت يارسول الله روى عنك انك قلت شيبتنى سورة هود وأخواتها فقال نعم قال فقلت له ما الذى شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب وطولب بحقائق الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون منحهم الله تعالى من ذلك بقسط ونصيب ثم ألهمهم طلب النهوض بواجب حق الاستقامة ورأوا الاستقامة أفضل مطلوب وأشرف مأمور * قال أبو على الجوزجانى كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب

الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة وهذا الذى ذكره أصل كبير فى الباب
وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلب وذلك ان المجتهدين والمتعبدين
سمعوا بسير الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات
فأبدا نفوسهم لا تزال تتطلع إلى شىء من ذلك ويحبون أن يرزقوا شيئا من
ذلك ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه فى صحة عمله حيث لم يكشف
بشىء من ذلك ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الأمر فيه فيعلم ان الله سبحانه
وتعالى قد يفتح على بعض المجتهدين الصادقين من ذلك بابا والحكمة فيه أن يزداد
بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا
والخروج من دواعى الهوى وقد يكون بعض عباده يكاشف بصرف اليقين
ويرفع عن قلبه الحجاب ومن كوشف بصرف اليقين استغنى بذلك عن رؤية
خوارق العادات لأن المراد منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين فلو كوشف
هذا المرزوق صرف اليقين بشىء من ذلك ما ازداد يقيناً فلا تقتضى الحكمة
كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع لاستغنائه وتقتضى الحكمة كشف
ذلك للآخر لموضع حاجته فكان هذا الثانى يكون أتم استعدادا وأهلية من
الأول حيث رزق حاصل ذلك وهو صرف اليقين بغير واسطة من رؤية قدرة
فان فيه آفة وهو العجب فأغنى عن رؤية شىء من ذلك فسبيل الصادق مطالبة
النفس بالاستقامة فهى كل الكرامة ثم إذا وقع فى طريقه شىء من ذلك جاز
وحسن وإن لم يقع فلا يبالى ولا ينتقص بذلك وانما ينقص بالاخلال بواجب
حق الاستقامة فليعلم هذا لأنه أصل كبير للطالبين فالعلماء الزاهدون ومشايخ
الصوفية والمقربون حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا سائر
العلوم التى أشار إليها المتقدمون كما ذكرنا وزعموا أنها فرض فمن ذلك علم الحال
وعلم القيام وعلم الخواطر وسنشرح علم الخواطر وتفصيلها فى باب إن شاء الله
تعالى وعلم اليقين وعلم الاخلاص وعلم النفس ومعرفتها ومعرفة أخلاقها وعلم
النفس ومعرفتها من أعز علوم القوم وأقوم الناس بطريق المقربين والصوفية
أقومهم بمعرفة النفس وعلم معرفة أقسام الدنيا ووجود دقائق الهوى وخفايا

شهوات النفس وشرهها وشرها وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على الضرورة قولا وفعلا ولبسا وخلعا وأكلا ونوما ومعرفة حقائق التوبة وعلم خفى الذنوب ومعرفة سيئات هى حسنات الابرار ومطالبة النفس بترك مالا يعنى ومطالبة الباطن بحصر خواطر المعصية ثم بحصر خواطر الفضول ثم علم المراقبة وعلم مايقدح فى المراقبة وعلم المحاسبة والرعاية وعلم حقائق التوكل وذنوب المتوكل فى توكله وما يقدح فى التوكل ومالا يقدح والفرق بين التوكل الواجب بحكم الايمان وبين التوكل الخاص المختص بأهل العرفان وعلم الرضا وذنوب مقام الرضا وعلم الزهد وتحديده بما يلزم من ضرورته ومالا يقدح فى حقيقته ومعرفة الزهد فى الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد في الزهد وعلم الانابة والالتجاء ومعرفة أوقات الدعاء ومعرفة وقت السكوت عن الدعاء وعلم المحبة والفرق بين المحبة العامة المفسرة بامتثال الامر والمحبة الخاصة وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة كما أنكروا الرضا وقالوا ليس إلا الصبر وانقسام المحبة الخاصة إلى محبة الذات وإلى محبة الصفات والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح ومحبة العقل ومحبة النفس والفرق بين مقام المحب والمحبوب والمريد والمراد ثم علوم المشاهدات كعلم الهيبة والأنس والقبض والبسط والفرق بين القبض والهم والبسط والنشاط وعلم الفناء والبقاء وتفاوت أحوال الفناء والاستتار والتجلى والجمع والفرق واللوامع والطوالع والبوادى والصحو والسكر إلى غير ذلك لو اتسع الوقت ذكرناها وشرحناها فى مجلدات ولكن العمر قصير والوقت عزيز ولولا سهم الغفلة لضاق الوقت عن هذا القدر أيضا وهذا المختصر المؤلف يحتوى من علوم القوم على طرف صالح نرجو من الله الكريم أن ينفع به ويجعله حجة لنا لا حجة علينا وهذه كلها علوم من ورائها علوم عمل بمقتضاها وظفر بها علماء الآخرة الزاهدون وحرم ذلك علماء الدنيا الراغبون وهى علوم ذوقية لايكاد النظر يصل إليها إلا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف فمن ذاقه عرفه وينبئك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء ان العلوم كلها لايتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال بحقائق التقوى وربما كان محبة

الدنيا عونا على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجبلت النفوس على محبة الجاه والرفعة حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والاسفار وتعذر الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس إلا فى مدرسة التقوى قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلاشك فعلم فضل علم علماء الآخرة حيث لم يكشف النقاب إلا لأولي الألباب وأولوا الألباب حقيقة هم الزاهدون فى الدنيا قال بعض الفقهاء إذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس يصرف إلي الزهاد لأنهم أعقل الخلق (قال) سهل ابن عبدالله التسترى للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا (حدثنا) الشيخ الصالح أبو الفتح محمد بن عبدالباقى قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهانى قال حدثنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا العباس ابن أحمد الشاشى قال حدثنا أبو عقيل الوصافي قال أنا عبدالله الخواص وكان من أصحاب حاتم قال دخلت مع أبي عبدالرحمن حاتم الأصم الرى ومعه ثلثمائة وعشرون رجلا يريدون الحج وعليهم الصوف والزرمانقات ليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا الرى على رجل من التجار متنسك يحب المتقشفين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ياأبا عبدالرحمن ألك حاجة فانى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة فأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى فقال سر بنا ياأبا عبد الرحمن فجاؤا إلى الباب فاذا باب مشرف حسن فبقى حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذا الحال ثم أذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء وإذا بزة ومنعة وستور وجمع فبقى حاتم متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه فاذا بفرش وطيئة وإذا هو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازى يسائله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اقعد فقال لا أقعد فقال له ابن مقاتل لعل لك حاجة قال نعم قال وماهى قال مسئلة أسألك عنها قال سلنى قال فقم فاستو جالسا حتى أسألكها فأمر غلمانه فأسندوه فقال له حاتم علمك هذا من أين جئت به قال الثقات حدثونى به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رسول الله من أين جاء به قال عن جبرائيل قال حاتم ففيما أداه جبرائيل
عن الله وأداه إلى رسول الله وأداه رسول الله إلى أصحابه وأداه أصحابه إلى الثقات
وأداه الثقات إليك هل سمعت في العلم من كان في داره أميرا ومنعته أكثر كانت له
المنزلة عند الله أكثر قال لا قال فكيف سمعت قال من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة
وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة أكثر قال حاتم فأنت بمن
اقتديت بالنبي وأصحابه والصالحين أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر
ياعلماء السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه
الحالة لا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا فبلغ أهل الري
ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ياأبا عبدالرحمن بقزوين عالم أكبر شأنا من هذا
وأشاروا به إلى الطنافسي قال فسار إليه معتمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل
أعجمي أحب أن تعلمني أول مبتدى ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم
وكرامة ياغلام هات إناء فيه ماء فأتي بإناء فيه ماء فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا
ثم قال هكذا فتوضأ فقعد فتوضأ حاتم ثلاثا ثلاثا حتى إذا بلغ غسل الذراعين غسل
أربعا فقال له الطنافسي ياهذا أسرفت فقال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعا
قال حاتم ياسبحان الله أنا في كف ماء أسرفت وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم
الطنافسي انه أراده بذلك ولم يرد منه التعلم فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين
يوما وكتب تجار الري وقزوين ماجرى بينه وبين ابن مقاتل والطنافسي فلما دخل
بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا له ياأبا عبدالرحمن أنت رجل ألكن أعجمي ليس
يكلمك أحد إلا وقطعته قال معي ثلاث خصال بهن أظهر على خصمي قالوا أي شيء هي
قال أفرح إذا أصاب خصمي وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه فبلغ
ذلك أحمد بن حنبل فجاء إليه وقال سبحان الله ما أعقله فلما دخلوا عليه قالوا
ياأبا عبدالرحمن ما السلامة من الدنيا قال حاتم ياأبا عبدالله لا تسلم من الدنيا حتى يكون
معك أربع خصال قال أي شيء هي ياأبا عبدالرحمن قال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك
عنهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كان هذا سلمت ثم سار إلى المدينة
قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء * ذكر بكلمة انما فينتفي العلم عمن

لايخشى الله كما إذا قال انما يدخل الدار بغدادي ينتفى دخول غير البغدادي الدار فلاح لعلماء الآخرة ان الطريق مسدود إلى أنصبة المعارف ومقامات القرب إلا بالزهد والتقوى (قال أبو يزيد) رحمه الله يوما لاصحابه بقيت البارحة إلى الصباح أجهد أن أقول لا إله إلا الله ماقدرت عليه قيل ولم ذلك قال ذكرت كلمة قلتها فى صباى فجاءتنى وحشة تلك الكلمة فمنعتنى عن ذلك وأعجب ممن يذكر الله تعالى وهو متصف بشىء من صفاته فبصفاء التقوى وكمال الزهادة يصير العبد راسخا فى العلم (قال الواسطى) الراسخون فى العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم فى غيب الغيب فى سر السر فعرفهم ماعرفهم وخاضوا فى بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الخزائن ماتحت كل حرف من الكلام من الفهم وعجائب الخطاب فنطقوا بالحكم وقال بعضهم الراسخ من اطلع على محل المواد من الخطاب (وقال) الخراز هم الذين كملوا فى جميع العلوم وعرفوها واطلعوا على همم الخلائق كلهم أجمعين وهذا القول من أبي سعيد لايعنى به ان الراسخ في العلم ينبغى أن يقف على جزئيات العلوم ويكمل فيها فان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان من الراسخين فى العلم ووقف فى معنى قوله تعالى وفاكهة وأبا وقال ما الأب ثم قال إن هذا إلا تكلف ونقل إن هذا الوقوف فى معنى الأب كان من أبي بكر رضى الله تعالى عنه وانما عنى بذلك أبو سعيد مايفسر أول كلامه بآخره وهو قوله اطلعوا على همم الخلائق كلهم لان المتقى حق التقوى والزاهد حق الزهادة في الدنيا صفا باطنه وانجلت مرآة قلبه ووقعت له محاذاة بشىء من اللوح المحفوظ فأدرك بصفاء الباطن أمهات العلوم وأصولها فيعلم منتهى أقدام العلماء فى علومهم وفائدة كل علم والعلوم الجزئية متجزئة فى النفوس بالتعليم والممارسة فلا يغنيه علمه الكلى أن يراجع فى الجزئى أهله الذين هم أوعيته فنفوس هؤلاء امتلأت من الجزئى واشتغلت به وانقطعت بالجزئي عن الكلى ونفوس العلماء الزاهدين بعد الأخذ مما لابد لهم منه فى أصل الدين وأساسه من الشرع أقبلوا على الله وانقطعوا إليه وخلصت أرواحهم إلى مقام القرب منه فأفاضت أرواحهم على قلوبهم أنوارا تهيأت بها قلوبهم لادراك العلوم فأرواحهم ارتقت عن حد ادراك العلوم بعكوفها على العالم الأزلى وتجردت عن وجود يصلح أن يكون وعاء للعلم وقلوبهم بنسبة وجهها الذي يلى

النفوس صارت أوعية وجودية تناسب وجود العلم بالنسبة الوجودية فتألفت العلوم وتألفتها العلوم بمناسبة انفصال العلوم باتصالها باللوح المحفوظ والمعنى بالانفصال انتقاشها فى اللوح لاغير وانفصال القلوب عن مقام الأرواح لوجود انجذابها إلى النفوس فصار بين المنفصلين نسبة اشتراك موجب للتألف فحصلت العلوم لذلك وصار العالم الربانى راسخا فى العلم * أوحى الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة يابنى إسرائيل لاتقولوا العلم فى السماء من ينزل به ولا فى تخوم الأرض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر فيأتى به العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا إلى بأخلاق الصديقين نهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم أو يغمركم فالتأدب بآداب الروحانيين حصر النفوس عن تقاضى جبلاتها وقمعها بصريح العلم فى كل قول وفعل ولا يصح ذلك إلا لمن علم وقرب وتطرق إلى الحضور بين يدي الله تعالى فيحتفظ بالحق للحق (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب عبد القاهر السهروردى اجازة قال أخبرنا أبو منصور بن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا الاوزاعى عن حسان بن عطية بلغنى أن شداد بن أوس رضى الله عنه نزل منزلا فقال ائتونا بالسفرة نعبث بها فأنكر منه ذلك فقال ماتكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها ثم أزمها غير هذه فلا تحفظوها على فمثل هذا يكون التأدب بآداب الروحانيين مكتوب فى الانجيل لاتطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وقد ورد فى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ربما يسوفكم بالعلم قلنا يارسول الله كيف يسوفنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال العبد فى العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وماعمل * وقال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن ان الله تعالي لايعبأ بذى علم ورواية انما يعبأ بذى فهم ودراية فعلوم الوراثة مستخرجة من علم الدراسة ومثال علوم الدراسة كاللبن الخالص المائغ للشاربين ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن والمائية فى اللبن جسم قام به روح الدهنية والمائية بها القوام قال الله تعالى (وجعلنا من

الماء كل شيء حي) وقال تعالى (أومن كان ميتاً فأحييناه) أي كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالاسلام فالاحياء بالاسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللاسلام علوم وهي علوم مباني الاسلام والاسلام بعد الايمان نظرا إلى مجرد التصديق ولكن للايمان فروع بعد التحقق بالاسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد تقال للتوحيد والمعرفة والمشاهدة وللايمان في كل فرع من فروعه علوم فعلوم الاسلام علوم اللسان وعلوم الايمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لها وصف خاص ووصف عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل إليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علماء الدنيا مع علماء الآخرة وله وصف خاص يختص به علماء الآخرة وهي السكينة التي أنزلت في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم فعلى هذا جميع الرتب يشملها اسم الايمان بوصفه الخاص ولا يشملها بوصفه العام فبالنظر إلى الوصف الخاص اليقين ومراتبه من الايمان وإلى وصفه العام اليقين زيادة على الايمان والمشاهدة وصف خاص في اليقين وهو عين اليقين وفي عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين فحق اليقين إذن فوق المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره في الآخرة وفي الدنيا منه لمح يسير لأهله وهو من أعز ما يوجد من أقسام العلم بالله لأنه وجدان فصار علم الصوفية وزهاد العلماء نسبته إلى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ماذكرناه من علم الوراثة والدراسة علمهم بمثابة اللبن لأنه اليقين والايمان الذي هو الأساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنصبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن فضيلة الانسان بفضيلة العلم ووزانة الاعمال على قدر الحظ من العلم وقد ورد في الخبر فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي والاشارة في هذا العلم ليس إلى علم البيع والشراء والطلاق والعتاق وانما الاشارة إلى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون العبد عالما بالله تعالى ذا يقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة وقد كان علماء التابعين فيهم من هو أقوم بعلم التقوى والاحكام من بعضهم (روى) أن عبدالله بن عمر كان إذا سئل عن شيء يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان عبدالله بن عباس يقول سلوا جابر بن عبدالله لو نزل أهل البصرة على

فتياه لوسعهم وكان أنس بن مالك يقول سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا فكانوا يردون الناس إليهم فى علم الفتوى والأحكام ويعلمونهم حقائق اليقين ودقائق المعرفة وذلك لأنهم كانوا أقوم بذلك من التابعين صادفتهم طراوة الوحى المنزل وغمرهم غزير العلم المجمل والمفصل فتلقى منهم طائفة مجملة ومفصلة وطائفة مفصلة دون مجملة والمجمل أصل العلم ومفصله المكتسب بطهارة القلوب وقوة الغريزة وكمال الاستعداد وهو خاص بالخواص قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) وقال تعالى (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة) فلهذه السبل سابلة ولهذه الدعوات قلوب قابلة فمنها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها فلينها بنار الانذار والموعظة والحذار ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريبة منها فمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعاه بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دعاه بالحكمة فالدعوة بالموعظة أجاب بها الأبرار وهى الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة بالحكمة أجاب بها المقربون وهى الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة واشارة التوحيد فلما وجدوا التلويحات الحقانية والتعريفات الربانية أجابوا بأرواحهم وقلوبهم ونفوسهم فصارت متابعة الأقوال اجابتهم نفساً ومتابعة الأعمال اجابتهم قلباً والتحقق بالأحوال اجابتهم روحا فاجابة الصوفية بالكل واجابة غيرهم بالبعض قال عمر رضى الله عنه رحم الله تعالى صهيباً لو لم يخف الله لم يعصه يعنى لو كتب له كتاب الأمان من النار حمله صرف المعرفة بعظيم أمر الله على القيام بواجب حق العبودية أداء لما عرف من حق العظمة فاجابة الصوفية إلى الدعوة اجابة المحب للمحبوب على اللذاذة وذهاب العسر واجابة غيرهم على المكابدة والمجاهدة وهذه الاجابة يظهر مع الساعات أثرها فى القيام بحقائق الاستقامة والعبودية قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) قال بعضهم أعطى الدارين ولم ير شيئا واتقى اللغو والسيئات وصدق بالحسنى أقام على طلب الزلفى والآية

قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ويلوح في الآية وجه آخر أعطى بالمواظبة على الأعمال واتقى الوساوس والهواجس وصدق بالحسنى لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسنيسره لليسرى نفتح عليه باب السهولة فى العمل والعيش والأنس وأما من بخل بالاعمال واستغنى امتلاء بالاحوال وكذب بالحسنى لم يكن فى الملكوت بنفوذ بصيرته بالجوال فسنيسره للعسرى نسد عليه باب اليسر فى الاعمال قال بعضهم إذا أراد الله بعبد سوأ سد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهرا وباطناً كان حظهم من العلم أوفر ونصيبهم من المعرفة أكمل فكانت أعمالهم أزكى وأفضل : جاء رجل إلى معاذ قال أخبرنى عن رجلين أحدهما مجتهد فى العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتوره الشك قال معاذ ليحبطن شكه عمله قال فاخبرني عن رجل قليل العمل إلا أنه قوى اليقين وهو فى ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله لئن أحبط شك الاول أعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فأخذ معاذ بيده وقال مارأيت الذى هو أفقه من هذا . وفي وصية لقمان لابنه يا بنى لايستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه فكان اليقين أفضل العلم لأنه أدعى إلى العمل وما كان أدعى إلى العمل كان أدعى إلي العبودية وما كان أدعى إلى العبودية كان أدعى إلي القيام بحق الربوبية وكمال الحظ من اليقين والعلم بالله للصوفية والعلماء الزاهدين فبان بذلك فضلهم وفضل علمهم ثم انى أصور مسئلة يستبين بها المعتبر فضل العالم الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره عالم دخل مجلساً وقعد وميز لنفسه مجلساً يجلس فيه كما فى نفسه من اعتقاده فى نفسه لحاله وعلمه فدخل داخل من أبناء جنسه وقعد فوقه فانعصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لايفطن ان هذه علة غامضة ومرض يحتاج إلى المداواة ولا يتفكر فى منشأ هذا المرض ولو علم ان هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها

فعلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر واظهاره ذلك إلي الفعل تكبر فحيث انعصر صار فعلا به تكبر الزاهد لايميز نفسه بشيء دون المسلمين ولا يري نفسه فى مقام تمييز يميزها بمجلس فالصوفى العالم مخصوص مميز ولو قدر له أن يبتلى بمثل هذه الواقعة وينعصر من تقدم غيره عليه وترفعه يرى النفس وظهورها ويرى ان هذا داء وانه ان استرسل فيه بالاصغاء إلى النفس وانعصارها صار ذلك ذنب حاله فيرفع فى الحال داءه إلى الله تعالي ويشكو إليه ظهور نفسه ويحسن الانابة ويقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب إلى الله تعالى مستغيثا من النفس فيشغله اشتغاله برؤية داء النفس في طلب دوائها من الفكر فيمن قعد فوقه وربما أقبل على من قعد فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا للذنب الموجود وتداويا لدائه الحاصل فتبين بهذا الفرق بين الرجلين فاذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه فى هذا المقام يرى نفسه كنفوس عوام الخلق وطالبي المناصب الدنيوية فأى فرق بينه وبين غيره ممن لاعلم له ولو أكثرنا تصوير المسائل لتبرهن فضيلة الزاهدين ونقصان الراغبين لأورث الملال وهذا من أوائل علوم الصوفية فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم والله الموفق للصواب

﴿ الباب الرابع فى شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم ﴾

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن على قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهروى قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى قال حدثنا مسلمة بن حاتم الانصارى قال حدثنا محمد بن عبدالله الانصارى عن أبيه عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يابنى ان قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل ثم قال يابنى وذلك من سنتى ومن أحيا سنتى فقد أحياني ومن أحيانى كان معى في الجنة وهذا أتم شرف وأكمل فضل أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فى حق من أحيا سنته فالصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة وطهارة الصدور من

الغل والغش عماد أمرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وانما قدروا على احياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم فى الدنيـا وتركها لأربابها وطلابها لأن مثار الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس والصوفية زهدوا فى ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لايصـلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس فى قلوبهم غش لأحد فقول القائل كنست بأرواحهم المزابل اشارة منه إلى غاية التواضع وأن لايرى نفسه تتميز عن أحد من المسلمين لحقاراته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغش والغل وجرت هذه الحكاية فقال بعض الفقراء من أصحابنا وقع لى ان معنى كنست بأرواحهم المزابل ان الاشارة بالمزابل إلى النفوس لأنها مأوى كل رجس ونجس كالمزبلة وكنسها بنور الروح الواصل إليها لأن الصوفية أرواحهم فى محال القرب ونورها يسرى إلى النفوس وبوصول نور الروح إلى النفس تطهر النفس ويذهب عنها المذموم من الغل والغش والحقد والحسد فكأنها تكنس بنور الروح وهذا المعنى صحيح وإن لم يرد القائل بقوله ذلك قال الله تعالى فى وصف أهل الجنة (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) قال أبو حفص كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره إن تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبـائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخوانا فالخلق حجابهم عن القيام باحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وحالا صفات نفوسهم فاذا تبدلت نعوت النفس ارتفع الحجاب وصحت المتابعة ووقعت الموافقة فى كل شيء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجبت المحبة من الله تعالى عند ذلك قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) جعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول أوفرهم حظا من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الاسلام ظفروا بحسن المتابعة لأنهم اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ثم اتبعوه فى أعمالهم من الجد والاجتهاد فى العبادة

والتهجد والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا ببركة المتابعة فى الأقوال والأفعال التخلق بأخلاقه من الحياء والحلم والصفح والعفو والرأفة والشفقة والمداراة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة والهيبة والتعظيم والرضا والصبر والزهد والتوكل فاستوفوا جميع أقسام المتابعات وأحيوا سنته بأقصى الغايات * قيل لعبد الواحد بن زيد من الصوفية عندك قال القائمون بعقولهم على فهم السنة والعاكفون عليها بقلوبهم والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية وهذا وصف تام وصفهم به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم الافتقار إلى مولاه حتى يقول لا تكلنى إلي نفسى طرفة عين اكلأنى كلاءة الوليد ومن أشرف ما ظفر به الصوفى من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الوصف وهو دوام الافتقار ودوام الالتجاء ولا يتحقق بهذا الوصف من صدق الافتقار إلا عبد كوشف باطنه بصفاء المعرفة وأشرق صدره بنور اليقين وخلص قلبه إلى بساط القرب وخلا سره بلذاذة المسامرة فبقيت نفسه بين هذه الاشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك كله يراها مأوى كل شر وهى بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت عالما وهى وشيكة الرجوع سريعة الانفلات والانقلاب فالله تعالى بكمال لطفه عرفها إلى الصوفى وكشفها له على شيء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة إلي مولاه من شرها وكأنها جعلت سوطا للعبد تسوقه لمعرفته بشرها مع اللحظات إلى جناب الالتجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا يخلو الصوفى عن مطالعتها أدني ساعة كما لا يخلو عن ربه أدنى ساعة وربط معرفتها بمعرفة الله تعالى فيما ورد من عرف نفسه فقد عرف ربه كربط معرفة الليل بمعرفة النهار ومن الذى يقوم باحياء هذه السنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الصوفي العالم بالله الزاهد فى الدنيا المتمسك من التقوى بأوثق العرى ومن الذى يهتدى إلي فائدة هذه الحال غير الصوفى فدوام افتقاره إلى ربه تمسك بجناب الحق ولياذ به وفى هذا اللياذ استغراق الروح واستتباع القلب إلى محل الدعاء وفى انجذاب القلب إلى محل الدعاء بلسان الحال والكون

فيه نبو النفس عن مستقرها من الاقسام العاجلة ونزولها إليها فى مدارج العلم محفوفة بحراسة الله تعالى ورعايته والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير الله تعالى مأمونة الغائلة من الغل والغش والحقد والحسد وسائر المذمومات فهذا حال الصوفي « ويجمع جمل حال الصوفى شيآن هما وصف الصوفية » وإليهما الاشارة بقوله تعالى (الله يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب) فقوم من الصوفية خصوا بالاجتباء الصرف وقوم منهم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الانابة فالاجتباء المحض غير معلل بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد يبادئه الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوف اجتهاده وفى هذا أخذ بطائفة الصوفية رفعت الحجب عن قلوبهم وبادرهم سطوع نور اليقين فأثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهـاد والأعمال فأقبلوا على الأعمال باللذاذة والعيش فيها قرة أعينهم فسهل الـكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سـحرة فرعون لذاذة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيـد فرعون فقالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات * قال جعفر الصادق رضى الله عنـه وجدوا أرواح العناية القديمة بهم فالتجؤا إلى السجود شكرا وقالوا آمنا برب العالمين (أخبرنا) أبو زرعة طاهر ابن أبي الفضل اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف اجازة قال أنا عبد الرحمن السلمى قال سمعت منصورا يقول سمعت أباموسي الرقاق يقول سمعت أباسعيد الخراز يقول أهل الخالصة الذين هم المرادون اجتباهم مولاهم وأكمل لهم النعمة وهيأ لهم الـكرامة فأسقط عنهم حركات الطلب فصارت حركاتهم فى العمل والخدمة على الألفة والذكر والتنعم بمناجاته والانفراد بقربه وبهذا الاسناد إلي أبى عبد الرحمن السلمى قال فسمعت على بن سعيد يقول سمعت احمد بن الحسن الحمصى يقول سمعت فاطمة المعروفة بجويرية تلميذة أبي سعيد تقول سمعت الخراز يقول المراد محمول فى حاله معان على حركاته وسعيه فى الخدمة مكفى مصون عن الشواهد والنواظر وهذا الذى قاله الشيخ أبو سـعيد هو الذى اشتبه حقيقته على طائفة من الصوفيـة ولم يقولوا بالاكثار من النوافل وقد رأوا جمعا من المشايخ قلت نوافلهم فظنوا ان ذلك حال مستمر على الاطلاق ولم يعلموا ان الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض

كانت بداياتهم بدايات المريدين فلما وصلوا إلى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلؤا بالحال فطرحوا نوافل الأعمال فأما المرادون فتبقى عليهم الأعمال والنوافل وفيها قرة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذى أوضحناه أحد طريقى الصوفية فأما الطريق الآخر طريق المريدين وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى (ويهدى إليه من ينيب) فطولبوا بالاجتهاد أولا قبل الكشوف قال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) يدرجهم الله تعالى فى مدارج الكسب بأنواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر وظمأ الهواجر تتأجج فيهم نيران الطلب وتتحجب دونهم لوامع الارب يتقلبون فى رمضاء الارادة وينخلعون عن كل مألوف وعادة وهى الانابة التى شرطها الحق سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية مقرونة بها وهذه الهداية آنفا هداية خاصة لأنها هداية إليه غير الهداية العامة التى هى الهدى إلى أمره ونهيه بمقتضى المعرفة الأولى وهذا حال السالك المحب المريد فكانت الانابة غير الهداية العامة فأثمرت هداية خاصة واهتدوا إليه بعد أن اهتدوا له بالمكابدات فخلصوا من مضيق العسر إلى فضاء اليسر وبرزوا من وهج الاجتهاد إلى روح الاحوال فسبق اجتهادهم كشوفهم والمرادون سبق كشوفهم اجتهادهم (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقى قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهانى قال حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا محمد الجريرى يقول سمعت الجنيد رحمة الله عليه يقول ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات فقال محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة استدامة الجد وترك الراحة وقال أبو عثمان المريد الذى مات قلبه عن كل شىء دون الله تعالى فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق إليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه إلى ربه وقال أيضا عقوبة قلب المريدين أن يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات إلى أضدادها فهذان الطريقان يجمعان أحوال الصوفية ودونهما طريقان آخران ليسا من طرق التحقق بالتصوف * أحدهما مجذوب أبقى على جذبته مارد إلى الاجتهاد بعد

الكشف * والثاني مجتهد متعبد ما خلص إلى الكشف بعد الاجتهاد وللصوفية فى طريقهما باب مزيدهم وصحة طريقهم بحسن المتابعة ومن ظن أن يبلغ غرضا أو يظفر بمراد لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب السهروردى قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت نصر بن أبي نصر يقول سمعت قسيما غلام الزقاق يقول سمعت أبا سعيد السكرى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وكان يقول الجنيد رحمه الله علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال بعضهم من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة * حكى أن أبا يزيد البسطامى رحمه الله قال ذات يوم لبعض أصحابه قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية وكان الرجل فى ناحيته مقصودا ومشهورا بالزهد والعبادة فمضينا إليه فلما خرج من بيته يقصد المسجد رمى بزاقه نحو القبلة فقال أبو يزيد انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين (وسئل) خادم الشبلى رحمه الله ماذا رأيت منه عند موته فقال لما أمسك لسانه وعرق جبينه مشار إلى أن وضئنى للصلاة فوضأته فنسيت تخليل لحيته فقبض على يدى وأدخل أصابعى فى لحيته يخللها (وقال) سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعى حالا على غير هذا الوجه فدع مفتون كذاب

﴿ الباب الخامس فى ماهية التصوف ﴾

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل فى كتابه قال أنا أبو بكر أحمد بن على ابن خلف الشيرازى اجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال أنا إبراهيم بن أحمد ابن محمد بن رجاء قال حدثنا عبد الله بن أحمد البغدادى قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا عمر بن أسد عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شىء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة فالفقر كائن فى ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه * قال رويم التصوف

مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال أن تكون مع الله بلا علاقة (وقال) معروف الكرخي التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف (وسئل الشبلي) عن حقيقة الفقر فقال أن لا يستغني بشيء دون الحق (وقال) أبو الحسين النوري نعت الفقير السكون عند العدم والبذل والايثار عند الوجود (وقال) بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذر أن يدخل عليه الغنى فيفسد فقره كما أن الغنى يحترز من الفقير حذر أن يدخل عليه الفقر فيفسد عليه غناه (وبالاسناد الذي سبق إلى أبي عبد الرحمن) قال سمعت أبا عبد الرحمن الرازي يقول سمعت مظفرا القرميسني يقول الفقير الذي لا يكون له إلى الله حاجة قال وسمعته يقول سألت أبا بكر المصري عن الفقير فقال الذي لا يملك ولا يملك *(قوله لا يكون له إلى الله حاجة)* معناه أنه مشغول بوظائف عبوديته تام الثقة بربه عالم بحسن كلاءته به لا يحوجه إلى رفع الحاجة لعلمه بعلم الله بحاله فيرى السؤال في البين زيادة وأقوال المشايخ تتنوع معانيها لأنهم أشاروا فيها إلى أحوال في أوقات دون أوقات ونحتاج في تفصيل بعضها من البعض إلى الضوابط فقد تذكر أشياء في معنى التصوف ذكر مثلها في معنى الفقر وتذكر أشياء في معنى الفقر ذكر مثلها في معنى التصوف وحيث وقع الاشتباه فلا بد من بيان فصل فقد تشتبه الاشارات في الفقر بمعاني الزهد تارة وبمعاني التصوف تارة ولا يتبين للمسترشد بعضها من البعض فنقول التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد مع مزيد أوصاف وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفيا وإن كان زاهدا وفقيرا * قال أبو حفص التصوف كله آداب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول (وقال أيضاً) حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه (أخبرنا) الشيخ

رضى الدين أحمد بن إسماعيل أجازة قال أنا الشيخ أبو المظفر عبد المنعم قال أخبرني والدي أبو القاسم القشيرى قال سمعت محمد بن أحمد بن يحيى الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سئل أبو محمد الجريرى عن التصوف فقال الدخول في كل خلق سنى والخروج عن كل خلق دني فاذا عرف هذا المعنى في التصوف من حصول الأخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته يعلم أن التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف وأهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال الله تعالى (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله) هذا وصف الصوفية والله تعالى سماهم فقراء وسأوضح معنى يفترق الحال به بين التصوف والفقر نقول الفقير فى فقره متمسك به متحقق بفضله يؤثره على الغنى متطلع إلى ما تحقق من العوض عند الله حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام فكلما لاحظ العوض الباقى أمسك عن الحاصل الفاني وعانق الفقر والقلة وخشى زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض وهذا عين الاعتلال فى طريق الصوفية لأنه تطلع إلى الاعواض وترك الاجهاد والصوفى يترك الأشياء لا للأعواض الموعودة بل للأحوال الموجودة فانه ابن وقته وأيضاً ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار منه وإرادة والاختيار والارادة علة فى الحال الصوفي لأن الصوفى صار قائما فى الأشياء بارادة الله تعالى لا بارادة نفسه فلا يرى فضيلة في صورة فقر ولا فى صورة غنى وإنما يرى الفضيلة فيم يوقفه الحق فيه ويدخله عليه ويعلم الاذن من الله تعالى فى الدخول فى الشىء وقد يدخل فى صورة سعة مباينة للفقر باذن من الله تعالى ويرى الفضيلة حينئذ فى السعة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح فى السعة والدخول فيها الصادقين إلا بعد أحكامهم علم الاذن وفى هذا مزلة للاقدام وباب دعوي للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه راكب المحال ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة فاذا اتضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتصوف وعلم أن الفقر أساس التصوف وبه قوامه على معنى أن الوصول إلى رتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى أنه يلزم من وجود التصوف

وجود الفقر (قال) الجنيد رحمة الله عليه التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذى ذكرناه من كونه قائما فى الاشياء بالله لا بنفسه والفقير والزاهد مكونان فى الاشياء بنفسهما واقفان مع إرادتهما مجتهدان مبلغ علمها والصوفى متهم لنفسه مستقل لعلمه غير راكن إلي معلومه قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه (قال) ذوالنون المصرى رحمة الله عليه الصوفي من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب (وقال أيضاً) الصوفية آثروا الله تعالى على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء فكان من إيثارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم وإرادة الله على إرادة نفوسهم *(قيل لبعضهم)* من أصحب من الطوائف قال الصوفية فان للقبيح عندهم وجها من المعاذير وليس للكبير من العمل عندهم وقع يرفعونك به فتعجبك نفسك وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لان الزاهد يستعظم الترك ويستقبح الأخذ وهكذا الفقير وذلك لضيق وعائهم ووقوفهم على حد علمهم وقال بعضهم الصوفى من إذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان يكون مع الأحسن والفقير والزاهد لايميزان كل التمييز بين الخلقين الحسنين بل يختاران من الاخلاق أيضاً ماهو أدعى إلي الترك والخروج عن شواغل الدنيا حا كان في ذلك بعلمهما والصوفى هو المستبين الأحسن من عندالله بصدق التجائه وحسن إنابته وحظ قربه ولطيف الوجه وخروجه إلى الله تعالى لعلمه بربه وحظه من محادثته ومكالمته * قال رويم التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على مايريد * وقال عمرو بن عثمان المكى التصوف أن يكون العبد فى كل وقت مشغولا بما هو أولى في الوقت وقال بعضهم التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى وقيل التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع وقيل التصوف ترك التكلف وبذل الروح وقال سهل بن عبدالله الصوفى من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر (وسئل) بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الاخلاق الطبيعية وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول فى الشريعة

(قال) ذوالنون المصرى رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت من أين أقبلت قالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت وأين تريدين قالت إلى رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لي فأنشأت

قوم همومهم بالله قد علقت ... فما لهم همم تسمو إلي أحد
فطلب القوم مولاهم وسيدهم ... ياحسن مطلبهم للواحد الصمد
ما ان تنازعهم دنيا ولا شرف ... من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فائق أنق ... ولا لروح سرور حل فى بلد
إلا مسارعة فى اثر منزلة ... قدقارب الخطو فيها باعد الأبد
فهم رهائن غدران وأودية ... فى الشوامخ تلقاهم مع العدد

(قال الجنيد) الصوفي كالارض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح (وقال أيضا) هو كالارض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالقطر يسقى كل شيء وأقوال المشايخ فى ماهية التصوف تزيد على ألف قول ويطول نقلها ونذكر ضابطا يجمع جل معانيها فان الالفاظ وإن اختلفت متقاربة المعاني فنقول الصوفى هو الذي يكون دائم التصفية لايزال يصفى الاوقات من شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه فبدوام الافتقار ينقى من الكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته الناقدة وفر منها إلى ربه فبدوام تصفيته جمعيته وبحركة نفسه تفرقته وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالي (كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف قال بعضهم التصوف كله اضطراب فاذا وقع السكون فلا تصوف والسر فيه أن الروح مجذوبة إلى الحضرة الالهية يعنى ان روح الصوفى متطلعة منجذبة الى مواطن القرب وللنفس بوضعها رسوب الى عالمها وانقلاب على عقبها ولا بد للصوفى من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع اصابات النفس ومن وقف على هذا المعنى يجد فى معنى الصوفي جميع المتفرق فى الاشارات

﴿ الباب السادس فى ذكر تسميتهم بهذا الاسم ﴾

أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرني والدي قال أنا أبوعلى الشافعى بمكة حرسها الله تعالى قال أنا أحمد بن ابراهيم قال أنا أبو جعفر محمد بن ابراهيم قال أنا أبوعبدالله المخزومى قال حدثنا سفيان عن مسلم عن أنس ابن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف فمن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة لانهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ولكونه كان لباس الانبياء عليهم السلام * روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت الحرام وقيل أن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر ويأكل من الشجر ويبيت حيث أمسى *(وقال)* الحسن البصري رضى الله عنه لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف * ووصفهم أبو هريرة وفضالة بن عبيد فقال كانوا يخرون من الجوع تحسبهم الاعراب مجانين وكان لباسهم الصوف حتى ان بعضهم كان يعرق فى ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه الغيث وقال بعضهم أنه ليؤذيني ريح هؤلاء أما يؤذيك ريحهم يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكانت اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة واستغراقهم فى أمر الآخرة فلم يتفرغوا لملاذ النفوس وراحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصراف هممهم إلى أمر الآخرة وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق لأنه يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص ولما كان حالهم بين سير وطير لتقلبهم فى الأحوال وارتقائهم من حال إلي أعلا منه لا يقيدهم وصف ولا يحبسهم نعت وأبواب المزيد عليهم مفتوحة بواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم فلما تعذر تقلدهم بحال تقيدهم لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم نسبوا إلي ظاهر اللبسة وكان ذلك أبين فى الاشارة إليهم وأدعى إلي حصر وصفهم لأن لبس الصوف كان غالباً على المتقدمين من سلفهم وأيضاً لأن حالهم حال المقربين كما سبق ذكره ولما كان الاعتزاء إلى

القرب وعظم الاشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يعز كشفه والاشارة إليه وقعت الاشارة إلي زيهم سترا لحالهم وغيرة على عزيز مقامهم أن تكثر الاشارة إليه وتتداوله الألسنة فكان هذا أقرب إلي الأدب والادب في الظاهر والباطن والقول والفعل عماد أمر الصوفية وفيه معنى آخر وهو ان نسبتهم إلى اللبسة تنبيء عن تقللهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من الملبوس الناعم حتى ان المبتدي المريد الذى يؤثر طريقهم ويحب الدخول في أمرهم يوطن نفسه على التقشف والتقلل ويعلم أن المأكول أيضاً من جنس الملبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتدى والاشارة إلي شيء من حالهم في تسميتهم بذلك أبعد من فهم أرباب البدايات فكان تسميتهم بهذا أنفع وأولي وأيضا غير هذا المعنى مما يقال أنهم سموا صوفية لذلك يتضمن دعوى وإذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف كان أبعد من الدعوى وكل ما كان أبعد من الدعوى كان أليق بحالهم وأيضاً لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم ونسبتهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن والحكم بالظاهر أوفق وأولى فالقول بأنهم سموا صوفية للبسهم الصوف أليق وأقرب إلي التواضع ويقرب أن يقال لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار والتخفي والتوارى كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التى لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها فيقال صوفى نسبة إلى الصوفة كما يقال كوفى نسبة إلى الكوفة وهذا ما ذكره بعض أهل العلم والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشفين والعباد (أخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبيه قال أنا عبد الرازق بن عبد الكريم قال أنا أبو الحسن محمد بن محمد قال حدثنا أبو على إسمعيل بن محمد قال حدثنا الحسن بن عرفة قال حدثنا خلف بن خليفة عن حميد ابن الأعرج عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كلم الله تعالي موسى عليه السلام كان عليه جبة صوف وسراويل صوف وكساء صوف وكمه من صوف ونعلاه من جلد حمار غير مذكى وقيل سموا صوفية لانهم فى الصف الاول بين يدى الله

عز وجل بارتفاع هممهم واقبالهم على الله تعالي بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه وقيل كان هذا الاسم فى الاصل صفوى فاستثقل ذلك وجعل صوفيا وقيل سموا صوفية نسبة إلى الصفة التى كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالي فيهم (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض) الآية * وهذا ان كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوى ولكن صحيح من حيث المعنى لان الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين متصاحبين لله وفى الله كأصحاب الصفة وكانوا نحوا من أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم فى المسجد كاجتماع الصوفية قديما وحديثا فى الزوايا والربط وكانوا لا يرجعون إلي زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالي (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) وقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) ونزل فى ابن أم مكتوم قوله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) وكان من أهل الصفة فعوتب النبي صلى الله عليه وسلم لأجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صافحهم لا ينزع يده من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجدة والسعة يبعث مع واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم وقال أبو هريرة رضى الله عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون فى ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبتيه فاذا ركع أحدهم قبض بيديه مخافة أن تبدو عورته (وقال) بعض أهل الصفة جئنا جماعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنا يا رسول الله أحرق بطوننا التمر فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم قال مابال أقوام يقولون أحرق بطوننا التمر أما علمتم أن هذا التمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسينا كم مما واسونا به والذى نفس محمد بيده ان منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دخان للخبز وليس لهم إلا الأسودان الماء

والتمر (أخبرنا) الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر ابن زكريا الطريثيثي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال حدثنا محمد بن محمد بن سعيد الانماطي قال حدثنا الحسن بن يحيي بن سلام قال حدثنا محمد بن علي الترمذي قال حدثني سعيد بن حاتم البلخي قال حدثنا سهل بن أسلم عن خلاد بن محمد عن أبي عبد الرحمن السكري عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أهل الصفة فرأي فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي منكم على النعت الذي أنتم عليه اليوم راضياً بما هو فيه فانه من رفقائي يوم القيامة (وقيل) كان منهم طائفة بخراسان يأوون إلي الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت اسم الغار ينسبونهم إلي المأوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم جوعية والله تعالي ذكر في القرآن طوائف الخير والصلاح فسمى قوما أبرارا وآخرين مقربين ومنهم الصابرون والصادقون والذاكرون والمحبون واسم الصوفي مشتمل على جميع المتفرق في هذه الأسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان في زمن التابعين (ونقل) عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال معي أربع دوانيق يكفيني ما معي ويشيد هذا ما روي عن سفيان أنه قال لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء وهذا يدل على ان هذا الاسم كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم إلي المائتين من الهجرة العربية لأن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الاشارة اليها أولى من كل اشارة وبعد انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم سمى تابعيا ثم لما تقادم زمان الرسالة وبعد عهد النبوة وانقطع الوحي تساوى وتوارى النور المصطفوي واختلفت الآراء وتنوعت الانحاء وتفرد كل ذي رأي برأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وتزعزعت أبنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكثف حجابها وكثرت العادات وتملكت أربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها تفرد طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية وصدق في

العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة بأهل الصفة تاركين للأسباب متبتلين إلى رب الأرباب فأثمر لهم صالح الأعمال سني الأحوال وتهيأ لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الايمان إيمان كما قال حارثة أصبحت مؤمنا حقا حيث كوشف برتبة في الايمان غير مايتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها واشارات يتعاهدونها فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير إلى معان يعرفونها وتعرب عن أحوال يجدونها فأخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسما مستمرا وخبرا مستقرا في كل عصر وزمان فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وسموا به فالاسم سمتهم والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم والتقوى شعارهم وحقائق الحقيقة أسرارهم نزاع القبائل وأصحاب الفضائل سكان قباب الغيرة وقطان ديار الحيرة لهم مع الساعات من امداد فضل الله مزيد ولهيب شوقهم يتأجج ويقول هل من مزيد اللهم احشرنا في زمرتهم وارزقنا حالاتهم والله أعلم

﴿ الباب السابع في ذكر المتصوف والمتشبه به ﴾

(أخبرنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي اجازة قال أنا الشيخ أبو منصور بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا محمد ابن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الاصفهاني قال حدثنا الحسين ابن الحسن المروزي قال أنا عبدالله بن المبارك قال أنا المعتمر بن سليمان قال أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يارسول الله متى قيام الساعة فقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال أين السائل عن الساعة فقال الرجل أنا يارسول الله قال ماأعددت لها قال ماأعددت لها كثير صلاة ولا صيام أو قال ماأعددت لها كبير عمل إلا اني أحب الله ورسوله فقال النبي عليه الصلاة والسلام المرء مع من أحب أو أنت مع من أحببت قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بهذا فالمتشبه بالصوفية ماختار التشبه بهم دون غيرهم من الطوائف إلا لمحبته إياهم وهو مع تقصيره عن القيام بما هم فيه يكون معهم لموضع إرادته

ومحبته وقد ورد بلفظ آخر أوضح من الخبر الذى رويناه فى المعنى * روى عبادة ابن الصامت عن أبى ذر الغفارى قال قلت يارسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم قال أنت ياأبا ذر مع من أحببت قال قلت فاني أحب الله ورسوله قال فانك مع من أحببت قال فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله ﷺ فمحبة المتشبه إياهم لاتكون إلا لتنبه روحه لما تنبهت له أرواح الصوفية لأن محبة أمر الله ومايقرب إليه ومن يقرب منه تكون بجاذب الروح غير ان المتشبه تعوق بظلمة النفس والصوفى تخلص من ذلك والمتصوف متطلع إلى حال الصوفي وهو مشارك ببقاء شيء من صفات نفسه عليه للمتشبه وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالمتشبه صاحب إيمان والايمان بطريق الصوفية أصل كبير * قال الجنيد رحمة الله عليه الايمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك ان الصوفية تميزوا بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم واشاراتهم إلى عظيم أمر الله والقرب منه والايمان بذلك إيمان بالقدرة وقد أنكر قوم من أهل الملة كرامات الأولياء والايمان بذلك إيمان بالقدرة ولهم علوم من هذا القبيل فلا يؤمن بطريقهم إلا من خصه الله تعالى بمزيد عنايته فالمتشبه صاحب إيمان والمتصوف صاحب علم لأنه بعد الايمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرها والصوفى صاحب ذوق فللمتصوف الصادق نصيب من حال الصوفى وللمتشبه نصيب من حال المتصوف وهكذا سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لا بد أن يكشف له علم بحال أعلى مما هو فيه فيكون في الحال الأول صاحب ذوق وفى الحال الذى كوشف به صاحب علم وبحال فوق ذلك صاحب إيمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكا فيكون فى حال الذوق صاحب قدم وفى حال العلم صاحب نظر وفى حال فوق ذلك صاحب إيمان قال الله تعالى (إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون) وصف الأبرار ووصف شرابهم ثم قال سبحانه وتعالى (ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون). فكان لشراب الأبرار مزج من شراب المقربين وللمقربين ذلك صرفا فللصوفى شراب صرف وللمتصوف من ذلك مزج فى شرابه وللمتشبه مزج من شراب المتصوف فالصوفى سبق إلى مقار الروح من بساط القرب والمتصوف بالنسبة إلي الصوفى كالمتزهد بالنسبة

إلى الزاهد لأنه تفعل وتعمل وتسبب اشارة إلى مابقي عليه من وصفه فهو مجتهد في طريقه سائر إلى ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيروا سبق المفردون قيل من المفردون يارسول الله قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فالصوفى فى مقام المفردين والمتصوف فى مقام السائرين واصل فى سيره إلى مقار القلب من ذكر الله عز وجل ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظره إلى نظر الله إليه فالصوفى في مقار الروح صاحب مشاهدة والمتصوف فى مقار القلب صاحب مراقبة والمتشبه فى مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة فتلوين الصوفى بوجود قلبه وتلوين المتصوف بوجود نفسه والمتشبه لاتلوين له لأن التلوين لأرباب الأحوال والمتشبه مجتهد سالك لم يصل بعد إلى الأحوال والكل تجمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالي (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد الذى يصبر عند البلاء والسابق الذى يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهيبة والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لاينسى ربه وقال أحمد بن عاصم الانطاكى رحمه الله الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الأفعال والسابق صاحب الأحوال وكل هذه الأقوال قريبة التناسب من حال الصوفى والمتصوف والمتشبه وكلهم من أهل الفلاح والنجاح تجمعهم دائرة الاصطفاء وتؤلف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطاء (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزوينى أجازة قال أنا أبو سعد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضى محمد بن سعيد قال أنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم قال أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه قال حدثنا أحمد بن محمد بن رزمة قال حدثنا يوسف ابن عاصم الرازى قال حدثنا أبو أيوب سليمان بن داود قال حدثنا حصين بن نمير عن أبى ليلى عن أخيه عن أسامة بن زيد رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال فى قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) كلهم فى الجنة قال ابن عطاء الظالم الذى يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذى يحب الله من أجل العقبي والسابق

هو الذي أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو حال الصوفي فالمتشبه تعرض لشيء من أمر القوم ويوجب له ذلك القرب منهم والقرب منهم مقدمة كل خير *(سمعت)* شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا إلى الشيخ أحمد الغزالي ونحن باصبهان يريد منه الخرقة فقال له الشيخ اذهب إلى فلان يشير إلى حتى يكلمك في معنى الخرقة ثم احضر حتى ألبسك الخرقة قال فجاء إلى فذكرت له حقوق الخرقة وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الخرقة وجبن أن يلبسها فأخبر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولي له فاستحضرني وعاتبني على قولي له ذلك وقال بعثته إليك حتى تكلمه بما يزيد رغبته في الخرقة فكلمته بما فترت عزيمته ثم الذي ذكرته كله صحيح وهو الذي يجب من حقوق الخرقة ولكن إذا ألزمنا المبتدي بذلك نفر وعجز عن القيام به فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبه بالقوم ويتزيي بزيهم فيقربه ذلك من مجالسهم ومحافلهم وببركة مخالطته معهم ونظره إلى أحوال القوم وسيرهم يحب أن يسلك مسلكهم ويصل بذلك إلى شيء من أحوالهم ويوافق هذا القول من الشيخ أحمد الغزالي ما أخبرنا شيخنا رحمه الله قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف قال أنا الشيخ عبد الرحمن السلمي قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفراً يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يؤنسه وبرفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينتفع المبتدي الطالب وكل من كان منهم أكمل حالا وأوفر علما كان أكثر رفقا بالمبتدي الطالب *(حكى)* عن بعضهم أنه صحبه طالب فكان يأخذ نفسه بمباشرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا نظر المبتدي إليه والتأدب بأدبه والاقتداء به في عمله وهذا هو الرفق الذي ما دخل في شيء إلا زانه فالمتشبه الحقيقي له إيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة ومحاسبة ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فأما من لم يتطلع إلى حال المتصوف والصوفي بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة في الزي والصورة دون السيرة والصفة فليس بمتشبه بالصوفية لأنه غير محاك لهم بالدخول في بداياتهم فاذن هو متشبه بالتشبه يعتزي إلى القوم بمجرد

لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وقد ورد من تشبه بقوم فهو منهم
(أخبرنا) الشيخ أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهاني قال أنا عبدالله بن محمد بن جعفر قال حدثنا عمر بن أحمد بن أبي عاصم قال حدثنا ابراهيم بن محمد الشافعي قال حدثنا علي بن أحمد قال حدثنا علي بن علي المقدمي قال حدثنا محمد بن عبدالله بن عامر قال حدثنا ابراهيم بن الأشعث قال حدثنا فضيل بن عياض عن سليمان الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق ويتتبعون مجالس الذكر فاذا رأوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلي حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى عنان السماء فيقول الله وهو أعلم مايقول عبادي قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول مايسألونني قالوا يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا لو رأوها كانوا أشد لها طلباً وعليها أكثر حرصاً قالوا ويتعوذون من النار فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا كانوا أشد منها تعوذا وأشد فرارا فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول الملك فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة فيقول تبارك وتعالى هم الجلساء لا يشقى جليسهم فلا يشقى جليس الصوفية والمتشبه بهم والمحب لهم

﴿ الباب الثامن في ذكر الملامتي وشرح حاله ﴾

قال بعضهم الملامتي هو الذي لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا وشرح هذا هو أن الملامتي تشربت عروقه طعم الاخلاص وتحقق بالصدق فلا يحب أن يطلع أحد على حاله وأعماله (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل المقدسي اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي اجازة قال أنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي قال سمعت علي بن سعيد وسألته عن الاخلاص ماهو قال سمعت علي بن ابراهيم وسألته عن الاخلاص ماهو قال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسألته عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطي عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن علي الجهمي

عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت رسول الله ﷺ عن الاخلاص ماهو قال سألت جبرائيل عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ماهو قال هو سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي فالملامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص يرون كتم الأحوال والأعمال ويتلذذون بكتمها حتى لو ظهرت أعمالهم وأحوالهم لأحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصى من ظهور معصيته فالملامتى عظم وقع الاخلاص وموضعه وتمسك به معتدا به والصوفى غاب فى اخلاصه عن اخلاصه (قال) أبو يعقوب السوسى متى شهدوا فى اخلاصهم الاخلاص احتاج اخلاصهم إلى اخلاص * وقال ذوالنون ثلاث من علامات الاخلاص استواء الذم والمدح من العامة ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال وترك اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة (أخبرنا) أبو زرعة اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أباعثمان المغربي يقول الاخلاص مالا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا اخلاص العوام واخلاص الخواص مايجرى عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد فذلك اخلاص الخواص وهذا الذى فصله الشيخ أبو عثمان المغربى يفرق بين الصوفى والملامتى لأن الملامتى أخرج الخلق عن عمله وحاله ولكن أثبت نفسه فهو مخلص والصوفى أخرج نفسه عن عمله وحاله كما أخرج غيره فهو مخلص وشتان ما بين المخلص الخالص والمخلص (قال) أبو بكر الزقاق نقصان كل مخلص فى اخلاصه رؤية اخلاصه فاذا أراد الله أن يخلص اخلاصه أسقط عن اخلاصه رؤيته لاخلاصه فيكون مخلصا لا مخلصاً (قال) أبو سعيد الخراز رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين ومعنى قوله ان اخلاص المريدين معلول برؤية الاخلاص والعارف منزه عن الرياء الذى يبطل العمل ولكن لعله يظهر شيئا من حاله وعمله بعلم كامل عنده فيه لجذب مريد أو معاناة خلق من أخلاق النفس فى اظهاره الحال والعمل وللعارفين في ذلك علم دقيق لا يعرفه غيرهم فيرى ذلك ناقص العلم صورة رياء وليس برياء انما هو صريح العلم لله بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه (قال رويم) الاخلاص أن لا يرضى صاحبه

عليه عوضا فى الدارين ولا حظا من الملكين * وقال بعضهم صدق الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق والملامتي يرى الخلق فيخفى عمله وحاله وكل ماذكرناه من قبل وصف اخلاص الصوفى ولهذا قال الرقاق لابد لكل مخلص من رؤية اخلاصه وهو نقصان عن كمال الاخلاص والاخلاص هو الذى يتولى الله حفظ صاحبه حتى يأتي به على التمام قال جعفر الخالدى سألت أبا القاسم الجنيد رحمه الله قلت أبين الاخلاص والصدق فرق قال نعم الصدق أصل وهو الأول والاخلاص فرع وهو تابع وقال بينهما فرق لأن الاخلاص لا يكون إلا بعد الدخول فى العمل ثم قال انما هو اخلاص ومخالصة الاخلاص وخالصة كائنة فى المخالصة فلعلى هذا الاخلاص حال الملامتي ومخالصة الاخلاص حال الصوفى والخالصة الكائنة فى المخالصة ثمرة مخالصة الاخلاص وهو فناء العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن رؤية قيامه وهو الاستغراق فى العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو فقد حال الصوفى والملامتى مقيم فى أوطان اخلاصه غير متطلع إلى حقيقة اخلاصه وهذا فرق واضح بين الملامتى والصوفى ولم يزل فى خراسان منهم طائفة ولهم مشايخ يمهدون أساسهم ويعرفونهم شروط حالهم وقد رأينا فى العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم وقلما يتداول ألسنة أهل العراق هذا الاسم *(حكى)* أن بعض الملامتية استدعى إلي سماع فامتنع فقيل له فى ذلك فقال لأني ان حضرت يظهر على وجد ولا أوثر أن يعلم أحد حالي (وقيل) ان أحمد بن أبي الحوارى قال لأبى سليمان الدارانى إني إذا كنت في الخلوة أجد لمعاملتي لذة لا أجدها بين الناس فقال له إنك إذاً لضعيف فالملامتي وإن كان متمسكا بعروة الاخلاص مستفرشاً بساط الصدق ولكن بقي عليه بقية رؤية الخلق وما أحسنها من بقية تحقق الاخلاص والصدق والصوفى صفا من هذه البقية فى طرفي العمل والترك للخلق وعزلهم بالكلية ورآهم بعين الفناء والزوال ولاح له ناصية التوحيد وعاين سر قوله (كل شيء هالك إلا وجهه) كما قال بعضهم فى بعض غلباته ليس في الدارين غير الله وقد يكون اخفاء الملامتى الحال على وجهين احد الوجهين لتحقيق الاخلاص والصدق والوجه الآخر وهو الأتم لستر الحال عن غيره بنوع غيره فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ فى صدق

المحبة أن يكره اطلاع أحد على حبه لمحبوبه وهذا وإن علا ففي طريق الصوفي علة ونقص فعلى هذا يتقدم الملامتي على المتصوف ويتأخر عن الصوفي وقيل ان من أصول الملامتية ان الذكر على أربعة أقسام ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح فاذا صح ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة وإذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الهيبة وإذا صح ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء وإذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة ولكل واحد من هذه الأذكار عندهم آفة فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر اطلاع القلب عليه وآفة ذكر القلب اطلاع النفس عليه وآفة ذكر النفس رؤية ذلك وتعظيمه أو طلب ثوابه أو ظن أنه يصل إلى شيء من المقامات وأقل الناس قيمة عندهم من يريد إظهاره وإقبال الخلق عليه بذلك وسر هذا الأصل الذي بنوا عليه أن ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم وذكر القلب من الآلاء والنعماء ذكر أثر الصفات وذكر النفس متعرض للعلات فمعنى قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون إلى التحقق بالفناء عند ذكر الذات وذكر الهيبة في ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الهيبة وهو وجود الهيبة ووجود الهيبة يستدعي وجودا وبقية وذلك يناقض حال الفناء وهكذا ذكر السر وجود هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذي هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر ببعد ما لأنه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنعم والاشتغال برؤية العطاء عن رؤية المعطي ضرب من بعد المنزلة واطلاع النفس نظرا إلى الاعواض اعتداد بوجود العمل وذلك عين الاعتدال حقيقة وهذه أقسام هذه الطائفة وبعضها أعلى من بعض والله أعلم

﴿ الباب التاسع في ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم ﴾

فمن أولئك قوم يسمون نفوسهم قلندرية تارة وملامتية أخرى وقد ذكرنا حال الملامتي وانه حال شريف ومقام عزيز وتمسك بالسنن والآثار وتحقق بالاخلاص والصدق وليس مما يزعم المفتونون بشيء فأما القلندرية فهو اشارة إلي أقوام ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا العادات وطرحوا التقييد

بآداب المجالسات والمخالطات وساحوا فى ميادين طيبة قلوبهم فقلت أعمالهم من الصوم والصلاة الا الفرائض ولم يبالوا بتناول شيء من لذات الدنيا من كل ما كان مباحا برخصة الشرع وربما اقتصروا على رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقائق العزيمة ومع ذلك هم متمسكون بترك الادخار وترك الجمع والاستكثار ولا يترسمون برامسم المتقشفين والمتزهدين والمتعبدين وقنعوا بطيبة قلوبهم مع الله تعالي واقتصروا على ذلك وليس عندهم تطلع إلى طلب مزيد سوى ما هم عليه من طيبة القلوب والفرق بين الملامتي والقلندري أن الملامتي يعمل فى كتم العبادات والقلندري يعمل في تخريب العادات والملامتي يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه ولكن يخفى الاعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام فى هيئته وملبوسه وحركاته وأموره سترا للحال لئلا يفطن له وهو مع ذلك متطلع الى طلب المزيد باذل مجهوده في كل ما يتقرب به العبيد والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا يبالي بما يعرف من حاله ومالا يعرف ولا ينعطف الا على طيبة القلوب وهو رأس ماله والصوفى يضع الأشياء مواضعها ويدبر الأوقات والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامه ويقيم أمر الحق مقامهم ويستر ما ينبغي أن يستر ويظهر ماينبغى أن يظهر ويأتي بالأمور فى مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص فقوم من المفتونين سموا أنفسهم ملامتية ولبسوا لبسة الصوفية لينسبوا بها الى الصوفية وما هم من الصوفية بشيء بل هم فى غرور وغلط يتسترون بلبسة الصوفية توقيتا تارة ودعوى أخرى وينتهجون مناهج أهل الاباحة ويزعمون أن ضمائرهم خلصت الي الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام برامسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الافهام المنحصرين فى مضيق الاقتداء تقليدا وهذا هو عين الالحاد والزندقة والابعاد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهى زندقة وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حق العبودية والحقيقة هى حقيقة العبودية ومن صار من أهل الحقيقة تقيد بحقوق العبودية وحقيقة العبودية وصار مطالبا بأمور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل الى ذلك لا أنه يخلع عن عنقه ربقة التكليف ويخامر باطنه الزيغ والتحريف (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو محمد

الخطيب ثنا أبو بكر بن محمد بن عمر قال ثنا أبو بكر بن أبي داود قال ثنا أحمد بن صالح قال ثنا عنبسة قال ثنا يونس بن يزيد قال قال محمد يعنى الزهرى أخبرني حميد ابن عبدالرحمن أن عبد الله بن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول أن أناسا كانوا يؤخذون بالوحى على عهد رسول الله ﷺ وأن الوحى قد انقطع وانما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس الينا من سريرته شيء الله تعالى يحاسبه فى سريرته ومن أظهر لنا سوي ذلك لم نأمنه وأن قال سريرتى حسنة وعنه أيضا رضى الله عنه قال من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن فاذا رأينا متهاونا بحدود الشرع مهملا للصلوات المفروضات لايعتد بحلاوة التلاوة والصوم والصلاة ويدخل فى المداخل المكروهة المحرمة نرده ولا نقبله ولا نقبل دعواه ان له سريرة صالحة (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى اجازة عن عمر بن أحمد عن ابن خلف عن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازى سمعت أبا محمد الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقوى الي الله تعالى فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندى عظيمة والذى يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا وان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه يرجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من اعمال البر ذرة الا أن يحال بي دونها وانها لآكد في معرفتي وأقوى لحالي * ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويزعمون أن الله تعالى يحل فيهم ويحل فى أجسام يصطفيها ويسبق لافهامهم معنى من قول النصارى فى اللاهوت والناسوت * ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة إلى هذا الوهم ويتخايل له أن من قال كلمات فى بعض غلباته كان مضمرا لشيء مما زعموه مثل قول الحلاج أنا الحق وما يحكى عن أبي يزيد من قوله سبحاني حاشا أن نعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك الا على معنى الحكاية عن الله تعالى وهكذا ينبغى أن يعتقد في قول الحلاج ذلك ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضمرا لشيء من الحلول رددناه كما نردهم وقد أتانا رسول الله ﷺ بشريعة بيضاء نقية

يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزه ان يحل به شيء أو يحل بشيء حتى لعل بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها الى الله تعالى وانها مكالمة الله تعالى اياه مثل أن يقول قال لى وقلت له وهذا رجل إما جاهل بنفسه وحديثها جاهل بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة وإما عالم ببطلان مايقول يحمله هواه على الدعوى بذلك ليوهم انه ظفر بشيء وكل هذا ضلال ويكون سبب تجزئه على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتمسكهم بأصول القوم من صدق التقوى وكمال الزهد فى الدنيا فلما صفت أسرارهم تشكلت فى سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنة فنزلت تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلاما يسمعونه بل كحديث فى النفس يجدونه برؤية موافقا للكتاب والسنة مفهوما عند أهله موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم ومناجاة سرائرهم اياهم فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية فيضيفون ما يجدونه إلى نفوسهم وإلى مولاهم وهم مع ذلك عالمون بأن ذلك ليس كلام الله وانما هو علم حادث أحدثه الله فى بواطنهم فطريق الاصحاء فى ذلك الفرار إلى الله تعالى من كل ما تحدث نفوسهم به حتى اذا برئت ساحتهم من الهوى ألهموا فى بواطنهم شيئا ينسبونه إلى الله تعالى نسبة الحادث إلي المحدث لا نسبة الكلام الى المتكلم لينصانوا عن الزيغ والتحريف * ومن أولئك قوم يزعمون أنهم يغرقون فى بحار التوحيد ولا يثبتون ويسقطون لنفوسهم حركة وفعلا ويزعمون أنهم مجبورون على الاشياء وأن لافعل لهم مع فعل الله ويسترسلون فى المعاصى وكل ما تدعو النفس اليه ويركنون إلي البطالة ودوام الغفلة والاغترار بالله والخروج من الملة وترك الحدود والاحكام والحلال والحرام (وقد سئل) سهل عن رجل يقول أنا كالباب لاأتحرك إلا اذا حركت قال هذا لايقوله الا أحد رجلين اما صديق أو زنديق لأن الصديق يقول هذا القول اشارة إلي أن قوام الأشياء بالله مع أحكام الأصول ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول

ذلك احالة للاشياء على الله واسقاطا للائمة عن نفسه وانخلاعا عن الدين ورسمه فأما من كان معتقدا الحلال والحرام والحدود والاحكام معترفا بالمعصية اذا صدرت منه معتقـدا وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وإن كان تحت القصور بما يركن اليه من البطالة ويتروح بهوى النفس إلى الاسفار والترددفى البلاد متوصلا الى تناول اللذائذ والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذبه ويبصره بعيب ما هو فيه والله الموفق

﴿ الباب العاشر فى شرح رتبة المشيخة ﴾

ورد فى الخبر عن رسول الله ﷺ والذى نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم أن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويمشون على الارض بالنصيحة وهذا الذى ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله تعالى لان الشيخ يحبب الله الى عباده حقيقة ويحبب عباد الله إلى الله ورتبة المشيخة من أعلى الرتب فى طريق الصوفية ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله فأما وجه كون الشيخ يحبب الله إلى عباده فلأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله ﷺ ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ووجه كونه يحبب عباد الله تعالى اليه أنه يسلك بالمريد طريق التزكية واذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الالهية ولاح فيه جمال التوحيد وانجذبت أحداق البصيرة الى مطالعة أنوار جلال القدم ورؤية الكمال الازلى فأحب العبد ربه لامحالة وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى (قد أفلح من زكاها) وفلاحها بالظفر بمعرفة الله تعالى وأيضا مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها وحقيقتها وماهيتها ولاحت الآخرة ونفائسها بكنهها وغايتها فتنكشف للبصيرة حقيقة الدارين وحاصل المنزلين فيحب العبد الباقى ويزهد فى الفانى فتظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة والتربية فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدى به الطالبين (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أبو الفضل عبد الواحد بن على بهمذان قال أنا أبو بكر محمد بن على بن أحمد الطوسى قال حدثنا أبو العباس محمد

ابن يعقوب قال حدثنا أبو عتبة قال حدثنا بقية قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثني الازهر بن عبدالله قد سمعت عبد الله بن بشر صاحب رسول الله ﷺ قال كان يقال إذا اجتمع عشرون رجلا أو أكثر فان لم يكن فيهم من يهاب لله عز وجل فقد خطر الأمر فعلى المشايخ وقار الله وبهم يتأدب المريدون ظاهرا وباطنا قال الله تعالي (أولئك الذين هدى الله) فبهداهم اقتده فالمشايخ لما اهتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتقين قال رسول الله ﷺ حاكيا عن ربه إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت همته ولذته فى ذكرى فاذا جعلت همته ولذته فى ذكرى عشقنى وعشقته ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه لايسهو إذا سها الناس أولئك كلامهم كلام الانبياء أولئك الأبطال حقا أولئك الذين اذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فيها فصرفته بهم عنهم والسر فى وصول السالك إلي رتبة المشيخة أن السالك مأمور بسياسة النفس مبتلى بصفاتها لايزال يسلك بصدق المعاملة حتى تطمئن نفسه وبطمأنينتها ينتزع عنها البرودة واليبوسة التى استصحبتهامن أصل خلقتها وبها تستعصى على الطاعة والانقياد للعبودية فاذا زالت اليبوسة عنها ولانت بحرارة الروح الواصلة اليها وهذا اللين هو الذى ذكره الله تعالى فى قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الي ذكر الله تعالى تجيب الى العبادة وتلين للطاعة عند ذلك وقلب العبد متوسط بين الروح والنفس ذووجهين أحدوجهيه الى النفس والوجه الآخر الى الروح يستمد من الروح بوجهه الذى يليه ويمد النفس بوجهه الذى يليها حتى تطمئن النفس فاذا اطمأنت نفس السالك وفرغ من سياسيتها انتهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس وانقادت نفسه وفاءت الى أمر الله ثم القلب يشرئب إلي السياسة لما فيه من التوجه إلي النفس فتقوم نفوس المريدين والطالبين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية فى عين النفسية من وجه ولوجود التألف بين الشيخ والمريد من وجه بالتألف الالهى قال الله تعالي (لو أنفقت مافى الارض جميعاً ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) فيسوس نفوس المريدين كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون فى الشيخ حينئذ معنى التخلق بأخلاق الله تعالى من معنى قول الله تعالى

ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي * وإني إلى لقائهم لأشد شوقا

وءا هيا الله تعالى من حسن التأليف بين الصاحب والمصحوب يصير المريد جزء الشيخ كما إن الولد جزء الوالد فى الولادة الطبيعية وتصير هذه الولادة آنفا ولادة معنوية كما ورد عن عيسى صلوات الله عليه لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين فبالولادة الأولى يصير له ارتباط بعالم الملك وبهذه الولادة يصير له ارتباط بالملكوت قال الله تعالي (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) وصرف اليقين على الكمال يحصل فى هذه الولادة وبهذه الولادة يستحق ميراث الأنبياء ومن لم يصله ميراث الأنبياء ما ولد وإن كان على كمال من الفطنة والذكاء لأن الفطنة والذكاء نتيجه العقل والعقل إذا كان يابسا من نور الشرع لايدخل الملكوت ولا يزال مترددا فى الملك ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لأنه تصرف فى الملك ولم يرتق إلى الملكوت والملك ظاهر الكون والملكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة التى منها تنبعث أشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ماينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه وليس كل ماعند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان فلهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول العرية عن نور الهداية الذى هو موهبة الله تعالى عند الأنبياء واتباعهم الصواب وأسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية التبيان وكما أن فى الولادة الطبيعية ذرات الأولاد في صلب الأب مودعة تنتقل الى اصلاب الاولاد بعد كل ولد ذرة وهى الذرات التى خاطبها الله تعالي يوم الميثاق بألست بربكم قالوا بلى حيث مسح ظهر آدم وهو ملقى ببطن نعمان بين مكة والطائف فسالت الذرات من مسام جسده كما يسيل العرق بعدد كل ولد من ولد آدم ذرة ثم لما خوطبت وأجابت ردت الى ظهر آدم فمن الآباء من تنفذ الذرات في صلبه ومنهم من لم يودع فى صلبه شيء فينقطع نسله وهكذا المشايخ فمنهم من تكثر أولاده ويأخذون منه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت اليهم من النبي ﷺ بواسطة الصحبة ومنهم من تقل أولاده ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذى رد على الكفار حيث قالوا محمد أبتر لا نسل له قال الله تعالى (إنه

شانئك هو الأبتر) وإلافنسل رسول الله ﷺ باق الي أن تقوم الساعة وبالنسبة المعنوية يصل ميراث العلم الي اهل العلم (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى املاء قال أنا أبو عبد الرحمن المالينى قال أنا أبو الحسن الداودى قال أنا أبو محمد الحموى قال أنا أبو عمران السمرقندى قال أنا أبو محمد الدارمى قال أنا نصر بن على قال حدثنا عبد الله بن داود عن عاصم عن رجاء بن حيوة عن داود ابن جميل عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبي الدرداء فى مسجد دمشق فأتاه رجل فقال يا أبا الدرداء انى أتيتك من المدينة مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغنى عنك انك تحدثه عن رسول الله ﷺ قال فما جاء بك تجارة قال لاقال ولا جاء بك غيره قال لا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من سلك طريقا يلتمس به علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن طالب العلم يستغفر له من فى السماء والأرض حتي الحيتان فى الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم وان العلماء هم ورثة الأنبياء وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما أورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظه أو بحظ وافر فأول ماأودعت الحكمه والعلم عند آدم أبي البشر عليه السلام ثم انتقل منه كما انتقل منه النسيان والعصيان وما تدعو اليه النفس والشيطان كما ورد أن الله تعالي أمر جبرائيل حتى أخذ قبضة من أجزاء الأرض والله تعالي نظر الى الأجزاء الأرضية التى كونها من الجوهرة التى خلقها أولا فصار من مواقع نظر الله اليها فيها خاصية السماع من الله تعالى والجواب حيث خاطب السموات والأرضين بقوله (ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين) فحملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصية ثم انتزعت هذه الخاصية منها بأخذ أجزائها لتركيب صورة آدم فركبت جسد آدم من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصية فمن حيث نسبة أجزاء الأرض تركب فيه الهوي حتى مديده الى شجرة الفناء وهى شجرة الحنطة فى أكثر الأقاويل فتطرق لقابه القناء وباكرام الله إياه بنفخ الروح الذى أخبر عنه بقوله (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى) نال العلم والحكمة فبالتسوية صار ذا نفس منفوسة وبنفخ الروح صار ذا روح روحاني وشرح هذا يطول فصار قلبه معدن الحكمة وقالبه

معدن الهوى فانتقل منه العلم والهوى وصار ميزانه فى ولده فصار من طريق الولادة أبا بواسطة الطبائع التى هى محتد الهوى ومن طريق الولادة المعنوية أبا بواسطة العلم فالولادة الظاهرة تطرق اليها الفناء والولادة المعنوية محمية من الفناء لأنها وجدت من شجرة الخلد وهى شجرة العلم لا شجرة الحنطة التى سماها ابليس شجرة الخلد فابليس يرى الشيء بضده فتبين أن الشيخ هو الأب وكثيرا كان شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى رحمه الله يقول ولدي من سلك طريقي واهتدى بهدي فالشيخ الذى يكتسب بطريقة الأحوال قد يكون مأخوذا فى ابتدائه في طريق المحبين وقد يكون مأخوذا فى طريق المحبوبين وذلك إن أمر الصالحين والسالكين ينقسم أربعة أقسام سالك مجرد ومجذوب مجرد وسالك متدارك بالجذبة ومجذوب متدارك بالسلوك فالسالك المجرد لا يؤهل للمشيخة ولا يبلغها لبقاء صفاء نفسه عليه فيقف عند حظه من رحمة الله تعالى فى مقام المعاملة والرياضة ولا يرتقى إلى حال يروح بها عن وهج المكابدة والمجذوب المجرد من غير سلوك يبادئه الحق بآيات اليقين ويرفع عن قلبه شيئا من الحجاب ولا يؤخذ فى طريق المعاملة وللمعاملة أثر تام سوف نشرحه في موضعه إن شاء الله تعالى وهذا أيضا لا يؤهل للمشيخة ويقف عند حظه من الله ومروحا بحاله غير مأخوذ فى طريق أعماله ما عدا الفريضة والسالك التي تدورك بالجذبة هو الذى كانت بدايته بالمجاهدة والمكابدة والمعاملة بالاخلاص والوفاء بالشروط ثم أخرج من وهج المكابدة الى روح الحال فوجد العسل بعد العلقم وتروح بنسمات الفضل وبرز من مضيق المكابدة الى متسع المساهلة وأونس بنفحات القرب وفتح له باب من المشاهدة فوجد دواءه وفاض وعاؤه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت اليه القلوب وتوالى عليه فتوح الغيب وصار ظاهره مسددا وباطنه مشاهدا وصلح للجلوة وصار له فى الجلوة خلوة فيغلب ولا يغلب ويفترس ولا يفترس يؤهل مثل هذا للمشيخة لانه أخذ فى طريق المحبين ومنح حالا من أحوال المقربين بعد ما دخل من طريق أعمال الابرار الصالحين ويكون له أتباع ينتقل منه اليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوسا فى حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال ولا يبلغ كمال النوال يقف عند

حظه وهو حظ وافر سنى والذين أوتوا العلم درجات ولكن المقال الا كمل فى المشيخة القسم الرابع وهو المجذوب المتدارك بالسلوك يبادئه الحق بالكشوف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستنير بأنوار المشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود ويرتوى من بحر الحال ويتخلص من الأغلال والأعلال ويقول معلنا لا أعبد ربا لم أره ثم يفيض من باطنه على ظاهره وتجرى عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء بل بلذاذة وهناء ويصير قالبه بصفة قلبه لامتلاء قلبه بحب ربه ويلين جلده كالان قلبه وعلامة لين جلده اجابة قالبه للعمل كاجابة قلبه فيزيده الله تعالى ارادة خاصة ويرزقه محبة خاصة من محبة المحبوبين المرادين ينقطع فيواصل ويعرض عنه فيراسل يذهب عنه جمود النفس ويصطلى بحرارة الروح وتنكمش عن قلبه عروق النفس قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد وقد ورد فى الخبر أن ابليس سأل السبيل الى القلب فقيل له يحرم عليك ولكن السبيل لك فى مجاري العروق المشتبكة بالنفس إلى حد القلب فاذا دخلت العروق عرقت فيها من ضيق مجاريها وامتزج عرقك بماء الرحمة المترشح من جانب القلب فى مجرى واحد ويصل بذلك سلطانك إلى القلب ومن جعلته نبيا أو وليا قلعت تلك العروق من باطن قلبه فيصير القلب سليما فاذا دخلت العروق لم تصل الى المشتبكة بالقلب فلا يصل إلي القلب سلطانك فالمحبوب المراد الذى أهل للمشيخة سلم قلبه وانشرح صدره ولان جلده فصار قلبه بطبع الروح ونفسه بطبع القلب ولانت النفس بعد أن كانت أمارة بالسوء مستعصية ولان الجلد للين النفس ورد إلى صورة الأعمال بعد وجدان الحال ولا يزال روحه ينجذب إلى الحضرة الالهية فيستتبع الروح القلب وتستتبع القلب النفس ويستتبع النفس القالب فامتزجت الأعمال القلبية والقالبية وانخرق الظاهر إلي الباطن والباطن إلي الظاهر والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة والدنيا إلى الآخرة والآخرة

إلى الدنيا ويصح له أن يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فعند ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون مسيطرا على الحال لا الحال مسيطرا عليه ويصير حرا من كل وجه والشيخ الأول الذي أخذ فى طريق المحبين حر من رق النفس ولكن ربما كان باقيا في رق القلب وهذا الشيخ فى طريق المحبوبين حر من رق القلب كما هو حر من رق النفس وذلك أن النفس حجاب ظلمانى أرضى أعتق منه الأول والقلب حجاب نوراني سماوي أعتق منه الآخر فصار لربه لا لقلبه ولوقته لا لوقته فعبد الله حقا وآمن به صدقا ويسجد لله سواده وخياله ويؤمن به فؤاده ويقربه لسانه كما قال رسول الله ﷺ فى بعض سجوده ولا يتخلف عن العبودية منه شعرة وتصير عبادته مشاكة لعبادة الملائكة ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال فالقوالب هى الظلال الساجدة ظلال الأرواح المقربة فى عالم الشهادة الأصل كثيف والظل لطيف وفى عالم الغيب الأصل لطيف والظل كثيف فيسجد لطيف العبد وكثيفه وليس هذا لمن أخذ فى طريق المحبين لانه يستتبع صور الاعمال ويمتلىء بما أنيل من وجدان الحال وذلك قصور فى العلم وقلة فى الحظ ولو كثر العلم رأى ارتباط الأعمال بالاحوال كارتباط الروح بالجسد ورأى أن لاغنى عن الأعمال كما لاغنى فى عالم الشهادة عن القوالب فادامت القوالب باقية فالعمل باق ومن صح فى المقام الذى وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف المحقق والمحبوب المعتق نظره دواء وكلامه شفاء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتي أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا بي ينطق وبي يبصر الحديث فالشيخ يعطى بالله ويمنع بالله فلا رغبة له فى عطاء ومنع لعينة بل هو مع مراد الحق والحق يعرفه مراده فيكون فى الأشياء بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه فان علم أن الله تعالى يريد منه الدخول فى صورة محمودة دخل فيها المراد الله تعالى لكون الصورة محمودة بخلاف الخادم القائم بواجب خدمة عباد الله تعالى

﴿ الباب الحادى عشر فى شرح حال الخادم ومن يتشبه به ﴾

أوحى الله تعالى إلي داود عليه السلام قال ياداود إذا رأيت لى طالبا فكن له خادما

الخادم يدخل فى الخدمة راغبا فى الثواب وفيما أعد الله تعالى للعباد ويتصدى لايصال الراحة ويفرغ خاطر المقبلين على الله تعالي عن مهام معاشهم ويفعل مايفعله لله تعالى بنية صالحة فالشيخ واقف مع مراد الله تعالى والخادم واقف مع نيته فالخادم يفعل الشيء لله تعالى والشيخ يفعل الشيء لله فالشيخ فى مقام المقربين والخادم فى مقام الأبرار فيختار الخادم البذل والايثار والارتفاق من الأغيار للاغيار ووظيفة وقته تصديه لخدمة عباد الله وفيه يعرف الفضل ويرجحه على نوافله وأعماله وقد يقيم من لايعرف الخادم من الشيخ الخادم مقام الشيخ وربما جهل الخادم أيضا حال نفسه فيحسب نفسه شيخا لقلة العلم واندراس علوم القوم فى هذا الزمان وقناعة كثير من الفقراء من المشايخ باللقمة دون العلم والحال فكل من كان أكثر اطعاما هو عندهم أحق بالمشيخه ولايعلمون أنه خادم وليس بشيخ والخادم فى مقام حسن وحظ صالح من الله تعالى (وقد ورد) مايدل على فضل الخادم فيما أخبرنا الشيخ أبو زرعة ابن الحافظ أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى عن أبيه قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله المقري قال حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوى قال حدثنا أبو حامد الحافظ قال حدثنا العباس بن محمد الدورى وأبو الأزهر قالا حدثنا أبو داود قال حدثنا سفيان عن الاوزاعى عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبى هريرة أن النبي ﷺ أتى بطعام وهو بمر الظهران فقال لأبى بكر وعمر كلا فقالا انا صائمان فقال ارحلا لصاحبيكما اعملا لصاحبيكما ادنوا فكلا يعنى انكما ضعفتما بالصوم عن الخدمة فاحتجتما إلى من يخدمكما فكلا واخدما أنفسكما فالخادم يحرص على حيازة الفضل فيتوصل بالكسب تارة وبالاسترقاق والدروزة تارة أخري وباستجلاب الوقف إلى نفسه تارة لعلمه انه قيم بذلك صالح لايصاله إلي الموقوف عليهم ولا يبالي أن يدخل فى كل مدخل لايذمه الشرع لحيازة الفضل بالخدمة ويرى الشيخ بنفوذ البصيرة وقوة العلم ان الانفاق يحتاج الى علم تام ومعاناة في تخليص النيــة عن شوائب النفس والشهوة الخفية ولو خلصت نيته ما رغب في ذلك لوجود مراده فيه وحاله ترك المراد واقامة مراد الحق (أخبرنا) أبو زرعة اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف اجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى

يقول سمعت محمد بن الحسين بن الخشاب يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة فقلت له ما هو قال لا تسأل من أحد شيئا ولا تأخذ من أحد شيئا ولا يكن معك شيء تعطى منه أحدا شيئا والخادم يرى إن من طريق الجنة الخدمة والبذل والايثار فيقدم الخدمة على النوافل ويرى فضلها وللخدمة فضل على النافلة التى يأتي بها العبد طالبا بها الثواب غير النافلة التى يتوخى بها صحة حاله مع الله تعالى لوجود نقد قبل وعد (ومما يدل) على فضل الخدمة على النافلة ما أخبرنا أبو زرعة قال أخبرني والدى الحافظ المقدسى قال أنا أبو بكر محمد بن احمد السمسار باصفهان قال أنا ابراهيم بن عبد الله بن خرشيد قال حدثنا الحسين بن اسمعيل المحاملى قال حدثنا أبو السائب قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا عاصم عن مورق عن أنس قال كنا مع رسول الله ﷺ فمنا الصائم ومنا المفطر فنزلنا منزلا فى يوم حار شديد الحر فمنا من يتقى الشمس بيده وأكثرنا ظلا صاحب الكساء يستظل به فنام الصائمون وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله ﷺ ذهب المفطرون اليوم بالأجر وهذا حديث يدل على فضل الخدمة على النافلة والخادم له مقام عزيز يرغب فيه فأما من لم يعرف تخليص النية من شوائب النفس ويتشبه بالخادم ويتصدى لخدمة الفقراء ويدخل فى مداخل الخدام بحسن الارادة بطلب التأسى بالخدام فتكون خدمته مشوبة منها ما يصيب فيها لموضع إيمانه وحسن إرادته فى خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه من مزج الهوى فيضع الشيء في غير موضعه وقد يخدم بهواه فى بعض تصاريفه ويخدم من لا يستحق الخدمة فى بعض أوقاته ويحب المحمدة والثناء من الخلق مع ما يحب من الثواب ورضا الله تعالى وربما خدم للثناء وربما امتنع من الخدمة لوجود هوى يخامره فى حق من يلقاه بمكروه ولا يراعى واجب الخدمة فى طرفى الرضا والغضب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخادم لا يتبع الهوى فى الخدمة فى الرضا والغضب ولا يأخذه فى الله لومة لائم ويضع الشيء موضعه فلعل الشخص الذى وصفناه آنفا متخادم وليس بخادم ولا يميز بين الخادم

والمتخادم إلا من له علم بصحة النيات وتخليصها من شوائب الهوى والمتخادم
النجيب يبلغ ثواب الخادم فى كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخلفه عن حاله
بوجود مزج هواه وأما من أقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقف إليه أوتوفير رفق
عليه وهو يخدم لمنال يصيبه أوحظ عاجل يدركه فهو فى الخدمة لنفسه لا لغيره
فلو انقطع رفقه ماخدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من
يخدمه ويحتاج إليه فى المحافل يتكثر به ويقيم به جاه نفسه بكثرة الاتباع والاشياع
فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرص نهاره وليله في تحصيل مايقيم به جاهه ويرضى
نفسه وأهله وولده فيتسع في الدنيا ويتزيا بغير زى الخدام والفقراء وتنتشر نفسه
بطلب الحظوظ ويستولى عليه حب الرياسة وكلما كثر رفقه كثرت مواد هواه
واستطال على الفقراء ويحوج الفقراء إلي التملق المفرط له تطلبا لرضاه وتوقيا
لضيمه وميله عليهم بقطع ماينوبهم من الوقف فهذا أحسن حاله أن يسمى
مستخدما فليس بخادم ولامتخادم ومع ذلك كله ربما نال بركتهم باختياره
خدمتهم على خدمة غيرهم وبالتمائه إليهم وقد أوردنا الخبر المسند الذى في سياقه
هم القوم الذين لايشقى بهم جليسهم والله الموفق والمعين

﴿ الباب الثانى عشر فى شرح خرقة المشايخ الصوفية ﴾

لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد للشيخ فى نفسه
والتحكيم سائغ فى الشرع لمصالح دنيوية فماذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب
صادق فى طلبه يتقصد شيخا بحسن ظن وعقيدة يحكمه فى نفسه لمصالح دينه
يرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجيد ويبصره بآفات النفوس وفساد الأعمال
ومداخل العدو فيسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه واستصوابه فى جميع تصاريفه
فيلبسه الخرقة اظهارا للتصرف فيه فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم
ودخوله فى حكم الشيخ دخوله فى حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنة المبايعة مع
رسول الله ﷺ (أخبرنا) أبو زرعة قال أخبرني والدى الحافظ المقدسى
قال أنا أبو الحسين أحمد بن محمد البزاز قال أنا أحمد بن محمد أخى ميمى قال حدثنا
يحيى بن محمد بن صاعد قال حدثنا عمرو بن على بن حفطة قال سمعت عبدالوهاب

الثقفي يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة ابن الصامت قال أخبرني أبي عن أبيه قال بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا ولا نخاف في الله لومة لائم ففي الخرقة معنى المبايعة والخرقة عتبة الدخول في الصحبة والمقصود الكلي هو الصحبة وبالصحبة يرجى للمريد كل خير (روى) عن أبي يزيد انه قال من لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان (وحكى الاستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي على الدقاق انه قال الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولا تثمر وهو كما قال ويجوز انها تثمر كالاشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين والغرس إذا نقل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن حالا واكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب المعلم وأحل مايقتله بخلاف غير المعلم (وسمعت) كثيرا من المشايخ يقولون من لم ير مفلحا لا يفلح ولنا في رسول ﷺ أسوة حسنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله ﷺ كما روى عن بعض الصحابة علما رسول الله ﷺ كل شيء حتى الخراءة فالمريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلي باطن المريد كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المريد ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينتقل الحال من الشيخ إلي المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال ولا يكون هذا إلا لمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من ارادة نفسه وفنى في الشيخ بترك اختيار نفسه فبالتألف الالهي يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الاختيار حتى يرتقي من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ هذا الخبر كله الصحبة والملازمة للشيوخ والخرقة مقدمة ذلك * ووجه لبس الخرقة من السنة ماأخبرنا الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ أبي الفضل المقدسي قال أنا أبو بكر

أحمد بن على بن خلف الأديب النيسابورى قال أنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبدالله الحافظ قال أنا محمد بن إسحق قال أنا أبومسلم إبراهيم بن عبدالله المصرى قال حدثنا أبو الوليد قال حدثنا إسحق بن سعيد قال حدثنا أبى قال حدثتنى أم خالد بنت خالد قالت أتى النبي عليه السلام بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال من ترون اكسو هذه فسكت القوم فقال رسول الله ﷺ ائتونى بأم خالد قالت فأتي بي فألبسنيها بيده فقال أبلى وأخلقى يقولها مرتين وجعل ينظر إلى علم في الخميصة أصفر وأحمر ويقول ياأم خالد هذا سناه والسناه هو الحسن بلسان الحبشة ولاخفاء ان لبس الخرقة على الهيئة التى يعتمدها الشيوخ فى هذا الزمان لم يكن فى زمن رسول الله ﷺ وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث مارويناه والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذى ذكرناه وأى اقتداء برسول الله ﷺ أتم وآكد من الاقتداء به فى دعاء الخلق إلى الحق وقد ذكر الله تعالى فى كلامه القديم تحكيم الأمة رسول الله ﷺ وتحكيم المريد شيخه إحياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وسبب نزول هذه الآية ان الزبير بن العوام رضى الله عنه اختصم هو وآخر إلى رسول الله ﷺ فى شراج من الحرة والشراج مسيل الماء كان يسقيان به النخل فقال النبي عليه السلام للزبير اسق يازبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الرجل وقال قضى رسول الله لابن عمته فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلم فيها الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط عليهم فى الآية التسليم وهو الانقياد ظاهرا ونفى الحرج وهو الانقياد باطنا وهذا شرط المريد مع الشيخ بعد التحكيم فلبس الخرقة يزيل اتهام الشيخ عن باطنه فى جميع تصاريفه ويحذر الاعتراض على الشيوخ فانه السم القاتل للمريدين وقل أن يكون المريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح ويذكر المريد فى كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر عليه السلام كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها بان لموسى وجه الصواب فى ذلك فهكذا ينبغى للمريد أن يعلم ان كل تصرف أشكل

عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة ويد الشيخ فى لبس الخرقة تنوب عن يد رسول الله ﷺ وتسليم المريد له تسليم لله ورسوله قال الله تعالى (ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه) ويأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء بشرائط الخرقة ويعرفه حقوق الخرقة فالشيخ للمريد صورة يستشف المريد من وراء هذه الصورة المطالبات الآلهية والمراضى النبوية ويعتقد المريد أن الشيخ باب فتحه الله تعالي إلي جناب كرمه منه يدخل وإليه يرجع وينزل بالشيخ سوانحه ومهامه الدينية والدنيوية ويعتقد أن الشيخ ينزل بالله الكريم ماينزل المريد به ويرجع فى ذلك إلى الله للمريد كما يرجع المريد إليه وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة فى النوم واليقظة فلا يتصرف الشيخ فى المريد بهواه فهو أمانة الله عنده ويستغيث إلى الله بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه قال الله تعالي (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا) فارسال الرسول يختص بالأنبياء والوحى كذلك والكلام من وراء حجاب بالالهام والهواتف والمنام وغير ذلك للشيوخ والراسخين فى العلم (واعلم) ان للمريدين مع الشيوخ أوان ارتضاع وأوان فطام وقد سبق شرح الولادة المعنوية فأوان الارتضاع أوان لزوم الصحبة والشيخ يعلم وقت ذلك فلا ينبغى للمريد أن يفارق الشيخ إلا باذنه قال الله تعالى تأديبا للأمة (إنما المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتي يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم) وأي أمر جامع أعظم من أمر الدين فلا يأذن الشيخ للمريد فى المفارقة الابعد علمه بأن آن له أوان الفطام وانه يقدر ان يستقل بنفسه واستقلاله بنفسه ان ينفتح له باب الفهم من الله تعالى فاذا بلغ المريد رتبة انزال الحوائج والمهام بالله والفهم من الله تعالى بتعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أوان فطامه ومتى فارق قبل أوان الفطام يناله من الاعلال فى الطريق بالرجوع إلى الدنيا متابعة الهوى ماينال المفطوم لغير أوانه فى الولادة الطبيعية وهذا التلازم بصحبة المشايخ للمريد الحقيقى والمريد الحقيقى يلبس خرقة

الارادة واعلم ان الخرقة خرقتان خرقة الارادة وخرقة التبرك والأصل الذي قصده المشايخ للمريدين خرقة الارادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الارادة فخرقة الارادة للمريد الحقيقي وخرقة التبرك للمتشبه ومن تشبه بقوم فهو منهم وسر الخرقة ان الطالب الصادق إذا دخل فى صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولد الصغير مع الوالد يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ بنفوذ بصيرته الاشراف على البواطن فقد يكون المريد يلبس الخشن كثياب المتقشفين المتزهدين وله فى تلك الهيئة من الملبوس هوي كامن فى نفسه ليرى بعين الزهادة فأشد ماعليه لبس الناعم وللنفس هوى واختيار في هيئة مخصوصة من الملبوس فى قصر الكم والذيل وطوله وخشونته ونعومته على قدر حسبانها وهواها فيلبس الشيخ مثل هذا الراكن لتلك الهيئة ثوبا يكسر بذلك على نفسه هواها وعرضها وقد يكون على المريد ملبوس ناعم أوهيئة فى الملبوس يشرئب النفس إلى تلك الهيئة بالعادة فيلبسه الشيخ مايخرج النفس من عادتها وهواها فتصرف الشيخ فى الملبوس كتصرفه في المطعوم وكتصرفه فى صوم المريد وافطاره وكتصرفه فى أمر دينه إلى مايرى له من المصلحة من دوام الذكر ودوام التنفل فى الصلاة ودوام التلاوة ودوام الخدمة وكتصرفه فيه برده إلى الكسب أوالفتوح أوغير ذلك فللشيخ اشراف على البواطن وتنوع الاستعدادت فيأمر كل مريد من أمر معاشه ومعاده بما يصلح له ولتنوع الاستعدادات تنوعت مراتب الدعوة قال الله تعالى (أدع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) فالحكمة رتبة في الدعوة والموعظة كذلك والمجادلة كذلك فمن يدعى بالحكمة لايدعى بالموعظة ومن يدعى بالموعظة لاتصلح دعوته بالحكمة فهكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع المقربين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى فى التخشن أوفى التنعم فيخلع المريد من عادته ويخرجه من مضيق هوى نفسه ويطعمه باختياره ويلبسه باختياره ثوبا يصلح له وهيئة تصلح له ويداوى بالخرقة المخصوصة والهيئة المخصوصة داء هواه ويتوخى بذلك تقريبه إلي رضا مولاه فالمريد الصادق الملتهب باطنه بنار

الارادة في بدء أمره وحدة ارادته كالمسوع الحريص على من يرقيه ويداويه فاذا صادف شيخا انبعث من باطن الشيخ صدق العناية به لاطلاعه عليه وينبعث من باطن المريد صدق المحبة بتألف القلوب وتشام الارواح وظهور سر السابقة فيهما باجتماعهما لله وفى الله وبالله فيكون القميص الذى يلبس المريد خرقة تبشر المريد بحسن عناية الشيخ به فيعمل عند المريد عمل قميص يوسف عند يعقوب عليهما السلام (وقد نقل) إن ابراهيم الخليل عليه السلام حين ألقى في النار جرد من ثيابه وقذف فى النار عريانا فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وألبسه اياه وكان ذلك عند ابراهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فجعل يعقوب عليه السلام ذلك القميص فى تعويذ وجعله فى عنق يوسف فكان لا يفارقه لما ألقى في البئر عريانا جاءه جبريل وكان عليه التعويذ فأخرج القميص منه وألبسه إياه (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنا أبو سعد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضى محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال حدثنا مخلد بن جعفر قال حدثنا الحسن ابن علويه قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحق بن بشر عن ابن السدى عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالي من أن لا يعلم أن قميصه لا يرد على يعقوب بصره ولكن ذاك كان قميص ابراهيم وذكر ما ذكرناه قال فأمره جبرائيل أن أرسل بقميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو سقيم إلا صح وعوفى فتكون الخرقة عند المريد الصادق متحملة اليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحبة لله ويرى لبس الخرقة من عناية الله به وفضل من الله فأما خرقة التبرك فيطلبها من مقصوده التبرك بزى القوم ومثل هذا لا يطالب بشرائط الصحبة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة ليعود عليه بركتهم ويتأدب بآدابهم فسوف يرقيه ذلك إلى الأهلية لخرقة الارادة فعلى هذا خرقة التبرك مبذولة لكل طالب وخرقة الارادة ممنوعة إلا من الصادق الراغب ولبس الأزرق من استحسان الشيوخ في الخرقة فان رأي شيخ أن يلبس مريدا غير الأزرق فليس لأحد أن يعترض عليه لأن المشايخ آراؤهم فيما يفعلون بحكم

الوقت (وكان) شيخنا يقول كان الفقير يلبس قصير الأكمام ليكون أعون على الخدمة ويجوز للشيخ أن يلبس المريد خرقا فى دفعات على قدر مايتلمح من المصلحة للمريد فى ذلك على ماأسلفناه من تداوى هواه فى الملبوس والملون فيختار الأزرق لأنه أوفق للفقير لكونه يحمل الوسخ ولا يحوج إلى زيادة الغسل لهذا المعنى فحسب وما عدا هذا من الوجوه التي يذكرها بعض المتصوفة فى ذلك كلام اقناعى من كلام المتصنعين ليس من الدين والحقيقة بشيء (سمعت) الشيخ سديد الدين أباالفخر الهمداني رحمه الله قال كنت ببغداد عند أبي بكر الشروطى فخرج الينا فقير من زاويته عليه ثوب وسخ فقال له بعض الفقراء لم لاتغسل ثوبك فقال ياأخي ماأتفرغ فقال الشيخ أبو الفخر لاأزال أتذكر حلاوة قول الفقير ما أتفرغ لأنه كان صادقا فى ذلك فأجد لذة لقوله وبركة بتذكاري ذلك فاختاروا الملون لهذا المعنى لانهم من رعاية وقتهم فى شغل شاغل وإلا فأى ثوب ألبس الشيخ المريد من أبيض وغير ذلك فللشيخ ولاية ذلك بحسن مقصده ووفور علمه وقد رأينا من المشايخ من لايلبس الخرقة ويسلك بأقوام من غير لبس الخرقة ويؤخذ منه العلوم والآداب وقد كان طبقة من السلف الصالحين لايعرفون الخرقة ولايلبسونها المريدين فمن يلبسها فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ومن لايلبسها فله رأيه وله فى ذلك مقصد صحيح وكل تصاريف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولا تخلو عن نية صالحة فيه والله تعالى ينفع بهم وبآثارهم ان شاء الله تعالي

﴿ الباب الثالث عشر فى فضيلة سكان الرباط ﴾

قال الله تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) قيل ان هذه البيوت هى المساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي عليه الصلاة والسلام (وقيل) لما نزلت هذه الآية قام أبوبكر رضي الله عنه وقال يارسول الله هذه البيوت منها بيت على وفاطمة قال نعم أفضلها (وقال) الحسن بقاع الأرض كلها جعلت مسجدا لرسول الله عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الاعتبار بالرجال الذاكرين لابصور البقاع

وأى بقعة حوت رجالا بهذا الوصف هى البيوت التي أذن الله أن ترفع * روى أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بعضاً أهل مر بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن قائلة نعم ومن قائلة لا فاذا قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلا وما من عبد ذكر الله تعالي على بقعة من الأرض أو صلى لله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت (وقيل) فى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكى عليهم ولا تبكى على من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فسكان الرباط هم الرجال لأنهم ربطوا نفوسهم على طاعة الله تعالي وانقطعوا إلى الله فأقام لهم الدنيا خادمة (روى) عمران ابن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله كفاه الله مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها وأصل الرباط ما يربط فيه الخيول ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاء عن العباد والبلاد (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس الخليلى قال أخبرنا القاضى محمد ابن سعيد الفرخزاذى قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أنا الحسين بن محمد قال حدثنا أبو بكر بن خرجة قال حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال حدثنى أبو حميد الحمصى قال حدثنا يحيى بن سعيد ٣ القطار ٣ قوله بالهامش القطار هكذا بنسخة وفى أخرى العطار ولعله القطان بالنون وليحرر قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سوقة عن وبرة بن عبدالرحمن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالي ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه البلاء (وروى) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لولا عباد لله ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ثم يرض رضا ٧ (وروي) جابر ابن عبدالله قال قال النبي ﷺ ان الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون فى حفظ الله مادام فيهم (وروى) داود بن صالح قال قال

لي أبوسلمة بن عبدالرحمن يا ابن أخي هل تدرى فى أى شىء نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا قلت لا قال يا ابن أخي لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط لجهاد النفس والمقيم فى الرباط مرابط مجاهد نفسه قال الله تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده) قال عبدالله ابن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر على ماروى فى الخبر أن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر *(وقيل)* ان بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى الغزو فكتب إليه يا أخي كل الثغور مجتمعة لى فى بيت واحد والباب على مردود فكتب إليه أخوه لو كان الناس كلهم لزموا ما لزمته اختلت أمور المسلمين وغلب الكفار فلا بد من الغزو والجهاد فكتب إليه يا أخي لو لزم الناس ما أنا عليه وقالوا فى زواياهم على سجاداتهم الله أكبر انهدم سور قسطنطينية (وقال بعض الحكماء) ارتفاع الأصوات فى بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ماعقدته الأفلاك الدائرات فاجتماع أهل إذ الربط أصح على الوجه الموضوع له الربط وتحقق أهل الربط بحسن المعاملة ورعاية الأوقات وتوقى مايفسد الأعمال واعتماد ما يصحح الأحوال عادت البركة على البلاد والعباد (قال سرى السقطى) فى قوله تعالى (اصبروا وصابروا ورابطوا) اصبروا عن الدنيا رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا اهواء النفس اللوامة واتقوا مايعقب لكم الندامة لعلكم تفلحون غدا على بساط الكرامة وقيل اصبروا على بلائى وصابروا على نعمائي ورابطوا في دار أعدائي واتقوا محبة من سوائي لعلكم تفلحون غدا بلقائي * وهذه شرائط ساكن الرباط قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الأسباب وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات وعانق ليله ونهاره العبادة متعوضاً بها عن كل عادة شغله حفظ الأوقات وملازمة الأوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مرابطا مجاهدا (حدثنا) شيخنا أبو النجيب السهروردى قال أنا ابن نبهان محمد الكاتب قال أنا

الحسن بن شاذان قال أنا دعلج قال أنا البغوى عن أبى عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا صفوان عن الحرث عن سعيد بن المسيب عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اسباغ الوضوء فى المكاره وأعمال الاقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا * وفى رواية ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا وترفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء في المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط

﴿ الباب الرابع عشر فى مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة ﴾

قال الله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) هذا وصف أصحاب رسول الله ﷺ قيل لهم ماذا كنتم تصنعون حتى أثنى الله عليكم بهذا الثناء قالوا كنا نتبع الماء الحجر وهذا وأشباه هذا من آداب وظيفة صوفية الربط يلازمونه ويتعاهدونه والرباط بيتهم ومضربهم ولكل قوم دار والرباط دارهم وقد شابهوا أهل الصفة فى ذلك على ما أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أحمد ابن محمد البزازى قال أنا عيسى بن على الوزير قال حدثنا عبدالله البغوى قال حدثنا وهبان بن بقية قال حدثنا خالد بن عبدالله عن داود بن أبي هند عن أبي الحرث حرب بن أبي الأسود عن طلحة رضى الله عنه قال كان الرجل إذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه فان لم يكن له بها عريف نزل الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فالقوم فى الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الربط لهذا المعنى أن يكون سكانها بوصف ما قال الله تعالى (ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) والمقابلة باستواء السر والعلانية ومن أضمر لأخيه غلا فليس بمقابله وإن كان وجهه إليه فأهل الصفة هكذا كانوا لأن مثار الغل والحقد وجود الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع فزالت الأحقاد والغل عن بواطنهم وهكذا أهل الربط متقابلون بظواهرهم ولهم بواطن

مجتمعون على الألفة والمودة يجتمعون للكلام ويجتمعون للطعام ويتعرفون بركة الاجتماع (روى) وحشى بن حرب عن أبيه عن جده أنهم قالوا يارسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا الله تعالي يبارك لكم فيه (وروى) أنس بن مالك رضى الله عنه قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق فقيل فعلى أى شىء كانوا يأكلون قال على السفر فالعباد والزهاد طلبوا الانفراد لدخول الآفات عليهم بالاجتماع وكون نفوسهم تفتلق للأهوية والخوض فيما لايعنى فرأوا السلامة في الوحدة والصوفية لقوة عملهم وصحة حالهم نزع عنهم ذلك فرأوا الاجتماع فى بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زاويته وهم كل واحد مهمه ولعل الواحد منهم لايتخطى همه سجادته ولهم فى اتخاذ السجادة وجه من السنة (روي) أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرا من الليف يصلى عليه من الليل وروت ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله ﷺ تبسط له الخمرة فى المسجد حتى يصلى عليها والرباط يحتوى على شبان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالمشايخ بالزوايا أليق نظرا إلى ماتدعو إليه النفس من النوم والراحة والاستبداد بالحركات والسكنات فللنفس شوق إلى التفرد والاسترسال فى وجوه الرفق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود فى بيت الجماعة والانكشاف لنظر الاغيار لتكثر العيون عليه فيتقيد ويتأدب ولا يكون هذا إلا إذا كان جمع الرباط فى بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات وضبط الأنفاس وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله ﷺ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض بالبعض وهكذا ينبغى لأهل الصدق والصوفية أن يكون اجتماعهم غير مضر بوقتهم فاذا تخلل أوقات الشبان اللغو واللغط فالأولي أن يلزم الشاب الطالب الوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزاويته وموضع خلوته ليحبس الشاب نفسه عن دواعى الهوى والخوض فيما لايعنى ويكون الشيخ فى بيت الجماعة لقوة حاله وصبره على مداراة الناس وتخلصه من تبعات المخالطة وحضور وقاره بين الجمع فينضبط به الغير ولا يتكدر هو وأما الخدمة فشأن من دخل الرباط مبتدئا ولم يذق طعم المعاملة ولم يتنبه

لنفائس الأحوال أن يؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمته ويجذب بحسن الخدمة قلوب أهل الله إليه فتشمله بركة ذلك وبعين الاخوان المشتغلين بالعبادة (قال) رسول الله ﷺ المؤمنون إخوة يطلب بعضهم إلي بعض الحوائج فيقضى بعضهم إلى بعض الحوائج يقضى الله لهم حاجاتهم يوم القيامة فيحتفظ بالخدمة عن البطالة التي تميت القلب والخدمة عند القوم من جملة العمل الصالح وهى طريق من طرق المواجيد تكسبهم الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعاً إلى الاهتداء بهديهم (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح قال أنا أبو الفضل حميد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا على بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عبيد قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن شريك عن أبي هلال الطائى عن وثيق بن الرومى قال كنت مملوكا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فكان يقول لي اسلم فانك إن أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين فانه لا ينبغى أن أستعين على أماناتهم بمن ليس منهم قال فأبيت فقال عمر لا إكراه فى الدين فلما حضرته الوفاة أعتقنى فقال اذهب حيث شئت فالقوم يكرهون خدمة الأغيار ويأبون مخالطتهم أيضا فان من لا يحب طريقهم ربما استضر بالنظر اليهم أكثر مما ينتفع فانهم بشر وتبدو منهم أمور بمقتضى طبع البشر وينكرها الغير لقلة علمه بمقاصدهم فيكون آباؤهم لموضع الشفقة على الخلق لا من طريق التعزز والترفع على أحد من المسلمين والشاب الطالب إذا خدم أهل الله المشغولين بطاعته يشاركهم فى الثواب وحيث لم يؤهل لأحوالهم السنية يخدم من أهل لها لخدمته لأهل القرب علامة حب الله تعالى (أخبرنا) الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا أبو بكر بن خلاد قال حدثنا الحرث بن أبى اسامة قال حدثنا معاوية بن عمرو قال حدثنا أبو اسحق عن حميد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك قال حين دنا من المدينة اذ بالمدينة أقواما ماسرتم من مسير ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم فى المدينــة قال نعم حبسهم العذر فالقائم بخدمة القوم تعوق عن بلوغ درجتهم بعذر القصور وعدم الأهلية لخام حول الحمى باذلا مجهوده فى الخدمة يتعلل بالأثر

حيث منع النظر فجزاه الله على ذلك أحسن الجزاء وأناله من جزيل العطاء وهكذا كان أهل الصفة يتعاونون على البر والتقوى ويجتمعون على المصالح الدينية ومواساة الاخوان بالمال والبدن

﴿ الباب الخامس عشر فى خصائص أهل الربط والصوفية فيما يتعاهدون ويختصون به ﴾

اعلم أن تأسيس هذه الربط من زينة هذه الملة الهادية المهدية ولسكان الربط أحوال تميزوا بها عن غيرهم من الطوائف وهم على هدى من ربهم قال الله تعالى (أولئك الذين هدي الله) فبهداهم اقتده وما يرى من التقصير فى حق البعض من أهل زماننا والتخلف عن طريق سلفهم لايقدح فى أصل أمرهم وصحة طريقهم وهذا القدر الباقى من الأثر واجتماع المتصوفة في الربط وماهيأ الله تعالى لهم من الرفق بركة جمعية بواطن المشايخ الماضين وأثر من أثار منح الحق فى حقهم وصورة الاجتماع في الربط الآن على طاعة الله والترسم بظاهر الآداب عكس نور الجمعية من بواطن الماضين وسلوك الخلف فى مناهج السلف فهم فى الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوائف قال الله تعالى فى وصف المؤمنين كأنهم بنيان مرصوص وبعكس ذلك وصف الاعداء فقال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى (روى) النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول انما المؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع وإذا اشتكى مؤمن اشتكى المؤمنون فالصوفيه وظيفتهم اللازمة من حفظ اجتماع اجتماع البواطن وإزالة التفرقة بازالة شعث البواطن لأنهم بنسبة الأرواح اجتمعوا وبرابطة التأليف الالهى اتفقوا وبمشاهدة القلوب تواطؤا ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب فى الرباط رابطوا فلا بد لهم من التألف والتودد والنصح (روي) أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لايألف ولا يؤلف (أخبرنا) أبوزرعة طاهر بن الحافظ أبي الفضل المقدسى عن أبيه قال حدثنا أبو القاسم الفضل بن أبي حرب قال أنا أحمد بن الحسين الحيري قال أنا

أبو سهل بن زياد القطان قال حدثنا الحسين بن مكرم قال حدثنا يزيد بن هرون الواسطى قال حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فهم باجتماعهم تجتمع بواطنهم وتتقيد نفوسهم لأن بعضهم عين على البعض على ماورد المؤمن مرآة المؤمن فأى وقت ظهر من أحدهم أثر التفرقة ناقروه لأن التفرقة تظهر بظهور النفس وظهور النفس من حق تضييع الوقت فأي وقت ظهرت نفس الفقير علموا منه خروجه عن دائرة الجمعية وحكموا عليه بتضييع حكم الوقت واهمال السياسة وحسن الرعاية فيقاد بالمناقرة إلى دائرة الجمعية (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر السهروردي اجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى قال سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت رويما يقول لايزال الصوفية بخير ما تناقروا فاذا اصطلحوا هلكوا وهذه اشارة من رويم إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض لشفاقا من ظهور النفوس يقول إذا اصطلحوا أو رفعوا المناقرة من بينهم يخاف أن تخامر البواطن المساهلة المرآة ومسامحة البعض البعض فى اهمال دقيق آدابهم وبذلك تظهر النفوس وتستولى وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنـه يقول رحم الله امرأ اهدى الى عيوبى (وأخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الهروى قال أنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنا أبو القاسم البغوى قال حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيرى قال حدثنى ابراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن محمد بن نعمان أخبر بأن عمر قال فى مجلس فيه المهاجرون والأنصار أرأيتم لو ترخصت فى بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال فسكتنا قال فقال ذلك مرتين أو ثلاثا أرأيتم لو ترخصت فى بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال بشر بن سعد لو فعلت ذلك قومناك تقويم القـدح فقال عمر أنتم إذن أنتم وإذا ظهرت نفس الصوفى بغضب وخصومة مع بعض الاخوان فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس إذا قوبلت بالقلب انحسمت مادة الشر واذا قوبلت النفس بالنفس ثارت.

الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا) ثم الشيخ أو الخادم إذا شكا اليه فقير من أخيه فله أن يعاتب أيهما شاء فيقول للمتعدي لم تعديت وللمعتدى عليه ما الذي أذنبت حتي تعدى عليك وسلط عليك وهلا قابلت نفسه بالقلب رفقا بأخيك واعطاء للفتوة والصحبة حقها فكل منهما جان وخارج عن دائرة الجمعية فيرد إلى الدائرة بالنقار فيعود إلى الاستغفار ولا يسلك طريق الاصرار روت عائشة رضى الله عنها قالت كان يقول رسول الله ﷺ اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساؤا استغفروا فيكون الاستغفار ظاهرا مع الاخوان وباطنا مع الله تعالى ويرون الله في استغفارهم فلهذا المعنى يقفون في صف النعال على أقدامهم تواضعا وانكسارا وسمعت شيخنا يقول للفقير إذا جرى بينه وبين بعض إخوانه وحشة قم واستغفر فيقول الفقير ما أرى باطني صافيا ولا أوثر القيام للاستغفار ظاهرا من غير صفاء الباطن فيقول أنت قم فببركة سعيك وقيامك ترزق الصفاء فكان يجد ذلك ويرى أثره عند الفقير وترق القلوب وترتفع الوحشة وهذا من خاصية هذه الطائفة لا يبيتون والبواطن منطوية على وحشة ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضمر وحشة ولا يرون الاجتماع ظاهرا فى شيء من أمورهم إلا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والشعث فاذا قام الفقير للاستغفار لا يجوز رد استغفاره بحال (روى) عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم (وللصوفية) فى تقبيل يد الشيخ بعد الاستغفار أصل من السنة (روى) عبدالله بن عمر قال كنت فى سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ثم قلنا لو دخلنا المدينة فتبنا فيها ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فان كان لنا توبة وإلا ذهبنا فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال من القوم قلنا نحن الفرارون قال لا بل انتم العكارون أنا فئتكم أنا فئة المسلمين يقال عكر الرجل إذا والعكار العطاف والرجاع قال فأتيناه حتي قبلنا يده وروى ان أبا عبيدة بن الجراح تولى ثم كر راجعا

قبل يد عمر عنـد قدومه وروى عن أبي مرثد الغنوى انه قال آتينا رسول الله صلى الله عليه وسـلم فنزلت إليه وقبلت يده فهذا رخصة فى جواز تقبيل اليد ولـكن أدب الصوفى انه متى رأى نفسه تتعزز بذلك أو تظهر بوصفها أن يمتنع من ذلك فان سـلم من ذلك فلا بأس بتقبيل اليد ومعانقتهم للاخوان عقيب الاستغفار لرجوعهم إلى الالفة بعد الوحشية وقدومهم من سفر الهجرة بالتفرقة إلى أوطان الجمعية فبظهور النفس تغربوا وبعدوا وبغيبة النفس والاستغفار قدموا وراجعوا ومن استغفر إلى أخيـه ولم يقبله فقد اخطأ فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وعيد روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من اعتذر إليه أخوه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب المكوس (وروى) جابر أيضاً عن رسول الله ﷺ من تنصل إليه فلم يقبل لم يرد الحوض ومن السنة أن يقدم للاخوان شيئاً بعد الاستغفار روى ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان من توبتي أن أخلع من مالى كله واهجر دار قومى التى فيها أتيت الذنب فقال له النبي عليه الصـلاة والسلام يجزيك من ذلك الثلث فصارت سنة الصوفية المطالبة بالغرامة بعد الاستغفار والمناقرة وكل قصدهم رعاية التآلف حتى تـكون بواطنهم على الاجتماع كما ان ظواهرهم على الاجتماع وهذا أمر تفردوا به من بين طوائف الاسلام ثم شرط الفقير الصادق إذا سكن الرباط وأراد أن يأكل من وقفه أو مما يطلب لسكانه بالدروزة ان يكون عنـده من الشغل بالله مالا يسعه الـكسب والا إذا كان للبطالة والخوض فيما لا يعنى عنده مجال ولا يقوم بشروط أهل الارادة من الجد والاجتهاد فلا ينبغى له ان يأكل من مال الرباط بل يكتسب ويأكل من كسبه لان طعام الرباط لاقوام كمل شغلهم بالله فخدمتهم الدنيا لشغلهم بخدمة مولاهم الا ان يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق ينتفع بصحبته ويهتدى بهديه فيرى الشيخ أن يطعمه من مال الرباط فلا يـكون تصرف الشيخ إلا بصحة بصيرة ومن جملة مايكون للشيخ فى ذلك من النية أن يشغله بخدمة الفقراء فيكون ماياً كله فى مقابلة خدمته ﴿ روي ﴾ عن أبى عمرو الزجاجى قال أقمت عند الجنيد مدة فما رآنى قط الا وأنا مشتغل بنوع من العبادة فما كلمنى حتى كان يوم من

الأيام خلا الموضع من الجماعة فقمت ونزعت ثيابى وكنست الموضع ونظفته ورششته وغسلت موضع الطهارة فرجع الشيخ ورأى على أثر الغبار فدعالى ورحب بي وقال أحسنت عليك بها ثلاث مرات ولايزال مشايخ الصوفية يندبون الشباب إلى الخدمة حفظالهم عن البطالة وكل واحد يكون له حظ من المعاملة وحظ من الخدمة (روي) أبو محذورة قال جعل رسول الله ﷺ لنا الأذان والسقاية لبنى هاشم والحجابة لبنى عبد الدار وبهذا يقتدى مشايخ الصوفية فى تفريق الخدم على الفقراء ولايعذر فى ترك نوع من الخدمة إلا كامل الشغل بوقته ولانعنى بكامل الشغل شغل الجوارح ولكن نعنى به دوام الرعاية والمحاسبة والشغل بالقلب والقالب وقتا وبالقلب دون القالب وقتا وتفقد الزيادة من النقصان فان قيام الفقير بحقوق الوقت شغل تام وبذلك يؤدى شكر نعمة الفراغ ونعمة الكفاية وفى البطالة كفران نعمة الفراغ والكفاية (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر اجازة قال أنا عمر بن أحمد بن منصور قال أنا أحمد بن خلف قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن محمد ابن الحسين قال سمعت أبا الفضل بن حمدون يقول سمعت على بن عبد الحميد الغضائرى يقول سمعت السرى يقول من لايعرف قدر النعم سلبها من حيث لايعلم (وقد يعذر) الشيخ العاجز عن الكسب فى تناول طعام الرباط ولايعذر الشاب هذا في شرط طريق القوم على الاطلاق فامامن حيث فتوى الشرع فان كان شرط الوقف على المتصوفة وعلى من تزيا بزى المتصوفة وعلى خرقتهم فيجوز أكل ذلك لهم على الاطلاق فتوى وفى ذلك القناعة بالرخصة دون العزيمة التى هى شغل أهل الارادة وان كان شرط الوقف على من يسلك طريق الصوفية عملا وحالا فلايجوز أكله لاهل البطالات والراكنين إلى تضييع الأوقات وطرق أهل الارادة عند مشايخ الصوفية مشهورة (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف قال حدثنا جعفر الفريابى قال حدثنا محمد بن الحسين البلخى بسمرقند قال حدثنا عبدالله ابن المبارك قال حدثنا سعيد بن أبي أيوب الخزاعى قال حدثنا عبدالله بن الوليد عن أبي سليمان الليثى عن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ انه قال مثل المؤمن كمثل

الفرس في آخيته يجول ويرجع إلي آخيته وان المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الايمان فاطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين

﴿ الباب السادس عشر فى ذكر اختلاف أحوال مشايخهم في السفر والمقام ﴾

اختلف أحوال مشايخ الصوفية فنهم من سافر في بدايته وأقام فى نهايته ومنهم من قام في بدايته وسافر فى نهايته ومنهم من أقام ولم يسافر ومنهم من استدام السفر ولم يؤثر الاقامة ونشرح حال كل واحدمنهم ومقصده فيما رام فأما الذى سافر فى بدايته وأقام فى نهايته فقصده بالسفر لمعان منها تعلم شىء من العلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال بعضهم لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى اما كان سفره ضائعا (ونقل) ان جابر ابن عبدالله رحل من المدينة إلى مصر في شهر لحديث بلغه ان أنسا يحدث به عن رسول الله ﷺ وقد قال عليه السلام من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع (وقيل) فى تفسير قوله تعالي السائحون انهم طلاب العلم (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى املاء قال أنا أبو الفتح عبدالملك الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا وكيع قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أبي هرون قال كنا نأتى أباسعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله ﷺ ان النبي عليه السلام قال ان الناس لكم تبع وان الرجال يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا وقال عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم وروت عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الله تعالى أوحى إلي انه من سلك مسلكا فى طلب العلم سهلت له طريقا إلى الجنة * ومن جملة مقاصدهم فى البداية لقاء المشايخ والاخوان الصادقين فللمريد بلقاء كل صادق مزيد وقد ينفعه لحظ الرجال كما ينفعه لفظ الرجال (وقد قيل) من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه وهذا القول فيه وجهان أحدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر مايكلم بلسان قوله فاذا نظر الصادق إلى تصاريفه فى مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر إليه فهو نفع اللحظ ومن

لا يكون حاله وأفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق العبودية وحقيقتها والوجه الثانى ان نظر العلماء الراسخين فى العلم والرجال البالغين ترياق نافع ينظر أحدهم إلى الرجل الصادق فيستكشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستئهاله لمواهب الله تعالى الخاصة فيقع فى قلبه محبة الصادق من المريدين وينظر إليه نظر محبة عن بصيرة وهم من جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم أحوالا سنية يهبون وآثارا مرضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله ان الله سبحانه وتعالى كما جعل فى بعض الأفاعى من الخاصية انه إذا نظر إلى انسان يهلكه بنظره ان يجعل فى نظر بعض خواص عباده انه إذا نظر إلى طالب صادق يكسبه حالا وحياة وقد كان شيخنا رحمه الله يطوف فى مسجد الخيف بمنى ويتصفح وجوه الناس فقيل له فى ذلك فقال لله عباد إذا نظروا إلى الشخص أكسبوه سعادة فأنا أتطلب ذلك ومن جملة المقاصد فى السفر ابتداء قطع المألوفات والانسلاخ من ركون النفس إلى معهود ومعلوم والتحامل على النفس بتجرع مرارة فرقة الالاف والخلان والأهل والأوطان فمن صبر على تلك المألوفات محتسبا عند الله أجرا فقد حاز فضلا عظيما أخبرنا أبو زرعة بن أبي الفضل الحافظ المقدسي عن أبيه قال أنا القاضي أبو منصور محمد بن احمد الفقيه الاصفهاني قال أنا أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن خرشيد قوله قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زيادة النيسابوري قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب قال حدثنى يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم قال ليته مات بغير مولده قالوا ولم ذاك يارسول الله قال ان الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره من الجنة * ومن جملة المقاصد فى السفر استكشاف دقائق النفوس واستخراج رعوناتها ودعاويها لأنها لا تكاد تتبين حقائق ذلك بغير السفر وسمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق وإذا وقف على دائه يتشمر لدوائه وقد يكون أثر السفر فى نفس المبتدى كأثر النوافل من الصلاة والصوم والتهجد وغير ذلك وذلك ان المتنفل سائح سائر إلى الله تعالى من أوطان الغفلات إلى محل القربات والمسافر يقطع

المسافات ويتقلب فى المفاوز والفلوات بحسن النية لله تعالي سائرا إلى الله تعالى بمراغمة الهوى ومهاجرة ملاذ الدنيا (أخبرنا) شيخنا اجازة قال أنا عمر بن احمد قال أنا احمد بن محمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت على بن عبد الرحيم يقول سمعت النورى يقول التصوف ترك كل حظ النفس فاذا سافر المبتدى تاركا حظ النفس تطمئن النفس وتلين كما تلين بدوام النافلة ويكون لها بالسفر دباغ يذهب عنها الخشونة واليبوسة الجبلية والعفونة الطبيعية كالجلد يعود من هيئة الجلود إلى هيئة الثياب فتعود النفس من طبيعة الطغيان إلى طبيعة الايمان * ومن جملة المقاصد فى السفر رؤية الآثار والعبر وتسريح النظر فى مسارح الفكر ومطالعة أجزاء الأرض والجبال ومواطىء أقدام الرجال واستماع التسبيح من ذرات الجمادات والفهم من لسان حال القطع المتجاورات فقد تتجدد اليقظة بتجدد مستودع العبر والآيات وتتوفر بمطالعة المشاهد والمواقف الشواهد والدلالات قال الله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقد كان السرى يقول للصوفية إذا خرج الشتاء ودخل أدار وأورقت الأشجار طاب الانتشار * ومن جملة المقاصد بالسفر إيثار الخمول واطراح حظ القبول فصدق الصادق يتم على أحسن الحال ويرزق من الخلق حسن الاقبال وقلما يكون صادق متمسك بعروة الاخلاص ذو قلب عامر إلا ويرزق اقبال الخلق على لأني أبلغ نفسى حظها من الهوى فاني لا أبالى أقبلوا أو أدبروا ولكن لكون اقبال الخلق علامة تدل على صحة الحال فاذا ابتلى المريد بذلك لا يأمن نفسه أن تدخل عليه بطريق الركون إلى الخلق وربما يفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق البر والدخول فى الأسباب المحمودة وتريه فيه وجه المصلحة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل الموجود ولا تزال النفس به والشيطان حتى يجراه إلى السكون إلى الأسباب واستحلاء قبول الخلق وربما قويا عليه فجراه إلى التصنع والتعمل ويتسع الخرق على الراقع (وسمعت) ان بعض الصالحين قال لمريد له أنت الآن وصلت إلي مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ولكن يدخل عليك من طريق الخير وهذا مزلة عظيمة للاقدام فالله تعالى يدرك الصادق إذا ابتلى بشىء من ذلك ويزعجه بالعناية السابقة والمعونة اللاحقة إلى السفر فيفارق

المعارف والموضع الذى فتح عليه هذا الباب فيه ويتجرد لله تعالى بالخروج إلى السفر وهذا من أحسن المقاصد فى الاسفار للصادقين فهذه جمل المقاصد المطلوبة للمشايخ فى بداياتهم ماعدا الحج والغزو وزيارة بيت المقدس (وقد نقل) أن ابن عمر خرج من المدينة قاصدا إلى بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم أسرع راجعاً إلى المدينة من الغد * ثم إذا من الله على الصادق بأحكام أمور بدايته قلبه فى الاسفار ومنحه الحظ من الاعتبار وأخذ نصيبه من العلم قدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتقش فى قلبه فوائد النظر إلى حال المتقين وتعطر باطنه باستنشاق عرف معارف المقربين وتحصن بحماية نظر أهل الله وخاصته وسير أحوال النفس وأسفر السفر عن دقائق أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يغلب ولا يغلب كما قال الله تعالى اخبارا عن موسى (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين) فعند ذلك يرده الحق إلى مقامه ويمده بجزيل انعامه ويجعله إماما للمتقين به يقتدى وعلما للمؤمنين به يهتدى * وأما الذى أقام فى بدايته وسافر فى نهايته يكون ذلك شخصاً يسر الله في بداية أمره صحبة صحيحة وقيض له شيخا عالما يسلك به الطريق ويدرجه إلى منازل التحقيق فيلازم موضع ارادته ويلتزم بصحبة من يرده عن عادته وقد كان الشبلى يقول للحصرى فى ابتداء أمره أن خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله فحرام عليك أن تحضرني فمن رزق مثل هذه الصحبة يحرم عليه السفر فالصحبة خير له من كل سفر وفضيلة يقصدها (أخبرنا) رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى عن والده الاستاذ أبي القاسم قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت عياش بن أبي الصخر يقول سمعت أبا بكر الزقاق يقول لا يكون المريد مريداً حتي لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا عشرين سنة فمن رزق صحبة من يندبه إلى مثل هذه الأحوال السنية والعزائم القوية يحرم عليه المفارقة واختيار السفر ثم إذا أحكم أمره فى الابتداء بلزوم الصحبة وحسن الاقتداء وارتوى من الأحوال وبلغ مبلغ الرجال وانبجس من قلبه عيون ماء الحياة وصارت نفسه مكسبة للسعادات يستنشق نفس الرحمن من صدور الصادقين

من الاخوان فى أقطار الأرض وشاسع البلدان يشرئب إلي التلاق وينبعث إلى الطواف فى الآفاق يسيره الله تعالى فى البلاد لفائدة العباد ويستخرج بمغناطيس حاله خبء أهل الصدق والمتطلعين إلىمن يخبر عن الحق ويبذر فى أراضى القلوب بذرالفلاح ويكثر ببركة نفسه وصحبته أهل الصلاح وهذا مثل هذه الأمة الهادية فى الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوي على سوقه تعود بركة البعض على البعض وتسري الأحوال من البعض إلي البعض ويكون طريق الوراثة معمورا وعلم الافادة منشورا (أخبرنا) شيخنا قال أنا الأمام عبد الجبار البيهقى فى كتابه أنا أبو بكر البيهقى قال أنا أبو على الروذبادى قال حدثنا أبو بكر بن داسته قال حدثنا أبو داود قال أنا يحيي بن أيوب قال حدثنا اسماعيل بن جعفر قال أخبرني العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من دعى إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيء ومن دعى إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا فأمامن أقام ولم يسافر يكون ذلك شخصا رباه الحق سبحانه وتعالي وتولاه وفتح عليه أبواب الخير وجذبه بعنايته (وقد ورد) جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين ثم لما علم منه الصدق ورأى حاجته إلي من ينتفع به ساق اليه بعض الصديقين حتي أيده بلطفه ولفظه وتداركه بلحظه ولقحه وبقوة حاله وكفاه يسير الصحبة لكمال الاهلية فى الصاحب والمصحوب واجراء سنة الله تعالى فى اعطاء الأسباب حقها لاقامة رسم الحكمة يحوج إلى يسير الصحبة فيتنبه بالقليل الكثير ويغنيه اليسير من الصحبة عن الحظ الكثير ويكتفي بوافر حظ الاستبصار عن الاسفار ويتعوض بأشعة الأنوار عن مطالعة العبر والآثار كما قال بعضهم الناس يقولون افتحوا أعينكم وأبصروا وأنا أقول غمضوا أعينكم وأبصروا (وسمعت) بعض الصالحين يقول لله عباد طور سينائهم ركبهم تكون رؤسهم على ركبهم وهم في محال القرب فمن نبع له معين الحياة فى ظلمة خلوته فماذا يصنع بدخول الظلمات ومن اندرجت له أطباق السموات فى طى شهوده ماذا يصنع بتقلب طرفه فى السموات ومن جمعت أحداق بصيرته متفرقات الكائنات ماذا يستفيد من طى الفلوات ومن خلص

بخاصية فطرته إلى مجمع الأرواح ماذا تفيده زيارة الاشباح (قيل) أرسل ذوالنون المصرى إلى أبي يزيد رجلا وقال قل له إلي متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة فقال للرسول قل لأخى الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة فقال ذو النون هنيئا له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا (وكان) بشر يقول يامعشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء إذا كثر مكثه فى موضع تغير وقيل قال بعضهم عنده هذا الكلام صر بحرا حتى لا تتغير فاذا أدام المريد سير الباطن بقطع مسافة النفس الأمارة بالسوء حتى قطع منازل آفاتها وبدل أخلاقها المذمومة بالمحمودة وعانق الاقبال على الله تعالى بالصدق والاخلاص اجتمع له المتفرقات واستفاد فى حضره أكثر من سفره لكون السفر لا يخلو من متاعب وكلف ومشوشات وطوارق ونوازل يتجدد الضعف عن سياستها بالعلم للضعفاء ولا يقدر على تسليط العلم على متجددات السفر وطوارقه إلا الأقوياء (قال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه للذى زكى عنده رجلا هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا قال ما أراك تعرفه فاذا حفظ الله عبده في بداية أمره من تشويش السفر ومتعه بجمع الهم وحسن الاقبال فى الحضر وساق اليه من الرجال من اكتسب به صلاح الحال فقد أحسن اليه (قيل) في تفسير قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) هو الرجل المنقطع إلى الله يشكل عليه شيء من أمر الدين فيبعث الله اليه من يحل اشكاله فاذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو فى المقام من غير سفر ثمرات النهاية فيستقر فى الحضر انتهاء وابتداء وأقيم فى هذا المقام جمع من الصالحين وأما الذى أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة حاله فى ذلك يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة ضيف مسجد ولا تموت إلا بين منزلين * وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم فى بلد أكثر من أربعين يوما وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوما يفسد عليه توكله فكان علم الناس ومعرفتهم اياه يراه سببا ومعلوما (وحكى) عنه انه قال مكثت في البادية أحد عشر يوما لم آكل وتطلعت نفسى أن آكل من حشيش البر فرأيت الخضر مقبلا نحوى فهربت منه ثم التفت فاذا هو رجع عنى فقيل لم هربت

منه قال تشوفت نفسي أن يغيثني فهؤلاء الفرارون بدينهم (اخبرنا) أبو زرعة طاهر ابن الحافظ أبي الفضل المقدسي عن أبيه قال أنا أبو بكر أحمد بن علي قال أنا أبو عبد الله ابن يوسف بن ناموية قال حدثنا أبو محمد الزهري القاضي قال حدثنا محمد بن عبد الله ابن اسباط قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا محمد يعني ابن مسلم عن عثمان بن عبد الله ابن أوس عن سليمان بن هرمز عن عبد الله عن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال أحب شيء إلى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يجتمعون إلي عيسى بن مريم يوم القيامة وهذه كلها أحوال اختلفت واتبع أربابها الصحة وحسن النية مع الله وحسن النية يقتضي الصدق والصدق لعينه محمود كيف تقلبت الأحوال فمن سافر ينبغي ان يتفقد حاله ويصحح نيته ولا يقدر على تخليص النية من شوائب النفس إلا كثير العلم تام التقوي وافر الحظ من الزهد في الدنيا ومن انطوى على هوى ومن لم يستقص في الزهد لا يقدر على تصحيح النية فقد يدعوه إلي السفر نشاط جبلي نفساني وهو يظن ان ذلك داعية الحق ولا يميز بين داعية الحق وداعية النفس ويحتاج الشخص في علم صحة النية إلى العلم بمعرفة الخواطر وشرح الخواطر وعلمها يحتاج إلى باب مفرد لنفسه ونومىء الآن إلى ذلك برمز يدركه من نازله شيء من ذلك فأكثر الفقراء من علم ذلك ومعرفته على بعد * إعلم ان ماذكرناه من نشاط النفس واقع للفقير في كثير من الأمور فقد يجد الفقير الروح بالخروج إلي بعض الصحاري والبساتين ويكون ذلك الروح مضرا به في ثاني الحال وان كان يتراءى له طيبة القلب في الوقت وسبب طيبة قلبه في الوقت ان النفس تنفسح وتتسع ببلوغ غرضها وتيسير يسير هواها بالخروج إلي الصحراء والتنزه وإذا اتسعت بعدت عن القلب وتنحت عنه متشوفة إلي متعلق هواها فيتروح القلب لا بالصحراء بل ببعد النفس منه كشخص تباعد عنه قرين يستثقله ثم إذا عاد الفقير إلى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستور حاله يجد النفس مقارنة للقلب بمزيد ثقل موجب لتبرمه بها وكلما ازداد ثقلها تكدر القلب وسبب زيادة ثقلها استرسالها في تناول هواها فيصير الخروج إلى الصحراء عين الداء ويظن الفقير انه ترويح ودواء فلو صبر على الوحدة والخلوة ازدادت النفس

ذوبانا وخفت ولطفت وصارت قرينا صالحا للقلب لايمتثلها وعلى هـذا يقاس التروح بالاسفار فللنفس وثبات إلى توهم التروحات فمن فطن لهذه الدقيقة لايغتر بالتروحات المستعارة التى لاتحمد عاقبتها ولا تؤمن غائلتها ويتثبت عند ظهور خاطر السفر ولا يكترث بالخطر بل يطرحه بعدم الالتفات مسيئا ظنه بالنفس وتسويلاتها ومن هذا القبيل والله أعلم قول رسول الله ﷺ ان الشمس تطلع من بين قرنى الشيطان فيكون للنفس عند طلوع الشمس وثبات تستند تلك الوثبات والنهضات من النفس إلى المزاج والطبائع ويطول شرح ذلك ويعمق ومن ذلك القبيل خفة مرض المريض غدوة بخلاف العشيات فيتشكل اهتزاز النفس بنهضات القلب ويدخل على الفقير من هذا القبيل آفات كثيرة يدخل فى مداخل باهتزاز نفسه ظنا منه ان ذلك حكم نهوض قلبه وربما يتراءى له انه بالله يصول وبالله يقول وبالله يتحرك فقد ابتلى بنهضة النفس ووثوبها ولايقع هـذا الاشتباه إلا لأرباب القلوب وأرباب الأحوال وغير أرباب القلب والحال عن هذا بمعزل وهذه مزلة قدم مختصة بالخواص دون العوام وعلم ذلك فانه عزيز علمه وأقل مراتب الفقراء فى مبادي الحركة للسفر لتصحيح وجه الحركة ان يقدموا صلاة الاستخارة وصلاة الاستخارة لاتهمل وان تبين للفقير صحة خاطره أو تبين له وجه المصلحة فى السفر ببيان أوضح من الخاطر فللقوم مراتب فى التبيان من العلم بصحة الخاطر ومما فوق ذلك ففى ذلك كله لاتهمل صلاة الاستخارة اتباعا للسنة ففى ذلك البركة وهو من تعليم رسول الله ﷺ على ماحدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي املاء قال أنا أبو القاسم ابن عبدالرحمن في كتابه ان أباسعيد الكنجرودى أخبرهم قال أنا أبوعمرو بن حمدان قال حدثنا أحمد ابن الحسين الصوفى قال حدثنا منصور بن أبى مزاحم قال حدثنا عبدالرحمن ابن أبي الموالى عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن قال إذا هم أحدكم بالأمر أو أراد الأمر فليصل ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولاأقدر

وتعلم ولاأعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هـذا الأمر يسميه بعينه خيرلي فى ديني ومعاشي ومعادي وعاقبة أمرى أوقال عاجل أمرى وآجله فاقدره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلمه شرا لى مثل ذلك فاصرفه عنى واصرفني عنه واقدر لى الخير حيث كان

﴿ الباب السابع عشر فيما يحتاج إليه الصوفى فى سفره من الفرائض والفضائل ﴾

فأما من الفقه وإن كان هذا يذكر في كتب الفقه وهذا الكتاب غير موضوع لذلك ولكن نقول على سبيل الايجاز تيمناً بذكر الأحكام الشرعية التى هى الأساس الذى يبنى عليه لا بد للصوفى المسافر من علم التيمم والمسح على الخفين والقصر والجمع فى الصلاة (أما التيمم) فجائز للمريض والمسافر فى الجنابة والحدث عند عدم الماء أو الخوف من استعماله تلفا فى النفس أو المال أو زيادة فى المرض على القول الصحيح من المذاهب أو عند حاجته إلي الماء الموجود لعطشه أو عطش دابته أو رفيقه ففى هذه الأحوال كلها يصلى بالتيمم ولا اعادة عليه والخائف من البرد يصلى بالتيمم ويعيد الصلاة على الأصح ولايجوز التيمم إلا بشرط الطلب للماء فى مواضع الطلب ومواضع الطلب مواضع تردد المسافر فى منزله للاحتطاب والاحتشاش ويكون الطلب بعد دخول الوقت والسفر القصير فى ذلك كالطويل وإن صلى بالتيمم مع تيقن الماء فى آخر الوقت جاز على الأصح ولا يعيد مهما صلى بالتيمم وان كان الوقت باقياً ومهما توهم وجود الماء بطل تيممه كما إذا طلع ركب أو غير ذلك وإن رأى الماء فى أثناء الصلاة لا تبطل صلاته ولا تلزمه الاعادة ويستحب له الخروج منها واستئنافها بالوضوء على الأصح ولا يتيمم للفرض قبل دخول الوقت ويتيمم لكل فريضة ويصلى مهما شاء من النوافل بتيمم واحد ولايجوز أداء الفرض بتيمم النافلة ومن لم يجد ماء ولا ترابا يصلى ويعيد عند وجود أحدهما ولكن إن كان محدثا لا يمس المصحف وإن كان جنباً لا يقرأ القرآن في الصلاة بل يذكر الله تعالى عوض القراءة ولا يتيمم إلا بتراب طاهر غير مخالط للرمل والجص ويجوز بالغبار على ظهر الحيوان والثوب ويسمى الله تعالى عند التيمم وينوى استباحة الصلاة قبل ضرب اليد على التراب ويضم أصابعه لضربة الوجه ويمسح جميع الوجه

فلو بقي شيء من محل الفرض غير ممسوح لا يصح التيمم ويضرب ضربة لليدين مبسوط الأصابع ويعم بالتراب محل الفرض وإن لم يقدر إلا بضربتين فصاعدا كيف أمكنه لا بد أن يعم التراب محل الفرض ويمسح إذا فرغ إحدى الراحتين بالأخرى حتى تصيرا ممسوحتين ويمر اليد على ما نزل من اللحية من غير إيصال التراب إلى المنابت (وأما المسح) فيمسح على الخف ثلاثة أيام ولياليهن فى السفر والمقيم يوما وليلة وابتداء المدة من حين الحدث بعد لبس الخف لا من حين لبس الخف ولا حاجة إلى النية عند لبس الخف بل يحتاج الي كمال الطهارة حتى لو لبس أحد الخفين قبل غسل الرجل الأخري لا يصح أن يمسح على الخف ويشترط فى الخف امكان متابعة المشي عليه وستر محل الفرض ويكفى مسح يسير من أعلى الخف والأولى مسح أعلاه وأسفله من غير تكرار ومتى ارتفع حكم المسح بانقضاء المدة أو ظهور شيء من محل الفرض وإن كان عليه لفافة وهو على الطهارة يغسل القدمين دون استئناف الوضوء على الأصح والماسح فى السفر اذا أقام يمسح كالمقيم وهكذا المقيم اذا سافر يمسح كالمسافر واللبد اذا ركب جوربا ونعل يجوز المسح عليه ويجوز على المشرج اذا ستر محل الفرض ولا يجوز على المنسوج وجهه الذى يستر بعض القدم به والباقي باللفافة (فأما القصر والجمع) فيجمع بين الظهر والعصر فى وقت احداهما ويتيمم لكل واحدة ولا يفصل بينهما بكلام وغيره وهكذا الجمع بين المغرب والعشاء ولا قصر فى المغرب والصبح بل يصليهما كهيئتهما من غير قصر وجمع والسنن الرواتب يصليها بالجمع بين السنتين قبل الفريضتين للظهر والعصر وبعد الفراغ من الفريضتين يصلى مايصلى بعد الفريضة من الظهر ركعتين أو أربعاً وبعد الفراغ من المغرب والعشاء يؤدى السنن الراتبة لهما ويوتر بعدها (ولا يجوز) أداء الفرض على الدابة بحال إلا عند التحام القتال للغازى ويجوز ذلك في السنن الرواتب والنوافل وتكفيه الصلاة على ظهر الدابة وفى الركوع والسجود الايماء ويكون ايماء السجود أخفض من الركوع الا أن يكون قادرا على التمكن مثل أن يكون فى محارة وغير ذلك ويقوم توجهه إلى الطريق مقام استقبال القبلة ولا يوجهها الي غير الطريق الا القبلة حتى لو حرف دابته عن الصوب المتوجه إليه لا إلى نحو القبلة بطلت صلاته * والماشي يتنفل فى السفر ويقنعه استقبال القبلة عند الاحرام لا يجزئه فى الاحرام الا

الاستقبال ويقنعه الايماء للركوع والسجود وراكب الدابة لايحتاج الى استقبال القبلة للاحرام أيضاً * وإذا أصبح المسافر مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم فى الصوم وهكذا ان أصبح مسافرا ثم أقام والصوم في السفر أفضل من الفطر وفى الصلاة القصر أفضل من الاتمام * فهذا القدر كاف للصوفي أن يعلمه من حكم الشرع فى مهام سفره (فأما المندوب والمستحب) فينبغى أن يطلب لنفسه رفيقاً فى الطريق يعينه على أمر الدين وقد قيل الرفيق ثم الطريق ونهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحده إلا أن يكون صوفيا عالما بآفة نفسه يختار الوحدة على بصيرة من أمره فلا بأس بالوحدة وإذا كانوا جماعة ينبغى أن يكون فيهم متقدم أمير قال رسول الله ﷺ إذا كنتم ثلاثة فى سفر فأمروا أحدكم والذى يسميه الصوفية يبشر وهو الأمير وينبغى أن يكون الأمير أزهد الجماعة فى الدنيا وأوفرهم حظا من التقوى وأتمهم مروءة وسخاوة وأكثرهم شفقة * روى عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه * نقل عن عبدالله المروزى أن أبا على الرباطى صحبه فقال على أن أكون أنا الأمير أو أنت فقال بل أنت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبى على على ظهره وأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبدالله طول الليل على رأس رفيقه يغطيه بكسائه عن المطر وكلما قال لا تفعل يقول ألست الأمير وعليك الانقياد والطاعة فأما ان كان الأمير يصحب الفقراء لمحبة الاستتباع وطلب الرياسة والتعزز ليتسلط على الخدام فى الربط ويبلغ نفسه هواها فهذا طريق أرباب الهوى الجهال المباينين لطريق الصوفية وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فيتخذ لنفسه رفقاء مائلين إلى الدنيا يجتمعون لتحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والظلمة للتوصل إلي تحصيل مآرب النفس ولا يخلو اجتماعهم هذا عن الخوض فى الغيبة والدخول فى المداخل المكروهة والتنقل فى الربط والاستمتاع والنزهة وكلما كثر المعلوم فى الرباط أطالوا المقام وإن تعذرت أسباب الدين وكلما قل المعلوم رحلوا وإن تيسرت أسباب الدين وليس هذا طريق الصوفية ومن المستحب أن يودع إخوانه إذا أراد السفر ويدعو لهم بدعاء رسول الله ﷺ (قال) بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من مكة إلى المدينة فلما أردت مفارقته شيعنى وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال لقمان لابنه

يابني إن الله تعالي إذا استودع شيئا حفظه وانى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك (وروى) زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا أراد أحدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله تعالي جاعل له في دعائهم البركة (وروى) عنه عليه السلام أيضا أنه كان إذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت وينبغى أن يعتقد اخوانه إذا دعا لهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه فقد روي أن عمر رضى الله عنه كان يعطى الناس عطاياهم إذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر مارأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين انى أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعنى على هذه الحالة فقلت أستودع الله ما فى بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هى قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار تلوح على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذه من قبر فلانة نراها كل ليلة فقلت والله انها كانت صوامة قوامة فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا وإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب فقيل ان هذا وديعتك ولو كنت استودعتنا أمه لوجدتها فقال عمر لهو أشبه بك من الغراب بالغراب * وينبغى ان يودع كل منزل يرحل عنه بركعتين ويقول اللهم زودنى التقوى واغفرلى ذنوبى ووجهنى للخير اينما توجهت (وروى) أنس بن مالك قال كان رسول الله عليه الصلاة والسلام لا ينزل منزلا إلا ودعه بركعتين فينبغى ان يودع كل منزل ورباط يرحل عنه بركعتين وإذا ركب الدابة فليقل سبحان الذى سخر لنا هذا وما كناله مقرنين بسم الله والله أكبر توكلت على الله ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم اللهم انت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور والسنة أن يرحل من المنازل بكرة ويبتدىء بيوم الخميس روى كعب بن مالك قال قلما كان رسول الله ﷺ يخرج إلى السفر إلا يوم الخميس وكان إذا أراد أن يبعث سرية بعثها أول النهار ويستحب كلما أشرف على منزل أن يقول اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وماأقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير

هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر أهله وإذا نزل فليصل ركعتين ومما ينبغي للمسافر أن يصحبه آلة الطهارة قيل كان إبراهيم الخواص لايفارقه أربعة أشياء في الحضر والسفر الركوة والحبل والابرة وخيوطها والمقراض وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفي رواية المقراض والصوفية لاتفارقهم العصا وهي أيضا من السنة روى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتخذ منبرا فقد اتخذ ابراهيم وان اتخذ العصا فقد اتخذها إبراهيم وموسى وروى عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما انه قال التوكؤ على العصا من أخلاق الانبياء كان لرسول الله ﷺ عصا يتوكأ عليها ويأمر بالتوكؤ على العصا وأخذ الركوة أيضا من السنة روى جابر بن عبدالله قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ من ركوة إذ جهش الناس نحوه أي أسرعوا نحوه والأصل فيه البكاء كالصبي يتلازم بالام ويسرع إليها عند البكاء قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم قالوا يارسول الله مانجد ماء نشرب ولانتوضأ به الا مابين يديك فوضع يده في الركوة فنظرت وهو يفور من بين أصابعه مثل العيون قال فتوضأ القوم منه قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة في غزوة الحديبية ومن سنة الصوفية شد الوسط وهو من السنة روى أبو سعيد قال حج رسول الله ﷺ وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة وقال اربطوا على أوساطكم بازركم فربطنا ومشينا خلفه الهرولة * ومن ظاهر آداب الصوفية عند خروجهم من الربط أن يصلى ركعتين في أول النهار يوم السفر بكرة كما ذكرنا يودع البقعة بالركعتين ويقدم الخف وينفضه ويشمر الكم اليمنى ثم اليسرى ثم يأخذ الميانبند الذي يشد به وسطه ويأخذ خريطة المداس وينفضها ويأتي الموضع الذي يريد ان يلبس الخف فيفرش السجادة طاقين ويحك نعل أحد المداسين بالآخر ويأخذ المداس باليسار والخريطة باليمين ويضع المداس في الخريطة اعقابه إلى أسفل ويشد رأس الخريطة ويدخل المداس بيده اليسرى من كمه الأيسر ويضعه خلف ظهره ثم يقعد على السجادة ويقدم الخف بيساره وينفضه ويبتدىء باليمنى فيلبس

ولايدع شيأ من الران أوالمنطقة يقع على الأرض ثم يغسل يديه ويجعل وجهه إلى الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضرين فان أخذ بعض الاخوان روايته إلى خارج الرباط لايمنعه وهكذا العصا والابريق ويودع من شيعه ثم يشد الراوية برفع يده اليمنى ويخرج اليسرى من تحت ابطه الايمن ويشد الراوية على الجانب الأيسر ويكون كتفه الايمن خاليا وعقدة الراوية على الجانب الأيمن فاذا وصل فى طريقه إلى موضع شريف أواستقبله جمع من الاخوان أوشيخ من الطائفة يحل الراوية ويحطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم إذاجاوزوه يشد الراوية وإذا دنا من منزل رباطا كان أوغيره يحل الراوية ويحملها تحت ابطه الأيسر وهكذا العصا والابريق يمسكه بيساره وهذه الرسوم استحسنها فقراء خراسان والجبل ولايتعهدها أكثر فقراء العراق والشام والمغرب ويجرى بين الفقراء مشاحنة فى رعايتها فمن لايتعاهدها يقول هذه رسوم لاتلزم والالتزام بها وقوف مع الصور وغفلة عن الحقائق ومن يتعهدها يقول هذه آداب وضعها المتقدمون وإذا رأوا من يخل بها أو بشيء منها ينظرون إليه نظر الازدراء والحقارة ويقال هـذا ليس بصوفى وكلا الطائفتين فى الانكار يتعدون الواجب والصحيح فى ذلك ان من يتعاهدها لاينكر عليه فليس بمنكر فى الشرع وهو أدب حسن ومن لم يلتزم بذلك فلا ينكر عليه فليس بواجب فى الشرع ولامندوب إليه وكثير من فقراء خراسان والجبل يبالغ فى رعاية هذه الرسوم إلى حد يخرج إلى الافراط وكثيرا مايخل بها فقراء العراق والشام والمغاربة إلى حد يخرج إلى التفريط والاليق انما ينكره الشرع ينكر ومالاينكره لاينكر ويجعل لتصاريف الاخوان اعذارا مالم يكن فيهامنكرا واخلال بمندوب إليه والله الموفق

﴿ الباب الثامن عشر فى القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه ﴾

ينبغى للفقير إذارجع من السفر أن يستعيذ بالله تعالى من آفات المقام كما يستعيذ به من وعثاء السفر * ومن الدعاء المأثور اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد وإذا أشرف على بلد يريد المقام بها يشير بالسلام على من بها من الأحياء والأموات ويقرأ من القرآن ماتيسر

ويجعله هدية للأحياء والأموات ويكبر فقدروى أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزوا وحج يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث مرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ويقول إذا رأى البلد اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ولو اغتسل كان حسنا اقتداء برسول الله ﷺ حيث اغتسل لدخول مكة ﴿وروى﴾ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من طلب الاحزاب ونزل المدينة نزع لامته واغتسل واستحم والا فليجدد الوضوء ويتنظف ويتطيب ويستعد للقاء الاخوان بذلك وينوى التبرك بمن هنالك من الأحياء والأموات ويزورهم ﴿روى﴾ أبوهريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ خرج رجل يزور أخاله فى الله فارصد الله بمدرجته ملكا وقال أين تريد قال أزور فلانا قال لقرابة قال لا قال لنعمة له عندك تشكرها قال لا قال فيم تزوره قال اني أحبه فى الله قال فاني رسول الله إليك بأنه يحبك بحبك اياه وروى أبوهريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا عاد الرجل أخاه أوزاره فى الله قال الله له طبت وطاب ممشاك ويتبوأ من الجنة منزلا (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكر الآخرة فيحصل للفقير فائدة الأحياء والأموات بذلك فاذا دخل البلد يبتدىء بمسجد من المساجد يصلى فيه ركعتين فان قصد الجامع كان أكمل وأفضل وقد كان رسول الله ﷺ إذا قدم دخل المسجد أولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت والرباط للفقير بمنزلة البيت ثم يقصد الرباط فقصده الرباط من السنة على مارويناه عن طلحة رضي الله عنه قال كان الرجل إذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه وان لم يكن له بها عريف نزل الصفة فكنت ممن ازل الصفة فاذا دخل الرباط يمضى إلى الموضع الذى يريد نزع الخف فيه فيحل وسطه وهو قائم ثم يخرج الخريطة بيساره من كمه اليسار ويحل رأس الخريطة باليمين ويخرج المداس باليسار ثم يضع المداس على الأرض ويأخذ الميانبند ويلقيها فى وسط الخريطة ثم ينزع خفه اليسار فان كان على الوضوء يغسل قدميه بعد نزع الخف من تراب الطريق والعرق وإذا قدم على

السجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصلى ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يطأ بها موضع السجود من السجادة وهذه الرسوم الظاهرة التي استحسنها بعض الصوفية لا ينكر على من يتقيد بها لأنه من استحسان الشيوخ ونيتهم الظاهرة في ذلك تقييد المريد في كل شيء بهيئة مخصوصة ليكون أبدا مفتقدا لحركاته غير قادم على حركة بغير قصد وعزيمة وأدب ومن اخل من الفقراء بشيء من ذلك لا ينكر عليه مالم يخل بواجب أو مندوب لأن أصحاب رسول الله ﷺ ماتقيدوا بكثير من رسوم المتصوفة وكون الشبان يطالبون الوارد عليهم بهذه الرسوم من غير نظرهم إلى النية في الاشياء غلط فلعل الفقير يدخل الرباط غير مشمر اكمامه وقد كان في السفر لم يشمر الاكمام فينبغي ان لا يتعاطى ذلك لنظر الخلق حيث لم يخل بمندوب إليه شرعا وكون الآخر يشمر الاكمام يقيس ذلك على شد الوسط وشد الوسط من السنة كما ذكرنا من شد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوساطهم في سفرهم بين المدينة ومكة فتشمير الاكمام في معناه من الخفة والارتفاق به في المشي فمن كان مشدود الوسط مشمرا يدخل الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط أو كان راكبا لم يشد وسطه فمن الصدق أن يدخل كذلك ولا يتعمد شد الوسط وتشمير الاكمام لنظر الخلق فانه تكلف ونظر إلى الخلق ومبنى التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق ومما ينكر على المتصوفة انهم إذا دخلوا الرباط لا يبتدؤن بالسلام ويقول المنكر هذا خلاف المندوب ولا ينبغى للمنكر أن يبادر إلى الانكار دون أن يعلم مقاصدهم فيما اعتمدوه وتركهم السلام يحتمل وجوها أحدها أن السلام إسم من أسماء الله تعالي وقد روى عبدالله بن عمر قال مر رجل على النبي ﷺ وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى كاد الرجل أن يتوارى فضرب يده على الحائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد على الرجل السلام وقال انه لم يمنعنى أن أرد عليك السلام الاانى لم أكن على طهر وروى انه لم يرد عليه حتى توضأ ثم اعتذر اليه وقال اني كرهت ان اذكر الله تعالي الا على طهر وقد يكون جمع من الفقراء مصطحبين في السفر وقد يتفق لأحدهم حدث فلو سلم المتوضىء وامسك المحدث ظهر حاله فيترك السلام

حتي يتوضأ من يتوضأ ويغسل قدمه من يغسل سترا للحال على من أحدث حتي يكون سلامهم على الطهارة اقتداء برسول الله ﷺ وقد يكون بعض المقيمين أيضا على غير طهارة فيستعد لجواب السلام أيضا بالطهارة لأن السلام إسم من أسماء الله تعالى وهـذا من أحسن مايذكر من الوجوه فى ذلك ومنها انه إذا قدم يعانقه الاخوان وقد يكون معه من آثار السفر والطريق مايكره فيستعد بالوضوء والنظافة ثم يسلم ويعانقهم ومنها أن جمع الرباط أرباب مراقبة وأحوال فلوهجم عليهم بالسلام قد ينزعج منـه مراقب ويتشوش محافظ والسـلام يتقدمه استئناس بدخوله واشتغاله بغسل القدم والوضوء وصلاة ركعتين فيتأهب الجمع له كما يتأهب لهم بعد مسابقة الاستئناس وقد قال الله تعالى حتى تستأنسوا واستئناس كل قوم على مايليق بحالهم ومنها انه لم يدخل على غير بيته ولا هو بغريب منهم بل هم اخوانه والالفة بالنسبة المعنوية الجامعة لهم فى طريق واحد والمنزل منزله والموضع موضعه فيرى البركة فى استفتاح المنزل بمعاملة الله قبـل معاملة الخلق وكما يمهد عذرهم في ترك السلام ينبغى لهم أن لا ينكروا على من يدخل ويبتديء بالسلام فكما ان من ترك السلام له نية فالذي سـلم له أيضا نية وللقوم آداب ورد بها الشرع ومنها آداب استحسنها شيوخهم فمما ورد به الشرع ماذكرنا من شد الوسط والعصا والركوة والابتداء باليمين فى لبس الخف وفي نزعه باليسار ﴿روى﴾ أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إذا انتعلتم فابدؤا باليمين وإذا خلعتم فابدؤا باليسار أو اخلعهما جميعا أو انعلهما جميعا ﴿روي﴾ جابر رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ كان يخلع اليسري قبل اليمنى ويلبس اليمنى قبل اليسرى وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون أحـدهم لا يقعد على سجادة الآخر مشروع ومسنون وقد ورد في حديث طويل لا يؤم الرجل فى سلطانه ولا فى أهله ولا يجلس على تـكرمته إلا باذنه وإذا سلم على الاخوان يعانقهم ويعانقونه فقد روى جابر بن عبد الله قال لما قدم جعفر من أرض الحبشة عانقه النبي ﷺ وان قبلهم فلا بأس بذلك ﴿روى﴾ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خيبر أسر منى بقدوم جعفر ويصافح اخوانه فقد قال عليه السـلام قبلة المسلم أخاه المصافحة (وروى)

أنس بن مالك قال قيل يارسول الله الرجل يلقى صديقه وأخاه ينحنى له قال لا قيل يلزمه ويقبله قال لا قيل فيصافحه قال نعم ويستحب للفقراء المقيمين فى الرباط أن يتلقوا الفقراء بالترحيب (روى) عكرمة قال قال رسول الله ﷺ يوم جئته مرحبا بالراكب المهاجر مرتين وان قاموا إليه فلا بأس وهو مسنون (روى) عنه عليه السلام انه قام لجعفر يوم قدومه * ويستحب للخادم أن يقدم له الطعام (روى) لقيط ابن صبرة قال وفدنا على رسول الله ﷺ فلم نصادفه فى منزله وصادفنا عائشة رضى الله عنها فأمرت لنا بالخريرة فصنعت لنا وأتينا بقناع فيه تمر والقناع الطبق فأكلنا ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصبتم شيأ قلنا نعم يارسول الله ويستحب للقادم أن يقدم للفقراء شيأ لحق القدوم (ورد) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزورا وكراهيتهم لقدوم القادم بعد العصر وجهه من السنة منع النبي ﷺ عن طروق الليل والصوفية بعد العصر يستعدون لاستقبال الليل بالطهارة والانكباب على الاذكار والاستغفار (روى) جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ إذا قدم أحدكم من سفر فلا يطرقن أهله ليلا (وروى) كعب بن مالك ان رسول الله ﷺ كان لا يقدم من السفر الانهارا فى الضحى فيستحبون القدوم في أول النهار فان فات من أول النهار فقد يتفق تعويق من ضعف بعضهم في المشى أو غير ذلك فيعذر الفقير بقية النهار إلى العصر لاحتمال التعويق فاذا صار العصر ينسب إلى تقصيره فى الاهتمام بالسنة وقدوم أول النهار فانهم يكرهون الدخول بعد العصر والله أعلم فاذا صار العصر يؤخر القدوم إلى الغد ليكون عاملا بالسنة للقدوم ضحوة وأيضا فيه معنى آخر وهو ان الصلاة بعد العصر مكروهة ومن الأدب أن يصلى القادم ركعتين فلذلك يكرهون القدوم بعد صلاة العصر وقد يكون من الفقراء القادمين من يكون قليل الدراية بدخول الرباط وينالهدهشة فمن السنة التقرب إليه والتودد وطلاقة الوجه حتي ينبسط وتذهب عنه الدهشة ففى ذلك فضل كثير (روى) أبو رفاعة قال أتيت رسول الله ﷺ وهو يخطب فقلت يارسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه قال فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم علي وترك خطبته ثم أتى بكرسى قوائمه من حديد فقعد

رسول الله ثم جعل يعلمني ما علمه الله ثم أتي خطبته وأتم آخرها فاحسن أخلاق الفقراء الرفق بالمسلمين واحتمال المكروه من المسموع والمرئى وقد يدخل فقير بعض الربط ويخل بشيء من مراسم المتصوفة فينهر ويخرج وهـذا خطأ كبير فقد يكون خلق من الصالحين والأولياء لا يعرفون هذا الترسم الظاهر ويقصدون الرباط بنية صالحة فاذا استقبلوه بالمكروه يخشى ان تتشوش بواطنهم من الاذى ويدخل على المنكر عليه ضرر فى دينه ودنياه فليحذر ذلك وينظر إلى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يعتمده مع الخلق من المداراة والرفق وقد صح أن اعرابيا دخل المسجد وبال فأمر النبي عليه السلام حتى أتي بذنوب فصب على ذلك ولم ينهر الاعرابي بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين والفظاظة والتغليظ والتسلط على المسلمين بالقول والفعل من النفوس الخبيثة وهو ضد حال المتصوفة ومن دخل الرباط ممن لا يصلح للمقام به رأسا يصرف من الموضع على ألطف وجه بعد أن يقدم له طعام ويحسن له الكلام فهذا الذى يليق بسكان الرباط وما يعتمده الفقراء من تغميز القادم لخلق حسن ومعاملة صالحة وردت به السنة روى عمر رضي الله عنـه قال دخلت على رسول الله ﷺ وغـلام له حبشي يغمز ظهره فقلت يارسول الله ماشأنك فقال ان الناقة اقتحمت بي فقد يحسن الرضا بذلك ممن يغمز فى وقت تعبه وقدومه من السفر فأما من يتخذ ذلك عادة ويحب التغميز ويستجلب به النوم ويساكنه حتى لا يفوته فلا يليق بحال الفقراء وان كان في الشرع جائزا وكان بعض الفقراء إذا استرسل فى الغمز واستلذه واستدعاه يحتلم فيرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله فى التغميز ولارباب العزائم أمور لا يسعهم فيها الركون إلى الرخص * ومن آداب الفقير إذا استقر وقعد بعـد قدومه ان لا يبتدىء بالـكلام دون ان يسئل ويستحب ان يمكث ثلاثة أيام لا يقصـد زيارة ومشهدا أوغير ذلك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب عنه وعثاء السفر ويعود باطنه إلى هيئته فقد يكون بالسفر وعوارضه تغير باطنه وتـكدر حتى تجتمع فى الثلاثة الأيام همته وينصلح باطنه ويستعد للقاء المشايخ والزيارات بتنوير الباطن فان باطنه إذا كان منورا يستوفى حظه من الخير من كل شيخ وأخ يزوره (وقد) كنت

اسمع شيخنا يوصى الأصحاب ويقول لاتكلموا أهل هـذا الطريق إلا فى اصفى أوقاتكم وهذا فيه فائدة كبيرة فان نور الـكلام على قدر نور القلب و نور السمع على قدر نور القلب فاذا دخـل على شيخ أوأخ وزاره ينبغى أن يستأذنه إذا أراد الانصراف فقد روى عبدالله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقومن حتى يستأذنه وان نوى أن يقيم أياما وفى وقته سعة ولنفسه إلى البطالة وترك العمل تشوف بطلب خدمة يقوم بها وان كان دائم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط الا باذن المتقدم فيه ولا يفعل شيأ دون ان يأخذ رأيه فيه فهذه جمل اعمال يعتمدها الصوفية وأرباب الربط والله تعالي بفضله يزيدهم توفيقاً وتأديبا

﴿ الباب التاسع عشر فى حال الصوفى المتسبب ﴾

اختلف أحوال الصوفية في الوقوف مع الأسباب والاعراض عن الأسباب فمنهم من كان على الفتوح لا يركن إلى معلوم ولا يتسبب بكسب ولا سؤال ومنهم من كان يكتسب ومنهم من كان يسأل فى وقت فاقته ولهم فى كل ذلك أدب وحد يراعونه ولا يتعدونه وإذا كان الفقير يسوس نفسه بالعلم يأتيه الفهم من الله تعالى فى الذى يدخل فيه من سبب أو ترك سبب فلا ينبغى للفقير أن يسأل مهما أمكن فقد حث النبي عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فأما الترغيب فما روى ثوبان قال قال رسول الله ﷺ من يضمن لي واحدة أتكفل له الجنة قال ثوبان قلت أنا قال لا تسأل الناس شيئاً فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا يناوله وينزل هو ويأخذها (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ أحدكم حبلا فيحتطب على ظهره فيأكل ويتصدق خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه فان اليد العليا خير من السفلى (أخبرنا) الشيخ الصالح أبو زرعة طاهر بن أبى الفضل الحافظ المقدسى قال أخبرني والدى قال أنا أبو محمد الصيرفى ببغداد قال أنا أبو القاسم عبدالله بن محمد قال حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز قال حدثنا على بن الجعد قال حدثنا شعبة عن أبى حمزة قال سمعت هلال بن حصين قال أتيت المدينة فنزلت دار أبى سعيد فضمنى وإياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فأصبح وقد عصب

على بطنه حجرا من الجوع فقالت لى امرأتى ائت رسول الله ﷺ فقد أتاه فلان فأعطاه وأتاه فلان فأعطاه قال فأتيته وقلت التمس شيئا فذهبت أطلب فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب ويقول من يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يسألنا شيئا فوجدناه أعطيناه وواسيناه ومن استعف عنه واستغنى فهو أحب إلينا ممن سألنا قال فرجعت وماسألته فرزقنى الله تعالى حتى ماأعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منا وأما من حيث الترهيب والتحذير فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال لا تزال المسئلة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ليس المسكين الذى ترده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يسأل الناس ولا يفطن بمكانه فيعطى هذا هو حال الفقير الصادق والمتصوف المحقق لا يسأل الناس شيئا ومنهم من يلزم الأدب حتى يؤديه إلى حال يستحيي من الله تعالى أن يسأله شيئا من أمر الدنيا حتى إذا همت النفس بالسؤال ترده الهيبة ويري الاقدام على السؤال جراءة فيعطيه الله تعالى عند ذلك من غير سؤال كما نقل عن ابراهيم الخليل عليه السلام أنه جاءه جبريل وهو فى الهواء قبل أن يصل إلي النار فقال هل لك من حاجة فقال أما إليك فلا فقال له فسل ربك فقال حسبي من سؤالى علمه بحالى وقد يضعف عن مثل هذا فيسأل الله عبودية ولا يرى سؤال المخلوقين فيسوق الله تعالى إليه من القسم من غير سؤال مخلوق * بلغنا عن بعض الصالحين أنه كان يقول إذا وجد الفقير نفسه مطالبة بشيء لا تخلو تلك المطالبة إما أن تكون لرزق يريد الله أن يسوقه إليه فتتنبه النفس له فقد تتطلع نفوس بعض الفقراء إلي ماسوف يحدث وكأنها تخبر بما يكون وإما أن يكون ذلك عقوبة لذنب وجدمنه فاذا وجد الفقير ذلك وألحت النفس بالمطالبة فليقم وليسبغ الوضوء ويصلى ركعتين ويقول يارب إن كانت هذه المطالبة عقوبة ذنب فأستغفرك وأتوب إليك وإن كانت لرزق قدرته لى فعجل وصوله إلى فان الله تعالى يسوقه إليه إن كان رزقه وإلا فتذهب المطالبة عن باطنه فشأن الفقير أن ينزل حوائجه بالحق فاما أن يرزقه الشيء أو الصبر أو يذهب ذلك عن قلبه ولله سبحانه وتعالى أبواب من طريق الحكمة وأبواب من طريق القدرة فان فتح بابا من طريق الحكمة والا فيفتح بابا من طريق القدرة ويأتيه

الشيء بخرق العادة كما كان يأتي مريم عليها السلام كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله * حكى عن بعض الفقراء قال جعت ذات يوم وكان حالى أن لا أسأل فدخلت بعض المحال ببغداد مجتازا متعرضاً لعل الله تعالى يفتح لى على يد بعض عباده شيئا فلم يقدر فنمت جائعاً فأتى آت فى منامى فقال لى اذهب إلى موضع كذا وعين الموضع فثم خرقة زرقاء فيها قطيعات أخرجها فى مصالحك فمن تجرد عن المخلوقين وتفرد بالله فقد تفرد بغنى قادر لا يعجزه شيء يفتح عليه من أبواب الحكمة والقدرة كيف شاء وأولى من سأل نفسه يسألها الصبر الجميل فان الصادق تجيبه نفسه * وحكى شيخنا رحمه الله تعالى أن ولده جاء إليه ذات يوم وقال له أريد حبة قال فقلت له ماتفعل بالحبة فذكر شهوة يشتريها بالحبة ثم قال عن إذنك أذهب وأستقرض الحبة قال قلت نعم استقرضها من نفسك فهى أولى من أقرض وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال

إن شئت أن تستقرض المال منفقا على شهوات النفس فى زمن العسر
فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها عليك وارفاقا إلى زمن اليسر
فان فعلت كنت الغنى وإن أبت فكل منوع بعدها واسع العذر

فاذا استنفد الفقير الجهد من نفسه وأشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسأل مولاه ولم يقدر له بشيء ووقته يضيق عن الكسب من شغله بحاله فعند ذلك يقرع باب السبب ويسأل فقد كان الصالحون يفعلون ذلك عند فاقتهم (نقل) عن أبي سعيد الخراز أنه كان يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شيء لله ونقل عن أبي جعفر الحداد وكان أستاذا للجنيد أنه كان يخرج بين العشاءين ويسأل من باب أو بابين ويكون ذلك معلومه على قدر الحاجة بعد يوم أو يومين ونقل عن ابراهيم بن أدهم أنه كان معتكفاً بجامع البصرة مدة وكان يفطر فى كل ثلاث ليال ليلة وليلة افطاره يطلب من الأبواب ونقل عن سفيان الثورى أنه كان يسافر من الحجاز إلى صنعاء اليمن ويسأل في الطريق وقال كنت أذكر لهم حديثا في الضيافة فيقدم لى الطعام فأتناول حاجتى وأترك ما يبقى (وقد ورد) من جاع ولم يسأل فمات دخل النار ومن عنده علم وله مع الله حال لا يبالى بمثل هذا بل يسأل بالعلم ويمسك عن السؤال بالعلم * وحكي بعض مشايخنا عن

شخص كان مصرا على المعاصي ثم انتبه وتاب وحسنت توبته وصار له حال مع الله تعالى قال عزمت أن أحج مع القافلة ونويت أن لا أسأل أحدا شيئا وأكتفي بعلم الله تعالى قال فبقيت أياما في الطريق ففتح الله علي بالماء والزاد في وقت الحاجة ثم وقف الأمر ولم يفتح الله علي بشيء فجعت وعطشت حتى لم يبق لي طاقة فضعفت عن المشي وبقيت أتأخر عن القافلة قليلا قليلا حتى مرت القافلة فقلت في نفسي هذا الآن مني إلقاء النفس إلى التهلكة وقد منع الله من ذلك وهذه مسألة الاضطرار أسأل فلما هممت بالسؤال انبعث من باطني انكار لهذه الحال وقلت عزيمة عقدتها مع الله لا أنقضها وهان على الموت دون نقض عزيمتي فقصدت شجرة وقعدت في ظلها وطرحت رأسي استطراحا للموت وذهبت القافلة فبينا أنا كذلك إذ جاءني شاب متقلد بسيف وحركني فقمت وفي يده أداوة فيها ماء فقال لي اشرب فشربت ثم قدم لي طعاما وقال كل فأكلت ثم قال لي أتريد القافلة فقلت من لي بالقافلة وقد عبرت فقال لي قم وأخذ بيدي ومشى معي خطوات ثم قال لي اجلس فالقافلة إليك تجيء فجلست ساعة فاذا أنا بالقافلة ورائي متوجهة إلى هذا شأن من يعامل مولاه بالصدق (وذكر) الشيخ أبوطالب المكي رحمه الله ان بعض الصوفية أول قول رسول الله ﷺ أحل ما أكل المؤمن من كسب يده بأنه المسئلة عند الفاقة وأنكر الشيخ أبوطالب هذا التأويل من هذا الصوفي وذكر أن جعفرا الخلدي كان يحكى هذا التأويل عن شيخ من شيوخ الصوفية ووقع لي والله أعلم ان الشيخ الصوفى لم يرد بكسب اليد ما أنكر الشيخ أبوطالب منه وانما أراد بكسب اليد رفعها إلى الله تعالى عند الحاجة فهو من أحل ما يأكله إذا أجاب الله سؤاله وساق إليه رزقه وقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال وقال محمد الباقر رحمه الله قالها وانه محتاج إلى شق تمرة وروى عن مطرف أنه قال أما والله لو كان عند نبي الله شيء ما اتبع المرأة ولكن حمله على ذلك الجهد وذكر الشيخ أبوعبدالرحمن السلمي عن النصراباذي أنه قال في قوله (انى لما أنزلت إلي من خير فقير) لم

يسأل الكليم الخلق وانما كان سؤاله من الحق ولم يسأل غذاء النفس انما أراد سكون القلب وقال أبو سعيد الخراز الخلق مترددون بين مالهم وبين ماإليهم من نظر إلى ماله تكلم بلسان الفقر ومن شاهد ما إليه تكلم بلسان الخيلاء والفخر ألا ترى حال الكليم عليه السلام لما شاهد خواص ما خاطبه به الحق كيف قال أرني أنظر إليك ولما نظر إلى نفسه كيف أظهر الفقر وقال إني لما أنزلت إلى من خير فقير * وقال ابن عطاء نظر من العبودية إلى الربوبية فخشع وخضع وتكلم بلسان الافتقار بما ورد على سره من الأنوار افتقار العبد إلى مولاه فى جميع أحواله لا لافتقار سؤال وطلب وقال الحسين فقير لما خصصتنى من علم اليقين أن ترقينى إلى عين اليقين وحقه ووقع والله أعلم فى قوله لما أنزلت إلي من خير فقير ان الانزال مشعر ببعد رتبته عن حقيقة القرب فيكون الانزال عين الفقر فما قنع بالمنزل وأراد قرب المنزل ومن صح فقره ففقره فى أمر آخرته كفقره فى أمر دنياه ورجوعه اليه فى الدارين وإياه يسأل حوائج المنزلين وتتساوى عند الحاجتان فما له مع غير الله شغل فى الدارين

﴿ الباب العشرون فى ذكر من يأكل من الفتوح ﴾

إذا كمل شغل الصوفى بالله وكمل زهده لكمال تقواه يحكم الوقت عليه بترك التسبب وينكشف له صريح التوحيد وصحة الكفالة من الله الكريم فيزول عن باطنه الاهتمام بالأقسام ويكون مقدمة هذا أن يفتح الله له بابا من التعريف بطريق المقابلة على كل فعل يصدر منه حتى لو جرى عليه يسير من ذنب بحسب حاله أو الذنب مطلقا مما هو منهى عنه فى الشرع يجد غب ذلك فى وقته أو يومه كان يقول بعضهم انى لأعرف ذنبي فى سوء خلق غلامى وقيل ان بعض الصوفية قرض الفأر خفه فلما رآه تألم وقال

لوكنت من مازن لم تستبح ابلى بنو اللقيطة من ذهل ابن شيبانا

اشارة منه الى أن الداخل عليه مقابلة له على شىء استوجب به ذلك فلا تزال به المقابلات متضمنة للتعريفات الالهية حتى يتحصن بصدق المحاسبة وصفاء المراقبة عن تضييع حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ويتجرد له حكم فعل الله

وتنمحي عنده أفعال غير الله فيرى المعطى والمانع هو الله سبحانه ذوقاً وحالا لا علماً وإيمانا ثم يتداركه الحق تعالى بالمعونة ويوفقه على صريح التوحيد وتجريد فعل الله تعالى كما حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق فخرج إلي بعض الصحارى فرأى قنبرة عمياء عرجاء ضعيفة فوقف متعجباً منها متفكرا فيما تأكل مع عجزها عن الطيران والمشى والرؤية فبينما هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت سكرجتان فى احداهما سمسم نقى وفى الأخرى ماء صاف فأكلت من السمسم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغابت السكرجتان قال فلما رأيت ذلك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق فاذا أوقف الحق عبده فى هذا المقام يزيل عن باطنه الاهتمام بالأقسام ويرى الدخول فى التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة العوام ويصير مسلوب الاختيار غير متطلع الى الاغيار ناظرا الي فعل الله تعالى منتظرا لأمر الله فتساق اليه الأقسام وينفتح عليه باب الانعام ويكون بدوام ملاحظته لفعل الله وترصده ما يحدث من أمر الله تعالي مكاشفا له تجليات من الله تعالى بطريق الأفعال والتجلى بطريق الأفعال رتبة من القرب ومنه يترقى إلى التجلى بطريق الصفات ومن ذلك يترقى إلي تجلى الذات والاشارة فى هذه التجليات الى رتب فى اليقين ومقامات فى التوحيد شى فوق شىء وشى أصفى من شىء فالتجلى بطريق الأفعال يحدث صفو الرضا والتسليم والتجلى بطريق الصفات يكسب الهيبة والأنس والتجلى بالذات يكسب الفناء والبقاء وقد يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء يعنون به فناء الارادة والهوى والارادة ألطف أقسام الهوي وهذا الفناء هو الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود ديكون فى
سام اليقين في الدنيا فأما تجلى حكم الذات فلا يكون إلا فى
حظى به رسول الله ﷺ ليلة المعراج ومنع عنه موسى
فى التجلى اشارة الى رتب الحظ من اليقين ورؤية البصيرة
. أقسام التجلى وهو مطالعة الفعل الالهى مجردا عن فعل
م من الفتوح * روى عن رسول الله ﷺ أنه قال من
ى من غير مسألة ولا اشراف فليأخذه وليوسع به في رزقه

فان كان عنده غنى فليدفعه الي من هو أحوج منه وفي هذا دلالة ظاهرة على ان العبد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه الى غيره وكيف لا يأخذ وهو يرى فعل الله تعالي ثم اذا أخذ فنهم من يخرجه الي المحتاج ومنهم من يقف في الاخراج أيضا حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق وإخراجه بالحق (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة طاهر قال أنبأنا والدي الحافظ أبو الفضل المقدسي قال أنا أبو اسحق ابراهيم بن سعيد الحبال قال أنا محمد بن عبد الرحمن بن سعيد قال أنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن عمرو قال أنا يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا عمرو بن الحرث عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن حويطب بن عبد العزى عن عبيد الله السعدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول له أعطه يارسول الله من هو أفقر مني فقال رسول الله ﷺ خذه فتمول له أو تصدق به وماجاءك من هذا المال وأنت غير متشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه درج رسول الله ﷺ الأصحاب بأوامره إلى رؤية فعل الله تعالى والخروج من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى (سئل) سهل ابن عبد الله التستري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض (وروى) زيد بن خالد قال قال رسول الله ﷺ من جاءه معروف من أخيه من غير مسئلة ولا اشراف نفس فليقبله فانما هو شيء من رزق الله تعالى ساقه الله اليه وهذا العبد الواقف مع الله تعالى في قبول ماساق الحق آمن مايخشى عليه انما يخشى على من يرد لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بعين الزهد ففي أخذه اسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي اخراجه الى الغير اثبات حقيقة فلا يزال في كلا الحالين زاهدا يراه الغير بعين الرغبة لقلة العلم بحاله وفي هذا المقام يتحقق الزهد في الزهد ومن أهل الفتوح من يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه فنهم من لا يتناول من الفتوح إلا اذا تقدمه علم بتعريف من الله إياه ومنهم من يأخذ غير متطلع الى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينتظر تقدمة العلم فوق من ينتظر تقدمة العلم لتمام صحبته مع الله وانسلاخه من ارادته وعلم حاله في ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا بتقدمة العلم ولا رؤية تجرد

الفعل من الله ولـكن يرزق شربا من المحبة بطريق رؤية النعمة وقد يتكدر شرب هذا بتغير معهود النعمة وهذا حال ضعيف بالاضافة الى الحالين الأولين لأنه علة في المحبة وولبجة فى الصدق عند الصديقين وقد ينتظر صاحب الفتوح العلم فى الاخراج أيضا كما ينتظر فى الأخذ لأن النفس تظهر فى الاخراج كما تظهر فى الأخذ وأتم من هذا من يكون فى اخراجه مختارا وفى أخذه مختارا بعد تحققه بصحة التصرف فان انتظار العلم انما كان لموضع اتهام النفس وهو ببقية هوى موجود فاذا زال الاتهام بوجود صريح العلم يأخذ غير محتاج الي علم متجدد ويخرج كذلك وهذه حال من تحقق بقول رسول الله ﷺ حاكيا عن ربه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق الحديث فلما صح تعرفه صح تصرفه وهذا أعز فى الأحوال من الكبريت الأحمر (وكان) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله يحكى عن الشيخ حماد الدباس أنه كان يقول أنا لا آكل إلا من طعام الفضل فكان يرى الشخص فى المنام أن يحمل اليه شيئا وقد كان يعين للرائى في المنـام أن احمل الي حماد كذا وكذا وقيل أنه بقى زمانا يرى هو فى واقعته أو منامه انك أحلت على فلان بكذا وكذا وحكى عنه أنه كان يقول كل جسم تربي بطعام الفضل لايتسلط عليـه البلاء ويعنى بطعام الفضل ماشهد له صحة الحال من فتوح الحق ومن كانت هذه حالته فهو غنى بالله (قال) الواسطى الافتقار الي الله أعلى درجة المريدين والاستغناء بالله أعلى درجة الصديقين (وقال) أبو سعيد الخراز العارف تدبيره فني فى تدبير الحق فالواقف مع الفتوح واقف مع الله ناظر إلى الله وأحسن ماحكي في هذا ان بعضهم رأى النورى يمد يده ويسأل الناس قال فاستعظمت ذلك منه واستقبحته له فأتيت الجنيد أخبرته فقال لى لايعظم هذا عليك فان النورى لم يسأل الناس إلا ليعطيهم سؤلهم فى الآخرة فيؤجرون من حيث لايضره وقول الجنيد ليعطيهم كقول بعضهم اليد العليا يد الآخذ لأنه يعطى الثواب قال ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال احملها إليه فقلت فى نفسى انما يزن ليعرف مقدارها فكيف خلط المجهول بالموزون وهو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت بالبصرة إلى النورى فقال هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له أنا لا أقبل

منك شيئا وأخذ مازاد على المائة قال فزاد تعجبي فسألته عن ذلك فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب وطرح عليها قبضة بلا وزن لله فأخذت ما كان لله ورددت ماجعله لنفسه قال فرددتها على الجنيد فبكى وقال أخذ ماله ورد ما لنا (ومن لطائف) ماسمعت من أصحاب شيخنا أنه قال ذات يوم لأصحابه نحن محتاجون الى شيء من المعلوم فارجعوا الى خلواتكم واسألوا الله تعالى وما يفتح الله تعالى لكم ائتونى به ففعلوا ثم جاءه من بينهم شخص يعرف باسمعيل البطائحي ومعه كاغد عليه ثلاثون دائرة وقال هذا الذى فتح الله لى فى واقعتي فأخذ الشيخ الكاغد فلم يكن إلا ساعة فاذا بشخص دخل ومعه ذهب فقدمه بين يدى الشيخ ففتح القرطاس وإذا هو ثلاثون صحيحا فترك كل صحيح على دائرة وقال هذا فتوح الشيخ اسمعيل أوكلاما هذا معناه (وسمعت) أن الشيخ عبد القادر رحمه الله بعث إلى شخص وقال لفلان عندك طعام وذهب ائتنى من ذلك بكذا ذهبا وكذا طعاما فقال الرجل كيف أتصرف فى وديعة عندى ولو استفتيتك ما افتيتنى فى التصرف فألزمه الشيخ بذلك فأحسن الظن بالشيخ وجاء اليه بالذى طلب فلما وقع التصرف منه جاءه مكتوب من صاحب الوديعة وهو غائب فى بعض نواحي العراق أن احمل الى الشيخ عبدالقادر كذا وكذا وهو القدر الذى عينه الشيخ عبدالقادر فعاتبه الشيخ بعد ذلك على توقفه وقال ظننت بالفقراء أن اشاراتهم تكون على غير صحة وعلم فالعبد إذا صح مع الله تعالى يرفع الله عن باطنه هموم الدنيا ويجعل الغنى في قلبه ويفتح عليه أبواب الرفق وكل الهموم المتسلطة على بعض الفقراء لكون قلوبهم ما استكملت الشغل بالله والاهتمام برعاية حقائق العبودية فعلى قدر ماخلت من الهم بالله ابتليت بهم الدنيا ولو امتلأت من هم الله ماعذبت بهموم الدنيا وقنعت وارتقت (روى) أن عوف بن عبدالله المسعودى كان له ثلثمائة وستون صديقا وكان يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له ثلاثون صديقا يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له سبعة اخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد فكان اخوانهم معلومهم والمعلوم اذا أقامه الحق للناظر

الى الله الكامل توحيده يكون نعمة هنيئة (جاء رجل) إلى الشيخ أبي السعود رحمه الله وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين فى الأشياء مع فعل الله تعالى متمكنا من حاله تاركا لاختياره ولعله سبق كثيرا من المتقدمين فى تحقيق ترك الاختيار رأينا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيئا كل يوم من الخبز أحمله اليك ولكنى قلت الصوفية يقولون المعلوم شؤم قال الشيخ نحن ما نقول المعلوم شؤم فان الحق يصفى لنا وفعله نرى فكل مايقسم لنا نراه مباركا ولا نراه شؤما (أخبرنا) أبو زرعة اجازة قال أنا أبو بكر بن أحمد بن خلف الشيرازى اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبابكر بن شاذان قال سمعت أبابكر الكتاني قال كنت أنا وعمرو المكى وعياش بن المهدي نصطحب ثلاثين سنة نصلى الغداة على طهر العصر وكنا قعودا بمكة على التجريد مالنا على الأرض مايساوى فلساً وربما كان يصحبنا الجوع يوما ويومين وثلاثة وأربعة وخمسة ولا نسأل أحدا فان ظهر لنا شيء وعرفنا وجهه من غير سؤال ولا تعريض قبلناه وأكلناه وإلا طوينا فاذا اشتد بنا الأمر وخفنا على أنفسنا النقصان فى الفرائض قصدنا أباسعيد الخراز فيتخذلنا ألوانا من الطعام ولا نقصد غيره ولا ننبسط إلا اليه لما نعرف من تقواه وروعه (وقيل) لأبي يزيد مانراك تشتغل بكسب فمن أين معاشك فقال مولاى يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق أبايزيد (قال السلمى) سمعت أباعبدالله الرازى يقول سمعت مظفرا القرميسنى يقول الفقير الذى لايكون له عند الله حاجة * وقيل لبعضهم ما الفقر قال وقوف الحاجة على القلب ومحوها من كل أحد سوى الرب (وقال) بعضهم أخذ الفقير الصدقة ممن يعطيه لا ممن تصل اليه على يده ومن قبل من الوسائط فهو المترسم بالفقر مع دناءة همته (أنبأنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى قال أنا عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى قال أنا أبو عبدالرحمن السلمى قال سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت أن أباسليمان الداراني كان يقول آخر أقدام الزاهدين أول أقدام المتوكلين (روى) أن بعض العارفين زهد فبلغ من زهده أن فارق الناس وخرج من الأمصار وقال لا أسأل أحدا

شيئاً حتي يأتيني رزقي فأخذ يسيح فأقام في سفح جبل سبعاً لم يأته شيء حتى كاد أن يتلف فقال يارب ان أحببتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك فألهمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لا أرزقك حتي تدخل الأمصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة وأقام بين ظهراني الناس فجاء هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه من ذلك فسمع هاتفا أردت أن تبطل حكمته بزهدك في الدنيا أما علمت أن يرزق العباد بأيدي العباد أحب اليه من أن يرزقهم بأيدي القدرة فالواقف مع الفتوح استوى عنده أيدي الآدميين وأيدي الملائكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب القفار والتوصل إلى قطع الأسباب من الارتهان برؤية الأسباب وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الانسان (أخبرنا) شيخنا قال أنا أبو حفص عمر قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا محمد بن أحمد بن حمدان العكبري قال سمعت أحمد بن محمود بن اليسري يقول سمعت محمدا الاسكاف يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى المخلوقين (قال) بعض المتقطعين كنت ذا صنعة جليلة فأريد مني تركها فخالك في صدري من أين المعاش فهتف بي هاتف لا أراه تنقطع إلي وتتهمني في رزقك علي أن أخدمك وليا من أوليائي أو أسخر لك منافقا من أعدائي فلما صح حال الصوفي وانقطعت اطماعه وسكنت عن كل تشوف وتطلع خدمته الدنيا وصلحت له الدنيا خادمة وما رضيها مخدومة فصاحب الفتوح يرى حركة النفس بالتشوف جناية وذنباً (روى) أن أحمد بن حنبل خرج ذات يوم إلي شارع باب الشام فاشترى دقيقاً ولم يكن في ذلك الموضع من يحمله فوافى أيوب الحمال فحمله ودفع اليه أحمد أجرته فلما دخل الدار بعد إذنه له اتفق أن أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرآه أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلي أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما قال أحمد ضعهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما فالحقه بهما فلحقه فأخذهما فرجع صالح متعجباً فقال له أحمد عجبت من رده وأخذه قال نعم قال هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرفت نفسه اليه فلما أعطيناه مع الاستشراف رده ثم أيس فرددناه اليه بعد الاياس فقبل هذا حال أرباب الصدق إن سألوا سألوا بعلم وإن أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال

وإن قبلوا قبلوا بعلم فمن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم فأما السائل مستكثرا فوق الحاجة لا في وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء * سمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل فقال لمن عنده ألم أقل لك عش السائل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت أبطه مخلاة مملوءة خبزا فقال عمر ألك عيال فقال لا فقال عمر لست بسائل ولكنك تاجر ثم نثر مخلاته بين يدى أهل الصدقة وضربه بالدرة (وروى) عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال ان لله تعالى فى خلقه مثوبات فقر وعقوبات فقر فمن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط للقضاء فحال الصوفية حسن الأدب فى السؤال والفتوح والصدق مع الله على كل حال كيف تقلب

﴿ الباب الحادى والعشرون فى شرح حال المتجرد والمتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم ﴾

الصوفى يتزوج لله كما يتجرد لله فلتجرده مقصد وأوان ولتأهله مقصد وأوان. والصادق يعلم أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجموح للصوفى ملجم بلجام العلم مهما يصلح له التجرد لا يستعجله الطبع إلى التزوج ولا يقدم على التزوج إلا إذا انصلحت النفس واستحقت ادخال الرفق عليها وذلك إذا صارت منقادة مطواعة مجيبة إلى ما يراد منها بمثابة الطفل الذي يتعاهد بما يروق له ويمنع مما يضره فاذا صارت النفس محكومة مطواعة فقد فاءت إلى أمر الله وتنصلت عن مشاحة القلب فيصلح بينهما بالعدل وينظر فى أمرها بالقسط ومن صبر من الصوفية على العذوبة هذا الصبر إلى حين بلوغ الكتاب أجله ينتخب له الزوجة انتخابا ويهيء الله له أعوانا وأسبابا وينعم برفيق يدخل عليه ورزق يساق إليه ومتى استعجل المريد واستفزه الطبع وخامره الجهل بثوران دخان الشهوة المطفئة لشعاع العلم وانحط من أوج العزيمة الذى هو قضية حاله وموجب ارادته وشريطة صدق طلبه إلى حضيض الرخصة التي هى رحمة من الله تعالى لعامة خلقه يحكم عليه بالنقصان ويشهد له بالخسران ومثل هذا الاستعجال هو حضيض الرجال قال سهل بن عبدالله التسترى إذا كان للمريد مال

يتوقع به زيادة فدخل عليه الابتلاء فرجوعه فى الابتلاء إلى حال دون ذلك نقصان وحدث وسمعت بعض الفقراء وقد قيل له لم لا تتزوج فقال المرأة لا تصلح إلا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال فكيف أتزوج فالصادقون لهم أوان بلوغ عنده يتزوجون وقد تعارضت الأخبار وتماثلت الآثار فى فضيلة التجريد والتزويج وتنوع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك لتنوع الأحوال فمنهم من فضيلته فى التجريد ومنهم من فضيلته فى التأهل وكل هذا التعارض فى حق من نار توقانه برد وسلام لكمال تقواه وقهره هواه وإلا ففى غير هذا الرجل الذى يخاف عليه الفتنة يجب النكاح فى حال التوقان المفرط ويكون الخلاف بين الأئمة فى غير التائق فالصوفى إذا صار متأهلا يتعين على الاخوان معاونته بالايثار ومسامحته فى الاستكثار إذا رؤي ضعيف الحال قاصرا عن رتبة الرجال كما وصفنا من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله (أخبرنا) أبو زرعة عن والده أبي الفضل المقدسي الحافظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أنا أبو الحسين محمد بن عبد الله بن أخى ميمى قال أنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا محمد بن هرون قال أنا أبو المغيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنه عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله ﷺ إذا جاءه فيء قسمه فى يومه فأعطى المتأهل حظين والعزب حظا واحدا فدعينا وكنت أدعى قبل عمار بن ياسر فأعطاني حظين وأعطاه حظا واحدا فسخط حتى عرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهه ومن حضره فبقيت معه سلسلة من ذهب فجعل رسول الله ﷺ يرفعها بطرف عصاه وتسقط وهو يقول كيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا فلم يجبه أحد فقال عمار وددنا يارسول الله لو قد أكثر لنا من هذا فالتجرد عن الأزواج والأولاد أعون على الوقت للفقير وأجمع لهمه وألذ لعيشه ويصلح للفقير فى ابتداء أمره قطع العلائق ومحو العوائق والتنقل فى الأسفار وركوب الأخطار والتجرد عن الأسباب والخروج عن كل ما يكون حجابا والتزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ورجوع من التروح إلى النغص وتقيد بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاعوجاج والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة (قال) أبو سليمان الداراني ثلاث من طلبهن فقد ركن إلي الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب

الحديث (وقال) مارأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته (أخبرنا) الشيخ طاهر قال أنا والدى أبو الفضل قال أنا محمد بن اسمعيل المقرى قال أنا احمد بن الحسن قال أنا حاجب الطوسى قال حدثنا عبد الرحيم قال حدثنا الفزارى عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء * وروى رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر وان أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورون بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن وأتعبن الغنى وكلفن الفقير مالا يجد * وقال بعض الحكماء معالجة العزوبة خير من معالجة النساء * وسئل سهل بن عبد الله عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار * وقيل فى تفسير قوله تعالى (خلق الانسان ضعيفا) لأنه لا يصبر على النساء وقيل فى قوله تعالى (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) الغلمة فان قدر الفقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر بحسن المعاملة فى معالجة النفس وصبر عنهن فقد حاز الفضل واستعمل العقل واهتدى إلي الأمر السهل قال رسول الله ﷺ خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يارسول الله وما خفيف الحاذ قال الذى لا أهل له ولا ولد وقال بعض الفقراء لما قيل له تزوج أنا إلى أن أطلق نفسى أحوج منى إلى التزوج وقيل لبشر بن الحرث ان الناس يتكلمون فيك فقال مايقولون قيل يقولون انه تارك للسنة يعنى النكاح فقال قولوا لهم انا مشغول بالفرض عن السنة (وكان يقول) لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلادا على الجسر والصوفى مبتلى بالنفس ومطالبتها وهو فى شغل شاغل عن نفسه فاذا انضاف إلى مطالبات نفسه مطالبات زوجته يضعف طلبه وتكل ارادته وتفتر عزيمته والنفس إذا أطمعت طمعت وإذا أقنعت قنعت فيتعين الشاب الطالب على حسم مواد خاطر النكاح بادامة الصوم فان للصوم آثرا ظاهرا فى قمع النفس وقهرها وقد ورد أن رسول الله ﷺ مر بجماعة من الشبان وهم يرفعون الحجارة فقال يامعشر الشبان من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فان الصوم له وجاء أصل الوجاء رض الخصيتين كانت العرب تجأ الفحل من الغنم لتذهب فحولته ويسمن ومنه الحديث ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين

موجوأين وقد قيل هي النفس إن لم تشغلها شغلتك فاذا أدام الشاب المريد العمل وأذاب نفسه في العبادة نقل عليه خواطر النفس وأيضا شغله بالعبادة يثمر له حلاوة المعاملة ومحبة الاكثار منه ويفتح عليه باب السهولة والعيش في العمل فيغار على حاله ووقته أن يتكدر بهم الزوجة ومن حسن أدب المريد في عزوبته أن لا يمكن خواطر النساء من باطنه وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر إلى الله تعالى بحسن الانابة فيتداركه الله تعالي حينئذ بقوة العزيمة ويؤيده بمراغمة النفس بل ينعكس على نفسه نور قلبه ثوابا لحسن انابته فتسكن النفس عن المطالبة ثم يعرض على نفسه مايدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل المذمومة المؤدية إلى الذل والهوان وأخذ الشيء من غير وجهـه وما يتوقع من القواطع بسبب التفات الخواطر إلى ضبط المرأة وحراستها والكلف التي لاتنحصر * وقد سئل عبدالله بن عمر عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال وقد قيل كثرة العيال أحد الفقرين وقلة العيال أحد اليسارين وكان ابراهيم بن أدهم يقول من تعود أفخاذ النساء لايفلح ولاشك ان المرأة تدعو إلي الرفاهية والدعة وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر ومحبة الادخار وكل هذا بعيد عن المتجرد وقد ورد إذا كان بعد المائتين أبيحت العزوبة لأمتي فان توالت على الفقير خواطر النكاح وزاحمت باطنه سيما في الصلاة والأذكار والتلاوة فليستعن بالله أولا ثم بالمشايخ والاخوان ويشرح الحال لهم ويسألهم مسألة الله له في حسن الاختيار ويطوف على الأحياء والأموات والمساجد والمشاهد ويستعظم الأمر ولايدخل فيه بقلة الاكتراث فانه باب فتنة كبيرة وخطر عظيم وقد قال الله تعالى (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) ويكثر الضراعة إلى الله تعالى ويكثر البكاء بين يديه في الخلوات ويكرر الاستخارة وإن رزق القوة والصبر حتى يستبين له من فضل الله الخيرة في ذلك فهو الكمال والتمام فقد يكشف الله تعالى للصادق ذلك منعا أو اطلاقا في منامه أو يقظته أو على لسان من يثق إلى دينه وحاله أنه إذا أشار لايشير إلا على بصيرة وإذا حكم لايحكم إلا بحق فعند ذلك يكون تزوجه مدبرا معانافيه (وسمعنا) أن الشيخ عبدالقادر الجيلي قال له بعض الصالحين لم تزوجت فقال ماتزوجت حتى قال لي رسول الله ﷺ تزوج فقال له ذلك

الرجل الرسول ﷺ يأمر بالرخص وطريق القوم التزم بالعزيمة فلا أعلم ما قال الشيخ فى جوابه ولكنى أقول رسول الله ﷺ يأمره بالرخصة وأمره على لسان الشرع فأما من التجأ إلى الله تعالى وافتقر اليه واستخاره فيكاشفه الله بتنبيهه إياه فى منامه وأمره هذا لايكون أمر رخصة بل هو أمر يتبعه أرباب العزيمة لأنه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة ماوقع لي مانقل عنه أنه قال كنت أريد الزوجة مدة من الزمان ولا اجترىء على التزوج خوفا من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله لى أربع زوجات مافيهن إلا من تنفق على إرادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجميل الكامل فاذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والمخرج ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب فاذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء والاكثار من الضراعة والدعاء وورد عليه وارد من الله تعالى باذن فيه فهو الغاية والنهاية وإن عجز عن الصبر إلى ورود الاذن واستنفد جهده فى الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حظه من الله تعالى ويعان عليه لحسن نيته وصدق مقصده وحسن رجائه واعتماده على ربه وقد نقل عن عبدالله بن عباس أنه قال لايتم نسك الشاب حتى يتزوج ونقل عن شيخ من مشايخ خراسان أنه كان يكثر التزوج حتى لم يكن يخلو عن زوجتين أو ثلاث فعوتب في ذلك فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدى الله تعالى جلسة أو وقف وقفة فى معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يصيبنا ذلك فقال لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد ماتزوجت قط ولكنى ماخطر على قلبي خاطر شهوة قط شغلنى عن حالى الا نفذته لأستريح منه وأرجع إلى شغلى ثم قال منذ أربعين سنة ماخطر على قلبي خاطر معصية فالصادقون مادخلوا فى النكاح إلا على بصيرة وقصدوا حسم مواد النفس وقد يكون للأقوياء والعلماء الراسخين في العلم أحوال فى دخولهم فى النكاح تختص بهم وذلك أنهم بعد طول المجاهدات والمراقبات والرياضات تطمئن نفوسهم وتقبل قلوبهم وللقلوب إقبال وإدبار يقول بعضهم ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا أدبرت روحت بالارفاق وإذا أقبلت ردت إلى الميثاق فتبقى قلوبهم دائمة الاقبال إلا اليسير ولايدوم اقبالها إلا لطمأنينة النفوس وكفها عن المنازعة وترك التشبث فى القلوب فاذا اطمأنت النفوس واستقرت من طيشها

ونفورها وشراستها توفرت عليها حقوقها وربما يصير من حقوقها حظوظها لأن فى أداء الحق اقناعا وفى أخذ الحظ اتساعا وهذا من دقيق علم الصوفية فانهم يتسمون بالنكاح المباح إيصالا إلى النفس حظوظها لأنها مازالت تخالف هواها حتى صار داؤها وصارت الشهوات المباحة واللذات المشروعة لاتضرها ولاتفتر عليها عزائمها بل كلما وصلت النفوس الزكية إلى حظوظها ازداد القلب انشراحا وانفساحا ويصير بين القلب والنفس موافقة يعطف أحدهما على الآخر ويزداد كل واحد منهما بما يدخل على الآخر من الحظ كلما أخذ القلب حظه من الله خلع على النفس خلع الطمأنينة فيكون مزيد السكينة للقلب مزيد الطمأنينة للنفس وينشد

ان السماء إذا اكتست كست الثرى حللا يدبجها الغمام الراهم

وكلما أخذت النفس حظها تروح القلب تروح الجار المشفق براحة الجار (سمعت) بعض الفقراء يقول النفس تقول للقلب كن معي فى الطعام أكن معك فى الصلاة وهذا من الأحوال العزيزة لاتصلح إلا لعالم ربانى وكم من مدع يهلك بتوهمه هذا فى نفسه ومثل هذا العبد يزداد بالنكاح ولاينقص والعبد إذا كمل علمه يأخذ من الأشياء ولا تأخذ الأشياء منه وقد كان الجنيد يقول أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام (وسمع) بعض العلماء بعض الناس يطعن فى الصوفية فقال ياهذا ماالذى ينقصهم عندك فقال يأكلون كثيرا فقال وأنت أيضاً لو جعت كما يجوعون أكلت كما يأكلون ثم قال ويتزوجون كثيرا قال وأنت أيضاً لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال وأى شيء أيضاً قال يسمعون القول قال وأنت أيضاً لو نظرت كما ينظرون سمعت كما يسمعون (وكان سفيان بن عيينة) يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله ﷺ وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول خير هذه الأمة أكثرها نساء (وقد ذكر فى أخبار الأنبياء) ان عابدا تبتل للعبادة حتى فاق أهل زمانه فذكر لنبي ذلك الزمان فقال نعم الرجل لولا انه تارك لشيء من السنة فنمي ذلك إلى العابد فأهمه فقال ماتنفعني عبادتى وأنا تارك السنة فجاء إلى النبي عليه السلام فسأله فقال نعم انك تارك التزوج فقال ماتركته لأني أحرمه وما منعني منه إلا أني فقير لاشيء لى وأنا عيال على الناس

يطعمني هذا مرة وهذا مرة فأكره أن أتزوج بامرأة أعضلها أو أرهقها جهداً فقال له النبي عليه الصلاة والسلام وما يمنعك الا هذا قال نعم فقال أنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته وكان عبدالله بن مسعود يقول لولم يبق من عمري الا عشرة أيام أحببت أن أتزوج ولا ألقى الله عزباً وماذكر الله تعالى في القرآن من الأنبياء الا المتأهلين (وقيل) ان يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج لأجل السنة ولم يكن يقربها (وقيل) ان عيسى عليه السلام سينكح إذا نزل إلى الأرض ويولد له (وقيل) ان ركعة من متأهل خير من سبعين ركعة من عزب (أخبرنا) الشيخ الطاهر بن أبي الفضل قال أنا أبو منصور محمد بن الحسين بن احمد بن الهيثم المقومى القزوينى قال أنا أبو طلحة القاسم بن أبي البدر الخطيب قال حدثنا أبو الحسن على بن ابراهيم بن سلمة القطان قال حدثنا أبو عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه قال حدثنا احمد بن الأزهر قال حدثنا آدم قال حدثنا عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ النكاح سنتى فمن لم يعمل بسنتى فليس منى فتزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح ومن لم يجد فعليه بالصيام فان الصوم له وجاء ومما ينبغي للمتأهل أن يحذر من الافراط فى المخالطة والمعاشرة مع الزوجة إلى حد ينقطع عن أوراده وسياسة أوقاته فان الافراط فى ذلك يقوى النفس وجنودها ويفتر ناهض الهمة (وللمتأهل) بسبب الزوجة فتنتان فتنة لعموم حاله وفتنة لخصوص حاله ففتنة عموم حاله الافراط فى الاهتمام بأسباب المعيشة (كان الحسن) يقول والله ماأصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله على وجهه فى النار (وفى الخبر) يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه مالا يطيق فيدخل فى المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك (وروى) أن قوما دخلوا على يونس عليه السلام فأضافهم وكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فعجبوا من ذلك وهابوه أن يسألوه فقال لاتعجبوا من هذا فاني سألت الله فقلت يارب ما كنت معاقبي به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تزوج بها فتزوجت بها وأنا صابر على ماترون فاذا أفرط الفقير فى المداراة ربما تعدى حد الاعتدال فى وجوه المعيشة متطلباً رضا الزوجة فهذا فتنة عموم حاله وفتنة

خصوص حاله الافراط فى المجالسة والمخالطة فتنطلق النفس عن قيد الاعتدال وتسترق الغرض بطول الاسترسال فيستولى على القلب بسبب ذلك السهو والغفلة ويستجلب مقار المهلة فيقل الوارد لقلة الأوراد ويتكدر الحال لاهمال شروط الأعمال وألطف من هذين الفتنتين فتنة أخرى تختص بأهل القرب والحضور وذلك ان للنفوس امتزاجا ورابطة الامتزاج تعتضد وتشتد وتتطرى طبيعتها الجامدة وتلتهب نارها الخامدة فدواء هذه الفتنة أن يكون المتأهل عند المجالسة عينان باطنان ينظر بهما إلى مولاه وعينان ظاهران يستعملهما فى طريق هواه وقد قالت رابعة فى معنى هذا نظما

انى جعلتك فى الفؤاد محدثى   وأبحت جسمى من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس   وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

(وألطف من هذا فتنة أخرى) يخشاها المتأهل وهو أن يصير للروح استرواح إلى لطف الجمال ويكون ذلك الاسترواح موقوفا على الروح ويصير ذلك وليجة فى حب الروح المخصوص بالتعلق بالحضرة الالهية فتتبلد الروح وينسد باب المزيد من الفتوح وهذه البلادة فى الروح يعز الشعور بها فلتحذر ومن هذا القبيل دخلت الفتنة على طائفة قالوا بالمشاهدة وإذا كان فى باب الحلال وليجة فى الحب يتولد منها بلادة الروح فى القيام بوظائف حب الحضرة الالهية فما ظنك فمن يدعى ذلك فى باب غير مشروع يغره سكون النفس فيظن انه لو كان من قبيل الهوى ماسكنت النفس والنفس لا تسكن فى ذلك دائما بل تسلب من الروح ذلك الوصف وتأخذه إليها على أنى استبحثت عما يبتلى به المفتونون بالمشاهدة فوجدت المحكى من ذلك من صورة الفسق عنده رغوة شراب الشهوة إذ لو ذهب علة الشراب مابقيت الرغوة فليحذر ذلك جدا ولا يسمع ممن يدعى فيه حالا وصحة فانه كذاب مدع ولهذا المعنى قال الاطباء الجماع يسكن هيجان العشق وان كان من غير المعشوق فليعلم ان مستنده الشهوة ويكذب من يدعى فيه حالا وهذه فتن المتأهل وفتنة العزب مرور النساء بخاطره وتصورهن فى متخيله ومن أعطى الطهارة فى باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة وإذا سنح الخاطر يمحوه بحسن الانابة واللياذ بالهرب ومتى سامر الفكر كثف الخاطر وخرج من القلب إلى الصدر وعند ذلك يحذر احساس العضو

بالخاطر فيصير ذلك عملا خفياً وماأقبح مثل هـذا بالصادق المتطلع إلي الحضور واليقظة فيكون ذلك فاحشة الحال وقدقيل مرورالفاحشة بقاب العارفين كفعل الفاعلين لها والله أعلم

﴿ الباب الثاني والعشرون فى القول فى السماع قبولا وايثارا ﴾

قال الله تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) قيـل احسنه أى اهداه وارشده وقال عز وجل (وإذا سمعوا ماأنزل إلىالرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) هذا السماع هو السماع الحق الذى لايختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب وهـذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لأنه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والنـدم حار فاذا أثارالسماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرداليقين أبكى وأدمع لان الحرارة والبرودة إذا اصطدما عصرا ماء فاذا ألم السماع بالقلب تارة يخف المامه فيظهر أثره فى الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلودالذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب أثره إلىفوق نحو الدماغ كالمخبر للعقل فيعظم وقع المتجدد الحادث فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب أثره إلي الروح فتموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق القلب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذا كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب المحال (روى) ان عمر رضى الله عنه كان ربما مر بآية فى ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا فالسماع يستجلب الرحمـة من الله الكريم روى زيد بن أسلم قال قرأ أبى بن كعب عند رسول الله ﷺ فرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم اغتنموا الدعاء عند الرقة فانها رحمة من الله تعالى وروت أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه الذنوب كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها وورد أيضا إذا اقشعر الجلد من خشية الله حرمه الله تعالى على النار وهذه جملة لاتنكر ولااختلاف فيها إنما الاختـلاف فى استماع الاشعار

بالالحان وقدكثرت الأقوال فى ذلك وتباينت الأحوال فمن منكر يلحقه بالفسق ومن مولع به يشهد بانه واضح الحق ويتجاذبان فى طرفى الافراط والتفريط * قيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذوالنون يسمعون فقال كيف أنكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير منى فقد كان جعفر الطيار يسمع وانما المنكر اللهو واللعب فى السماع وهذا قول صحيح ﴿ أخبرنا ﴾ الشيخ طاهر بن أبى الفضل عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أبو القاسم الحسين بن محمد ابن الحسن الخوافى قال أنا أبو محمد عبدالله بن يوسف قال حدثنا أبو بكر بن وثاب قال حدثنا عمرو بن الحرث قال حدثنا الاوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان أبابكر دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان وتضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما ياأبا بكر فانها أيام عيد وقالت عائشة رضى الله عنها رأيت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون انا أسأم وقد ذكر الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله مايدل على تجويزه ونقل عن كثير من السلف صحابي وتابعى وغيرهم وقول الشيخ أبي طالب المكى يعتبر لوفور علمه وكمال حاله وعلمه باحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريه الاصوب والأولى وقال في السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية أوزوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه ومن سمعه بقلب يشاهد معانى تدله على الدليل ويشهده طرقات الجليل فهو مباح وهذا قول الشيخ أبي طالب المكى وهو الصحيح فاذا لايطلق القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع كفعل القراء المتزهدين المبالغين فى الانكار ولايفسح فيه على الاطلاق كفعل بعض المستهترين به المهملين شروطه وآدابه المقيمين على الاصرار ونفصل الأمر فيه تفصيلا ونوضح الماهية فيه تحريما وتحليلا فأما الدف والشبابة وان كان فيهما فى مذهب الشافعى فسحة فالأولى تركهما والأخذ بالاحوط والخروج من الخلاف وأما غير ذلك فان كان من القصائد فى ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار

وذكر العبادات والترغيب فى الخيرات فلا سبيل إلى الانكار ومن ذلك القبيل
قصائد الغزاة والحجاج فى وصف الغزو والحج مما يثير كامن العزم من الغازى
وساكن الشوق من الحاج وأماما كان فيه ذكر القدود والخدود ووصف النساء
فلايليق بأهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك واما ماكان من ذكر الهجر والوصل
والقطيعة والصد مما يقرب حمله على أمور الحق سبحانه وتعالى من تلون أحوال
المريدين ودخول الآفات على الطالبين فمن سمع ذلك وحدث عنده ندم على مافات
أوتجدد عنده عزم لما هو آت فكيف ينكر سماعه وقد قيل ان بعض الواجدين
يقتات بالسماع ويتقوي به على الطى والوصال ويثير عنده من الشوق مايذهب
عنه لهب الجوع فاذا استمع العبد إلي بيت من الشعر وقلبه حاضر فيه كان يسمع
الحادى يقول مثلا

أتوب إليك يا رحمن انى أسأت وقد تضاعفت الذنوب
فأما من هوى ليلى وحبي زيارتها فانى لاأتوب

فطاب قلبه لما يجده من قوة عزمه على الثبات فى أمر الحق إلى الممات يكون
فى سماعه هذا ذكر الله تعالى * قال بعض أصحابنا كنا نعرف مواجيد أصحابنا
فى ثلاثة أشياء عند المسائل وعند الغضب وعند السماع وقال الجنيد تنزل الرحمة على
هذه الطائفة فى ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم يأكلون عن فاقة وعند المذاكرة
لأنهم يتحاورون فى مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون
بوجد ويشهدون حقا وسئل رويم عن وجد الصوفية عند السماع فقال يتنبهون
للمعانى التى تعزب عن غيرهم فيشير إليهم إلي فيتنعمون بذلك من الفرح ويقع
الحجاب للوقت فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم من يمزق ثيابه ومنهم يبكى ومنهم
من يصيح ﴿أخبرنا﴾ أبو زرعة اجازة عن ابن خلف اجازة عن السلمى قال سمعت
أباسهل محمد بن سليمان يقول المستمع بين استتار وتجل فالاستتار يورث التلهب
والتجلى يورث المزيد فالاستتار يتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف والعجز
والتجلى يتولد منه السكون للواصلين وهو محل الاستقامة والتمكين وكذلك محل
الحضرة ليس فيه إلا الذبول تحت موارد الهيبة قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى

سمعت جدى يقول المستمع ينبغى أن يستمع بقلب حى ونفس ميتة ومن كان قلبه ميتاً ونفسه حيا لا يحل له السماع وقيل فى قوله تعالى يزيد فى الخلق مايشاء الصوت الحسن وقال عليه السلام لله أشد اذنا بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلي قينته نقل عن الجنيد قال رأيت إبليس فى النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشيء أو تنال منهم شيئا فقال انه يعسر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيأ إلا فى وقتين قلت أى وقت قال وقت السماع وعند النظر فانى استرق منهم فيه وأدخل عليهم به قال فحكيت رؤياى لبعض المشايخ فقالوا لو رأيته قلت له ياأحمق من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر أتربح أنت عليه شيأ أو تظفر بشيء منه فقلت صدقت (وروت) عائشة رضى الله عنها قالت كانت عندى جارية تسمعنى فدخل رسول الله ﷺ وهى على حالها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر مايضحكك يارسول الله فحدثته حديث الجارية فقال لا أبرح حتى أسمع ماسمع رسول الله فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسمعته * وذكر الشيخ أبو طالب المكى قال كان لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يجتمعون إليهما وقال أدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن التلحين اعدهن للصوفية وهذا القول نقلته من قول الشيخ أبي طالب فقال وعندى اجتناب ذلك هو الصواب وهو لا يسلم الا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفاء بشرط قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور وماهذا القول من الشيخ أبي طالب المكى الا مستغرب عجيب والتنزه عن مثل ذلك هو الصحيح وفى الحديث فى مدح داود عليه السلام انه كان حسن الصوت بالنياحة على نفسه وبتلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه آلاف من الجنائز * وقال عليه السلام فى مدح أبي موسى الأشعرى لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود (وروي) عنه عليه السلام انه قال ان من الشعر لحكمة ﴿ودخل﴾ رجل على رسول الله ﷺ وعنده قوم يقرؤن القرآن وقوم ينشدون الشعر فقال يارسول الله قرآن وشعر فقال من هذا مرة ومن هذا مرة ﴿وأنشد﴾ النابغة عند رسول الله ﷺ أبياته التى فيها

ولاخير فى حلم إذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه ان يكدرا
ولاخير فى امرء إذا لم يكن له حكيم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنت ياأبا ليلى لايفضض الله فاك فعاش أكثر من مائة سنة وكان أحسن الناس ثغرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا فى المسجد فيقوم على المنبر قائما يهجو الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول النبي ﷺ ان روح القدس مع حسان مادام ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ورأى﴾ بعض الصالحين أباالعباس الخضر قال فقلت له ماتقول فى السماع الذى يختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفا الزلال لايثبت عليه الا أقدام العلماء ﴿ونقل﴾ عن ممشاد الدينورى قال رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقلت يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيأ فقال ماانكره ولكن قل لهم يفتتحون قبله بقراءة القرآن ويختمون بعده بالقرآن فقلت يارسول الله انهم يؤذونى وينبسطون فقال احتملهم ياأبا على هم أصحابك فكان ممشاد يفتخر ويقول كنانى رسول الله ﷺ وأما وجه الانكار فيه فهو ان يري جماعة من المريدين دخلوا فى مبادى الارادة ونفوسهم ماتمرنت على صدق المجاهدة حتى يحدث عندهم علم بظهور صفات النفس وأحوال القلب حتى تنضبط حركاتهم بقانون العلم ويعلمون مالهم وعليهم مشتغلين به ﴿حكى﴾ انذا النون لما دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوال فاستأذنوه ان يقول شيأ فاذن له فانشد القوال

صغير هواك عذبنى فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركا

أماترثي لمكتئب إذا ضحك الخلى بكى فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على جبهته والدم يقطر من جبهته ولايقع على الأرض ثم قام واحد منهم فنظر إليه ذوالنون فقال اتق الذى يراك حين تقوم فجلس الرجل وكان جلوسه لموضع صدقه وعلمه انه غير كامل الحال غير صالح للقيام متواجدا فيقوم أحدهم من غير تدبر وعلم فى قيامه وذلك إذا سمع ايقاعا موزونا بسمع يؤدى ماسمعه إلي طبع موزون فيتحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون والايقاع الموزون وينسبل حجاب نفسه

المنبسط بانبساط الطبع على وجه القلب ويستفزه النشاط المنبعث من الطبع فيقوم يرقص موزونا ممزوجا بتصنع وهو محرم عند أهل الحق ويحسب ذلك طيبة للقلب ومارأى وجه القلب وطيبته بالله تعالى ولعمرى هو طيبة القلب ولكن قلب ملوث بلون النفس ميال إلى الهوى موافق للردى لا يهتدى إلي حسن النية فى الحركات ولا يعرف شروط صحة الارادات ولمثل هذا الراقص قيل الرقص نقص لأنه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة لاسيما إذا انضاف إلي ذلك شوب حركاته بصريح النفاق بالتودد والتقرب إلى بعض الحاضرين من غير نية بل دلالة نشاط النفس من المعانقة وتقبيل اليد والقدم وغير ذلك من الحركات التي لا يعتمدها من المتصوفة الامن ليس له من التصوف إلا مجرد زى وصورة أويكون القوال امرد تنجذب النفوس إلى النظر إليه وتستلذ ذلك وتضمر خواطر السوء أو يكون النساء أشراف على الجمع وتتراسل البواطن المملوءة من الهوى بسفارة الحركات والرقص واظهار التواجد فيكون ذلك عين الفسق المجمع على تحريمه فاهل المواخير حينئذ أرجى حالا ممن يكون هذا ضميره وحركاته لأنهم يرون فسقهم وهذا لا يراه ويريه عبادة لمن لا يعلم ذلك أفترى أحدا من أهل الديانات يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا الوجه توجه للمنكر الانكار وكان حقيقاً بالاعتذار فكم من حركات موجبة للمقت وكم من نهضات تذهب رونق الوقت فيكون انكار المنكر على المريد الطالب يمنعه عن مثل هذه الحركات ويحذره من مثل هذه المجالس وهذا انكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بايقاع ووزن من غير اظهار وجد وحال ووجه نيته فى ذلك انه ربما يوافق بعض الفقراء فى الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها حالا ووجدا يجعل حركته في طرف الباطل لانها وان لم تكن محرمة فى حكم الشرع ولكنها غير محلة بحكم الحال لما فيها من اللهو فتصير حركاته ورقصه من قبيل المباحات التى تجرى عليه من الضحك والمداعبة وملاعبة الأهل والولد ويدخل ذلك فى باب الترويح للقلب وربما صار ذلك عبادة بحسن النية إذا نوى به استجمام النفس كما نقل عن أبي الدرداء انه قال انه لاستجم نفسى بشىء من الباطل

ليكون ذلك عونا لى على الحق ولموضع الترويح كرهت الصلاة فى أوقات ليستريح عمال الله وترتفق النفوس ببعض ما آربها من ترك العمل وتستطيب أوطان المهل والآدمى بتركيبه المختلف وترتيب خلقه المتنوع بتنوع أصول خلقته وقدسبق شرحه فى غير هذا الباب لاتفى قواه بالصبر على الحق الصرف فيكون التفسح فى أمثال ماذكرناه من المباح الذى ينزع إلى لهو ما باطلا يستعان به على الحق فان المباح وان لم يكن باطلا فى حقيقة الشرع لأن حد المباح ماستوى طرفاه واعتدل جانباه ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت فى بعض كلام سهل بن عبدالله يقول فى وصفه للصادق الصادق يكون جهله مزيدا لعلمه وباطله مزيدا لحقه ودنياه مزيدا لآخرته ولهذا المعنى حبب إلى رسول الله ﷺ النساء ليكون ذلك حظ نفسه الشريفة الموهوب لها حظوظها الموفر عليها حقوقها لموضع طهارتها وقدسها فيكون ماهو نصيب الباطل الصرف في حق الغير من المباحات المقبولة برخصة الشرع المردودة بعزيمة الحال فى حقه ﷺ متسما بسمة العبادات وقدورد فى فضيلة النكاح مايدل على انه عبادة ومن ذلك من طريق القياس اشتماله على المصالح الدينية والدنيوية على ماأطنب فى شرحه الفقهاء فى مسئلة التخلى لنوافل العبادات فاذا يخرج هذا الراقص بهذه النية المتبرىء من دعوى الحال فى ذلك من زمن انكار المنكر فيكون رقصه لاعليه ولاله وربما كان بحسن النية فى الترويح يصير عبادة سيما ان اضمر فى نفسه فرحا بربه ونظر إلى شمول رحمته وعطفه ولكن لايليق الرقص بالشيوخ ومن يقتدىبه لمافيه من مشابهة اللهو واللهو لايليق بمنصبهم وبباين حال المتمكن مثل ذلك وأماوجه منع الانكار فى السماع فهو أن المنكر للسماع على الاطلاق من غير تفصيل لايخلو من أحد أمور ثلاثة اماجاهل بالسنن والآثار وامامغتر بماأتيح له من أعمال الاخيار واماجامد الطبع لاذوق له فيصر على الانكار وكل واحد من هؤلاء الثلاثة يقابل بما سوف يقبل اما الجاهل بالسنن والآثار فيعرف بما أسلفناه من حديث عائشة رضى الله عنها وبالاخبار والآثار الواردة فى ذلك وفى حركة بعض المتحركين تعرف رخصة رسول الله ﷺ للحبشة فى الرقص ونظر عائشة رضى الله عنها إليهم مع رسول الله ﷺ هذا إذا سلمت الحركة من

المكاره التي ذكرناها وقد روى أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه أنت مني وأنا منك فحجل وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فحجل وكان حجل جعفر في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي وجعفر وزيد وأما المنكر المغرور بما أتيح له من أعمال الأخبار فيقال تقربك إلى الله بالعبادة لشغل جوارحك بها ولولا نية قلبك ما كان لعمل جوارحك قدر فانما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى والنية لنظرك إلى ربك خوفا أو رجاء فالسامع من الشعر بيتا يأخذ منه معنى يذكره ربه إما فرحا أو حزنا أو انكسارا أو افتقارا كيف يقلب قلبه في أنواع ذلك ذاكرا لربه ولو سمع صوت طائر طاب له ذلك الصوت وتفكر في قدرة الله تعالى وتسويته حنجرة الطائر وتسخيره حلقه ومنشأ الصوت وتأديتـه الى الاسماع كان في جميع ذلك الفكر مسبحا مقدسا فاذا سمع صوت آدمي وحضره مثل ذلك الفكر وامتلأ باطنه ذكرا وفكرا كيف ينكر ذلك (حكى بعض الصالحين) قال كنت معتكفا في جامع جده على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه شيئا فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله تعـالى يقولون الشعر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي ﷺ يستمع اليه ويضـع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يسمعون وهذا رسول الله ﷺ يسمع وأبو بكر إلى جنبه يقول فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول هذا حق بحق أو حق من حق بلى إذا كان ذلك الصوت من أمرد يخشى بالنظر إليه الفتنة أو من امرأة غير محرم وان وجد من الأذكار والأفكار ماذكرنا يحرم سماعه لخوف الفتنة لا لمجرد الصوت ولـكن يجعل سماع الصوت حريم الفتنة ولـكل حرام حريم ينسحب عليه حكم المنع لوجه المصلحة كالقبلة للشاب الصـائم حيث جعلت حريم حرام الوقاع وكالخلوة بالأجنبية وغير ذلك فعلى هذا قد تقتضي المصلحة المنع من السماع إذا علم حال السـامع وما يؤديه [إلـ]ـيه سماعه فيجعل المنع حريم الحرام هكذا وقد ينكر السماع جامد الطبع عديم

الذوق فيقال له العنين لا يعلم لذة الوقاع والمكفوف ليس له بالجمال البارع استمتاع وغير المصاب لا يتكلم بالاسترجاع فاذا ينكر من محب تربي باطنه بالشوق والمحبة ويرى انحباس روحه الطيارة في مضيق قفص النفس الأمارة يمر بروحه نسيم أنس الأوطان وتلوح له طوالع جنود العرفان وهو بوجود النفس فى دار الغربة يتجرع كاس الهجران يئن تحت اعباء المجاهدة ولا تحمل عنه سوانح المشاهدة وكلما قطع منازل النفس بكثرة الأعمال لا يقرب من كعبة الوصال ولا يكشف له المسبل من الحجاب فيتروح بنفس الصعداء ويرتاح باللائح من شدة البرحاء ويقول مخاطبا للنفس والشيطان وهما المانعان

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلي نسيمها
فان الصبا ريح إذا ما تنسمت على قلب محزون تجلت همومها
أجد بردها أو تشف منى حرارة على كبد لم يبق الا صميمها
ألا ان ادوائي بليلى قديمة واقتل داء العاشقين قديمها

ولعل المنكر يقول هل المحبة الا امتثال الأمر وهل يعرف غير هذا وهل هناك الا الخوف من الله وينكر المحبة الخاصة التى تختص بالعلماء الراسخين والابدال المقربين ولما تقرر في فهمه القاصر ان المحبة تستدعى مثالا وخيالا وأجناسا وأشكالا أنكر محبة القوم ولم يعلم ان القوم بلغوا فى رتب الايمان إلى أتم من المحسوس وجادوا من فرط الكشف والعيان بالأرواح والنفوس * روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله قال من خلق الأرض قالت الله قال من خلق الجبال قالت الله قال من خلق الغيم قالت الله فقال انى أسمع لله شأنا ورمى بنفسه من الجبل فتقطع فالجمال الأزلى الالهى منكشف للأرواح غير مكيف العقل ولا مفسر للفهم لأن العقل موكل بعالم الشهادة لا يهتدى من الله سبحانه الا الى مجرد الوجود ولا يتطرق الى حريم الشهود المتجلى فى طى الغيب المنكشف للأرواح بلا ريب وهذه الرتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة وأعم منها من رتبة المحبة الخاصة دون العامة مطالعة جمال الكمال من الكبرياء والجلال

والاستقلال بالمنح والنوال والصفات المنقسمة الى ماظهر منها فى الآباد ولازم الذات الآزال فللكمال جمال لايدرك بالحواس ولا يستنبط بالقياس وفى مطالعة ذلك الجمال أخذ طائفة من المحبين خصوا بتجلى الصفات ولهم بحسب ذلك ذوق وشوق ووجد وسماع والأولون منحوا قسطا من تجلى الذات فكان وجدهم على قدر الوجود وسماعهم على حد الشهود (وحكى) بعض المشايخ قال رأينا جماعة ممن يمشي على الماء والهواء يسمعون السماع ويجدون به ويتولهون عنده (وقال) بعضهم كنا على الساحل فسمع بعض اخواننا فجعل يتقلب على الماء يمره ويجيء حتى رجع الى مكانه (ونقل) ان بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها (ونقل) ان بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمعة فجعلها فى عينه. قال الناقل قربت من عينه أنظر فرأيت نارا أو نورا يخرج من عينه يرد نار الشمعة (وحكى) عن بعضهم انه كان اذا وجد عند السماع ارتفع الأرض فى الهواء أذرعا يمر ويجيء فيه (وقال) الشيخ أبوطالب المكى رحمه الله فى كتابه ان أنكرنا السماع مجملا مطلقا غير مقيد مفصل يكون انكارا على سبعين صديقا وان كنا نعلم ان الانكار أقرب الى قلوب القراء والمتعبدين الا انا لانفعل ذلك لأنا نعلم مالا يعلمون وسمعنا عن السلف من الأصحاب والتابعين مالا يسمعون وهذا قول الشيخ عن علمه الوافر بالسنن والآثار مع اجتهاده وتحريه الصواب ولكن نبسط لأهل الانكار لسان الاعتذار ونوضح لهم الفرق بين سماع يؤثر وبين سماع ينكر (وسمع) الشبلى قائلا يقول

أسائل عن سلمى فهل من مخبر يكون له علم بها أين تنزل

فزعق الشبلى وقال لا والله مافي الدارين عنه مخبر (وقيل) الوجد سر صفات الباطن كما ان الطاعة سر صفات الظاهر وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات الباطن الأحوال والأخلاق وقال أبونصر السراج أهل السماع على ثلاث طبقات فقوم يرجعون فى سماعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون وقوم يرجعون فيما يسمعون إلي مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم فهم مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق فيما يشيرون لله من ذلك وقوم هم الفقراء المجردون الذين

قطعوا العلائق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والجمع والمنع فهم يسمعون لطيبة قلوبهم ويليق بهم السماع فهم أقرب الناس الى السلامة وأسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف وسئل بعضهم عن التكلف فى السماع فقال هو على ضربين تكلف فى المستمع لطلب جاه أو منفعة دنيوية وذلك تلبيس وخيانة وتكلف فيه لطلب الحقيقة كمن يطلب الوجد بالتواجد وهو بمنزلة التباكى المندوب اليه وقول القائل ان هذه الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له انما البدعة المحذورة الممنوع منها بدعة تزاحم سنة مأمورا بها وما لم يكن هكذا فلا بأس به وهذا كالقيام للداخل لم يكن فكان فى عادة العرب ترك ذلك حتى نقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل ولا يقام له وفى البلاد التي فيها هذا القيام لهم عادة اذا اعتمد ذلك لتطييب القلوب والمداراة لا بأس به لأن تركه يوحش القلوب ويوغر الصدور فيكون ذلك من قبيل العشرة وحسن الصحبة ويكون بدعة لا بأس بها لأنها لم تزاحم سنة مأمورة

﴿ الباب الثالث والعشرون فى القول فى السماع ردا وانكارا ﴾

قد ذكرنا وجه صحة السماع وما يليق منه بأهل الصدق وحيث كثرت الفتنة بطريقه وزالت العصمة فيه وتصدى للحرص عليه أقوام قلت أعمالهم وفسدت أحوالهم وأكثروا الاجتماع للسماع وربما يتخذ للاجتماع طعام تطلب النفوس الاجتماع لذلك لا رغبة للقلوب فى السماع كما كان من سير الصادقين فيصير السماع معلولا تركن اليه النفوس طلباً للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والغفلات ويقطع ذلك على المريد طلب المزيد ويكون بطريقه تضييع الأوقات وقلة الحظ من العبادات وتكون الرغبة فى الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واستروا حا لأولي الطرب واللهو والعشرة ولا يخفى ان هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق وكان يقال لا يصح السماع الا لعارف مكين ولا يباح لمريد مبتدي * وقال الجنيد رحمه الله تعالى إذا رأيت المريد يطلب السماع فاعلم ان فيه بقية البطالة وقيل ان الجنيد ترك السماع فقيل له كنت تستمع فقال مع من قيل له تسمع لنفسك فقال ممن لأنهم كانوا لا يسمعون إلا من أهل مع أهل فلما فقد الاخوان ترك فما

اختاروا السماع حيث اختاروه الا بشروط وقيود وآداب يذكرون به الآخرة ويرغبون في الجنة ويحذرون من النار ويزداد به طلبهم وتحسن به أحوالهم ويتفق لهم ذلك اتفاقا في بعض الأحايين لا أن يجعلوه دأبا وديدنا حتى يتركوا لأجله الأوراد (وقد نقل) عن الشافعي رضى الله عنه أنه قال في كتاب القضاء الغناء لهو مكروه يشبه الباطل وقال من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته (واتفق) أصحاب الشافعي ان المرأة غير المحرم لايجوز الاستماع اليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب * ونقل عن الشافعي رضى الله عنه انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعه الزنادقة ليشغلوا به عن القران وقال لابأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصوت بها بأى وجه كان وعند مالك رضى الله عنه اذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يردها بهذا العيب وهو مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الامام أبي حنيفة رضى الله عنه وسماع الغناء من الذنوب وما أباحه الا نفر قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم ير اعلانه في المساجد والبقاع الشريفة *(وقيل)* فى تفسير قوله تعالى (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه هو الغناء والاستماع اليه *(وقيل)* فى قوله تعالي (وأنتم سامدون) أي مغنون رواه عكرمة عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما وهو الغناء بلغة حمير يقول أهل اليمن سمد فلان اذا غنى وقوله تعالى (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) قال مجاهد الغناء والمزامير (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ابليس أول من ناح وأول من تغنى (وروى) عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال انما نهيت عن صوتين فاجرين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة * وقد روى عن عثمان رضى الله عنه انه قال ما غنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم * وروى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه انه قال الغناء ينبت النفاق فى القلب * وروى أن ابن عمر رضى الله عنه مر عليه قوم وهم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال ألا لا أسمع الله لكم ألا لا أسمع الله لكم * وروى أن انسانا سأل القاسم بن محمد عن

الغناء فقال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر ياابن أخي إذا ميز الله الحق والباطل في أيهما يجعل الغناء * وقال الفضيل بن عياض الغناء رقية الزنا * وعن الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب * وقال بعضهم إياك والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر وهذا الذى ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع الموزون يفيق بالغناء والأوزان ويستحسن صاحب الطبع عند السماع مالم يكن يستحسنه من الفرقعة بالأصابع والتصفيق والرقص وتصدر منه أفعال تدل على سخافة العقل (وروى) عن الحسن انه قال ليس الدف من سنة المسلمين والذي نقل عن رسول الله ﷺ انه سمع الشعر لايدل على اباحة الغناء فان الشعر كلام منظوم وغيره كلام منثور لحسنه حسن وقبيحه قبيح وانما يصير غناء بالألحان وان أنصف المنصف وتفكر فى اجتماع أهل الزمان وقعود المغنى بدفه والمشبب بشبابته وتصور فى نفسه هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله ﷺ وهل استحضروا اقوالا وقعدوا مجتمعين لاستماعه لاشك بأنه ينكر ذلك من حال رسول الله ﷺ وأصحابه ولو كان فى ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجتمع لها لم يحظ بذوق معرفة أحوال رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين واستروح الى استحسان بعض المتأخرين ذلك وكثيرا ما يغلط الناس فى هذا وكلما احتج عليهم بالسلف الماضين يحتجون بالمتأخرين وكان السلف أقرب إلى عهد رسول الله ﷺ وهديهم أشبه بهدي رسول الله ﷺ وكثيرا من الفقراء يستمع عند قراءة القرآن بأشياء من غير غلبة * قال عبدالله بن عروة بن الزبير قلت لجدتى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قرىء عليهم القرآن قالت كانوا كما وصفهم الله تعالى تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال قلت ان ناسا اليوم إذا قرىء عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وروى) ان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما مر برجل من أهل العراق يتساقط قال ما لهذا قالوا انه إذا قرىء عليه القرآن وسمع ذكر الله تعالى سقط فقال ابن عمر رضى الله عنهما انا لنخشى

الله وما نسقط ان الشيطان يدخل فى جوف أحدهم ما هكذا كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرىء القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد واحد منهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق وليس هذا القول منهم انكارا على الاطلاق إذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن للتصنع المتوهم في حق الأكثرين وقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء ويكون من البعض لقصور علم ومخامرة جهل ممزوج بهوى يلم بأحدهم يسير من الوجد فيتبعه بزيادات يجهل ان ذلك يضر بدينه وقد لا يجهل ان ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقا خفيا تخرج الوجد عن الحد الذي ينبغي أن يقف عليه وهذا يباين الصدق (نقل) ان موسى عليه السلام وعظ قومه فشق رجل منهم قميصه فقيل لموسى عليه السلام قل لصاحب القميص لا يشق قميصه ويشرح قلبه * وأما إذا انضاف إلى السماع أن يسمع من أمرد فقد توجهت الفتنة وتعين على أهل الديانات انكار ذلك قال بقية ابن الوليد كانوا يكرهون النظر إلي الغلام الأمرد الجميل وقال عطاء كل نظرة يهواها القلب فلا خير فيها وقال بعض التابعين ما أنا أخوف على الشاب التائب من السبع الضارى خوفى عليه من الغلام الأمرد يقعد اليه وقال بعض التابعين أيضا اللوطية على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل فقد تعين على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتقاء مواضع التهم فان التصوف صدق كله وجد كله يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخلطوه بشيء من الهزل فهذه الآثار دلت على اجتناب السماع وأخذ الحذر منه والباب الأول بما فيه دل على جوازه بشروطه وتنزيهه عن المكاره التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقنا بين القصائد والغناء وغير ذلك وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا ينكرون على من يسمع بنية حسنة ويراعى الأدب فيه

﴿ الباب الرابع والعشرون في القول فى السماع ترفعا واستغناء ﴾

اعلم ان الوجد يشعر بسابقة فقد فمن لم يفقد لم يجد وانما كان الفقد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقاياه فلو تمحض عبدا بتمحض حرا ومن تمحض

حرا أفلت من شرك الوجد فشرك الوجد يصطاد البقايا ووجود البقايا لتخلف شيء من العطايا (قال) الحصري رحمه الله ماأدون حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه فالوجد بالسماع فى حق المحق كالوجـد بالسماع فى حق المبطل من حيث النظر إلى انزعاجه وتأثير الباطن به وظهور أثره على الظاهر وتغييره للعبد من حال إلى حال وإنما يختلف الحال بين المحقق والمبطل ان المبطل يجد لوجود هوى النفس والمحقق يجد لوجود ارادة القلب ولهذا قيل السماع لايحدث فى القلب شيئا وانما يحرك مافى القلب فمن متعلق باطنه بغير الله يحركه السماع فيجد بالهوى ومن متعلق باطنه بمحبة الله يجد بالارادة ارادة القلب فالمبطل محجوب بحجاب النفس والمحق محجوب بحجاب القلب وحجاب النفس حجاب ارضى ظلماني وحجاب القلب حجاب سماوى نورانى ومن لم يفقد بدوام التحقق بالشهود ولايتعثر باذيال الوجود فلا يسمع ولايجد ومن هذه المطالعة قال بعضهم الوجد ناردم كلى لاينفذ فى قول * ومر ممشاد الدينورى رحمه الله بقوم فيهم قوال فلما رأوه أمسكوا فقال ارجعوا إلى ما كنتم فيه فوالله لوجمعت ملاهى الدنيا فى أذنى ماشغل همى ولاشفى بعض مابى فالوجد صراخ الروح المبتلى بالنفس تارة فى حق المبطل وبالقلب تارة فى حق المحق فنار الوجد الروح الروحانى فى حق المحق والمبطل ويكون الوجد تارة من فهم المعانى يظهر وتارة من مجرد النغمات والالحان فما كان من قبيل المعانى تشارك النفس الروح فى السماع في حق المبطل ويشارك القلب فى حق المحق وماكان من قبيل مجرد النغمات تتجرد الروح للسماع ولـكن فى حق المبطل تسترق النفس السمع وفى حق المحق يسترق القلب السمع ووجه استلذاذ الروح النغمات ان العالم الروحانى يجمع الحسن والجمال ووجود التناسب فى الاكوان مستحسن قولا وفعلا ووجود التناسب في الهياكل والصور ميراث الروحانية فمتى سمع الروح النغمات اللذيذة والالحان المتناسبة تأثر به لوجود الجنسية ثم بتقييد ذلك بالشرع بمصالح عالم الحكمة ورعاية الحدود للعبد عين المصلحة عاجلا وآجـلا ﴿ ووجه اخر ﴾ إنما يستلذ الروح النغمات لان النغمات بها نطق النفس مع الروح بالايماء الخفى اشارة ورمزا بين المتعاشقين وبين النفوس والارواح تعاشق أصلى ينزع ذلك إلى أنوثة النفس

وذكورة الروح والميل والتعاشق بين الذكر والانثى بالطبيعة واقع قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن إليها وفى قوله سبحانه منها اشعار بتلازم وتلاصق موجب للائتلاف والتعاشق والنغمات يستلذها الروح لأنها مناغاة بين المتعاشقين وكما ان فى عالم الحكمة كونت حواء من آدم ففى عالم القدرة كونت النفس من الروح الروحانى فهذا التألف من هذا الأصل وذلك ان النفس روح حيوانى تجنس بالقرب من الروح الروحاني وتجنسها بان امتازت من أرواح جنس الحيوان بشرف القرب من الروح الروحانى فصارت نفسا فاذا تكون النفس من الروح الروحانى فى عالم القدرة كتكون حواء من آدم فى عالم الحكمة فهذا التألف والتعاشق ونسبة الانوثة والذكورة من ههنا ظهر وبهذا الطريق استطابت الروح النغمات لأنها مراسلات بين المتعاشقين ومكالمة بينهما وقد قال القائل

تكلم منا فى الوجود عيوننا   فنحن سكوت والهوى يتكلم

فاذا استلذ الروح النغمة وجدت النفس المعلولة بالهوي وتحركت بما فيها الحدوث العارض ووجد القلب المملول بالارادة وتحرك بما فيه لوجود العارض فى الروح

شربنا وأهرقنا على الأرض جرعة   وللأرض من كأس الكرام نصيب

فنفس المبطل أرض لسماء قلبه وقلب المحق أرض لسماء روحه فالبالغ مبلغ الرجال والمتجوهر المتجرد من أعراض الأحوال خلع نعلى النفس والقلب بالوادى المقدس وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر استقر وعرس واحرق بنور العيان اجرام الالحان ولم تصغ روحه إلى مناغاة عاشقه لشغله بمطالعة آثار محبوبه فالهائم المشتاق لايمعه كشف ظلامة العشاق ومن هذا حاله لايحركه السماع رأسا وإذا كانت الالحان لاتلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها وخفى لطف مناغاتها كيف يلحقه السماع بطريق فهم المعاني وهو اكثف ومن يضعف عن حمل لطيف الاشارات كيف يتحمل ثقل اعباء العبارات واقرب من هذا عبارة تقرب إلى الافهام الوجد وارد يرد من الحق سبحانه وتعالى ومن يريد الله لايقنع بما من عند الله ومن صار فى محل القرب متحققا به لايلهيه ولايحركه ماورد من عند الله

فالوارد من عندالله مشعر ببعد والقريب واجد فمايصنع بالوارد والوجد نار والقلب الواجد ربه نور والنور ألطف من النار والكثيف غير مسيطر على اللطيف فمادام الرجل البالغ مستمرا على جادة استقامته غير منحرف عن وجه معهوده بنوازع وجوده لا يدركه الوجد بالسماع فان دخل عليه فتور أوعاقه قصور بدخول الابتلاء عليه من المبلي المحسن يتألف المحن من تفاريق صور الابتلاء أي يدخل عليه وجود يدركه الواجد لعود العبد عند الابتلاء إلى حجاب القلب فمن هو مع الحق إذا زل وقع على القلب ومن هو مع القلب إذا زل وقع على النفس ﴿ سمعت ﴾ بعض مشايخنا يحكى عن بعضهم انه وجد من السماع فقيل له اين حالك من هذا فقال دخل على داخل أوردنى هذا المورد ﴿ قال ﴾ بعض أصحاب سهل صحبت سهلا سنين مارأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان فى آخر عمره قرىء عنده فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فارتعد وكاد يسقط فسألته عن ذلك قال نعم لحقنى ضعف وسمع مرة الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فسأله ابن سالم وكان صاحبه قال قد ضعفت فقيل له ان كان هذا من الضعف فما القوة قال القوة ان الكامل لا يرد عليه واردا لا يبتلعه بقوة حاله فلا يغيره الوارد * ومن هذا القبيل قول أبى بكر رضى الله عنه هكذا كنا حتى قسمت القلوب لما رأى الباكى يبكى عند قراءة القرآن وقوله قست أى تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما استغربته حتى تغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم حالى قبل الصلاة كحالى فى الصلاة اشارة منه إلى استمرار حال الشهود فهكذا فى السماع كقبل السماع (وقد قال) الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد (وبلغنا) عن الشيخ حماد رحمه الله انه كان يقول البكاء من بقية الوجود وكل هذا يقرب البعض من البعض فى المعنى لمن عرف الاشارة فيه وفهم وهو عزيز الفهم عزيز الوجود (واعلم) ان للباكين عند السماع مواجيد مختلفة فمنهم من يبكى خوفا ومنهم من يبكى شوقا ومنهم من يبكى فرحا كما قال القائل : طفح السرور على حتى اننى * من عظم ماقد سرني أبكانى * قال الشيخ أبو بكر الكتانى رحمه الله سماع العوام على متابعة الطبع وسماع المريدين رغبة ورهبة وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنعماء وسماع العارفين

على المشاهدة وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام (وقال أيضاً) الموارد ترد فتصادف شكلا أو موافقا فأى وارد صادف شكلا مازجه وأى وارد صادف موافقا ساكنه وهذه كلها مواجيد أهل السماع وماذكرناه حال من ارتفع عن السماع وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التى ذكرناها من الخوف والشوق والفرح وأعلاها بكاء الفرح بمثابة قادم يقدم على أهله بعد طول غربته فعند رؤية الأهل يبكى من قوة الفرح وكثرته وفى البكاء رتبة أخرى اعز من هذه يعز ذكرها ويكبر نشرها لقصور الافهام عن ادراكها فربما يقابل ذكرها بالانكار ويخفى بالاستكبار ولكن يعرفها من وجدها قدما ووصولا أوفهمها نظرا كثيرا ومثولا وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدوث ذلك فى بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين فى الدنيا المامات يسيرة فيوجد البكاء فى بعض مواطنه لوجود تغاير وتباين بين المحدث والقديم فيكون البكاء رشحا هو من وصف الحدثان لوهج سطوة عظمة الرحمن ويقرب من ذلك مثلا فى الشاهد قطر الغمام يتلاقى مختلف الاجرام وهذا وان عز مشعر ببقية تقدح فى صرف الفناء نعم قد يتحقق العبد فى الفناء متجردا عن الآثار منغمسا فى الأنوار ثم يرتقى منه إلى مقام البقاء ويرد إليه الوجود مطهرا فتعود إليه أقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا ووجدانا بعشا كلة صورها ومباينة حقائقها بفرق لطيف يدركه أربابه وعند ذلك يعود عليه من السماع أيضا قسم وذلك القسم مقدور له مقهور معه يأخذه إذا أراد ويرده إذا أراد ويكون هذا السماع من المتمكن بنفس اطمانت واستنارت وباينت طبيعتها واكتسبت طمأنينتها واكسبها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تمتع للنفس كتمتعها بمباحات اللذات والشهوات لاأن يأخذ السماع منه أو يزيد به أو يظهر عليه منه أثر فتكون النفس فى ذلك بمثابة الطفل فى حجر الوالد يفرحه فى بعض الأوقات ببعض مآربه ومن هذا القبيل مانقل ان أبا محمد الراشى كان يشغل أصحابه بالسماع وينعزل عنهم ناحية يصلى فقد تطرق هذه النغمات مثل هذا المصلى فتتدلى إليها النفس متنعمة بذلك فيزداد مورد الروح من الانس صفاء عند ذلك لبعد النفس عن الروح فى تمتعها فانها مع طمأنينتها بوصف من الأجنبية بوضعها

وجبلتها وفى بعدها توفر قسام الروح من الفتوح ويكون طروق الالحان سمعه فى الصلاة غير محيل بينه وبين حقيقة المناجاة وفهم تنزيل الكلمات وتصل الأقسام إلى محالها غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسعة شرح الصدر بالايمان والله المحسن المنان ولهذا قيل السماع لقوم كالدواء ولقوم كالغذاء ولقوم كالمروحة ومن عود أقسام البكاء ماروى أن رسول الله ﷺ قال لأبي اقرأ فقال أقرأ عليك وعليك أنزل فقال أحب أن أسمعه من غيرى فافتتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فاذا عيناه تهملان (وروى) أن رسول الله ﷺ استقبل الحجر واستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا يبكى وقال ياعمر ههنا تسكب العبرات والمتمكن تعود إليه أقسام البكاء وفى ذلك فضيلة سألها النبي ﷺ فقال اللهم ارزقنى عينين هطالتين ويكون البكاء فى الله فيكون لله ويكون بالله وهو الأتم لعوده إليه بوجود مستأنف موهوب له من الكريم المنان فى مقام البقاء

﴿ الباب الخامس والعشرون فى القول فى السماع تأدبا واعتناء ﴾

ويتضمن هذا الباب آداب السماع وحكم التخريق واشارات المشايخ فى ذلك ومافى ذلك من المأثور والمحظور * مبنى التصوف على الصدق فى سائر الأحوال وهو حد كله لا ينبغى لصادق أن يتعمد الحضور فى مجمع يكون فيه سماع إلا بعد أن يخلص النية لله تعالى ويتوقع به مزيدا فى ارادته وطلبه ويحذر من ميل النفس لشىء من هواها ثم يقدم الاستخارة للحضور ويسأل الله تعالي إذا عزم البركة فيه وإذا حضر يلزم الصدق والوقار بسكون الاطراف * قال أبو بكر الكتاني رحمه الله المستمع يجب أن يكون في سماعه غير مستروح إليه يهيج منه السماع وجدا أوشوقا أوغلبة أو واردا والوارد عليه يفنيه عن كل حركة وسكون فيتقى الصادق استدعاء الوجد ويجتنب الحركة فيه مهما أمكن سيما بحضرة الشيوخ (حكى) أن شابا كان يصحب الجنيد رحمه الله وكلما سمع شيئا زعق وتغير فقال له يوما ان ظهر منك شىء بعد هذا فلا تصحبنى فكان بعد ذلك يضبط نفسه وربما كان من كل شعرة منه تقطر قطرة عرق فلما كان يوما من الأيام زعق زعقة فخرج روحه فليس من الصدق

اظهار الوجد من غير وجد نازل أو ادعاء الحال من غير حال حاصل وذلك عين النفاق (قيل) كان النصراباذى رحمه الله كثير الولع بالسماع فعوتب فى ذلك فقال نعم هو خير من ان نقعد ونغتاب فقال له أبو عمرو بن بجيد وغيره من اخوانه هيهات ياأباالقاسم زلة في السماع شر من كذا كذا سنة نغتاب الناس وذلك ان زلة السماع اشارة إلى الله تعالى وترويح للحال بصريح المحال وفى ذلك ذنوب متعددة منها انه يكذب على الله تعالى انه وهب له شيئا وماوهب له والكذب على الله من أقبح الزلات ومنها ان يغر بعض الحاضرين فيحسن به الظن والغرور خيانة قال عليه السلام من غشنا فليس منا ومنها انه إذا كان مبطلا ويرى بعين الصلاح فسوف يظهر منه بعد ذلك مايفسد عقيدة المعتقد فيه فيفسد عقيدته فى غيره ممن يظن به الخير من أمثاله فيكون سبباً إلى فساد العقيدة في أهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فينقطع عنه مدد الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة يعثر عليها من يبحث عنها ومنها انه يحوج الحاضرين إلي موافقته فى قيامه وقعوده فيكون متكلفا مكلفا للناس بباطله ويكون في الجمع من يرى بنور الفراسة انه مبطل ويحمل على نفسه الموافقة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب فى ذلك فليتق الله ربه ولا يتحرك إلا إذا صارت حركته حركة المرتعش الذى لايجد سبيلا إلى الامساك وكالعاطس الذى لايقدر ان يرد العطسة وتكون حركته بمثابة النفس الذى يدعوه إليه داعية الطبع قهرا (قال السرى) شرط الواجد فى زعقته ان يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لايشعر فيه بوجع وقد يقع هذا البعض الواجدين نادرا وقد لايبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة ولكن زعقته تخرج كالتنفس بنوع ارادة ممزوجة بالاضطرار فهذا الضبط من رعاية الحركات ورد الزعقات وهو فى تمزيق الثياب آكد فان ذلك يكون اتلاف المال وانفاق المحال وهكذا رمى الخرقة إلى الحادي لاينبغى أن يفعل إلا إذا حضرته نية يجتنب فيها التكلف والمراآة وإذا حسنت النية فلا بأس بالقاء الخرقة إلى الحادى فقد روى عن كعب بن زهير انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأنشده أبياته التى أولها

* بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *

حتى انتهى إلى قوله فيها

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

فقال له رسول الله ﷺ من أنت فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه بردة كانت عليه فلما كان زمن معاوية بعث إلى كعب بن زهير بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف فوجه اليه ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألفا وأخذ البردة وهى البردة الباقية عند الامام الناصر لدين الله اليوم عادت بركتها على أيامه الزاهرة * وللمتصوفة آداب يتعاهدونها ورعايتها حسن الأدب فى الصحبة والمعاشرة وكثير من السلف لم يكونوا يعتمدون ذلك ولكن كل شيء استحسنوه وتواطئوا عليه ولا ينكره الشرع لا وجه للانكار فيه فمن ذلك أن أحدهم إذا تحرك فى السماع فوقعت منه خرقة أو نازله وجد ورمى عمامته إلى الحادى فالمستحسن عندهم موافقة الحاضرين له فى كشف الرأس إذا كان ذلك من متقدم وشيخ وان كان ذلك من الشبان فى حضرة الشيوخ فليس على الشيوخ موافقة الشبان فى ذلك وينسحب حكم الشيوخ على بقية الحاضرين فى ترك الموافقة للشبان فاذا سكتوا عن السماع يرد الواجد إلي خرقته ويوافقه الحاضرون برفع العمائم ثم ردها على الرؤوس فى الحال للموافقة والخرقة إذا رميت إلى الحادى هى للحادى إذا قصد اعطاءه اياها وان لم يقصد اعطاءها للحادى فقيل هى للحادى لأن المحرك هو ومنه صدر الموجب لرمى الخرقة وقال بعضهم هى للجمع والحادى واحد منهم لأن المحرك قول الحادى مع بركة الجمع فى احداث الوجد واحداث الوجد لا يتقاصر عن قول القائل فيكون الحادى واحدا منهم فى ذلك * روي أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر من وقف بمكان كذا فله كذا ومن قتل فله كذا ومن أسر فله كذا فتسارع الشبان وأقام الشيوخ والوجوه عند الرايات فلما فتح الله على المسلمين طلب الشبان أن يجعل ذلك لهم فقال الشيوخ كنا ظهرا لكم

ورداً فلا تذهبوا بالغنائم دوننا فأنزل الله تعالى يسئلونك عن الأنفال قل الانفال لله والرسول فقسم النبي ﷺ بينهم بالسوية وقيل إذا كان القوال من القوم يجعل كواحد منهم وإذا لم يكن من القوم فما كان له قيمة يؤثر به وما كان من خرق الفقراء يقسم بينهم وقيل إذا كان القوال أجيرا فليس له منها شيء وإن كان متبرعا يؤثر بذلك وكل هذا إذا لم يكن هناك شيخ يحكم فأما إذا كان هناك شيخ يهاب ويمتثل أمره فالشيخ يحكم فى ذلك بما يرى فقد تختلف الأحوال فى ذلك وللشيخ اجتهاد فيفعل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه وان فداها بعض المحبين أو بعض الحاضرين فرضى القوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم إلى خرقته فلا بأس بذلك وإذا أصر واحد على الايثار بما خرج منه لنية له في ذلك يؤثر بخرقته الحادى وأما تمزيق الخرقة المجروحة التى مزقها واجد صادق عن غلبة سلبت اختياره كغلبة النفس فمن يعتمد امساكه فنيتهم فى تفرقتها وتمزيقها التبرك بالخرقة لان الوجد أثر من آثار فضل الحق وتمزيق الخرقة أثر من آثار الوجد فصارت الخرقة متأثرة بأثر رباني من حقها أن تفدى بالنفوس وتترك على الرؤوس اكراما واعزازا تضوع أرواح نجد من ثيابهم يوم القدوم لقرب العهد بالدار كان رسول الله ﷺ يستقبل الغيث ويتبرك به ويقول حديث عهد بربه فالخرقة الممزقة حديثة العهد فحكم المجروحة أن تفرق على الحاضرين وحكم ما يتبعها من الخرق الصحاح أن يحكم فيها الشيخ إن خصص بشيء منها بعض الفقراء فله ذلك وان خرقه خرقا فله ذلك ولا يقل هذا تفريط وسرف فان الخرقة الصغيرة ينتفع بها فى موضعها عند الحاجات كالكبيرة (وروى) عن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال أهدى لرسول الله ﷺ حلة حرير فأرسل بها إلى فخرجت فيها فقال لى ما كنت لأكره لنفسى شيء أرضاه لك فشققتها بين النساء خمرا وفى رواية أتيته فقلت ما أصنع بها ألبسها قال لا ولكن اجعلها خمرا بين الفواطم أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت حمزة وفى هذه الرواية أن الهدية كانت حلة مكفوفة بحرير وهذا وجه في السنة لتمزيق

الثوب وجعله خرقا (حكى) أن الفقهاء والصوفية بنيسابور اجتمعوا فى دعوة فوقعت الخرقة وكان شيخ الفقهاء الشيخ أبا محمد الجوينى وشيخ الصوفية الشيخ أبا القاسم القشيري فقسمت الخرقة على عادتهم فالتفت الشيخ أبو محمد إلى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سرف واضاعة للمال فسمع أبو القاسم القشيرى ولم يقل شيء حتى فرغت القسمة ثم استدعى الخادم وقال انظر فى الجمع من معه سجادة خرق ائتنى بها فجاءه بسجادة ثم احضر رجلا من أهل الخبرة فقال هذه السجادة بكم تشترى فى المزاد قال بدينار قال ولو كانت قطعة واحدة كم تساوى قال نصف دينار ثم التفت إلى الشيخ أبي محمد وقال هذا لا يسمى اضاعة المال والخرقة الممزقة تقسم على جميع الحاضرين من كان من الجنس أو من غير الجنس إذا كان حسن الظن بالقوم معتقدا للتبرك بالخرقة (روى) طارق بن شهاب أن أهل البصرة غزوا نهاوند وأمدهم أهل الكوفة وعلى أهل الكوفة عمار بن ياسر فظهروا وأراد أهل البصرة أن لا يقسموا لأهل الكوفة من الغنيمة شيئا فقال رجل من بنى تميم لعمار أيها الأجدع تريد أن تشاركنا فى غنائمنا فكتب إلي عمر بذلك فكتب عمر رضى الله عنه ان الغنيمة لمن شهد الوقعة وذهب بعضهم إلي أن المجروح من الخرق يقسم على الجمع وما كان من ذلك صحيحا يعطى للقوال واستدل بما روى عن أبي قتادة قال لما وضعت الحرب أوزارها يوم حنين وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ من قتل قتيلا فله سلبه وهذا له وجه فى الخرقة الصحيحة فأما المجروحة فحكمها أسهام الحاضرين والقسمة لهم ولو دخل على الجمع وقت القسمة من لم يكن حاضرا قسم له (روى) أبو موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال لما قدمنا على رسول الله ﷺ بعد خيبر بثلاث فأسهم لنا ولم يسهم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره للقوم حضور غير الجنس عندهم فى السماع كمتزهد لاذوق له من ذلك فينكر مالا ينكر أو صاحب دنيا يحوج إلى المداراة والتكلف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده (أخبرنا) أبو زرعة طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ المقدسى قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفرى بسرجس قال أخبرنا أبو على الفضل بن منصور بن نصر الكاغدى السمرقندى اجازة قال حدثنا

الهيثم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال حدثنا سعيد بن عامر عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يارسول الله إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ففرح رسول الله ﷺ فقال هل فيكم من ينشدنا فقال بدوى نعم يارسول الله فقال هات فانشأ الاعرابي

قد لسعت حية الهوى كبدى فلا طبيب لها ولا راقى

الا الحبيب الذى شغفت به فعنده رقيتى وترياقى

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد الاصحاب معه حتي سقط رداؤه عن منكبه فلما فرغوا أوى كل واحد منهم إلى مكانه قال معاوية ابن أبي سفيان ما أحسن لعبكم يارسول الله فقال مه يامعاوية ليس بكريم من لم يهتز عند سماع ذكر الحبيب ثم قسم ردائه رسول الله ﷺ على من حاضرهم بأربعمائة قطعة فهذا الحديث أوردناه مسندا كما سمعناه ووجدناه وقد تكلم فى صحته أصحاب الحديث وما وجدنا شيء نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم إلا هذا وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان فى سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها أن لو صح والله أعلم ويخالج سرى أنه غير صحيح ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا فى هذا الحديث ويأبى القلب قبوله والله أعلم بذلك

﴿ الباب السادس والعشرون فى خاصية الأربعينية التى يتعاهدها الصوفية ﴾

ليس مطلوب القوم من الاربعين شيئا مخصوصا لايطلبونه فى غيرها ولكن لما طرقتهم مخالفات حكم الأوقات أحبوا تقييد الوقت بالأربعين رجاء أن ينسحب حكم الأربعين على جميع زمانهم فيكونوا فى جميع أوقاتهم كهيئتهم فى الأربعين على ان الأربعين خصت بالذكر فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقد خص الله تعالى الأربعين بالذكر فى قصة موسى عليه السلام وأمره بتخصيص الأربعين بمزيد تبتل قال الله تعالى (وواعدنا

موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربك أربعين ليلة) وذلك أن موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان الله تعالى إذا أهلك عدوهم واستنقذهم من أيديهم يأتيهم بكتاب من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والأحكام فلما فعل الله ذلك وأهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوما وهو ذو القعدة فلما تمت الثلاثون ليلة أنكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب فقالت له الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة وقال له أما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام بالنهار وأكله بالليل بل طوى الأربعين من غير أكل فدل على ان خلو المعدة من الطعام أصل كبير فى الباب حتى احتاج موسى إلي ذلك مستعدا لمكالمة الله تعالى والعلوم اللدنية فى قلوب المنقطعين إلي الله تعالى ضرب من المكالمة ومن انقطع إلى الله أربعين يوما مخلصا متعاهدا نفسه بخفة المعدة يفتح الله عليه العلوم اللدنية كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك غير ان تعيين الأربعين من المدة فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أمر الله تعالى موسى عليه السلام بذلك والتحديد والتقييد بالأربعين لحكمة فيه ولا يطلع أحد على حقيقة ذلك الا الأنبياء إذا عرفهم الحق ذلك أو من يخصه الله تعالي بتعريف ذلك من غير الأنبياء ويلوح فى سر ذلك معنى والله أعلم وذلك ان الله تعالى لما أراد بتكوين آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كما ورد خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا فكان آدم لما كان مستصلحا لعمارة الدارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيبا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه الدار الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تأتي منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة فمن التراب كونه وأربعين صباحا خمر طينته ليبعد بالتخمير أربعين صباحا بأربعين حجابا من الحضرة الالهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتعوق به عن الحضرة الالهية ومواطن القرب إذ لو لم يتعوق بهذا الحجاب ماعمرت الدنيا فتأصل البعد عن مقام القرب فيه لعمارة عالم الحكمة وخلافة الله تعالي فى الأرض فالتبتل لطاعة الله تعالى والاقبال

عليه والانتزاع عن التوجه الى أمر المعاش بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى فيه مودع وعلى قدر زوال كل حجاب ينجذب ويتخذ منزلا في القرب من الحضرة الالهية التي هى مجمع العلوم ومصدرها فاذا تمت الأربعون زالت الحجب وانصبت اليه العلوم والمعارف انصبابا ثم العلوم والمعارف هى أعيان انقلبت أنوارا باتصال اكسير نور العظمة الالهية بها فانقلبت أعيان حديث النفس علوما إلهامية وتصدت اجرام حديث النفس لقبول أنوار العظمة فلولا وجود النفس وحديثها ماظهرت العلوم الالهية لأن حديث النفس وعاء وجودى لقبول الأنوار وما للقلب فى ذاته لقبول العلم شيء وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أشار إلي القلب باعتبار أن للقلب وجها إلي النفس باعتبار توجهه إلى عالم الشهادة وله وجه إلى الروح باعتبار توجهه إلى عالم الغيب فيستمد القلب العلوم المكونة فى النفس ويخرجها إلى اللسان الذي هو ترجمانه فظهور العلوم من القلب لأنها متأصلة فيه فللقلب والروح مراتب من قرب الملهم سبحانه وتعالي فوق رتب الالهام فالعبد بانقطاعه إلى الله تعالي واعتزال الناس يقطع مسافات وجوده ويستنبط من معدن نفسه جواهر العلوم وقد ورد فى الخبر الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم فى الاسلام إذا فقهوا ففى كل يوم باخلاصه فى العمل لله يكشف طبقة من الطباق الترابية الجبلية المبعدة عن الله تعالى إلى أن يكشف باستكمال الاربعين أربعين طبقة في كل يوم طبقة من أطباق حجابه وآية صحة هذا العبد وعلامة تأثره بالأربعين ووفائه بشروط الاخلاص أن يزهد بعد الأربعين فى الدنيا ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود لأن الزهد في الدنيا من ضرورة ظهور الحكمة ومن لم يزهد فى الدنيا ماظفر بالحكمة ومن لم يظفر بالحكمة بعد الأربعين تبين انه قد أخل بالشروط ولم يخلص لله تعالى ومن لم يخلص لله ماعبد الله لأن الله تعالى أمرنا بالاخلاص كما أمرنا بالعمل فقال تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين (أخبرنا) الشيخ طاهر بن أبي الفضل اجازة قال أنا أبوبكر أحمد بن خلف اجازة قال أنا أبوعبدالرحمن السلمى قال أنا أبومنصور الضبعى قال حدثنا محمد بن أشرس قال حدثنا حفص بن

عبد الله قال حدثنا ابراهيم بن طهمان عن عاصم عن زر عن صفوان بن عسال رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إذا كان يوم القيامة يجيء الاخلاص والشرك يجثوان بين يدى الرب عز وجل فيقول الرب للاخلاص انطلق أنت وأهلك إلي الجنة ويقول للشرك انطلق أنت وأهلك إلى النار وبهذا الاسناد قال السلمي سمعت على بن سعيد وسألته عن الاخلاص ماهو قال سمعت ابراهيم الشقيقى وسألته عن الاخلاص ماهو قال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسألته عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن بشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطى عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن على الهجيمى عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ما هو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ما هو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ما هو قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ماهو قال هو سر من سرى أودعته قلب من أحببت من عبادى فمن الناس من يدخل الخلوة على مراغمة النفس إذ النفس بطبعها كارهة للخلوة ميالة الى مخالطة الخلق فاذا أزعجها عن مقار عادتها وحبسها على طاعة الله تعالى يعقب كل مرارة تدخل عليها حلاوة فى القلب (قال) ذوالنون رحمه الله لم أر شيئا أبعث على الاخلاص من الخلوة ومن أحب الخلوة فقد استمسك بعمود الاخلاص وظفر بركن من أركان الصدق وقال الشبلى رحمه الله لرجل استوصاه الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم واستقبل الجدار حتى تموت (قال) يحيى بن معاذ رحمه الله الوحدة منية الصديقين ومن الناس من ينبعث من باطنه داعية الخلوة وتنجذب النفس إلى ذلك وهذا أتم وأكمل وأدل على كمال الاستعداد * وقد روي من حال رسول الله ﷺ مايدل على ذلك فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أخبرنا الحافظ اسمعيل بن احمد المقرى قال أنا جعفر بن الحكاك المكى قال أنا أبو عبدالله الصنمانى قال أنا أبو عبدالله البغوى قال أنا اسحق الديرى قال أنا عبدالرزاق عن معمر قال أخبرني الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت أول مابدىء به رسول الله ﷺ من

الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الي خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ فقال رسول الله ﷺ ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقاريء فأخذني فغطنى الثانية حتى بلغ من الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطنى الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلنى فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق) حتى بلغ (مالم يعلم) فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملونى فزملوه حتي ذهب عنه الروع فقال لخديجة مالى وأخبرها الخبر فقال قد خشيت على عقلى فقالت كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة ياعم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة ياابن أخى ماذا تري فأخبره الخبر رسول الله ﷺ فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو الناموس الذى أنزل على موسى ياليتنى جذعا ليتنى فيها أكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجيَّ هم قال ورقة نعم أنه لم يأت أحد قط بما جئت به إلا عودى وأوذى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا * وحدث جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحى فقال في حديثه فبينما أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فجئثت منه رعبا فرجعت فقلت زملونى زملونى فدثرونى فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر قم فأنذر) إلى (والرجز فاهجر) وقد نقل ان رسول الله ﷺ ذهب مرارا كى يردى نفسه من شواهق الجبال فكلما وافى ذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبرائيل عليه السلام فقال يامحمد انك لرسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وإذا طالت عليه

فترة الوحي عاد لمثل ذلك فيتبدى له جبريل فيقول له مثل ذلك فهذه الأخبار المنبئة عن بدء أمر رسول الله ﷺ هي الأصل في ايثار المشايخ الخلوة للمريدين والطالبين فانهم إذا أخلصوا لله تعالى في خلواتهم يفتح الله عليهم ما يؤنسهم في خلوتهم تعويضا من الله إياهم عما تركوا لأجله ثم خلوة القوم مستمرة وانما الأربعون واستكمالها له أثر ظاهر في ظهور مبادي بشائر الحق سبحانه وتعالي وسنوح مواهبه السنية

﴿ الباب السابع والعشرون في ذكر فتوح الأربعينية ﴾

وقد غلط في طريق الخلوة والأربعينية قوم وحرفوا الكلم عن مواضعه ودخل عليهم الشيطان وفتح عليهم بابا من الغرور ودخلوا الخلوة على غير أصل مستقيم من تأدية حق الخلوة بالاخلاص وسمعوا أن المشايخ والصوفية كانت لهم خلوات وظهرت لهم وقائع وكوشفوا بغرائب وعجائب فدخلوا الخلوة لطلب ذلك وهذا عين الاعتلال ومحض الضلال وانما القوم اختاروا الخلوة والوحدة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس واخلاص العمل لله تعالى (نقل) عن أبي عمرو الانماطى انه قال لمن يصفو للعاقل فهم الاخير إلا بأحكامه ما يجب عليه من اصلاح الحال الاول والمواطن التي ينبغي أن يعرف منها أمزداد هو أم منتقص فعليه أن يطلب مواضع الخلوة لكي لا يعارضه شاغل فيفسد عليه ما يريده (أنبأنا) طاهر بن أبي الفضل أجازة عن أبي بكر بن خلف أجازة قال أنبأنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا تميم المغربي يقول من اختار الخلوة على الصحبة فينبغي أن يكون خاليا من جميع الافكار إلا ذكر ربه عز وجل وخاليا من جميع المرادات إلا مراد ربه وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب فان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنه أو بليسة (أخبرنا) أبو زرعة اجازة قال أنا أبو بكر اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصورا يقول سمعت محمد بن حامد يقول جاء رجل إلى زيارة أبي بكر الوراق وقال له أوصني فقال وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة ووجدت شرها في الكثرة والاختلاط فمن دخل الخلوة معتلا في دخوله دخل عليه الشيطان وسول له أنواع الطغيان وامتلأ من الغرور والمحال فظن أنه

على حسن الحال فقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير شروطها وأقبلوا على ذكر من الاذكار واستجموا نفوسهم بالعزلة عن الخلوة ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة والوحدة فى جمع الهم لهاتأثير فى صفاء الباطن مطلقا فما كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق المتابعة لرسول الله ﷺ أنتج تنوير القلب والزهد فى الدنيا وحلاوة الذكر والمعاملة لله بالاخلاص من الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله ﷺ ينتج صفاء فى النفس يستعان به على اكتساب علوم الرياضة مما يعتنى به الفلاسفة والدهريون خذلهم الله تعالى وكلما أكثر من ذلك بعد عن الله ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرياضية أو بما قد يتراءى له من صدق الخاطر وغير ذلك حتى يركن اليه الركون التام ويظن أنه فاز بالمقصود ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من النصارى والبراهمة وليس هو المقصود من الخلوة بقول بعضهم ان الحق يريد منك الاستقامة وأنت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين شيء من خوارق العادات وصدق الفراسة ويتبين ما سيحدث فى المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح فى حالهم عدم ذلك وانما يقدح فى حالهم الانحراف عن حد الاستقامة فما يفتح من ذلك على الصادقين يصير سببا لمزيد ايقانهم والداعى لهم إلى صدق المجاهدة والمعاملة والزهد فى الدنيا والتخلق بالاخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقه وينكر الحدود والاحكام والحلال والحرام ويظن أن المقصود من البعادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة الرسول ﷺ ثم يتدرج من ذلك إلي تلحد وتزندق نعوذ بالله من الضلال وقد يلوح لأقوام خيالات يظنونها وقائع ويشبهونها بوقائع المشايخ من غير علم بحقيقة ذلك فمن أراد تحقيق ذلك فليعلم أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقعد فى الخلوة أربعين يوما أو أكثر فنهم من يباشر باطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كما قال قائلهم رأى قلبي ربي وقد يصل إلى هذا المقام تارة باحياء

الأوقات بالصالحات وكف الجوارح وتوزيع الأوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات وتارة يبادئه الحق لموضع صدقه وقوة استعداده ومبادئه من غير عمل وجد منه وتارة يجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الاذكار لأنه لا يزال يردد ذلك الذكر ويقوله وتكون عبادته الصلوات الخمس بسننها الراتبة فحسب وسائر أوقاته مشغولة بالذكر الواحد لا يتخللها فتور ولا يوجد منه قصور ولا يزال يردد ذلك الذكر ملتزما به حتى فى طريق الوضوء وساعة الأكل لا يفتر عنه واختار جماعة من المشايخ من الذكر كلمة لا إله إلا الله وهذه الكلمة لها خاصية فى تنوير الباطن وجمع الهم إذا داوم عليها صادق مخلص وهى من مواهب الحق لهذه الأمة وفيها خاصية لهذه الأمة فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين املاء قال أنا أبو القاسم الدمشقى الحافظ قال أنا عبد الكريم بن الحسين قال أنا عبد الوهاب الدمشقى قال أنا محمد بن خريم قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا الوليد بن مسلم قال أنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه أن عيسى بن مريم عليه السلام قال رب أنبئنى عن هذه الأمة المرحومة قال أمة محمد عليه الصلاة والسلام علماء أخفياء أتقياء حلماء أصفياء حكماء كأنهم أنبياء يرضون منى بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله ياعيسى هم أكثر سكان الجنة لأنها لم تذل ألسن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت رقابهم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال إن هذه الآية مكتوبة فى التوراة (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزا للمؤمنين وكنزا للأميين أنت عبدي ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى تقام به الملة المعوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتحوا أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فلا يزال العبد فى خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة فى القلب مزيلة لحديث النفس ينوب معناها فى القلب عن حديث النفس فاذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان يتشربها القلب فلو سكت اللسان لم يسكت القلب ثم تتجوهر فى القلب ويتجوهرها

يستكن نور اليقين في القلب حتى إذا ذهبت صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوهرا ويتخذ الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى ويصير الذكر حينئذ ذكر الذات وهذا الذكر هو المشاهدة والمكاشفة والمعاينة أعنى ذكر الذات بتجوهر نور الذكر وهذا هو المقصد الأقصى من الخلوة وقد يحصل هذا من الخلوة لابذكر الكلمة بل بتلاوة القرآن إذا أكثر من التلاوة واجتهد فى مواطأة القلب مع اللسان حتى تجرى التلاوة على اللسان ويقوم معنى الكلام مقام حديث النفس فيدخل على العبد سهولة فى التلاوة والصلاة ويتنور الباطن بتلك السهولة فى التلاوة والصلاة ويتجوهر نور الكلام في القلب ويكون منه أيضا ذكر الذات ويحتمه نور الكلام في القلب مع مطالعة عظمة المتكلم سبحانه وتعالى ودون هذه الموهبة مايفتح على العبد من العلوم الالهامية الدنية وإلى حين بلوغ العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة إذا صفا باطنه قد يغيب فى الذكر من كمال أنسه وحلاوة ذكره حتى يلتحق فى غيبته فى الذكر بالنائم وقد تتجلى له الحقائق فى لبسه الخيال أولا كما تنكشف الحقائق للنائم فى لبسه الخيال كمن رأى فى المنام أنه قتل حية فيقول له المعبر تظفر بالعدو فظفره بالعدو هو كشف كاشفه الحق تعالى به وهذا الظفر روح مجرد صاغ ملك الرؤيا له جسدا لهذا الروح من خيل الحية فالروح الذي هو كشف الظفر أخبار الحق ولبسة الخيال الذى هو بمثابة الجسد مثال انبعث من نفس الرائي فى المنام من استصحابه القوة الوهمية والخيالية من اليقظة فيتألف روح كشف الظفر مع جسد مثال الحية فافتقر الى التعبير إذ لو كشف بالحقيقة التى هى روح الظفر من غير هذا المثال الذى هو بمثابة الجسد ما احتاج إلى التعبير فكان يري الظفر ويصح الظفر وقد يتجرد الخيال باستصحاب الخيال والوهم من اليقظة فى المنام من غير حقيقة فيكون المنام أضغاث أحلام لا يعبر وقد يتجرد لصاحب الخلوة الخيال المنبعث من ذاته من غير أن يكون وعاء لحقيقة فلا يبنى على ذلك ولا يلتفت اليه فليس ذلك واقعة وانما هو خيال فأما إذا غاب الصادق فى ذكر الله تعالي حتى يغيب عن المحسوس بحيث لو دخل عليه داخل من الناس لا يعلم به لغيبته فى الذكر فعند ذلك

قدينبعث في الابتداء من نفسه مثال وخيال ينفخ فيه روح الكشف فاذا عاد من غيبته فاما يأتيه تفسيره من باطنه موهبة من الله تعالي وإما يفسره له شيخه كما يعبر المعبر المنام ويكون ذلك واقعة لأنه كشف حقيقة في لبسة مثال وشرط صحة الواقعة الاخلاص في الذكر أولا ثم الاستغراق في الذكر ثانيا وعلامة ذلك الزهد في الدنيا وملازمة التقوى لان الله جعله بما يكاشف به في واقعة مورد الحكمة والحكمة تحكم بالزهد والتقوى وقد يتجرد للذاكر الحقائق من غير لبسة المثال فيكون ذلك كشفا واخبارا من الله تعالي اياه ويكون ذلك تارة بالرؤية وتارة بالسماع وقد يسمع من باطنه وقد يطرق ذلك من الهواء لا من باطنه كالهواتف يعلم ذلك أمرا يريد الله احداثه له أو لغيره فيكون اخبار الله اياه بذلك مزيدا ليقينه أو يرى في المنام حقيقة الشيء ﴿نقل﴾ عن بعضهم انه اتى بشراب في قدح فوضعه من يده وقال قد حدث في العالم حدث ولا أشرب هذا دون ان أعلم ماهو فانكشف له ان قوما دخلوا مكة وقتلوا فيها ﴿وحكى﴾ عن أبي سليمان الخواص قال كنت راكبا حمارا لي يوما وكان يؤذيه الذباب فيطاطى رأسه فكنت أضرب رأسه بخشبة كانت في يدي فرفع الحمار رأسه إلي وقال أضرب فانك على رأسك تضرب قيل له يا أبا سليمان وقع لك ذلك أو سمعته فقال سمعته يقول كما سمعتني (وحكى) عن أحمد بن عطاء الروزبادي قال كان لي مذهب في أمر الطهارة فكنت ليلة من الليالي استنجي إلى ان مضى ثلث الليل ولم يطب قلبي فتضجرت فبكيت وقلت يارب العفو فسمعت صوتا ولم أر أحدا يقول ياأباعبدالله العفو في العلم وقد يكاشف الله تعالى عبده بآيات وكرامات تربية للعبد وتقوية ليقينه وايمانه (قيل) كان عند جعفر الخلدي رحمه الله فص له قيمة وكان يوما من الأيام راكبا في السمارية في دجلة فهم ان يعطي الملاح قطعة وحل الخرقة فوقع الفص في الدجلة وكان عنده دعاء للضالة مجرب وكان يدعو به فوجد الفص في وسط أوراق كان يتصحفها والدعاء هو أن يقول ياجامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتي ﴿وسمعت﴾ شيخنا بهمذان حكى له شخص انه كوشف في بعض خلواته بولد له في جيحون كان يسقط في الماء من السفينة قال فزجرته فلم يسقط وكان هذا الشخص بنواحي همذان وولده بجيحون فلما قدم الولد أخبر انه كاد يسقط في الماء

فسمع صوت والده فلم يسقط ﴿ وقال عمر ﴾ رضي الله عنه ياسارية الجبل على المنبر بالمدينة وسارية بنها وند فأخذ سارية نحو الجبل وظفر بالعدو فقيل لسارية كيف علمت ذلك فقال سمعت صوت عمر وهو يقول ياسارية الجبل (سئل) ابن سالم وكان قد قال للايمان أربعة أركان ركن منه الايمان بالقدرة وركن منه الايمان بالحكمة وركن منه التبرى من الحول والقوة وركن منه الاستعانة بالله عز وجل فى جميع الأشياء قيل له مامعنى قولك الايمان بالقدرة فقال هو أن تؤمن ولا تنكر أن يكون لله عبد بالمشرق قائما على يمينه ويكون من كرامة الله له أن يعطيه من القوة ماينقلب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب تؤمن بجواز ذلك وكونه * وحكى لي فقير أنه كان بمكة وأرجف على شخص ببغداد انه قدمات فكاشفه الله بالرجل وهو راكب يمشى فى سوق بغداد فأخبر اخوانه ان الشخص لم يمت وكان كذلك حتى ذكر لى هذا الشخص انه فى تلك الحالة التى كوشف بالشخص راكبا قال رأيته فى السوق وأنا أسمع بأذنى صوت المطرقة من الحداد فى سوق بغداد وكل هذه مواهب الله تعالى وقد يكاشف بها قوم وتعطى وقد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شىء من هذا لان هذه كلها تقوية اليقين ومن منح صرف اليقين لاحاجة له إلى شىء من هذا فكل هذه الكرامات دون ماذكرناه من تجوهر الذكر فى القلب ووجود ذكر الذات فان تلك الحكمة فيها تقوية للمريدين وتربية للسالكين ليزدادوا بها يقينا يجذبون به إلى مراغمة النفوس والسلو عن ملاذ الدنيا ويستنهض منهم بذلك ساكن عزمهم لعمارة الأوقات بالقربات فيتروحون بذلك ويرقون لطريقة من كوشف بصرف اليقين من ذلك لمكان أن نفسه أسرع اجابة وأسهل انقيادا وأتم استعدادا والأولون استلين بذلك منهم ما استوعر واستكشف منهم ما استتر وقد لا يمنع صور ذلك الرهابين والبراهمة ممن هو غير منتهج سبل الهدى وراكب طريق الردى ليكون ذلك فى حقهم مكرا واستدراجا ليستحسنوا حالهم ويستقروا فى مقار الطرد والبعد ابقاءهم فيما أراد الله منهم من العمى والضلال والردى والوبال حتى لا يغتر السالك بيسير شىء يفتح له ويعلم انه لو مشى على الماء والهواء لا ينفعه ذلك حتى يؤدى حق التقوى والزهد فأما من تعوق بخيال أوقنع بمحال ولم يحكم

أساس خلوته بالاخلاص يدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه الله تعالى لذة المعاملة وتذهب عن قلبه هيبة الشريعة ويفتضح في الدنيا والآخرة فليعلم الصادق ان المقصود من الخلوة التقرب إلى الله تعالى بعمارة الأوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة ادامة الأوراد وتوزيعها على الأوقات ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام المراقبة ويصلح لقوم الانتقال من الذكر إلى الاوراد ولقوم الانتقال من الأوراد إلى الذكر ومعرفة مقادير ذلك يعلمه المصحوب للشيخ المطلع على اختلاف الاوضاع وتنويعها مع نصحه للأمة وشفقته على الكافة يريد المريد لله لا لنفسه غير مبتلى بهوى نفسه محبا للاستتباع ومن كان محبا الاستتباع فإيفساده مثل هذا أكثر مما يصلحه

﴿ الباب الثامن والعشرون فى كيفية الدخول فى الأربعينية ﴾

روى أن داود عليه السلام لما ابتلى بالخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما وليلة حتى أتاه الغفران من ربه وقد تقرر ان الوحدة والعزلة ملاك الأمر ومتمسك أرباب الصدق فمن استمرت أوقاته على ذلك لجميع عمره خلوة وهو الأسلم لدينه فان لم يتيسر له ذلك وكان مبتلى بنفسه أولا ثم بالأهل والأولاد ثانيا فليجعل لنفسه من ذلك نصيبا (نقل) عن سفيان الثورى فيما روي احمد بن حرب عن خالد بن زيد عنه أنه كان يقال ما أخلص عبد لله أربعين صباحا الا أنبت الله سبحانه الحكمة في قلبه وزهده الله فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره داء الدنيا ودواءها فيتعاهد العبد نفسه فى كل سنة مرة وأما المريد الطالب إذا أراد أن يدخل الخلوة فأكمل الأمر فى ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما يملكه ويغتسل غسلا كاملا بعد الاحتياط للثوب والمصلى بالنظافة والطهارة ويصلى ركعتين ويتوب إلى الله تعالى من ذنوبه ببكاء وتضرع واستكانة وتخشع ويسوى بين السريرة والعلانية ولا ينطوي على غل وغش وحقد وحسد وخيانة ثم يقعد فى موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة فترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فان وجد تفرقة فى خروجه يكون له شخص يصلى معه جماعة فى خلوته ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفردا البتة فبترك

الجماعة يخشى عليه آفات وقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك بشؤم اصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه ينبغى أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذاكر لا يفتر عن الذكر ولا يكثر ارسال الطرف إلى ما يري ولا يصغى إلى ما يسمع لأن القوة الحافظة والمتخيلة كلوح ينتقش بكل مرئى ومسموع فيكثر ذلك الوسواس وحديث النفس والخيال ويجتهد أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الامام تكبيرة الاحرام فاذا سلم الامام وانصرف ينصرف إلى خلوته ويتقى فى خروجه استجلاء نظر الخلق إليه وعلمهم بجلوسه فى خلوته فقد قيل لا تطمع فى المنزلة عند الله وأنت تريد المنزلة عند الناس وهذا أصل ينفسد به كثير من الأعمال إذا أهمل وينصلح به كثير من الأحوال إذا اعتبر ويكون فى خلوته جاعلا وقته شيئا واحدا موهوبا لله بادامة فعل الرضا إما تلاوة أو ذكرا أو صلاة أو مراقبة وأي وقت فتر عن هذه الأقسام ينام فان أراد تعين اعداد من الركعات ومن التلاوة والذكر أتي بذلك شيئا فشيئا وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يعتمد أخف ما على قلبه من هذه الأقسام فاذا افتر عن ذلك ينام وإن أراد أن يبقى سجود واحد أو ركوع واحد أو ركعة واحدة أو ركعتين ساعة أو ساعتين فعل ويلازم فى خلوته ادامة الوضوء ولا ينام إلا عن غلبة بعد أن يدفع النوم عن نفسه مرات فيكون هذا شغله ليله ونهاره وإذا كان ذاكرا لكلمة لا إله إلا الله وسئمت النفس الذكر باللسان يقولها بقلبه من غير حركة اللسان وقد قال سهل بن عبد الله إذا قلت لا إله إلا الله مد الكلمة وانظر إلى قدم الحق فأثبته وأبطل ماسواه وليعلم أن الأمر كالسلسلة يتداعى حلقة حلقة فليكن دائم التلزم بفعل الرضا * وأما قوت من فى الأربعينية والخلوة فالأولى أن يقتنع بالخبز والملح ويتناول كل ليلة رطلا واحدا بالبغدادي يتناوله بعد العشاء الآخرة وإن قسمه نصفين يأكل أول الليل نصف رطل وآخر الليل نصف رطل فيكون ذلك أخف للمعدة وأعون على قيام الليل واحيائه بالذكر والصلاة وإن أراد تأخير فطوره إلى السحر فليفعل وإن لم يصبر على ترك الادام يتناول الادام وان كان الادام شيئا يقوم مقام الخبز ينقص من الخبز بقدر ذلك وإن أراد التقلل من هذا القدر أيضا ينقص كل ليلة دون اللقمة بحيث ينتهى تقلله فى العشر الأخير من الأربعين إلي نصف رطل وإن قوى قنع النفس بنصف رطل من أول الأربعين

وتقص يسيرا كل ليلة بالتدريج حتى يعود فطوره الى ربع رطل فى العشر الأخير (وقد اتفق) مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان أحدهما آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية يأكلة واحدة يجعلها بعد العشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس اثنتين وسبعين ساعة فيكون الطى ليلتين والافطار فى الليلة الثالثة ويكون لكل يوم وليلة ثلث رطل وبين هذين الوقتين وقت وهو أن يفطر من كل ليلتين ليلة ويكون لكل يوم وليلة نصف رطل وهذا ينبغى أن يفعله إذا لم ينتج ذلك عليه سآمة وضجرا وقلة انشراح فى الذكر والمعاملة فاذا وجد شيئا من ذلك فليفطر كل ليلة ويأكل الرطل فى الوقتين أو الوقت الواحد فالنفس إذا أخذت بالافطار من كل ليلتين ليلة ثم ردت إلى الافطار كل ليلة تقنع وإن سومحت بالافطار كل ليلة لا تقنع بالرطل وتطلب الادام والشهوات وقس على هذا فهى إن أطمعت طمعت وإن أقنعت قنعت (وقد كان) بعضهم ينقص كل ليلة حتى يرد النفس إلى أقل قوتها ومن الصالحين ومن كان يعير القوت بنوى التمر وينقص كل ليلة نواة ومنهم من كان يعير بعود رطب وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود ومنهم من كان ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتى يفنى الرغيف في شهر ومنهم من كان يؤخر الأكل ولا يعمل فى تقليل القوت ولكن يعمل فى تأخيره بالتدريج حتى تندرج ليلة فى ليلة وقد فعل ذلك طائفة حتى انتهى طيهم إلى سبعة أيام وعشرة أيام وخمسة عشر يوما إلى الأربعين وقد قيل لسهل ابن عبدالله هذا الذي يأكل فى كل أربعين وأكثر أكلة أين يذهب لهب الجوع عنه قال يطفئه النور وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لى كلاما بعبارة دلت على أنه يجد فرحا بربه يتطفىء معه لهب الجوع وهذا في الخلق واقع أن الشخص يطرقه فرح وقد كان جائعا فيذهب عنه الجوع وهكذا فى طرق الخوف يقع ذلك ومن فعل ذلك ودرج نفسه فى شىء من هذه الاقسام التى ذكرناها لا يؤثر ذلك في نقصان عقله واضطراب جسمه إذا كان في حماية الصدق والاخلاص وانما يخشى فى ذلك وفى دوام الذكر على من لا يخلص لله تعالى * وقد قيل حد الجوع أن لا يميز بين

الخبزوغيره مما يؤكل ومتى عيبت النفس الخبز فليس بجائع وهذا المعنى قد يوجد
فى آخر الحدين بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب الغذاء عند ذلك
يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرائض العبودية ويكون هذا حد الضرورة
لمن لا يجتهد فى التقليل بالتدريج فأما من درج نفسه في ذلك فقد يصبر على أكثر
من ذلك إلى الأربعين كما ذكرنا وقد قال بعضهم حد الجوع أن يبزق فإذا لم يقع
الذباب على بزاقه يدل هذا على خلو المعدة من الدسومة وصفاء البزاق كالماء الذى
لا يقصده الذباب روى أن سفيان الثورى وابراهيم بن أدهم رضى الله عنهما كانا
يطويان ثلاثا ثلاثا وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستا وكان عبدالله
ابن الزبير رضي الله عنه يطوى سبعة أيام (واشتهر) حال جدنا محمد بن عبد الله
المعروف بعمويه رحمه الله وكان صاحب أحمد الأسود الدينورى انه كان يطوى
أربعين يوما وأقصى ما بلغ فى هذا المعنى الطى رجل أدركنا زمانه وما رأيته كان
فى أبهر يقال له الزاهد خايفة كان يأكل في كل شهر لوزة ولم نسمع أنه بلغ فى
هذه الأمة أحد بالطى والتدريج إلي هذا الحد وكان في أول أمره على ما حكى
ينقص القوت بنشاف العود ثم طوى حتى انتهى إلى اللوزة فى الأربعين ثم أنه
قد يسلك هذا الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا لوجود
هوى ممتكن فى باطنه يهون عليه ترك الأكل إذا كان له استجلاء لنظر الخلق
وهذا عين النفاق نعوذ بالله من ذلك والصادق ربما يقدر على الطى إذا لم يعلم بحاله
أحد وربما تضعف عزيمته فى ذلك إذا علم بأنه يطوي فان صدقه فى الطى ونظره
إلى من يطوى لأجله يهون عليه الطى فاذا علم به أحد تضعف عزيمته فى ذلك وهذا
علامة الصادق فهما أحس فى نفسه أنه يحب أن يرى بعين التقلل فليتهم نفسه
فان فيه شائبة النفاق ومن يطوى لله يعوضه الله تعالى فرحا فى باطنه ينسيه الطعام
وقد لا ينسى الطعام ولكن امتلاء قلبه بالأنوار يقوى جاذب الروح الروحاني
فيجذبه إلي مركزه ومستقره من العالم الروحانى وينفر بذلك عن أرض الشهوة
النفسانية وأما آثر جاذب الروح إذا تخلف عنه جاذب النفس عند كمال طمأنينتها

وانعكاس أنوار الروح عليها بواسطة القلب المستنير فأجل من جذب المغناطيس للحديد إذ المغناطيس يجذب الحديد لروح فى الحديد مشاكل للمغناطيس فيجذبه بنسبة الجنسية الخاصة فإذا تجنست النفس بعكس نور الروح الواصل اليها بواسطة القلب يصير فى النفس روح استمدها القلب من الروح وأداها إلي النفس فتجذب الروح النفس بجنسية الروح الحادثة فيها فيزدرى الاطعمة الدنيوية والشهوات الحيوانية ويتحقق عنده قول رسول الله ﷺ أبيت عند ربي يطعمنى ويسقينى ولا يقدر على ماوصفناه إلا عبد تصير أعماله وأقواله وسائر أحواله ضرورة فيتناول من الطعام أيضا ضرورة ولو تكلم مثلا بكلمة من غير ضروره التهب فيه نار الجوع التهاب الحلفاء بالنار لان النفس الراقدة تستيقظ بكل مايوقظها وإذا استيقظت نزعت إلى هواها فالعبد المراد بهذا إذا فطن لسياسة النفس ورزق العلم سهل عليه الطى وتداركته المعونة من الله تعالى لاسيما ان كوشف بشيء من المنح الالهية * وقد حكي لى فقير أنه اشتد به الجوع وكان لا يطلب ولا يتسبب قال فلما انتهى جوعى الى الغاية بعد أيام فتح الله على بتفاحة قال فتناولت التفاحة وقصدت أكلها فلما كسرتها كوشفت بحوراء نظرت اليها عقيب كسرها فحدث عندى من الفرح بذلك ما استغنيت عن الطعام أياما وذكر لى أن الحوراء خرجت من وسط التفاحة والايمان بالقدرة ركن من أركان الايمان فسلم ولا تنكر (وقال) سهل ابن عبدالله رحمه الله من طوى أربعين يوما ظهرت له القدرة من الملكوت وكان يقال لا يزهد العبد حقيقة الزهد الذى لامشوبة فيه إلا بمشاهدة قدرة من الملكوت وقال الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله عرفنا من طوى أربعين يوما برياضة النفس في تأخير القوت وكان يؤخر فطره كل ليلة إلى نصف سبع الليل حتى يطوى ليلة فى نصف شهر فيطوى الأربعين فى سنة وأربعة أشهر فتندرج الأيام والليالى حتى يكون الأربعين بمنزلة يوم واحد * وذكر لى ان الذى فعل ذلك ظهرت له آيات من الملكوت وكوشف بمعانى قدرة من الجبروت تجلى الله بها له كيف شاء واعلم ان هذا المعنى من الطى والتقلل لو انه عين الفضيلة مافات أحدا من الأنبياء ولكان رسول الله ﷺ يبلغ من ذلك إلى أقصى غاياته ولاشك ان لذلك

فضيلة لاتنكر ولكن لاينحصر مواهب الحق تعالى فى ذلك فقد يكون من يأكل كل يوم أفضل ممن يطوى أربعين يوما وقد يكون من لايكاشف بشيء من معاني القدرة أفضل ممن يكاشف بها إذا كاشفه الله بصرف المعرفة فالقدرة أثر من القادر ومن أهل لقرب القادر لايستغرب ولايستنكر شيئا من القدرة ويرى القدرة تتجلى له من سجف أجزاء علم الحكمة فاذا أخلص العبد لله تعالى أربعين يوما واجتهد فى ضبط أحواله بشيء من الأنواع التي ذكرنا من العمل والذكر والقوت وغير ذلك تعود بركة تلك الأربعين على جميع أوقاته وساعاته وهو طريق حسن اعتمده طائفة من الصالحين وكان جماعة من الصالحين يختارون للأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وهى أربعون موسى عليه السلام (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب اجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك ابن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن ابن على الجوهرى اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد ابن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا أبو معاوية الضرير قال حدثنا الحجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلص لله تعالى العبادة أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه

﴿ الباب التاسع والعشرون فى أخلاق الصوفية وشرح الخلق ﴾

الصوفية اوفر الناس حظا فى الاقتداء برسول الله ﷺ وأحقهم باحياء سنته والتخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن الاقتداء واحياء سنته على ماأخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين شيخ الاسلام أبو أحمد عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهروى قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى قال حدثنا مسلم بن حاتم الأنصارى البصرى قال حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى عن أبيه عن على بن زيد عن سعيد ابن المسيب قال قال أنس بن مالك رضى الله عنه قال لى رسول الله ﷺ يابنى ان قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال يابنى وذلك من سنتى

ومن أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة فالصوفية أحيوا سنة رسول الله ﷺ لانهم وفقوا في بدايتهم لرعاية أقواله وفي وسط حالهم اقتدوا بأعماله فأثمر لهم ذلك ان تحققوا في نهاياتهم باخلاقه وتحسين الأخلاق لايتأتي الابعد تزكية النفس وطريق التزكية بالاذعان لسياسة الشرع وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ وانك لعلى خلق عظيم لما كان أشرف الناس وأزكاهم نفسا كان أحسنهم خلقا قال مجاهد على خلق عظيم أى على دين عظيم والدين مجموع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة (سئلت) عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن قال قتادة هو ما كان يأمر به من أمر الله تعالى وينتهي عما نهى الله عنه وفي قول عائشة كان خلقه القرآن سر كبير وعلم غامض مانطقت بذلك الا بما خصها الله تعالى به من بركة الوحي السماوي وصحبة رسول الله ﷺ وتخصيصه اياها بكلمة خذوا شطر دينكم من هذه الحميراء وذلك ان النفوس مجبولة على غرائز وطبائع هي من لوازمها وضروراتها خلقت من تراب ولها بحسب ذلك طبع وخلقت من ماء ولها بحسب ذلك طبع وهكذا من حمامسنون ومن صلصال كالفخار وبحسب تلك الأصول التي هي مبادى تكونها استفادت صفات من البهيمية والسبعية والشيطانية وإلى صفة الشيطنة في الانسان اشارة بقوله تعالى من صلصال كالفخار لدخول النار في الفخار وقد قال الله تعالى وخلق الجان من مارج من نار والله تعالى بخفي لطفه وعظيم عنايته نزع نصيب الشيطان من رسول الله ﷺ على ماورد في حديث حليمة ابنة الحرث انها قالت في حديث طويل فبينا نحن خلف بيوتنا ورسول الله ﷺ مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاءنا أخوه يشتد فقال ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فاضطجعاه فشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما ممتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أى بني ماشأنك قال جاءني رجلان عليهما ثياب بياض فاضطجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه ياحليمة لقد خشيت ان يكون ابني هذا قد أصيب انطلقي بنا فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به مانتخوف قالت فاحتملناه فلم ترع أمه إلا وقد قدمنا به عليها قالت مارد كما قد كنتما عليه حريصين قلنا لا والله

لاضير الا ان الله عز وجل قد ادى عنا وقضينا الذي كان علينا وقلنا نخشى الائتلاف والاحداث نرده إلى أهله فقالت ماذاك بكما فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت خشيتما عليه الشيطان كلا والله ماللشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شأن ألاأخبركما بخبره قلنا بلى قالت حملت به فما حملت حملا قط أخف منه قالت فاريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور قد أضاءت به قصور الشام ثم وقع حين ولدته وقوعا لم يقعه المولود معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فبعد أن طهر الله رسوله من نصيب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر لماظهور بصفات وأخلاق مبقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات في نفوس الأمة بزيد من الظلمة لتفاوت حال رسول الله ﷺ وحال الأمة فاستمدت تلك الصفات المبقاة بظهورها في رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنزيل الآيات المحكمات بازائها لقمعها تأديبا من الله لنبيه رحمة خاصة له وعامة للأمة موزعة لنزول الآيات على الآناء والأوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا وتثبيت الفؤاد بعد اضطرابه بحركة النفس بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة لخلق صالح سني إما تصريحا أو تعريضا كما تحركت النفس الشريفة النبوية لما كسرت رباعيته وصار الدم يسيل على الوجه ورسول الله ﷺ يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء فاكتسى القلب النبوي لباس الاصطبار وفاء بعد الاضطراب إلي القرار فلما توزعت الآيات على ظهور الصفات في مختلف الأوقات صفت الأخلاق النبوية بالقرآن ليكون خلقه القرآن ويكون في انقاء تلك الصفات في نفس رسول الله ﷺ معنى قوله عليه السلام إنما أنسى لاسن فظهور صفات نفسه الشريفة وقت استنزال الآيات لتأديب نفوس الأمة وتهذيبها رحمة في حقهم حتى تتزكى نفوسهم وتشرف أخلاقهم قال رسول الله ﷺ الاخلاق مخزونة عند الله تعالى فاذا أراد الله تعالى بعبد خيرا منحه منها خلقا وقال ﷺ انما بعثت لأتمم

مكارم الاخلاق وروى عنه ﷺ أن لله تعالى مائة وبضعة عشر خلقا من آتاه واحدا منها دخل الجنه فتقديرها وتحديدها لا يكون الا بوحي سماوى المرسل ونبي والله تعالى أبرز الي الخلق أسماءه منبئة عن صفاته سبحانه وتعالى وما أظهرها لهم الا ليدعوهم اليها ولولا أن الله تعالى أودع في القوى البشرية التخلق بهذه الاخلاق ما أبرزها لهم دعوة لهم اليها يختص برحمته من يشاء ولا يبعد والله أعلم أن قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء خفى الي الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية أن تقول كان متخلقا بأخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور علمها وكمال أدبها وبين قوله تعالي ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وبين قوله (وانك لعلى خلق عظيم) مناسبة مشعرة بقول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن (قال) الجنيد رحمه الله كان خلقه عظيما لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطى رحمه الله تعالى لأنه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لأنه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وهذا ماقاله بعضهم فى معنى التصوف التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الأكوان في عينه بمشاهدة مكونها وقيل سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه (وقد) ندب رسول الله ﷺ أمته إلى حسن الخلق فى حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذى قال حدثنا احمد بن الحسين بن خراش قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثنى عبدالله ابن سعيد عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ان من أحبكم إلي وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وان أبغضكم إلي وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون والثرثار هو المكثار من الحديث والمتشدق المتطاول على الناس فى الكلام (قال الواسطى رحمه الله) الخلق العظيم

أن لا يخاصم ولا يخاصم وقال أيضا وإنك لعلى خلق عظيم لوجدانك حلاوة المطالعة على سرك وقال أيضاً لأنك قبلت فنون ما أسديت إليك من نعمى أحسن مما قبله غيرك من الأنبياء والرسل (وقال الحسين) لأنه لم يؤثر فيك جفاء الخلق مع مطالعة الحق وقيل الخلق العظيم لباس التقوى والتخلق بأخلاق الله تعالى إذ لم يبق للأعواض عنده خطر (وقال) بعضهم قوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين) أتم لأنه حيث قال وانك أحضره وإذا أحضره أغفله وحجبه وقوله لأخذنا أتم لأن فيه فناء وفي قول هذا القائل نظر فهلا قال ان كان في ذلك فناء ففي قوله وانك بقاء وهو بقاء بعد فناء والبقاء أتم من الفناء وهذا أليق بمنصب الرسالة لأن الفناء انما عز لمزاحمة وجود مذموم فاذا نزع المذموم من الوجود وتبدلت النعوت فأي عزة تبقى في الفناء فيكون حضوره بالله لا بنفسه فأي حجبة تبقى هنالك (وقيل) من أوتي الخلق العظيم فقد أوتي أعظم المقامات لأن للمقامات ارتباطا عاما والخلق ارتباط بالنعوت والصفات (وقال الجنيد) اجتمع فيه أربعة أشياء السخاء والألفة والنصيحة والشفقة (وقال ابن عطاء) الخلق العظيم أن لا يكون له اختيار ويكون تحت الحكم مع فناء النفس وفناء المألوفات (وقال أبو سعيد) القرشي العظيم هو الله ومن أخلاقه الجود والكرم والصفح والعفو والاحسان ألا ترى إلى قوله عليه السلام ان لله مائة وبضعة عشر خلقا من أتى بواحد منها دخل الجنة فلما تخلق بأخلاق الله تعالى وجد الثناء عليه بقوله وإنك لعلى خلق عظيم (وقيل) عظم خلقك لأنك لم ترض بالأخلاق ومررت ولم تسكن إلى النعوت حتى وصلت إلى الذات (وقيل) لما بعث محمد عليه الصلاة والسلام إلى الحجاز حجزه بها عن اللذات والشهوات وألقاه في الغربة والجفوة فلما صفا بذلك عن دنس الأخلاق قال له وإنك لعلى خلق عظيم (وأخبرنا) الشيخ الصالح أبو زرعة بن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي عن أبيه قال أنا أبو عمر المليحي قال أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الاعرابي قال حدثنا جعفر بن الحجاج الرقي قال أنا أيوب بن محمد الوزان قال حدثني الوليد قال حدثني ثابت عن يزيد عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان نبي الله ﷺ يقول مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا

تكون فى أبيه وتكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة صدق الحديث وصدق اليأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان واعطاء السائل والمكافأ بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذمم للصاحب واقراء الضيف ورأسهن الحياء * وسئل رسول الله ﷺ عن أكثر مايدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر مايدخل الناس النار قال الغم والفرح يكون هذا الغم غم فوات الحظوظ العاجلة لأن ذلك يتضمن التسخط والتضجر وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح المشار إليه الفرح بالحظوظ العاجلة الممنوع منه بقوله تعالى (لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وهو الفرح الذى قال الله تعالى (إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) لما رأى مفاتحه تنوء بالعصبة أولى القوة فأما الفرح بالاقسام الاخروية فمحمود ينافس فيه قال الله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته) فبذلك فليفرحوا وفسر عبدالله بن المبارك حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى فالصوفية راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى أجابت إلى تحسين الأخلاق وكم من نفس تجيب إلى الاعمال ولا تجيب إلى الاخلاق فنفوس العباد أجابت إلى الاعمال وجمحت عن الاخلاق ونفوس الزهاد أجابت إلى بعض الاخلاق دون البعض ونفوس الصوفية أجابت إلى الاخلاق الكريمة كلها * أخبرنا الشيخ أبو زرعة اجازة عن أبى بكر ابن خلف اجازة عن السلمى قال سمعت حسين بن احمد بن جعفر يقول سمعت أبابكر الكتانى يقول التصوف خلق فمن زاد عليك بالخلق زاد عليك بالتصوف فالعباد أجابت نفوسهم إلى الاعمال لانهم يسلكون بنور الاسلام والزهاد أجابت نفوسهم إلى بعض الأخلاق لكونهم سلكوا بنور الايمان والصوفية أهل القرب سلكوا بنور الاحسان فلما باشر بواطن أهل القرب والصوفية نور اليقين وتأصل فى بواطنهم ذلك انصلح القلب بكل ارجائه وجوانبه لأن القلب يبيض بعضه بنور الاسلام وبعضه بنور الايمان وكله بنور الاحسان والايقان فاذا ابيض القلب وتنور انعكس نوره على النفس وللقلب وجه الى النفس ووجه الى الروح وللنفس وجه إلى القلب ووجه إلى الطبع والغريزة والقلب إذا لم يبيض كله لم يتوجه إلى الروح بكله ويكون ذا وجهين

وجه إلى الروح ووجه إلى النفس فاذا ابيض كله توجه إلى الروح بكله فيتداركه مدد الروح ويزداد اشراقا وتنورا وكلما انجذب القلب إلى الروح انجذبت النفس إلى القلب وكلما انجذبت توجهت إلى القلب بوجهها الذى يليه وتنور النفس لتوجهها إلى القلب بوجهها الذى يلى القلب وعلامة تنورها طمأنينتها قال الله تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) وتنور وجهها الذى يلى القلب بمثابة نورانية أحد وجهى الصدف لاكتساب النورانية من اللؤلؤ وبقاء شىء من الظلمة على النفس لنسبة وجهها الذى يلى الغريزة والطبع كبقاء ظاهر الصدف على ضرب من الكدر والنقصان مخالفا لنورانية باطنه وإذا تنور احد وجهى النفس لجأت إلى تحسين الاخلاق وتبديل النعوت ولذلك سمى الابدال ابدالا والسر الأكبر فى ذلك ان قلب الصوفى بدوام الاقبال على الله ودوام الذكر بالقلب واللسان يرتقى إلى ذكر الذات ويصير حينئذ بمثابة العرش فالعرش قلب الكائنات فى عالم الخلق والحكمة والقلب عرش فى عالم الأمر والقدرة (قال) سهل بن عبدالله التسترى القلب كالعرش والصدر كالكرسى * وقد ورد عن الله تعالى « لا يسعنى أرضى ولا سمائي ويسعنى قلب عبدى المؤمن » فاذا اكتحل القلب بنور ذكر الذات وصار بحرا مواجا من نسمات القرب جرى فى جداول أخلاق النفس صفاء النعوت والصفات وتحقق التخلق بأخلاق الله تعالى (حكى) عن الشيخ أبي على الفارمزى أنه حكى عن شيخه أبي القاسم الكركاني أنه قال ان الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل ويكون الشيخ عنى بهذا ان العبد يأخذ من كل اسم وصفا يلائم ضعف حال البشر وقصوره مثل أن يأخذ من اسم الله تعالى الرحيم معنى من الرحمة على قدر قصور البشر وكل اشارات المشايخ فى الأسماء والصفات التى هى أعز علومهم على هذا المعنى والتفسير وكل من توهم بذلك شيئا من الحلول تزندق وألحد وقد أوصى رسول الله ﷺ معاذا بوصية جامعة لمحاسن الاخلاق فقال له يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل وقصد العمل بلزوم الايمان والتفقه فى القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح

وإياك أن تسب حليما أو تكذب صادقا أو تطمع آثما أو تعصي إماما عادلا أو تفسد أرضا أوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب (وروى) معاذ أيضاً عن رسول الله ﷺ قال حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الآداب (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبدالوهاب بن علي باسناده المتقدم إلى الترمذي رضي الله عنه قال أنبأنا أبو كريب قال حدثنا قبيصة بن الليث عن مطرف عن عطاء عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال سمعت النبي عليه السلام يقول ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة (وقد كان) من أخلاق رسول الله ﷺ أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه ويأتيه الليل لا يأوى إلى منزله حتى يبرأ منه ولا ينال من الدنيا وأكثر قوت عامه من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع ما عدا ذلك في سبيل الله لا يسئل شيئا الا يعطى ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام (وكان) يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن (وكان) أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعاً فصلوات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

﴿ الباب الثلاثون في تفصيل أخلاق الصوفية ﴾

من أحسن أخلاق الصوفية التواضع ولا يلبس العبد لبسة أفضل من التواضع ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة يقيم نفسه عند كل أحد مقدارا يعلم أنه يقيمه ويقيم كل أحد على ما عنده من نفسه ومن رزق هذا فقد استراح وأراح وما يعقلها الا العالمون (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا عثمان ابن عبد الله قال أنا عبد الرحمن بن ابراهيم قال حدثنا عبد الرحمن بن حمدان قال حدثنا أبو حاتم الرازي قال حدثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال ان الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض وقال عليه السلام في قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) قال على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس

(وكان) من تواضع رسول الله ﷺ أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يستكبر عن اجابة الأمة والمسكين (وأخبرنا) أبو زرعة اجازة عن ابن خلف اجازة عن السلمي قال أنا أحمد بن علي المقرى قال أنا محمد بن المنهال قال حدثني أبي عن محمد بن جابر اليماني عن سليمان بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ ان من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وان ترضى بالدون من المجلس وأن لا تحب المدحه والتزكية والبر (وورد) أيضا عنه عليه السلام طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة (سئل الجنيد) عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب (وسئل) الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه (وقال أيضا) من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب (وقال) وهب بن منبه مكتوب في كتب الله اني أخرجت الذر من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا إلى من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته وكلمته (وقيل) من عرف كوامن نفسه لم يطمع في العلو والشرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه ويشكر الله لمن يحمده وقال أبو حفص من أحب أن يتواضع قلبه فيصحب الصالحين وليلتزم بحرمتهم فان شده تواضعهم في أنفسهم يقتدي بهم ولا يتكبر (وقال لقمان عليه السلام) لكل شيء مطية ومطية العمل التواضع) وقال النوري خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا عالم زاهد وفقيه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني (وقال الجلاء) لولا شرف التواضع كنا إذا مشينا نخطر وقال يوسف ابن أسباط وقد سئل ما غاية التواضع قال ان تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيته خيرا منك ورأيت شيخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه في سفره إلى الشام وقد بعث بعض أبناء الدين له طعاما على رءوس الاسارى من الافرنج وهم في قيودهم فلما مدت السفرة والاسارى ينتظرون الأوانى حتى تفرغ قال للخادم احضر الاسارى حتى يقعدوا على السفرة مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى إليهم وقعد بينهم كالواحد منهم فأكل وأكلنا

وظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله والانكسار فى نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلمه وعمله (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبى بكر بن خلف اجازة عن السلمى قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت الجريرى يقول صح عند أهل المعرفة ان للدين رأس مال خمسة فى الظاهر وخمسة فى الباطن فأما اللواتى فى الظاهر فصدق فى اللسان وسخاوة فى الملك وتواضع فى الأبدان وكف الأذى واحتماله بلا اباء وأما اللواتى فى الباطن فحب وجود سيده وخوف الفراق من سيده ورجاء الوصول الى سيده والندم على فعله والحياء من ربه وقال يحيى بن معاذ التواضع في الخلق حسن ولكن فى الأغنياء أحسن والتكبر سمج فى الخلق ولكن فى الفقراء أسمج (وقال ذو النون) ثلاثة من علامات التواضع تصغير النفس معرفة بالعيب وتعظيم الناس حرمة للتوحيد وقبول الحق والنصيحة من كل واحد (وقيل) لأبي يزيد متى يكون الرجل متواضعاً قال إذا لم ير لنفسه حقا ما ولا حالا من علمه بشرها وازدرائها ولا يري أن فى الخلق شرا منه (قال) بعض الحكماء وجدنا التواضع مع الجهل والبخل أحمد من الكبر مع الادب والسخاء وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد عليها وبلاء لا يرحم صاحبه عليه قال نعم أما النعمة فالتواضع وأما البلاء فالكبر والكشف عن حقيقة التواضع أن التواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة فالكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعة وضع الانسان نفسه مكانا يزرى به ويفضى إلي تضييع حقه وقد انفهم من كثير من اشارات المشايخ في شرح التواضع أشياء إلى حد أقاموا التواضع فيه مقام الضعة ويلوح فيه الهوى من أوج الافراط إلى حضيض التفريط ويوهم انحرافا عن حد الاعتدال ويكون قصدهم فى ذلك المبالغة فى قمع نفوس المريدين خوفا عليهم من العجب والكبر فقل أن ينفك مريد فى مبادى ظهور سلطان الحال من العجب حتى لقد نقل عن جمع من الكبار كلمات مؤذية بالاعجاب وكل ما نقل من ذلك القبيل من المشايخ لبقايا السكر عندهم وانحصارهم في مضيق سكر الحال وعدم الخروج إلى فضاء الصحو في ابتداء أمرهم وذلك إذا حقق صاحب البصيرة نظره يعلم انه من استراق النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا يجفو على الوقت

وصلاقة الحال فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب كقول بعضهم من تحت خضراء السماء مثلي وقول بعضهم قدمي على رقبة جميع الاولياء وكقول بعضهم أسرجت وألجمت وطفت في أقطار الارض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلي أحد اشارة منه في ذلك إلي تفرده في وقته ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم انه من استراق النفس السمع فليزن ذلك بميزان أصحاب رسول الله ﷺ وتواضعهم واجتنابهم أمثال هذه الكلمات واستبعادهم أن يجوز للعبد التظاهر بشيء من ذلك ولكن يجعل لكلام الصادقين وجه في الصحة ويقال ان ذلك طفح عليهم في سكر الحال وكلام السكارى يحمل فالمشايخ أرباب التمكين لما علموا في النفوس هذا الداء الدفين بالغوا في شرح التواضع إلي حد ألحقوه بالضعة تداويا للمريدين والاعتدال في التواضع أن يرضى الانسان بمنزلة دون مايستحقه ولو أمن الشخص جموح النفس لأوقفها على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجموح في جبلة النفس لكونها مخلوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة النارية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتداوي بالتواضع وايقافها دون ماتستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالكبر ظن الانسان أنه أكبر من غيره والتكبر اظهاره ذلك وهذه صفة لايستحقها الا الله تعالى ومن ادعاها من المخلوقين يكون كاذبا والكبر يتولد من الاعجاب والاعجاب من الجهل بحقيقة المحاسن والجهل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد عظم الله تعالى شأن الكبر بقوله تعالى (انه لايحب المستكبرين) وقال تعالي (أليس في جهنم مثوى المتكبرين) وقد ورد بقول الله تعالى « الكبرياء ردائي والعظمة ازارى فمن نازعني واحد منهما قصمته » وفي رواية قذفته في نار جهنم * وقال عز وجل ردا للانسان في طغيانه إلي حده (ولا تمش في الأرض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) وقال تعالي (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق) وأبلغ من هذا قوله تعالى (قتل الانسان ماأكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره) وقد قال بعضهم لبعض المتكبرين أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك حامل العذرة وقد نظم الشاعر هذا المعنى كيف يزهو من رجيعه * أبد الدهر ضجيعه * واذا ارتحل التواضع من القلب وسكن الكبر انتشر

اثره فى بعض الجوارح ويرشح الاناء بما فيه فتارة يظهر اثره فى العنق بالتمايل وتارة فى الخد بالتصعير قال الله تعالى (ولا تصعر خدك للناس) وتارة يظهر فى الرأس عند استعصاء النفس قال الله تعالي (لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) وكما ان الكبر له انقسام على الجوارح والأعضاء تتشعب منه شعب فكذلك بعضها أكثف من البعض كالتيه والزهو والعزة وغير ذلك الا أن العزة تشتبه بالكبر من حيث الصورة وتختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضعة والتواضع محمود والضعة مذمومة والكبر مذموم والعزة محمودة قال الله تعالي (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) والعزة غير الكبر ولا يحل لمؤمن أن يذل نفسه فالعزة معرفة الانسان بحقيقة نفسه واكرامها أن لا يضعها لأغراض عاجلة دنيوية كما ان الكبر جهل الانسان بنفسه وانزالها فوق منزلتها (قال بعضهم) للحسن ما أعظمك فى نفسك قال لست بعظيم ولكنى عزيز ولما كانت العزة غير مذمومة وفيها مشاكلة بالكبر قال الله تعالى (تستكبرون في الأرض بغير الحق) فيه اشارة خفية لاثبات العزة بالحق فالوقوف على حد التواضع من غير انحراف إلى الضعة وقوف على صراط العزة المنصوب على متن نار الكبر ولا يؤيد فى ذلك ولا يثبت عليه الا أقدام العلماء الراسخين والسادة المقربين ورؤساء الابدال والصديقين (قال بعضهم) من تكبر فقد أخبر عن نذالة نفسه ومن تواضع فقد أظهر كرم طبعه (وقال الترمذى) التواضع على ضربين الأول أن يتواضع العبد لأمر الله ونهيه فان النفس لطلب الراحة تتلهى عن أمره والشهوة التى فيها تهوى فى نهيه فاذا وضع نفسه لأمره ونهيه فهو تواضع والثانى أن يضع نفسه لعظمة الله فان اشتهت نفسه شيئا مما أطلق له من كل نوع من الانواع منعها ذلك وجملة ذلك أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالي * واعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتطيع للحق والخلق لمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الأوفر من التواضع لنبينا عليه السلام فى أوطان القرب كما روى عن عائشة رضى الله عنها فى الحديث الطويل قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذنى ما يأخذ النساء من الغيرة ظنا منى أنه عند بعض أزواجه فطلبته فى حجر نسائه فلم أجده فوجدته

في المسجد ساجدا كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي وقر بك لساني وها أنا ذا بين يديك ياعظيم ياغافر الذنب العظيم وقوله عليه السلام سجد لك سوادي وخيالي استقصاء في التواضع بمحو آثار الوجود حيث لم تتخلف ذرة منه عن السجود ظاهرا وباطنا ومتي لم يكن للصوفي حظ من التواضع الخاص على بساط القرب لا يتوفر حظه من التواضع للخلق وهذه سعادات ان أقبلت جاءت بكليتها والتواضع من أشرف أخلاق الصوفية (ومن أخلاق الصوفية) المداراة واحتمال الأذى من الخلق وبلغ من مداراة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ولم يزد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة من قبله وان بأصحابه لحاجة إلي بعير واحد يتقوون به * وكان من حسن مداراته أن لا يذم طعاما ولا ينهر خادما (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا أبو الفضل الكرخي قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لي لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مساقط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ فالمداراة مع كل أحد من الأهل والاولاد والجيران والاصحاب والخلق كافة من أخلاق الصوفية وباحتمال الاذى يظهر جوهر النفس وقد قيل لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر (أخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو محمد الصرفيني قال أنا أبو القاسم عبيد الله بن حبابة قال أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا علي بن الجعد قال أنا شعبة عن الاعمش عن يحيى بن وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ قلت من هو قال ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال المؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم (وفي الخبر) أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قيل ماذا كان يصنع أبو ضمضم قال كان إذا أصبح قال اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي

على من ظلمنى فمن ضربنى لا أضربه ومن شتمنى لا أشتمه ومن ظلمنى لا أظلمه
(وأخبرنا) ضياء الدين عبدالوهاب قال أنا أبوالفتح الهروى قال حدثنا الترياقي قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبي قال أنا أبوعيسى الترمذى قال حدثنا ابن أبي عمر قال حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فقال بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة ثم أذن له فألان له القول فلما خرج قلت يارسول الله قلت له ما قلت ثم ألنت له القول قال يا عائشة ان من شر الناس من يتركه الناس أو يدعه الناس اتقاء فحشه (وروي) أبو زر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن * فما شيء يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحلمه كحسن المداراة والنفس لا تزال تشمئز ممن يعكس مرادها ويستفزها الغيظ والغضب وبالمداراة قطع حمة النفس ورد طيشها ونفورها * وقد ورد من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء (وروى) جابر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم على من تحرم النار على كل هين لين سهل قريب (وروى) أبو مسعود الانصارى رضى الله عنه قال أتي النبي عليه السلام برجل فكلمه فأرعد فقال هون عليك فانى لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد (وعن بعضهم) في معنى لين جانب الصوفية

هينون لينون ايسار بنو يسر … سواس مكرمة أبناء ايسار
لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا … ولا يمارون ان ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم … مثل النجوم التى يسرى بها السارى

(وروى) أبوالدرداء عن النبي ﷺ قال من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبوالنجيب املاء قال حدثنا أبوعبدالرحمن محمد بن أبي عبدالله المالينى قال أنا أبوالحسين عبد الرحمن بن أبى طلحة الداودى قال أنا أبومحمد عبدالله الحموى السرخسى قال أنا أبوعمران عيسى بن عمر السمرقندى قال أنا عبدالله بن عبدالرحمن

الدارمي قال أنا محمد بن أحمد بن أبي خلف قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن محمد بن إسحق قال حدثني عبدالله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله ﷺ يوم حنين وفي رجلي نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله ﷺ فنفحني نفحة بسوط في يده وقال بسم الله اوجعتني قال فبت لنفسي لائما أقول أوجعت رسول الله قال فبت بليلة كما يعلم الله فلما أصبحنا إذا رجل يقول أين فلان قلت هـذا والله الذي كان مني بالأمس قال فانطلقت وأنا متخوف فقال لي انك وطئت بنعلك على رجلي بالأمس فأوجعتني فنفحتك نفحة بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها * ومن أخلاق الصوفية الايثار والمواساة ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود * قال أبو يزيد البسطامي ماغلبني أحد ماغلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي ياأبا يزيد ماحد الزهد عندكم قلت إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عنـدنا كلاب بلخ فقلت له وماحد الزهد عنـدكم قال إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا (وقال ذوالنون) من علامة الزاهد المشروح صدره ثلاث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار بالقوت (روى) عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأنصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هـذه الغنيمة وان شئتم كانت لـكم دياركم وأموالـكم ولم نقسم لـكم شيئا من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولانشاركهم فيها فأنزل الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة) وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابه جهد فقال يارسول الله اني جائع فاطعمني فبعث النبي ﷺ إلى أزواجه هل عندكن شيء فكلهن قلن والذي بعثك بالحق نبيا ماعندنا إلا الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعندنا مانطعمك هذه الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقام رجل من الأنصار فقال أنا يارسول الله فأتى به منزله فقال لأهله هـذا ضيف رسول الله ﷺ فاكرميه ولاتدخري عنه شيأ فقالت

ماعندنا إلاقوت الصبية فقال فقومى عليهم عن قوتهم حتى يناموا ولايطعمون شيئا ثم اسرجى فاذا أخذ الضيف ليأ كل قومى كانك تصلحين السراج فاطفئيه وتعالى نمضغ ألسنتنا لضيف رسول الله حتى يشبع ضيف رسول الله فقامت إلي الصبية فعللتهم حتى ناموا عن قوتهم ولم يطعموا شيئا ثم قامت فاثردت وأسرجت فلما أخذ الضيف ليأكل قامت كانها تصلح السراج فاطفأته فجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله وظن الضيف انهما يأ كلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما أصبحوا غدوا إلى رسول الله ﷺ فلما نظر إليهما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة وأنزل الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (وقال) أنس رضى الله عنه اهدى لبعض أصحابه رأس شاة مشوى وكان مجهودا فوجه به إلى جار له فتداوله سبعة أنفس ثم عاد إلى الأول فأنزلت الآية لذلك * وروى ان أباالحسن الانطاكى اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية بقرى الرى وله أرغفة معدودة لم تشبع خمسة منهم فكسروا الرغفان واطفؤا السراج وجلسوا للطعام فلما رفعوا الطعام فاذا هو بحاله لم يأكل أحد منهم ايثارا منه على نفسه ﴿ وحكى ﴾ عن حذيفة العدوى قال انطلقت يوم اليرموك لطلب ابن عم لى ومعى شيء من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت وجهه فاذا أنابه فقلت أسقيك فأشار إلى نعم فاذا رجل يقول آه فقال ابن عمى انطلق به إليه فجئت إليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فسمع هشام آخر يقول آه فقال انطلق به إليه فجئت إليه فاذا هو قدمات ثم رجعت إلى هشام فاذا هو أيضا قد مات ثم رجعت إلى ابن عمى فاذا هو أيضا قدمات (وسئل) أبو الحسين البوشنجى عن الفتوة فقال الفتوة عندى ماوصف الله تعالى به الأنصار فى قوله والذين تبوؤا الدار والايمان قال ابن عطاء يؤثرون على أنفسهم جودا وكرما ولو كان بهم خصاصة يعنى جوعا وفقرا (قال) أبوحفص الايثار هو ان يقدم حظوظ الاخوان على حظوظه فى أمر الدنيا والآخرة (وقال) بعضهم الايثار لايكون عن اختيار إنما الايثار ان تقدم حقوق الخلق اجمع على حقك ولاتميز فى ذلك بين أخ وصاحب وذى معرفة (وقال يوسف) ابن الحسين من رأى لنفسه

ملكا لايصح منه الايثار لأنه يرى نفسه أحق بالشيء برؤية ملكه إنما الايثار ممن يرى الأشياء كلها للحق فمن وصل إليه فهو أحق به فاذا وصل شيء من ذلك إليه يري نفسه ويده فيه يد امانة يوصلها إلى صاحبها أو يؤديها إليه وقال بعضهم حقيقة الايثار ان تؤثر بحظ آخرتك على اخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لايثارها محل أو ذكر ومن هذا المعنى مانقل ان بعضهم رأى أخاله فلم يظهر البشر الكثير فى وجهه فانكر أخوه ذلك منه فقال ياأخي سمعت ان رسول الله ﷺ قال إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لاقلهما بشرا فأردت ان أكون أقل بشرا منك ليكون لك الأكثر (أخبرنا) الشيخ ضياء الدين أبو النجم اجازة قال أنا أبو حفص عمر بن الصفار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا القاسم الرازى يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده (وقال سهل بن عبدالله) الصوفي من يرى دمه هدرا وملكه مباحا وقال رويم التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار (قيل) لما سعى بالصوفية وتميز الجنيد بالفقه وقبض على الشحام والرقام والنوري وبسط النطع لضرب رقابهم تقدم النوري فقيل له إلى ماذا تبادر فقال أوثر اخواني بفضل حياة ساعة وقيل دخل الروذبارى دار بعض أصحابه فوجده غائبا وباب بيته مغلق فقال صوفى وله باب مغلق اكسروا الباب فكسروه وأمر بجميع ماوجدوا فى البيت أن يباع فانفذوه إلى السوق واتخذوا رفقا من الثمن وقعدوا فى الدار فدخل صاحب المنزل ولم يقل شيئا ودخلت امرأته وعليها كساء فدخلت بيتا فرمت بالكساء وقالت هذا أيضا من بقية المتاع فبيعوه فقال الزوج لها لم تكلفت هذا باختيارك قالت اسكت مثل الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء ندخره عنه (وقيل) مرض قيس بن سعد فاستبطأ اخوانه في عيادته فسأل عنهم فقالوا انهم يستحيون بمالك عليهم من الدين فقال اخزي الله مالا يمنع الاخوان عن الزيارة ثم أمر مناديا ينادى من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل

فكسرت عتبة داره بالعشي لكثرة عواده (وقيل) أتي رجل صديقاله ودق عليه الباب فلما خرج قال لماذا جئتنى قال لاربعمائة درهم دين على فدخل الدار ووزن أربعمائة درهم واخرجهما إليه ودخل الدار باكيا فقالت امرأته هلا تعللت حين شق عليك الاجابة فقال انما أبكى لانى لم أتفقد حاله حتى احتاج أن يفاتحنى به (وأخبرنا) الشيخ أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا محمد بن محمد إمام جامع أصفهان قال حدثنا أبو عبد الله الجرجانى قال أنا أبو طاهر محمد بن الحسن المحمد اباذي قال حدثنا أبو البحترى قال حدثنا أبو اسامة قال حدثنا بريدة بن أبي بردة عن أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ ان الاشعريين إذا أرملوا فى الغزو وقل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموا فى اناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم (وحدث) جابر عن رسول الله ﷺ انه إذا أراد أن يغزو قال يا معشر المهاجرين والأنصار ان من اخوانكم قوما ليس لهم مال ولا عدة فليضم أحدكم إليه الرجل والرجلين والثلاثة فما لاحدكم من ظهر جمله الاعقبة كعقبة أحدهم قال فضممت إلى اثنين أوثلاثة مالى إلا عقبة كعقبة أحدهم من جمله (وروى) أنس قال لما قدم عبدالرحمن بن عوف المدينة آخى النبي عليه السلام بينه وبين سعد بن الربيع فقال له اقسمك مالى نصفين ولى امرأتان فأطلق احداهما فاذا انقضت عدتها تتزوجها فقال له عبدالرحمن بارك الله لك فى أهلك ومالك فما حمل الصوفى على الايثار الاطهارة نفسه وشرف غريزته وماجعله الله تعالى صوفيا إلا بعد ان سوى غريزته لذلك وكل من كانت غريزته السخاء والسخى يوشك ان يصير صوفيا لان السخاء صفة الغريزة وفى مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون حكم بالفلاح لمن يوقى الشح وحكم بالفلاح لمن أنفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون والفلاح اجمع إسم لسعادة الدارين والنبي عليه السلام نبه بقوله ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فجعل إحدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل يكون مهلكا إذا كان مطاعا فاما كونه موجودا في النفس غير مطاع فانه لاينكر ذلك لأنه من لوازم النفس مستمدا من أصل جبلتها التراب

وفى التراب قبض وامساك وليس ذلك بالعجب من الآدمى وهو جبلى فيه وإنما العجب وجود السخاء فى الغريزة وهو لنفوس الصوفية الداعى لهم إلى البذل والايثار والسخاء أتم وأكمل من الجود ففى مقابلة الجود البخل وفى مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء إذا كان من ضرورة الغريزة وكل سخى جواد وليس كل جواد سخيا والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق إليه الرياء ويأتى به الانسان متطلعا إلى عوض من الخلق أو الحق بمقابل ما من الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق إليه الرياء لأنه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا وآخرة لان طلب العوض مشعر بالبخل لكونه معلولا بطلب العوض فما تمحض سخاء فالسخاء لأهل الصفاء والايثار لأهل الأنوار ويجوز أن يكون قوله تعالى (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) انه نفى فى الآية الاطعام لطلب الاعواض حيث قال لا نريد بعد قوله لوجه الله فما كان لله لا يشعر بطلب العوض بل الغريزة لطهارتها تنجذب إلى مراد الحق لا للعوض وذلك أكمل السخاء من أطهر الغرائز روت أسماء بنت أبى بكر قالت قلت يارسول الله ليس لى من شىء إلا ما أدخل على الزبير فأعطى قال نعم لا توكى فيوكى عليك * ومن أخلاق الصوفية التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة (قال) سفيان الاحسان ان تحسن إلى من اساء إليك فان الاحسان إلى المحسن متاجرة كنقد السوق خذ شيئا وهات شيئا وقال الحسن الاحسان ان تعم ولا تخص كالشمس والريح والغيث (وروى) أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت ياجبرائيل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس (روى) أبو هريرة رضى الله عنه ان أبابكر رضى الله عنه كان مع النبى ﷺ فى مجلس فجاء رجل فوقع فى أبى بكر وهو ساكت والنبى عليه السلام يتبسم ثم رد أبو بكر عليه بعض الذى قال فغضب النبى وقام فلحقه أبو بكر فقال يارسول الله شتمنى وأنت تتبسم ثم رددت عليه بعض ما قال فغضبت وقمت فقال انك حيث كنت ساكتا كان معك ملك يرد عليه فلما تكلمت وقع الشيطان فلم أكن لأقعد

فى مقعد فيه الشيطان ياأبابكر ثلاث كلهن حق ليس عبد يظلم بمظلمة فيعفو عنها إلا أعز الله نصره وليس عبد يفتح باب مسئلة يريد بها كثرة إلا زاده الله قلة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة يبتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها كثرة (أخبرنا) ضياء الدين عبدالوهاب بن على قال أنا الكروخى قال أنا الترياقى قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا أبو هشام الرفاعى قال حدثنا محمد ابن فضيل عن الوليد بن عبدالله بن جميع عن أبى الطفيل عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ لاتكونوا أمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤا فلا تظلموا (وقال) بعض الصحابة يارسول الله الرجل أمر به فلا يقرينى ولا يضيفنى فيمر بي أفأجزيه قال لا أقره * وقال الفضيل الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان وقال رسول الله ﷺ ليس الواصل المكافىء ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها (وروى) عن رسول الله ﷺ من مكارم الأخلاق أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك * ومن أخلاق الصوفية البشر وطلاقة الوجه الصوفى بكاؤه فى خلوته وبشره وطلاقة وجهه مع الناس فالبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه وقد تنازل باطن الصوفى منازلات إلهية ومواهب قدسية يرتوي منها القلب ويمتلىء فرحا وسرورا قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والسرور إذا تمكن من القلب فاض على الوجه آثاره قال الله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) أي مضيئة مشرقة مستبشرة أى فرحة قيل أشرقت من طول ما أغبرت في سبيل الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة فالوجه مشكاة والقلب زجاج والروح مصباح فاذا تنعم القلب بلذيذ المسامرة ظهر البشر على الوجه قال الله تعالى (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) أى نضارته وبريقه يقال أنضر النبات إذا أزهر ونور وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فلما نظرت نضرت فأرباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور الجمال الأزلى وإذا شرقت الشمس على المرآة المصقولة استنارت الجدران قال الله تعالى (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) وإذا تأثر الوجه بسجود الظلال

وهى القوالب في قول الله تعالى (وظلالهم بالغدو والآصال) كيف لا يتأثر بشهود الجمال (أخبرنا) ضياء الدين عبدالوهاب بن على قال أنا الكروخى قال أنا الترياقي قال أنا الجراحى قال أنا المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال حدثنا المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ كل معروف صدقة وان من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك فى اناء أخيك (وقال) سعد بن عبدالرحمن الزبيدى يعجبنى من القراء كل سهل طلق مضحاك فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر الله فى القراء مثله (ومن أخلاق الصوفية) السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التعسف والتكلف وقد روى في ذلك عن رسول الله ﷺ أخبار وأخلاق الصوفية تحاكى أخلاق رسول الله ﷺ وكان يقول عليه الصلاة والسلام أما انى أمزح ولا أقول الا حقا * وروى ان رجلا يقال له زاهر ابن حرام وكان بدويا وكان لا يأتى إلى رسول الله الا جاء بطرفة يهديها إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله ﷺ فى سوق المدينة يبيع سلعة له ولم يكن أتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من ورائه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام فقبل كفيه فقال النبي عليه السلام من يشترى العبد فقال إذا تجدني كاسدا يارسول الله فقال ولكن عند الله ربيح ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادية وبادية آل محمد زاهر بن حرام (وأخبرنا) أبو زرعة طاهر بن الحافظ المقدسي عن أبيه قال أنا المطهر بن محمد الفقيه قال أنا أبو الحسن قال أنا أبو عمرو بن حكيم قال أنا أبو أمية قال حدثنا عبيد بن اسحق العطار قال حدثنا سنان بن هرون عن حميد عن أنس قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله احملنى على جمل فقال أحملك على ابن الناقة قال أقول لك احملنى على جمل وتقول أحملك على ابن الناقة فقال عليه السلام فالجمل ابن الناقة (وروى صهيب) فقال أتيت رسول الله ﷺ وبين يديه تمر يأكل فقال أصب من هذا الطعام فجعلت آكل من التمر فقال أتأكل وأنت رمد فقلت إذا أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عايه وسلم (وروى) أنس أن رسول الله ﷺ قال له ذات يوم ياذا الأذنين (وسئلت) عائشة رضى الله عنها

كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا فى البيت قالت كان ألين الناس بساما ضحاكا (وروت) أيضاً أن رسول الله ﷺ سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها فقال هذه بتلك (وأخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبدالوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبومحمد الجراحى قال أنا أبوالعباس المحبوبى قال أنا أبوعيسى الحافظ الترمذى قال حدثنا عبدالله بن الوضاح الكوفى قال حدثنا عبدالله بن ادريس عن شعبة عن أبى التياح عن أنس رضى الله عنه قال ان كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى أنه كان يقول لأخ لى صغير ياأباعمير مافعل النغير والنغير عصفور صغير (وروى) أن عمر سابق زبيرا رضى الله عنهما فسبقه الزبير فقال سبقتك ورب الكعبة ثم سابقه مرة أخري فسبقه عمر فقال عمر سبقتك ورب الكعبة * وروى عبدالله بن عباس قال قال لى عمر تعال أنافسك فى الماء أينا أطول نفسا ونحن محرمون (وروى) بكر بن عبدالله قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يتمازحون حتى يتبادحون بالبطيخ فاذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال يقال بدح يبدح إذا رمى أي يترامون بالبطيخ (وأخبرنا) أبو زرعة عن أبيه قال أنا الحسن ابن احمد الكرخى قال حدثنا أبوطالب محمد بن ابراهيم قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن عبدالله قال حدثنى اسحق الحربي قال حدثنا أبوسلمة قال حدثنا حماد بن خالد قال أنبأنا محمد بن عمرو بن علقمة قال حدثنا أبو الحسن بن محصن الليثى عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة قال ان عائشة رضى الله عنها قالت أتيت النبي ﷺ بحريرة طبختها له وقلت لسودة والنبي ﷺ بينى وبينها كلى فأبت فقلت لها كلى فأبت فقلت لتأكلن أو لألطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدى فى الحريرة فلطخت بها وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه وقال لسودة ألطخي وجهها فلطخت بها وجهى فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فمر عمر رضى الله عنه على الباب فنادى ياعبدالله ياعبدالله فظن النبي ﷺ أنه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجهكما فقالت عائشة رضى الله عنها فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ إياه ووصف بعضهم ابن طاوس فقال كان مع الصبي صبيا ومع الكهل كهلا وكان فيه مزاحة إذا خلا (وروي) معاوية بن عبدالكريم قال كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين وكان

يقول ونمزح عنده ويمازحنا وكنا نخرج من عنده ونحن نضحك وكنا إذا دخلنا على الحسن نخرج من عنده ونحن نكاد نبكى فهذه الأخبار والآثار دالة على حسن لين الجانب وصحة حال الصوفية وحسن أخلاقهم فيما يعتمدونه من المداعبة فى الربط وينزلون مع الناس على حسب طباعهم لنظرهم إلى سعة رحمة الله فاذا خلوا وقفوا موقف الرجال واكتسبوا ملابس الأعمال والأحوال ولا يقف فى هذا المعنى على حد الاعتدال إلا صوفى قاهر للنفس عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بوفور العلم حتى يقف فى ذلك على صراط الاعتدال بين الافراط والتفريط ولا يصلح الاكثار من ذلك للمريدين المبتدئين لقلة علمهم ومعرفتهم بالنفس وتعديهم حد الاعتدال فللنفس فى هذه المواطن نهضات ووثبات تجر إلى الفساد وتجنح إلى العناد فالنزول إلى طباع الناس يحسن بمن صعد عنهم وترقى لعلو حاله ومقامه فينزل إليهم وإلى طباعهم حتى ينزل بالعلم فأما من لم يصعد بصفاء حاله عنهم وفيه بقية مزج من طباعهم ونفوسهم الجامحة الأمارة بالسوء إذا دخلت فى هذه المداخل أخذت النفس حظها واغتنمت ما ربها واستروحت إلى الرخصة والنزول إلى الرخصة يحسن لمن يركب العزيمة غالب أوقاته وليس ذلك شأن المبتدى فللصوفية العلماء فيما ذكرناه ترويح يعلمون حاجة القلب إلى ذلك والشيء إذا وضع للحاجة يتقدر بقدر الحاجة ومعيار مقدار الحاجة فى ذلك علم غامض لا يسلم لكل أحد (قال) سعيد بن العاص لابنه اقتصد فى مزاحك فالافراط فيه يذهب بالبهاء ويجرىء عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المخالطين * قال بعضهم المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للاخاء وكما يصعب معرفة الاعتدال فى ذلك يصعب معرفة الاعتدال فى الضحك والضحك من خصائص الانسان ويميزه عن جنس الحيوان ولا يكون الضحك إلا عن سابقة تعجب والتعجب يستدعى الفكر والفكر شرف الانسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قدمه فى العلم ولهذا قيل إياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب وقيل وكثرة الضحك من الرعونة (وروى) عن عيسى عليه السلام أنه قال ان الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب والمشاء فى غير ارب وذكر فرق بين المداعبة والمزاح فقيل المداعبة مالا يغضب جده والمزاح مايغضب جده وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله القهقهة فى الصلاة من الذنب

وحكم ببطلان الوضوء بها وقال يقوم الاثم مقام خروج الخارج فالاعتدال في المزاح والضحك لا يتأتى إلا إذا خلص وخرج من مضيق الخوف والقبض والهيبة فانه يتقوم بكل مضيق من هذه المضايق بعض التقويم فيعتدل الحال فيه ويستقيم فالبسط والرجاء ينشئان المزاح والضحك والخوف والقبض يحكمان فيه بالعدل * ومن أخلاق الصوفية ترك التكلف وذلك ان التكلف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لأجل الناس وذلك يباين حال الصوفية وفى بعضه خفى منازعة للأقدار وعدم الرضا بما قسم الجبار ويقال التصوف ترك التكلف ويقال التكلف تخلف وهو تخلف عن شأو الصادقين (روي) أنس بن مالك قال شهدت وليمة لرسول الله مافيها خبز ولا لحم (وروى) عن جابر أنه أتاه ناس من أصحابه فأتاهم بخبز وخل وقال كلوا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم الادام الخل وعن سفيان بن سلمة قال دخلت على سلمان الفارسي فأخرج إلى خبزا وملحاً وقال كل لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن يتكلف أحد لأحد لتكلفت لكم والتكلف مذموم فى جميع الأشياء كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف فى الكلام وزيادة التملق الذى صار دأب أهل الزمان فما يكاد يسلم من ذلك الا آحاد وأفراد وكم من متملق لا يعرف أنه تملق ولا يفطن له فقد يتملق الشخص إلى حد يخرجه إلى صريح النفاق وهو مباين لحال الصوفى (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنبأنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقي قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى حدثنا احمد بن منيع قال حدثنا يزيد بن هرون عن محمد ابن مطرف عن حسان بن عطية عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحياء والعى شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق البذاء الفحش وأراد بالبيان ههنا كثرة الكلام والتكلف للناس بزيادة تملق وثناء عليهم واظهار التصفح وذلك ليس من شأن أهل الصدق (وحكى) عن أبي وائل قال مضيت مع صاحب لى نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان فى هذا الملح سعتر كان أطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقك لم تكن

مطهرتي مرهونة وفي هذا من سلمان ترك التكلف قولا وفعلا وفي حديث يونس النبي عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا من خبز شعير وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم قال بعضهم إذا قصدت للزيارة فقدم ماحضر وإذا استزرت فلا تبق ولا تذر (وروى) الزبير بن العوام قال نادى مناد رسول الله ﷺ يوما اللهم اغفر للذين يدعون لأموات أمتي ولا يتكلفون ألا اني برىء من التكلف وصالحوا أمتي وروى أن عمر رضي الله عنه قرأ قوله تعالي (فأنبتنا فيها حبا وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلا وحدائق غلباً وفاكهة وأبا) ثم قال هذا كله قد عرفناه فما الأب قال وبيد عمر عصاة فضرب بها الأرض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فخذوا أيها الناس مابين لكم منه فما عرفتم اعملوا به ومن لم تعرفوا فكلوا علمه إلى الله * ومن أخلاق الصوفية الانفاق من غير اقتار وترك الادخار وذلك ان الصوفي يرى خزائن فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطىء بحر والمقيم على شاطىء البحر لا يدخر الماء في قربته وراويته (روى) أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال مامن يوم الا له ملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا * وروى أنس قال كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئا لغد * وروى انه أهدي لرسول الله ﷺ ثلاث طوائر فأطعم خادمه طيرا فلما كان الغد أتاه به فقال رسول الله ألم أنهك أن تخبأ شيئا لغد فان الله تعالي يأتي برزق كل غد * وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده صبرة من تمرة فقال ماهذا يابلال فقال ادخر يارسول الله قال أما تخشى أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا * وروى ان عيسى بن مريم ﷺ كان يأكل الشجر ويلبس الشعر ويبيت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يخبأ شيئا لغد فالصوفى كل خباياه في خزائن الله لصدق توكله وثقته بربه فالدنيا للصوفى كدار الغربة ليس له فيها ادخار ولا له منها استكثار * قال عليه السلام لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله الماليني قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداودى قال أنا أبو محمد عبد الله السرخسى قال

أنبأنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن يوسف عن سفيان عن أبي المنكدر عن جابر قال ماسئل النبي ﷺ شيئا قط فقال لا قال ابن عيينة إذا لم يكن عنده وعد وبالاسناد عن الدارمي قال أنا يعقوب بن حميد قال أنا عبدالعزيز بن محمد عن ابن أخي الزهري قال ان جبريل عليه السلام قال مافي الأرض أهل عشيرة من أبيات الا قلبتهم فما وجدت أحـدا أشد انفاقا لهذا المال من رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن أخلاق الصوفية القناعة باليسير من الدنيا (قال ذوالنون المصري) من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه وقال بشر بن الحرث لولم يكن في القناعة إلا التمتع بالعز لكفى صاحبه وقال بنان الحمال الحر عبد ماطمع والعبد حر ماقنع * وقال بعضهم انتقم من حرصك بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص * وقال أبوبكر المراغي العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف ودبر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل * وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه * وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه القنـاعة سيف لاينبو (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيـه أبي الفضل قال أنا أبو القاسم عبدالله بن الحسن الخلال ببغداد قال أنا أبو حفص عمر بن ابراهيم قال حدثنا أبو القاسم البغوي قال حدثنا محمد بن عباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن عمارة بن غزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول ماقل وكفى خير مما كثر وألهى (وروي) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا ثم صبر عليه (وروى) أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا (وروى) جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال القناعة مال لاينفد (وروى) عن عمر رضي الله عنه أنه قال كونوا أوعية الكتاب وينابيع الحـكمة وعدوا أنفسكم في الموتى واسألوا الله تعالى الرزق يوما بيوم ولا يضركم أن لايكثر لكم (وأخبرنا) أبو زرعة طاهر عن أبي الفضل والده أنا أبو القاسم اسمعيل بن عبدالله الشاوي قال أنا احمد بن علي الحافظ قال أنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا عمرو بن مالك البصري قال حدثنا مروان بن معاوية

قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي سلمة الانصارى قال أخبرني سلمة بن عبدالله بن محصن عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ من اصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا (وقيل) في تفسير قوله تعالى (فلنحيينه حياة طيبة) هى القناعة فالصوفى قوام على نفسه بالقسط عالم بطبائع النفس وجدوى القناعة والتوصل الى استخراج ذلك من النفس لعلمه بدائها ودوائها (وقال) أبو سليمان الداراني القناعة من الرضا كما ان الورع من الزهد * ومن أخلاق الصوفية ترك المراء والمجادلة والغضب إلا بحق واعتماد الرفق والحلم وذلك ان النفوس تثب وتظهر فى المماربن والصوفى كلما رأى نفس صاحبه ظاهرة قابلها بالقلب وإذا قوبلت النفس بالقلب ذهبت الوحشة وانطفأت الفتنة قال الله تعالى تعليما لعباده (ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ولا ينزع المراء إلا من نفوس زكية انتزع منها الغل ووجود الغل فى النفوس مراء الباطن وإذا انتزع المراء من الباطن ذهب من الظاهر أيضا وقد يكون الغل فى النفس مع من يشاكله ويماثله لوجود المنافسة ومن استقصى في تذويب النفس بنار الزهادة فى الدنيا ينمحى الغل من باطنه ولا يبقى عنده منافسة دنيوية فى حظوظ عاجلة من جاه ومال قال الله تعالى فى وصف أهل الجنة المتقين (ونزعنا ما في صدورهم من غل) قال أبو حفص كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره فان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور التوفيق فصارت اخوانا فهكذا قلوب أهل التصوف والمجتمعين على الكلمة الواحدة ومن التزم بشروط الطريق والانكباب على الظفر بالتحقيق * والناس رجلان رجل طالب ماعندالله تعالى ويدعو إلى ماعندالله نفسه وغيره فما للمحقق الصوفى مع هذا منافسة ومراء وغل فان هذا معه فى طريق واحد ووجهة واحدة وأخوه ومعينه والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً ورجل مفتتن بشيء من محبة الجاه والمال والرياسة ونظر الخلق فما للصوفى مع هذا منافسة لأنه زهد فيما فيه رغب فمن شأن الصوفى أن ينظر إلي مثل هذا نظر رحمة وشفقة حيث يراه محجوبا مفتتنا فلا ينطوى له على غل ولا يماريه فى الظاهر على شيء لعلمه بظهور نفسه الأمارة بالسوء في المراء والمجادلة (أخبرنا) الشيخ العالم

ضياء الدين عبدالوهاب بن علي قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا المحاربي عن ليث عن عبدالملك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمارى أخاك ولا تعده موعدا فتخلفه وفى الخبر من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها (وأخبرنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا أبو عبدالرحمن السهروردى محمد بن أبي عبدالله المالينى قال أنا أبو الحسن عبدالرحمن الداودى قال أنا أبو محمد عبدالله بن احمد الحموى قال أنا أبو عمران عيسى السمرقندى قال أنا أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمى قال حدثنا يحيى بن بسطام عن يحيى بن حمزة قال حدثنى النعمان بن مكحول عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس اليه أدخله الله تعالى جهنم * انظر كيف جعل رسول الله ﷺ المماراة مع السفهاء سببا لدخول النار وذلك بظهور نفوسهم فى طلب القهر والغلبة والقهر والغلبة من صفات الشيطنة في الآدمى (وقال بعضهم) المجادل الممارى يضع فى نفسه عند الخوض فى الجدال أن لا يقنع بشىء ومن لا يقنع إلا أن لا يقنع فما إلى قناعته سبيل فنفس الصوفي تبدلت صفاتها وذهب عنه صفة الشيطنة والسبعية وتبدل باللين والرفق والسهولة والطمأنينة (روى) عن رسول الله ﷺ أنه قال والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه انظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الاسلام سلامة القلب واللسان وروى عنه عليه السلام أنه مر بقوم وهم يجدون حجرا قال ماهذا قالوا هذا حجر الأشداء قال ألا أخبركم بأشد من هذا رجل كان بينه وبين أخيه غضب فأتاه فغلب شيطانه وشيطان أخيه فكلمه * وروى أنه جاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجل شاة فقال أبو ذر من كسر رجل هذه الشاة فقال أنا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا فعلت قال ولم قال أغيظك فتضربنى فتأثم فقال أبو ذر لأغيظن من حضك على غيظى فأعتقه (وروى) الأصمعى عن اعرابي

قال اذا أشكل عليك أمران لاتدرى أيهما أرشد فخالف أقربهما إلى هواك فان أكثر مايكون الخطأ من متابعة الهوى (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن احمد بن علي قال أنا خورشيد قال حدثنا ابراهيم بن عبدالله قال حدثنا احمد بن محمد بن سليم قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا سعيد بن سعد عن أخيه عن جده عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله فى السر والعلانية والحكم بالحق عند الغضب والرضا والاقتصاد عند الفقر والغنى وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالحكم بالحق عند الغضب والرضا لايصح الا من عالم رباني أمير على نفسه يصرفها بعقل حاضر وقلب يقظان ونظر الى الله بحسن الاحتساب (نقل) انهم كانوا يتوضؤن عن ايذاء المسلم يقول بعضهم لأن أتوضأ من كلمة خبيثة أحب إلي من أن أتوضأ من طعام طيب (وقال) عبدالله بن عباس رضى الله عنهما الحدث حدثان حدث من فرجك وحدث من فيك فلا يحل حبوة الوقار والحلم الا الغضب ويخرج عن حد العدل إلى العدوان يتجاوز الحد فبالغضب يثور دم القلب فان كان الغضب على من فوقه ممايعجز عن انفاذ الغضب فيه ذهب الدم من ظاهر الجلد واجتمع فى القلب ويصير منه الهم والحزن والانكاد ولا ينطوي الصوفى على مثل هذا لأنه يرى الحوادث والاعراض من الله تعالى فلا ينكمد ولايغتم والصوفى صاحب الرضا صاحب الروح والراحة والنبي عليه السلام أخبر ان الهم والحزن فى الشك والسخط (سئل) عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن الغم والغضب قال مخرجهما واحدا واللفظ يختلف فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضباً ومن نازع من لايقوي عليه كتمه حزنا والحرد غضب أيضا ولكن يستعمل إذا قصد المغضوب عليه وان كان الغضب على من يشاكله ويماثله ممن يتردد فى الانتقام منه يتردد دم القلب بين الانقباض والانبساط فيتولد منه الغل والحقد ولا يأوى مثل هذا إلي قلب الصوفى قال الله تعالى (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) وسلامة قلب الصوفى وحاله يقذف زبد الغل والحقد كما يقذف البحر الزبد لما فيه من تلاطم أمواج الأنس والهيبة وان كان الغضب على من دونه ممن يقدر على الانتقام منه ثار دم القلب والقلب

إذا ثار دمه يحمر ويقسو ويتصلب وتذهب عنه الرقة والبياض ومنه تحمر الوجنتان لأن الدم في القلب ثار وطلب الاستعلاء وانتفخت منه العروق فظهر عكسه وأثره على الخد فيتعدى الحدود حينئذ بالضرب والشتم ولا يكون هذا في الصوفي الا عند هتك الحرمات والغضب لله تعالى فأما في غير ذلك فينظر الصوفي عند الغضب إلى الله تعالى ثم تقواه تحمله على أن يزن حركته وقوله بميزان الشرع والعدل ويتهم النفس بعدم الرضا بالقضاء (قيـل) لبعضهم من أقهر الناس لنفسه قال أرضاهم بالمقدور وقال بعضهم أصبحت وما لي سرور إلا مواقع القضاء وإذا اتهم الصوفي النفس عند الغضب تداركه العلم وإذا لاح علم العلم قوى القلب وسكنت النفس وعاد دم القلب إلى موضعه ومقره واعتدل الحال وغاضت حمرة الخد وبانت فضيلة العلم قال عليه السلام السمت الحسن والتؤدد والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزء من النبوة * وروى حارثة بن قدامة قال قلت يارسول الله أوصني واقلل لعلي أعيه قال لا تغضب فأعاد عليـه كل ذلك يقول لا تغضب قال عليـه السلام ان الغضب جمرة من النار ألم تنظروا حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه من وجـد ذلك منكم فان كان قائما فليجلس وإن كان جالسـا فليضطجع (أخبرنا) ضياء الدين عبدالوهاب بن علي قال أنبأنا أبو الفتح الهروي قال أنا أبو النصر الترياقي قال أنا الجراحي قال أنا المحبوبي قال أنا أبوعيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن المفضل عن قرة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال لاشج عبد القيس ان فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والاناة * ومن أخلاق الصوفية التودد والتألف والموافقة مع الاخوان وترك المخالفة قال الله تعـالى في وصف أصحاب رسول الله ﷺ (أشـداء على الكفار رحماء بينهم) وقال الله تعالى (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولـكن الله ألف بينهم) والتودد والتآلف من ائتلاف الأرواح على ماورد في الخبر الذي أوردناه فما تعارف منها ائتلف قال الله تعـالى (فأصبحتم بنعمته اخوانا) وقال سبحانه وتعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال عليـه السلام المؤمن آلف مألوف لا خـير فيمن لا يألف ولا يؤلف * وقال

عليه السلام مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الأخرى وما التقى مؤمنان الا استفاد احدهما من صاحبه خيرا (وقال) أبوادريس الخولانى لمعاذ اني أحبك في الله فقال ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل من هؤلاء يارسول الله قال المتحابون في الله (وقيل) لو تحاب الناس وتعاطوا أسباب المحبة لاستغنوا بها عن العدالة وقيل العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لا توجد المحبة وقيل طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا المعنى كانت صحبة الصوفية مؤثرة من البعض فى البعض لأنهم لما تحابوا فى الله تواصوا بمحاسن الاخلاق ووقع القبول بينهم لوجود المحبة فانتفع لذلك المريد بالشيخ والأخ بالأخ ولهذا المعنى أمر الله تعالى باجتماع الناس فى كل يوم خمس مرات فى المساجد أهل كل درب وكل محلة وفى الجامع فى الأسبوع مرة أهل كل بلد وانضمام أهل السواد إلى البلدان في الأعياد فى جميع السنة مرتين وأهل الأقطار من البلدان المتفرقة فى العمر مرة للحج كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الألفة والمودة بين المؤمنين وقال عليه السلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (أخبرنا) أبو زرعة قال أنا والدى أبو الفضل قال أنا أبو نصر محمد بن سلمان العدل قال أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى قال أنا أبو العباس عبدالله بن يعقوب الكرمانى قال حدثنا يحيى الكرمانى قال حدثنا حماد ابن زيد عن مجالد بن سعد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ألا إن مثل المؤمنين فى توادهم وتحابهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالسهر والحمى والتألف والتودد يؤكد أسباب الصحبة والصحبة مع الأخبار مؤثرة جدا (وقد قيل) لقاء الاخوان لقاح ولا شك ان البواطن تتلقح ويتقوى البعض بالبعض بل بمجرد النظر إلى أهل الصلاح يؤثر صلاحا والنظر فى الصور يؤثر أخلاقا مناسبة لخلق المنظور اليه كدوام النظر إلى

المحزون يحزن ودوام النظر إلى المسرور يسر (وقد قيل) من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه والجمل الشرود يصير ذلولا بمقارنة الجمل الذلول فالمقارنة لها تأثير في الحيوان والنبات والجماد والماء والهواء يفسدان بمقارنة الجيف والزروع تنقى عن أنواع العروق في الأرض والنبات لموضع الافساد بالمقارنة وإذا كانت المقـارنة مؤثرة في هذه الأشياء ففي النفوس الشريفة البشرية أكثر تأثيرا وسمى الانسان انسانا لأنه يأنس بما يراه من خير وشر والتألف والتودد مستجلب للمزيد وانما العزلة والوحدة تحمد بالنسبة إلى أراذل الناس وأهل الشر فأما أهل العلم والصفاء والوفاء والأخلاق الجيدة فيغتنم مقارنتهم والاستئناس بهم استئناس بالله تعالى كما ان محبتهم محبـة الله والجامع معهم رابطة الحق ومع غيرهم رابطة الطبع فالصوفي مع غير الجنس كائن بائن ومع الجنس كائن معاين والمؤمن مرآة المؤمن إذا نظر إلى أخيه يستشف من وراء أقواله وأعماله وأحواله تجليـات إلهية وتعريفات وتلويحات من الله الكريم خفية غابت عن الاغيار وأدركها أهل الأنوار * ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الاحسان والدعاء له وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء توحيـدهم وقطعهم النظر إلي الاغيار ورؤيتهم النعم من المنعم الجبار ولـكن يفعلون ذلك اقتداء برسول الله ﷺ على ما ورد أن رسول الله ﷺ خطب فقـال مامن الناس أحدا من علينـا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقال مانفعني مال كمال أبي بكر فالخلق حجبوا عن الله بالخلق في المنع والعطاء فالصوفي في الابتداء يفنى عن الخلق ويري الأشياء من الله حيث طالع ناصيته التوحيـد وخرق الحجاب الذي منع الخلق عن صرف التوحيـد فلا يثبت للخلق منعا ولا عطاء ويحجبه الحق عن الخلق فاذا ارتقى إلى ذروة التوحيد يشكر الخلق بعد شكر الحق ويثبت لهم وجودا في المنع والعطاء بعد أن يرى المسبب أولا وذلك لسعة علمه وقوة معرفته يثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق كعامة المسلمين ولا يحجبه الحق عن الخلق كأرباب الارادة والمبتدئين فيكون شكره للحق لأنه المنعم والمعطى والمسبب ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أول مايدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء وقال عليه السلام من عطش أو تجشى فقال الحمد لله على كل حال دفع الله تعالى بها سبعين داء أهونها الجذام (وروى) جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما من عبد ينعم عليه بنعمة فحمد الله إلا كان الحمد أفضل منها فقوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يحتمل أن يرضى الحق بها شكرا ويحتمل ان الحمد أفضل منها نعمة فتكون نعمة الحمد أفضل من النعمة التى حمد عليها فاذا شكروا المنعم الأول يشكرون الواسطة المنعم من الناس ويدعون له (روى) أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا أفطر عند قوم قال أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ونزلت عليكم السكينة (أخبرنا) أبو زرعة عن أبيه قال أنا احمد ابن محمد بن احمد البزار قال أنا أبو حفص عمر بن ابراهيم قال حدثنا عبدالله بن محمد البغوى قال أنا عمرو بن زرارة قال حدثنا عيينة بن يونس عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال لأخيه جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء * ومن أخلاق الصوفية بذل الجاه للاخوان والمسلمين كافة فاذا كان الرجل وافر العلم بصيرا بعيوب النفس وآفاتها وشهواتها فليتوصل إلى قضاء حوائج المسلمين ببذل الجاه والمعاونة فى اصلاح ذات البين وفى هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق ومخالطتهم ومعاشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لصوفى تام الحال عالم ربانى (روى) عن زيد ابن أسلم أنه قال كان نبي من الأنبياء يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس (وقال عطاء) لأن يرانى الرجل سنين فيكتسب جاها يعيش فيه مؤمن أتم له من أن يخلص العمل لنجاة نفسه وهذا باب غامض لايؤمن أن يفتتن به خلق من الجهال المدعين ولا يصح هذا إلا لعبد اطلع الله على باطنه فعلم منه أن لارغبة له فى شيء من الجاه والمال ولو أن ملوك الأرض وقفوا فى خدمته ماطغى ولا استطال ولو دخل إلى أتون يوقد ما ظهرت نفسه بصريح الانكار لهذا الحال وهذا لايصلح إلا لآحاد من الخلق وأفراد من الصادقين ينسلخون عن ارادتهم واختيارهم ويكاشفهم الله تعالى بمراده منهم فيدخلون فى الأشياء

بمراد الله تعالى فاذا علموا أن الحق يريد منهم المخالطة وبذل الجاه يدخلون فى ذلك بغيبة صفات النفس وهذا لأقوام ماتوا ثم حشروا وأحكموا مقام الفناء ثم رقوا إلى مقام البقاء فيكون لهم فى كل مدخل ومخرج برهان وبيان وإذن من الله تعالى فهم على بصيرة من ربهم وهذا ليس فيهم ارتياب لصاحب قلب مكاشف بصريح المراد فى خفى الخطاب فيأخذ وقته أبدا من الأشياء ولم تأخذ الأشياء من وقته ولا يكون فى قطر من الأقطار الا واحد متحقق بهذا الحال (قال) أبوعثمان الحيرى لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه فى أربعة أشياء المنع والعطاء والعز والذل ولمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه (قال) سهل بن عبد الله لايستحق الانسان الرياسة حتى تجتمع فيه ثلاث خصال يصرف جهله عن الناس ويحتمل جهل الناس ويترك ما فى أيديهم ويبذل ما فى يده لهم وهذه الرياسة ليست عين الرياسة التى زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة صدقه وسلوكه وانما هذه رياسة أقامها الحق لصلاح خلقه فهو فيها بالله يقوم بواجب حقها وشكر نعمتها لله تعالى

﴿ الباب الحادي والثلاثون فى ذكر الأدب ومكانه من التصوف ﴾

روى عن رسول الله ﷺ انه قال ادبنى ربى فأحسن تأديبى فالأدب تهذيب الظاهر والباطن فاذا تهذب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا أديبا وإنما سميت المأدبة مأدبة لاجتماعهما على أشياء ولايتكامل الأدب فى العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق ومكارم الأخلاق مجموعها من تحسين الخلق فالخلق صورة الانسان والخلق معناه فقال بعضهم الخلق لاسبيل إلى تغييره كالخلق وقدورد فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والأجل وقد قال تعالى لاتبديل لخلق الله والأصح ان تبديل الأخلاق ممكن مقدور عليه بخلاف الخلق وقد روي عن رسول الله ﷺ انه قال حسنوا أخلاقكم وذلك ان الله تعالى خلق الانسان وهيأه لقبول الصلاح والفساد وجعله أهلا للأدب ومكارم الأخلاق ووجود الأهلية فيه كوجود النار فى الزناد ووجود النخل فى النوى ثم ان الله تعالى بقدرته ألهم الانسان ومكنه من اصلاحه بالتربية إلى ان يصير النوى نخلا والزناد بالعلاج حتى تخرج منه نار وكما جعل فى نفس

الانسان صلاحية الخير جعل فيها صلاحية الشر حال الاصلاح والافساد فقال سبحانه وتعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) فتسويتها بصلاحيتها للشيئين جميعا ثم قال عز وجل (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) فاذا تزكت النفس تدبرت بالعقل واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة وتهذبت الأخلاق وتكونت الآداب فالأدب استخراج ما فى القوة إلى الفعل وهذا يكون لمن ركبت السجية الصالحة فيه والسجية فعل الحق لا قدرة للبشر على تكوينها كتكون النار فى الزناد إذ هو فعل الله المحض واستخراجه بكسب الآدمى فهكذا الآداب منبعها السجايا الصالحة والمنح الالهية ولما هيأ الله تعالى بواطن الصوفية بتكميل السجايا فيها توصلوا بحسن الممارسة والرياضة إلي استخراج ما فى النفوس مركوز بخلق الله تعالى إلى الفعل فصاروا مؤدبين مهذبين والآداب تقع فى حق بعض الأشخاص من غير زيادة ممارسة ورياضة لقوة ما أودع الله تعالى فى غرائزهم كما قال رسول الله ﷺ أدبنى ربى فأحسن تأديبي وفى بعض الناس من يحتاج إلي طول الممارسة لنقصان قوي أصولها فى الغريزة فلهذا احتاج المريدون إلى صحبة المشايخ لتكون الصحبة والتعلم عونا على استخراج ما فى الطبيعة إلى الفعل قال الله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) قال ابن عباس رضى الله عنهما فقهوهم وأدبوهم وفي لفظ آخر قال رسول الله ﷺ أدبنى ربي فأحسن تأديبي ثم أمرنى بمكارم الأخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * قال يوسف ابن الحسين بالأدب يفهم العلم وبالعلم يصح العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة يقام الزهد وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا يرغب فى الآخرة وبالرغبة فى الآخرة تنال الرتبة عند الله تعالى (قيل) لما ورد أبو حفص العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبى حفص وقوفا على رأسه يأتمرون لأمره لا يخطىء أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب فى الظاهر عنوان الأدب فى الباطن قال أبو الحسين النورى ليس لله فى عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها آداب الشريعة وآداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلى بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك

أدب الخدمة أعز من الخدمة (حكى) عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة وربما كنت أستلقى وأمد رجلى فجاءتنى عائشة المكية فقالت لي يا أباعبيد يقال انك من أهل العلم أقبل منى كلمة لا تجالسه الا بادب والافيمحى اسمك من ديوان القرب قال أبو عبيد وكانت من العارفات وقال ابن عطاء النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب والنفس تجرى بطباعها فى مدان المخالفة والعبد يردها بجهده إلى حسن المطالبة فمن اعرض عن الجهد فقدأطلق عنان النفس وغفل عن الرعاية ومهما اعانه فهو شريكها وقال الجنيد من اعان نفسه على هواها فقد أشرك فى قتل نفسه لأن العبودية ملازمة الأدب والطغيان سوء الأدب (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو النصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا العباس المحبوبى أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال حدثنا يحيى بن يعلى عن ناصح عن سماك عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع (وروي) أيضا انه قال عليه السلام ما نحل والد ولدا من نحلة أفضل من أدب حسن (وروت) عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق الولد على الوالد أن يحسن إسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه (وقال) أبو على الدقاق العبد يصل بطاعته إلى الجنة وبادبه فى طاعته إلى الله تعالى (قال) أبو القاسم القشيرى رحمه الله كان الاستاذ أبو على لا يستند إلى شىء فكان يوما فى مجمع فأردت ان اضع وسادة خلف ظهره لأني رأيته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت انه توقى الوسادة لأنه لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لا يستند إلى شىء أبدا (وقال) الجلالى البصرى التوحيد يوجب الايمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والايمان يوجب الشريعة فمن لا شريعة له لا إيمان له ولا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد (وقال) بعضهم إلزم الأدب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الأدب ظاهرا الا عوقب ظاهرا وما أساء أحد الادب باطنا إلا عوقب باطنا قال بعضهم هو غلام الدقاق أنظرت إلى غلام أمرد فنظر إلى الدقاق وأنا أنظر إليه فقال لتجدن غبها ولو بعد سنين قال

فوجدت غبها بعد عشرين سنة إن أنسيت القرآن (وقال) سرى صليت وردى ليلة من الليالى ومددت رجلى فى المحراب فنوديت ياسرى هكذا تجالس الملوك فضممت رجلى ثم قلت وعزتك لامددت رجلى أبدا وقال الجنيد فبقى ستين سنة مامد رجله ليلا ولا نهارا (قال عبدالله) بن المبارك من تهاون بالادب عوقب بحرمان السنن ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة (وسئل السرى) عن مسئلة فى الصبر فجعل يتكلم فيها فدب على رجله عقرب فجعلت تضرب به بابرتها فقيل له ألا تدفعها عن نفسك قال استحى من الله ان اتكلم فى حال ثم أخالف ما أعلم فيه وقيل من أدب رسول الله ﷺ انه قال زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ولم يقل رأيت (وقال) يس بن مالك الادب فى العمل علامة قبول العمل (وقال) ابن عطاء الأدب الوقوف مع المستحسنات قيل مامعناه قال ان تعامل الله سرا وعلنا بالادب فاذا كنت كذلك كنت أديبا وان كنت أعجميا ثم أنشد

إذا نطقت جاءت بكل مليحة　　وإن سكتت جاءت بكل مليح

وقال الجريرى منذ عشرين سنة مامددت رجلى فى الخلوة فان حسن الأدب مع الله أحسن وأولى * وقال أبو على ترك الأدب موجب للطرد فمن أساء الادب على البساط رد إلى الباب ومن أساء الادب على الباب رد إلى سياسة الدواب

﴿ الباب الثانى والثلاثون فى اداب الحضرة الالهية لأهل القرب ﴾

كل الآداب تتلقى من رسول الله ﷺ فانه عليه السلام مجمع الآداب ظاهرا وباطنا وأخبر الله تعالى عن حسن أدبه فى الحضرة بقوله تعالى (مازاغ البصر وماطغى) وهذه غامضة من غوامض الآداب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه المقدس فى الاعراض والاقبال اعرض عما سوى الله وتوجه إلى الله وترك وراء ظهره الأرضين والدار العاجلة بحظوظها والسموات والدار الآخرة بحظوظها فما التفت إلى ما أعرض عنه ولا لحقه الاسف على الغائب فى اعراضه قال الله تعالى (لكيلا تأسوا على مافاتكم) فهذا الخطاب للعموم وما زاغ البصر أخبار عن حال النبي عليه السلام بوصف خاص من معنى ماخاطب به العموم

فكان مازاغ البصر حاله في طرف الاعراض وفى طرف الاقبال تلقى ماورد عليه في مقام قاب قوسين بالروح والقلب ثم فرمن الله تعالي حياء منه وهيبة واجلالا وطوى نفسه بفراره فى مطاوى انكساره وافتقاره لكيلا تنبسط النفس فتطغى فان الطغيان عند الاستغناء وصف النفس قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى والنفس عند المواهب الواردة على الروح والقلب تسترق السمع ومتى نالت قسطا من المنح استغنت وطغت والطغيان يظهر منه فرط البسط والافراط فى البسط يسد باب المزيد وطغيان النفس لضيق وعائها عن المواهب فموسى عليه السلام صح له في الحضرة أحد طرفى مازاغ البصر وما التفت إلي مافاته وماطغى متأسفا لحسن أدبه ولكن امتلا من المنح واسترقت النفس السمع وتطلعت إلى القسط والحظ فلما حظيت النفس استغنت وطفح عليها ما وصل إليها وضاق نطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال ارنى أنظر إليك فمنع ولم يطلق فى فضاء المزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكليم عليهما السلام وهذه دقيقة لارباب القرب والأحوال السنية فكل قبض بوجد عقوبة لأن كل قبض سد في وجه باب الفتوح والعقوبة بالقبض أوجبت الافراط في البسط ولو حصل الاعتدال فى البسط ماجبت العقوبة بالقبض والاعتدال فى البسط بايقاف النازل من المنح على الروح والقلب والايقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبى عليه السلام من تغييب النفس في مطاوى الانكسار فذلك الفرار من الله إلى الله وهو غاية الأدب حظى به رسول الله عليه الصلاة والسلام فما قوبل بالقبض فدام مزيده وكان قاب قوسين أوأدنى ويشا كل الشرح الذى شرحناه قول أبي العباس ابن عطاء فى قوله تعالى (مازاغ البصر وماطغى) قال لم يره بطغيان يميل بل رآه على شروط اعتدال القوى وقال سهل ابن عبدالله التسترى لم يرجع رسول الله ﷺ إلى شاهد نفسه ولا إلي مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكليته لربه يشاهد مايظهر عليه من الصفات التى أوجبت الثبوت في ذلك المحل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرحناه برمز في ذلك عن سهل بن عبدالله ويؤيد ذلك أيضا ماأخبرنا به شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى اجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن

أحمد بن منصور الصفار النيسابورى قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا نصر بن عبد الله بن على السراج قال أنا أبو الطيب العكى عن أبي محمد الجريرى قال التسرع إلي استدراك علم الانقطاع وسيلة والوقوف على حد الانحسار نجاة واللياذ بالهرب من علم الدنو وصلة واستقباح ترك الجواب ذخيرة والاعتصام من قبول دواعى استماع الخطاب تكلف وخوف فوت علم ما انطوى من فصاحة الفهم في حيز الاقبال مساءة والاصغاء إلى تلقى ماينفصل عن معدنه بعد والاستسلام عند التلاقى جراءة والانبساط فى محل الأنس غرة وهذه الكلمات كلها من آداب الحضرة لاربابها وفى قوله تعالي مازاغ البصر وماطغى وجه آخر ألطف مما سبق مازاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة ولم يتقاصر وماطغى لم يسبق البصر البصيرة فيتجاوز حده ويتعدى مقامه بل استقام البصر مع البصيرة الظاهر مع الباطن والقلب مع القالب والنظر مع القدم ففى تقدم النظر على القدم طغيان والمعنى بالنظر علم وبالقدم حال القالب فلم يتقدم النظر على القدم فيكون طغيانا ولم يتخلف القدم عن النظر فيكون تقصيرا فلما اعتدلت الأحوال وصار قلبه كقالبه وقالبه كقلبه وظاهره كباطنه وباطنه كظاهره وبصره كبصيرته فحيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدمه وحاله ولهذا المعنى انعكس حكم معناه ونوره على ظاهره وأتي البراق ينتهى خطوه حيث ينتهى نظره لايتخلف قدم البراق عن موضع نظره كما جاء فى حديث المعراج فكان البراق بقالبه مشاكلا لمعناه ومتصفا بصفته لقوة حاله ومعناه وأشار في حديث المعراج إلى مقامات الأنبياء ورأى فى كل سماء بعض الأنبياء اشارة إلى تعويقهم وتخلفهم عن شأوه ودرجته ورأى موسى فى بعض السموات فمن هو فى بعض السموات يكون قوله أرنى أنظر إليك تجاوزا للنظر عن حد القدم وتخلفا للقدم عن النظر وهذا باهو الاخلال حد الوصفين من قوله تعالى مازاغ البصر وماطغى فرسول الله حمل مقترنا قدمه ونظره فى حجال الحياء والتواضع ناظرا إلى قدمه قادما على نظره ولو خرج عن حجال الحياء والتواضع وتطال بالنظر متعديا حد القدم تعوق في بعض السموات كتعوق غيره من الأنبياء فلم يزل ﷺ متجلس حجاله فى خفارة

أدب حاله حتى خرق حجب السموات فانصبت إليه أقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب حجابا حجابا حتى استقام على صراط مازاغ البصر وماطغى. فمر كالبرق الخاطف إلى مخدع الوصل واللطائف وهذا غاية فى الأدب ونهاية فى الأرب (قال) أبو محمد بن رويم حين سئل عن أدب المسافر فقال لايجاوز همه قدمه فحيث وقف قلبه يكون مقره (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب اجازة قال أنا عمر بن أحمد قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبدالرحمن السلمى قال حدثنا القاضى أبو محمد يحيى بن منصور قال حدثنا أبو عبدالله محمد بن على الترمذى قال حدثنا محمد بن رزام الابلى قال حدثنا محمد بن عطاء الهجيمى قال حدثنا محمد بن نصير عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية رب أرنى أنظر إليك قال قال يا موسى انه لايرانى حى الامات ولايابس الاتدهده ولارطب الاتفرق إنما يرانى أهل الجنة الذين لاتموت أعينهم ولاتبلى أجسادهم ومن آداب الحضرة ماقال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يختص ببعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الاطلاق لان الله تعالي أمر بالدعاء وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط فى طلب المآرب والحاجات الدنيوية حتى رفعه الحق مقاما فى القرب وأذن له في الانبساط وقال أطلب منى ولوملحا لعجينك فلما بسط انبسط وقال رب انى لما أنزلت إلى من خير فقير لأنه كان يسأل حوائج الآخرة ويستعظم الحضرة ان يسأل حوائج الدنيا لحقارتها وهو فى حجاب الحشمة عن سؤال المحقرات ولهذا مثال فى الشاهد فان الملك المعظم يسأل المعظمات ويحتشم فى طلب المحقرات فلما رفع بساط حجاب الحشمة صار فى مقام خاص من القرب يسأل الحقير كما يسأل الخطير قال ذو النون المصرى أدب العارف فوق كل أدب لأن معروفه مؤدب قلبه * وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى من ألزمته القيام مع أسمائى وصفاتى ألزمته الأدب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتي ألزمته العطب فاختر أيهما شئت الأدب أوالعطب وقول القائل هذا يشير إلى ان الأسماء والصفات تستقل بوجود محتاج إلى الأدب لبقاء رسوم البشرية وحظوظ النفس ومع لمعان نور عظمة الذات تتلاشى الآثار بالانوار

ويكون معنى العطب التحقق بالفناء وفى ذلك العطب نهاية الادب (وقال) أبو على الدقاق في قوله تعالى وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين لم يقل ارحمنى لانه حفظ أدب الخطاب وقال عيسى عليه السلام (ان كنت قلته فقد علمته) ولم يقل لم أقل رعاية لادب الحضرة * وقال أبو نصر السراج أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فى طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادى والعوائق واستواء السر والعلانية وحسن الادب فى مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور والأدب أدبان أدب قول وأدب فعل فمن تقرب إلى الله تعالي بادب فعله منحه محبة القلوب (قال ابن المبارك) نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الادب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف * وقال النورى من لم يتأدب للوقت فوقته مقت وقال ذوالنون إذا خرج المريد عن حد استعمال الأدب فانه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قد أكثر الناس فى الأدب ونحن نقول هو معرفة النفس وهذه اشارة منه إلي ان النفس هى منبع الجهالات وترك الأدب من مخامرة الجهل فاذا عرف النفس صادف نور العرفان على ماورد من عرف نفسه فقد عرف ربه ولهذا النور لاتظهر النفس بجهالة الا ويقمعها بصريح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام باداب الحضرة فهو بغيرها أقوم وعليها أقدر

﴿ الباب الثالث والثلاثون فى اداب الطهارة ومقدماتها ﴾

قال الله تعالى فى وصف أصحاب الصفة فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قيل فى التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء قال الكلبي هو غسل الادبار بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولاينامون بالليل على الجنابة روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما نزلت هذه الآية ان الله تعالى قد اثنى عليكم في الطهور فما هو قالوا انا نستنجى بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار وهكذا كان الاستنجاء فى الابتداء حتى نزلت الآية فى أهل قباء قيل لسلمان قد علمكم نبيكم كل شىء حتى الخراءة فقال سلمان

أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي باليمين أو يستنجي أحدنا بأقل من ثلاثة أحجار أو نستنجي برجيع أو عظم (حدثنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب املاء قال أنا أبو منصور الحريمي قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا أبو علي اللؤلؤي قال أنا أبو داود قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا ابن المبارك عن ابن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال ﷺ انما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فاذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة (والفرض) فى الاستنجاء شيآن ازالة الخبث وطهارة المزيل وهو أن لايكون رجيعا وهو الروث ولا مستعملا مرة أخرى ولا رمة وهي عظم الميتة ووتر الاستنجاء سنة فاما ثلاثة أحجار أو خمس أوسبع واستعمال الماء بعد الحجر سنة وقد قيل فى الآية يحبون أن يتطهروا ولما سئلوا عن ذلك قالوا كنا نتبع الماء الحجر والاستنجاء بالشمال سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون فى الصحراء إذا كانت أرضا طاهرة وترابا طاهرا * وكيفية الاستنجاء أن يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المخرج قبل ملاقاة النجاسة ويمره بالمسح ويدير الحجر في مره حتى لا ينقل النجاسة من موضع إلى موضع يفعل ذلك إلى أن ينتهى إلى مؤخر المخرج ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمسح إلي المقدمة ويأخذ الثالث ويديره حول المسربة وان استجمر بحجر ذي ثلاث شعب جاز وأما الاستبراء إذا انقطع البول فيمد ذكره من أصله ثلاثا إلى الحشفة بالرفق لئلا يندفق بقية البول ثم ينتره ثلاثا ويحتاط فى الاستبراء بالاستنقاء هو أن يتنحنح ثلاثا لأن العروق ممتدة من الحلق إلى الذكر وبالتنحنح تتحرك وتقذف مافى مجرى البول فان مشى خطوات وزاد فى التنحنح فلا بأس ولكن يراعى حد العلم ولا يجعل للشيطان عليه سبيلا بلوسوسة فيضيع الوقت ثم يمسح الذكر ثلاث مسحات أو أكثر إلي أن لا يرى الرطوبة وشبه بعضهم الذكر بالضرع وقال لا يزال تظهر منه الرطوبة ما دام يمد فيراعى الحد فى ذلك ويراعى الوتر فى ذلك أيضاً والمسحات تكون على الأرض الطاهرة

أو حجر طاهر وإن احتاج إلى أخذ الحجر لصغره فليأخذ الحجر باليمين والذكر باليسار ويمسح على الحجر وتكون الحركة باليسار لا باليمين لئلا يكون مستنجيا باليمين وإذا أراد استعمال الماء انتقل إلى موضع آخر وينقع الحجر ما لم ينتشر البول على الحشفة وفى ترك الاستنقاء فى الاستبراء وعيد ورد فيما رواه عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما قال مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما هذا فكان لا يستبرىء أو لا يستنزه من البول وأما هذا فكان يمشى بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا والعسيب الجريد وإذا كان في الصحراء يبعد عن العيون * روى جابر رضى الله عنه ان النبي ﷺ كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد * وروى المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ فى سفر فأتى النبي عليه السلام حاجته فأبعد فى المذهب * وروي ان النبي عليه السلام كان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل وكان يستتر بحائط أو نشز من الأرض أو كوم من الحجارة ويجوز أن يستتر الرجل براحلته فى الصحراء أو بذيله إذا حفظ الثوب من الرشاش ويستحب البول فى أرض دمثة أو على تراب مهيل قال أبو موسى كنت مع رسول الله ﷺ فأراد أن يبول فأتي دمثا فى أصل جدار فبال ثم قال إذا أراد أحدكم أن يبول فليرتد لبوله وينبغي أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستقبل الشمس والقمر ولا يكره استقبال القبلة فى البنيان والأولى اجتنابه لذهاب بعض الفقهاء إلى كراهية ذلك في البنيان أيضا ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض ويتجنب مهاب الرياح احترازا من الرشاش * قال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا أحسبك تحسن الخراءة فقال بلى وأبيك انى بها لحاذق قال فصفها لى فقال أبعد الشر وأعد المدر وأستقبل الشيح وأستدبر الريح وأقعى اقعاء الظبي وأجفل اجفال النعام يعنى أستقبل أصول النبات من الشيح وغيره وأستدبر الريح احترازا من الرشاش والاقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه والاجفال أن يرفع عجزه * ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

وطهر قلبي من الرياء وحصن فرجي من الفواحش ويكره أن يبول الرجل فى المغتسل * روى عبدالله بن مغفل ان النبى عليه السلام نهى أن يبول الرجل فى مستحمه وقال ان عامة الوسواس منه * وقال ابن المبارك يوسع فى البول فى المستحم إذا جرى فيه الماء وإذا كان فى البنيان يقدم رجله اليسرى لدخول الخلاء ويقول قبل الدخول بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث (حدثنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي قال أنا أبومنصور المقرى قال أنا أبو بكر الخطيب قال أنا أبو عمرو الهاشمي قال أنا أبو على اللؤلؤى قال أنا أبو داود قال حدثنا عمر وهو ابن مرزوق البصري قال حدثنا شعبة عن قتادة عن النضر ابن أنس عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه قال ان هذه الحشوش محتضرة فاذا أتي أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث وأراد بالحشوش الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكثيف كانوا يقضون حوائجهم اليها قبل أن تتخذ الكنف فى البيوت وقوله محتضرة أى يحضرها الشياطين وفى الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ولا يتولع بيده ولا يخط الأرض والحائط وقت قعوده ولا يكثر النظر إلى عورته الا للحاجة إلى ذلك ولا يتكلم فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال لايخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عوراتهما يتحدثان فان الله تعالى يمقت على ذلك ويقول عند خروجه غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى مايؤذيني وأبقى على ماينفعنى ولا يستصحب معه شيئا عليه اسم الله من ذهب وخاتم وغيره ولا يدخل حاسر الرأس * روت عائشة رضى الله عنها عن أبيها أبي بكر رضى الله عنه أنه قال استحيوا من الله فاني لأدخل الكنيف فألزق ظهرى وأغطى رأسى استحياء من ربى عز وجل

﴿ الباب الرابع والثلاثون فى آداب الوضوء وأسراره ﴾

اذا أراد الوضوء يبتدئ بالسواك (حدثنا) شيخنا أبوالنجيب قال أنا أبوعبدالله الطائي قال أنا الحافظ المراء قال أنا عبدالواحد بن أحمد المليحى قال أنا أبومنصور محمد بن أحمد قال أنا أبو جعفر محمد بن احمد بن عبدالجبار قال ثنا حميد بن زنجويه قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة بن

عبد الرحمن عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا
أن أشق على أمتي لأخرت العشاء الي ثلث الليل وأمرتهم بالسواك عند كل مكتوبة
وروت عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السواك
مطهرة للفم مرضاة للرب وعن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك والشوص الدلك ويستحب السواك عند
كل صلاة وعند كل وضوء وكلما تغير الفم من أزم وغيره وأصل الأزم امساك
الاسنان بعضها على بعض وقيل للسكوت ازم لان الاسنان تنطبق وبذلك يتغير
الفم ويكره للصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل
الجمعة وعند القيام من الليل ويندى السواك اليابس بالماء ويستاك عرضا وطولا
فان اقتصر فعرضا فاذا فرغ من السواك يغسله ويجلس للوضوء والأولى أن يكون
مستقبل القبلة ويبتدئ ببسم الله الرحمن الرحيم ويقول رب أعوذ بك من
همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ويقول عند غسل اليد اللهم
إني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ويقول عند المضمضة
اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وأعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ويقول
عند الاستنشاق اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأوجدني رائحة الجنة وأنت عني
راض ويقول عند الاستنثار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك من
روائح النار وسوء الدار ويقول عند غسل الوجه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
وبيض وجهي يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك
وعند غسل اليمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وآتني كتابي بيميني وحاسبني
حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم اني أعوذ بك أن تؤتيني كتابي بشمالي أو
من وراء ظهري وعند مسح الرأس اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وغشني برحمتك
وأنزل علي من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك ويقول عند
مسح الاذنين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني ممن يسمع القول فيتبع
أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة مع الأبرار ويقول في مسح العنق اللهم فك رقبتي
من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى اللهم

صل على محمد وعلى آل محمد وثبت قدمى على الصراط مع أقدام المؤمنين ويقول عند اليسرى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل قدمى عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين وإذا فرغ من الوضوء يرفع رأسه الى السماء ويقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوأ وظلمت نفسى أستغفرك وأتوب اليك فاغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى صبورا شكورا واجعلنى أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا * وفرائض الوضوء النية عندغسل الوجه وغسل الوجه وحد الوجه من مبتدأ تسطيح الوجه الي منتهى الذقن وماظهر من اللحية وما استرسل منها ومن الأذن إلى الأذن عرضا ويدخل فى الغسل البياض الذى بين الاذنين واللحية وموضع الصلع وما انحسر عنه الشعر وهما النزعتان من الرأس ويستحب غسلهما مع الوجه ويوصل الماء الى شعر التحذيف وهو القدر الذى يزيله النساء من الوجه ويوصل الماء الى العنفقة والشارب والحاجب والعذار وما عدا ذلك لا يجب ثم اللحية إن كانت خفيفة يجب ايصال الماء الى البشرة وحد الخفيف أن ترى البشرة من تحته وان كانت كثيفة فلا يجب ويجتهد فى تنقية مجتمع الكحل من مقدم العين (الواجب الثالث) غسل اليدين الى المرفقين ويجب ادخال المرفقين فى الغسل ويستحب غسلهما الى انصاف العضدين وان طالت الاظافر حتى خرجت من رءوس الاصابع يجب غسل ماتحتها على الاصح (الواجب الرابع) مسح الرأس ويكفى مايطلق عليه اسم المسح واستيعاب الرأس بالمسح سنة وهو أن يلصق رأس أصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدم الرأس ويمدها إلى القفا ثم يردها إلي الموضع الذى بدأ منه وينصف بلل الكفين مستقبلا ومستدبرا والواجب الخامس غسل القدمين ويجب ادخال الكعبين في الغسل ويستحب غسلهما إلي انصاف الساقين ويقنع غسل القدمين من الكعبين ويجب تخليل الأصابع الملتفة فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن القدم ويبدأ بخنصر رجله اليمنى ويختم بخنصر اليسرى وان كان فى الرجل شقوق يجب ايصال الماء إلى باطنها وان ترك فيها عجينا

أو شحما يجب ازالة عين ذلك الشيء (الواجب السادس) الترتيب على النسق المذكور فى كلام الله تعالى (الواجب السابع) التتابع فى القول القديم عند الشافعى رحمه الله تعالى وحد التفريق الذي يقطع التتابع نشاف العضو مع اعتدال الهواء

﴿ وسنن الوضوء ثلاثة عشر ﴾ التسمية فى أول الطهارة وغسل اليدين إلى الكوعين والمضمضة والاستنشاق والمبالغة فيهما فيغرغر في المضمضة حتي يرد الماء إلى الغلصمة ويستمد فى الاستنشاق الماء بالنفس إلى الخياشيم ويرفق في ذلك ان كان صائما وتخليل اللحية الكثيفة وتخليل الأصابع المنفرجة والبداءة بالميامن واطالة الغرة واستيعاب الرأس بالمسح ومسح الأذنين والتثليث وفى القول الجديد التتابع ويجتنب ان يزيد على الثلاث ولا ينفض اليد ولا يتكلم فى اثناء الوضوء ولا يلطم وجهه بالماء لطما وتجديد الوضوء مستحب بشرط ان يصلى بالوضوء ماتيسر والا فمكروه

﴿ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية فى الوضوء ﴾

أداب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام * أدابهم فى الوضوء حضور القلب فى غسل الأعضاء سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب فى الوضوء يحضر فى الصلاة وإذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة فى الصلاة ومن آدابهم استدامة الوضوء والوضوء سلاح المؤمن والجوارح إذا كانت فى حماية الوضوء الذى هو أثر شرعى يقل طروق الشيطان عليها * قال عدى بن حاتم ماأقيمت صلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء وقال أنس بن مالك قدم النبي عليه الصلاة والسلام المدينة وأنا يومئذ ابن ثمان سنين فقال لى يابنى ان استطعت أن لاتزال على الطهارة فافعل فانه من أتاه الموت وهو على الوضوء أعطى الشهادة فشأن العاقل أن يكون أبدا مستعدا للموت ومن الاستعداد لزوم الطهارة (وحكى) عن الحصرى انه قال مهما انتبه من الليل لايحملنى النوم إلا بعد ماأقوم وأجدد الوضوء لئلا يعود إلى النوم وأنا على غير طهارة وسمعت من صحب الشيخ على ابن الهيتمى انه كان يقعد الليل جميعه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكلما انتبه يقول لاأكون أسأت الأدب

فيقوم ويجدد الوضوء ويصلى ركعتين (وروى) أبوهريرة أن رسول الله ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر يابلال حدثني بارجى عمل عملته فى الاسلام فانى سمعت دف نعليك بين يدي فى الجنة قال ماعملت عملا فى الاسلام أرجى عندي أني لم أتطهر طهرا فى ساعة ليل أونهار الاصليت لربى عز وجل بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلى ومن أدابهم فى الطهارة ترك الاسراف فى الماء والوقوف على حد العلم (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبدالوهاب بن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أخبرنا أبومحمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبوعيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا أبوداود قال حدثنا خارجة ابن مصعب عن يونس بن عبيد عن الحسن عن يحيى بن ضمرة السعدى عن أبي ابن كعب عن النبي ﷺ أنه قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء قال أبوعبدالله الروذباري ان الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بنى آدم فلايبالى أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به أوينقصوا عنه (وحكى) عن ابن الكرنبي انه اصابته جنابة ليلة من الليالى وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة فجاء إلى الدجلة وكان برد شديد فحرنت نفسه عن الدخول فى الماء لشدة البرد فطرح نفسه فى الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت ان لاأنزعها من بدنى حتى تجف على فمكثت عليه شهرا لثخانتها وغلظها أدب بذلك نفسه لما حرنت عن الائتمار لأمر الله تعالي (وقيل) ان سهل بن عبدالله كان يحث أصحابه على كثرة شرب الماء وقلة صبه على الأرض وكان يرى ان في الاكثار من شرب الماء ضعف النفس واماتة الشهوات وكسر القوة ومن أفعال الصوفية الاحتياط فى استبقاء الماء للوضوء (قيل) كان إبراهيم الخواص إذادخل البادية لايحمل معه الا ركوة من الماء وربما كان لايشرب منها إلا القليل يحفظ الماء للوضوء وقيل انه كان يخرج من مكة إلى الكوفة ولايحتاج إلي التيمم يحفظ الماء للوضوء ويقنع بالقليل للشرب وقيل إذا رأيت الصوفى ليس معه ركوة أوكوز فاعلم انه قدم عزم على ترك الصلاة شاء أم أبي وحكى عن بعضهم أنه أدب نفسه فى الطهارة إلى حد أنه أقام بين ظهراني جماعة من النساك وهم مجتمعون في دار فما رآه أحد منهم أنه دخل الخلاء لأنه

كان يقضى حاجته إذا خلا الموضع فى وقت يريد تأديب نفسه وقيل مات الخواص فى جامع الرى فى وسط الماء وذاك انه كان به علة البطن وكلما قام دخل الماء وغسل نفسه فدخله مرة ومات فيه كل ذلك لحفظه على الوضوء والطهارة * وقيل كان ابراهيم بن أدهم به قيام فقام في ليلة واحدة نيفا وسبعين مرة كل مرة يجدد الوضوء ويصلى ركعتين وقيل ان بعضهم أدب نفسه حتى لا يخرج منه الريح الا فى وقت البراز يراعى الادب فى الخلوات واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه قوم وقالوا ان الوضوء يوزن وأجازه بعضهم ودليلهم ما أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر قال أنا أبو محمد قال أنا أبو العباس قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا عبد الوهاب بن وهب عن زيد بن حبان عن أبى معاذ عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان لرسول الله ﷺ خرقة ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء * وروى معاذ بن جبل قال رأيت رسول الله ﷺ إذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه واستقصاء الصوفية فى تطهير البواطن من الصفات الرديئة والأخلاق المذمومة لا الاستقصاء فى طهارة الظاهر إلى حد يخرج عن حد العلم وتوضأ عمر رضى الله عنه من جرة نصرانية مع كون النصارى لا يحترزون عن الخمر وأجرى الأمر على الظاهر وأصل الطهارة وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يصلون على الأرض من غير سجادة ويمشون حفاة في الطرق وقد كانوا لا يجعلون وقت النوم بينهم وبين التراب حائلا وقد كانوا يقتصرون على الحجر في الاستنجاء فى بعض الأوقات وكان أمرهم فى الطهارة الظاهرة على التساهل واستقصاؤهم فى الطهارة الباطنة وهكذا شغل الصوفية وقد يكون فى بعض الأشخاص تشدد فى الطهارة ويكون مستند ذلك رعونة النفس فلو اتسخ ثوبه تحرج ولا يبالى بما فى باطنه من الغل والحقد والكبر والعجب والرياء والنفاق ولعله ينكر على الشخص لو داس الأرض حافيا مع وجود رخصة الشرع ولا ينكر عليه ان يتكلم بكلمة غيبة يخرب بها دينه وكل ذلك من قلة العلم وترك التأدب بصحبة الصادقين من العلماء الراسخين وكانوا يكرهون كثرة الدلك فى الاستبراء لأنه ربما يسترخى العرق

ولايمسك البول ويتولد منه القطر المفرط (ومن حكاية) المتصوفة فى الوضوء والطهارات أن أباعمرو الزجاجى جاور بمكة ثلاثين سنة وكان لايتغوط فى الحرم ويخرج إلى الحل وأقل ذلك فرسخ (وقيل) كان بعضهم على وجهه قرح لم يندمل اثنتى عشرة سنة لأن الماء كان يضره وكان مع ذلك لايدع تجديد الوضوء عند كل فريضة وبعضهم نزل فى عينه الماء فحملوا إليه المداوى وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال المداوى يحتاج إلى ترك الوضوء اياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل ذلك واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء

﴿ الباب السادس والثلاثون فى فضيلة الصلاة وكبر شأنها ﴾

(روى) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ لما خلق الله تعالي جنة عدن وخلق فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ثلاثا وشهد القرآن المجيد بالفلاح للمصلين وقال رسول الله ﷺ أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت وصلى بي الظهر واشتقاق الصلاة قيل من الصلى وهو النار والخشبة المعوجة إذا أرادوا تقويمها تعرض على النار ثم تقوم وفى العبد اعوجاج لوجود نفسه الأمارة بالسوء وسبحات وجه الله الكريم التى لو كشف حجابها أحرقت من أدركته يصيب بها المصلى من وهج السطوة الالهية والعظمة الربانية مايزول به اعوجاجه بل يتحقق به معراجه فالمصلى كالمصطلى بالنار ومن اصطلى بنار الصلاة وزال بها اعوجاجه لا يعرض على نار جهنم الا تحلة القسم (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين احمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنا أبوسعيد محمد بن أبى العباس بن محمد بن أبي العباس الخليلى قال أنا أبوسعيد الفرخزاذى قال أنا ابو اسحق احمد بن محمد قال أنا أبو القاسم الحسن بن محمد ابن الحسن قال أنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى قال حدثنا جعفر بن احمد ابن الحافظ قال أنا احمد بن نصير قال حدثنا آدم بن أبي اياس عن ابن سمعان عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه ان النبي ﷺ قال يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله عز وجل مجدني عبدى فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدى فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى على عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال فوض إلي عبدى فاذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله تعالى هذا لعبدى ولعبدى ماسأل * فالصلاة صلة بين الرب والعبد وما كان صلة بينه وبين الله فحق العبد أن يكون خاشعا لصولة الربوبية على العبودية وقد ورد أن الله تعالي إذا تجلى لشيء خضع له ومن يتحقق بالصلة فى الصلاة تلمع له طوالع التجلى فيخشع والفلاح للذين هم فى صلاتهم خاشعون وبانتفاء الخشوع ينتفى الفلاح وقال الله تعالى (وأقم الصلاة لذكري) وإذا كانت الصلاة للذكر كيف يقع فيها النسيان قال الله تعالى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلى وقد نهاه الله عن ذلك فالسكران يقول الشيء لا بحضور عقل والغافل يصلى لا بحضور عقل فهو كالسكران وقيل فى غرائب التفسير فى قوله تعالى (فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى) قيل نعليك همك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالي سكر فى الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء فى الصلاة وينظرون يميناً وشمالا فلما نزلت (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) جعلوا وجوههم حيث يسجدون وما رؤى بعد ذلك أحد منهم ينظر إلي الأرض (وروي) أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد إذا قام إلى الصلاة فانه بين يدى الرحمن فاذا التفت قال له الرب إلى من تلتفت إلى من هو خير لك منى ابن آدم أقبل إلى فأنا خير لك ممن تلتفت اليه * وأبصر رسول الله ﷺ رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه وقد قال رسول الله ﷺ إذا صليت فصل صلاة مودع فالمصلى سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودنياه وكل شيء سواه والصلاة فى اللغة هى الدعاء فكأن المصلى يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها ظاهرا

وباطنا ويشارك الظاهر البـاطن بالتضرع والتقلب وفى الهيآت تملقات متضرع سائل محتـاج فاذا دعا بكليته أجابه مولاه لأنه وعده فقال (ادعوني أستجب لكم) كان خالد الربعي يقول عجبت لهذه الآية (ادعونى أستجب لكم) أمرهم بالدعاء ووعدهم بالاجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والاجابة هى نفوذ دعاء العبد فان الداعى الصـادق العالم بمن يدعوه بنور يقينه فتخرق الحجب وتقف الدعوة بين يدى الله تعالى متقاضية للحاجة وخص الله تعالى هذه الأمانة بانزال فاتحة الكتاب وفيها تقديم الثناء على الدعاء ليكون أسرع إلي الاجابة وهى تعليم الله تعالى عباده كيفية الدعاء وفاتحة الكتاب هى السبع المثانى والقرآن العظيم قيل سميت مثانى لأنها نزلت على رسول الله ﷺ مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وكان لرسول الله ﷺ بكل مرة نزلت منها فهم آخر بل كان لرسول الله ﷺ بكل مرة يقرؤها على الترداد مع طول الزمان فهم آخر وهكذا المصلون المحققون من أمته ينكشف لهم عجائب أسرارها وتقذف لهم كل مرة درر بحارها وقيل سميت مثاني لأنها استثنيت من الرسـل وهى سبع آيات * وروت أم رومان قالت رآني أبو بكر وأنا أتميل فى الصلاة فزجرني زجرا كدت أن أنصرف عن صلاتى ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا قام أحدكم إلي الصلاة فليسكن أطرافه لايتميل تميل اليهود فان سكون الأطراف من تمام الصلاة وقال رسول الله ﷺ تعوذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال خشوع البدن ونفاق القلب فأما تميل اليهود قيل كان موسى يعامل بنى اسرائيل على ظاهر الأمور لقلة مافى باطنهم فكان يهيء الأمور ويعظمها ولهذا المعنى أوحى الله تعالي اليه أن يحلى التوراة بالذهب ووقع لى والله أعلم أن موسى كان يرد عليـه الوارد في صلاته ومحال مناجاته فيموج به باطنه كبحر ساكن تهب عليـه الريح فتتلاطم الأمواج فكان تمايل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نسمات القلب وربما كانت الروح تتطلع إلى الحضرة الالهية فتهم بالاسـتعلاء وللقالب بها تشبك وامتزاج فيضطرب القلب ويتمايل فرأى اليهود ظاهره فتمايلوا من غير حظ لبواطنهم من ذلك ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ انكارا على

أهل الوسوسة هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بنى اسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم لايقبل الله صلاة امرئ لايشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه وان الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهيا لاهيا واعلم ان الله تعالي أوجب الصلوات الخمس وقد قال رسول الله ﷺ الصلاة عماد الدين. فمن ترك الصلاة فقد كفر فبالصلاة تحقيق العبودية واداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل إلى تحقيق سر الصلاة * قال سهل بن عبد الله يحتاج العبد إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج إلى النوافل لتكميل السنن ويحتاج إلي الآداب لتكميل النوافل ومن الأدب ترك الدنيا والذى ذكره سهل هو معنى ماقال عمر على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله صلاه قيل وكيف ذاك قال لايتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله فيها * وقد ورد فى الأخبار ان العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلى لينشر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم المصلى من يناجى ما التفت أو ما انفتل وقد جمع الله تعالى للمصلين فى كل ركعة مافرق على أهل السموات فلله ملائكة فى الركوع منذ خلقهم الله لايرفعون من الركوع إلى يوم القيامة وهكذا في السجود والقيام والقعود والعبد المتيقظ يتصف فى ركوعه بصفة الراكعين منهم وفى السجود بصفة الساجدين وفى كل هيئة هكذا يكون كالواحد منهم وبينهم وفى غير الفريضة ينبغى للمصلى أن يمكث فى ركوعه متلذذا بالركوع غير مهتم بالرفع منه فان طرقته سآمة بحكم الجبلة استغفر منها ويستديم تلك الهيئة ويتطلع أن يذوق الخشوع اللائق بهذه الهيئة ليصير قلبه بلون الهيئة وربما يتراءى للراكع المحقق أنه ان سبق همه فى حال الركوع أو السجود إلى الرفع منه ماوفى الهيئة حقها فيكون همه الهيئة مستغرقاً فيها مشغولا بها عن غيرها من الهيآت فبذلك يتوفر حظه من بركة كل هيئة فان السرعة التي يتقاضى بها الطبع تسد باب الفتوح ويقف فى مهاب النفحات الالهية حتى يتكامل حظ العبد فتنمحى آثاره بحسن الاسترسال ويستقر فى مقعد الوصال (وقيل) فى الصلاة أربع هيآت وستة أذكار

فالهيآت الأربع القيام والقعود والركوع والسجود والأذكار الستة التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فصارت عشرة كاملة تفرق هذه العشرة على صفوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف فيجتمع في الركعتين مايفرق على مائة ألف من الملائكة

﴿الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب﴾

ونذكر في هذا الفصل كيفية الصلاة بهيآتها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على الكمال باقصى ماينتهي إليه فهمنا وعلمنا على الوجه مع الاعراض عن نقل الأقوال في كل شيء من ذلك إذ في ذلك كثرة ويخرج عن حد الاختصار ولا يجاز المقصود فنقول وبالله التوفيق ينبغي للعبد ان يستعد للصلاة قبل دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء في وقت الصلاة فذلك من المحافظة عليها ويحتاج في معرفة الوقت إلي معرفة الزوال وتفاوت الأقدام لطول النهار وقصره ويعتبر الزوال بأن الظل مادام في الانتقاص فهو النصف الأول من النهار فاذا أخذ الظل في الازدياد فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس وإذا عرف الزوال وان الشمس على كم قدم تزول يعرف أول الوقت وآخره ووقت العصر ويحتاج إلي معرفة المنازل ليعلم طلوع الفجر ويعلم أوقات الليل وشرح ذلك يطول ويحتاج أن يفرد له باب فاذا دخل وقت الصلاة يقدم السنة الراتبة ففي ذلك سر وحكمة ذلك والله أعلم أن العبد تشعث باطنه وتفرق همه لما بلى به من المخالطة من الناس وقيامه بمهام المعاش أوسهو جرى بوضع الجبلة أوصرف هم إلى أكل أو نوم بمقتضى العادة فاذا قدم السنة ينجذب باطنه إلي الصلاة ويتهيأ للمناجاة ويذهب بالسنة الراتبة أثر الغفلة والكدورة من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعدا للفريضة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق النفحات ثم يجدد التوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كل ذنب عمله ومن الذنوب عامة وخاصة فالعامة الكبائر والصغائر مما اومأ إليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة والخاصة ذنوب حال الشخص فكل عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله ويعرفها صاحبها وقيل حسنات الأبرار سيآت المقربين * ثم لا يصلى إلا جماعة قال رسول الله ﷺ تفضل صلاة الجماعة

صلاة الفذ بسبع وعشرين درجـة ثم يستقبل القبلة بظاهره والحضرة الالهية بباطنه ويقرأ قل أعوذ برب الناس ويقرأ فى نفسه آية التوجه وهذا التوجه قبل الصلاة والاستفتاح قبل الصـلاة لوجهه الظاهر بانصرافه إلى القبلة وتخصيص جهته بالتوجه دون جهة الصلاة ثم يرفع يديه حذو منكبيه بحيث تكون كفاه حذو منكبيه وابهاماه عنـد شحمة أذنيه ورؤس الأصابع مع الأذنين ويضم الأصابع وان نشرها جاز والضم أولى فانه قيـل النشر نشر الكف لا نشر الأصابع ويكبر ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفا ويجزم أكبر ويجعل المد فى الله ولا يبالغ فى ضم الهاء من الله ولا يبتدىء بالتكبير إلا إذا استقرت اليدان حذو المنكبين ويرسلهما مع التكبير من غير نفض فالوقار إذا سكن القلب تشكلت به الجوارح وتأيدت بالأولى والأصوب ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير انه يصلى الصلاة بعينها (وحكى) عن الجنيد انه قال لكل شىء صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى وانما كانت التكبيرة صفوة لأنها موضع النيـة وأول الصـلاة قال أبو نصر السراج سمعت ابن سالم يقول النية بالله لله ومن الله والآفات التي تدخل فى صلاة العبد بعد النية من العدو ونصيب العدو وإن كثر لا يوازن بالنية التي هى لله بالله وإن قل (وسئل) أبو سعيد الخراز كيف الدخول فى الصلاة فقال هو أن تقبل على الله تعالى اقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدى الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تناجيه وتعلم بين يدى من أنت واقف فانه الملك العظيم (وقيل) لبعض العارفين كيف تكبر التكبيرة الأولى فقال ينبغى إذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك فى الله التعظيم مع الألف والهيبة مع اللام والمراقبة والقرب مع الهاء واعلم ان من الناس من إذا قال الله أكبر غاب فى مطالعة العظمة والكبرياء وامتلأ باطنه نورا وصار الكون بأسره فى فضاء شرح صدره كخردلة بأرض فلاة ثم تلتقى الخردلة فما يخشى من الوسوسة وحديث النفس وما يتخايل فى الباطن من الكون الذى صار بمثابة الخردلة فألقيت فكيف تزاحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا العبد وقد تزاحم مطالعة العظمة والغيبوبة فى ذلك كون النية غير أنه لغاية لطف الحال يختص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز

بالنية فتكون النية موجودة بألطف صفاتها مندرجة فى نور العظمة اندراج الكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض بيده اليمنى يده اليسرى ويجعلها بين السرة والصدر واليمنى لكرامتها تجعل فوق اليسرى ويعد المسبحة والوسطى على الساعد ويقبض بالثلاثة البواقي اليسري من الطرفين وقد فسر أمير المؤمنين على رضى الله عنه قوله تعالى (فصل لربك وانحر) قال انه وضع اليمنى على الشمال تحت الصدر وذلك ان تحت الصدر عرقا يقال له الناحر أى ضع يدك على الناحر وقال بعضهم (وانحر) أى استقبل القبلة بنحرك وفى ذلك سر خفى يكاشف به من وراء أستار الغيب وذلك ان الله تعالي بلطيف حكمته خلق الآدمى وشرفه وكرمه وجعله محل نظره ومورد وحيه ونخبة مافى أرضه وسمائه روحانيا وجسمانيا أرضيا سماويا منتصب القامة مرتفع الهيئة فنصفه الأعلى من حد الفؤاد مستودع أسرار السموات ونصفه الأسفل مستودع أسرار الأرض فمحل نفسه ومركزها النصف الأسفل ومحل روحه الروحاني والقلب النصف الأعلى فجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتجاذبان وباعتبار تطاردها وتغالبهما تكون لمة الملك ولمة الشيطان ووقت الصلاة يكثر التطارد لوجود التجاذب بين الايمان والطبع فيكاشف المصلى الذى صار قلبه سماويا مترددا بين الفناء والبقاء لجواذب النفس متصاعدة من مركزها وللجوارح وتصرفها وحركتها مع معانى الباطن ارتباط وموازنة فبوضع اليمنى على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جواذبها وأثر ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس فى الصلاة ثم إذا استوت جواذب الروح وتملكت من الفرق إلى القدم عند كمال الأنس وتحقق قرة العين واستيلاء سلطان المشاهدة تصير النفس مقهورة ذليلة ويستنير مركزها بنور الروح وتنقطع حينئذ جواذب النفس وعلى قدر استنارة مركز النفس يزول كل العبادة ويستغنى حينئذ عن مقاومة النفس ومنع جواذبها بوضع اليمين على الشمال فيسبل حينئذ ولعل لذلك والله أعلم مانقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان مسبلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم يقرأ وجهت وجهى الآية وهذا التوجه انقاء لوجه قلبه والذي قبل الصلاة لوجه قالبه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالي جدك ولا إله غيرك اللهم أنت

الملك لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً انه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فانه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك فالخير كله بيديك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب اليك ويطرق رأسه في قيامه ويكون نظره إلى موضع السجود ويكمل القيام بانتصاب القامة ونزع يسير الانطواء عن الركبتين والخواصر ومعاطف البدن ويقف كأنه ناظر بجميع جسده إلى الأرض فهذا من خشوع سائر الأجزاء ويتكون الجيد بتكون القلب من الخشوع ويراوح بين القدمين بمقدار أربع أصابع فان ضم الكعبين هو الصفد المنهي عنه ولا يرفع احدى الرجلين فانه الصفن المنهي عنه نهى رسول الله ﷺ عن الصفن والصفد وإذا كان الصفن منهيا عنه ففي زيادة الاعتماد على احدى الرجلين دون الأخرى معنى من الصفن فالأولى رعاية الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعا ويكره اشتمال الصماء وهو أن يخرج يده من قبل صدره ويجتنب السدل وهو أن يرخي أطراف الثوب إلي الأرض ففيه معنى الخيلاء وقيل هو الذي يلتف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وفي معناه ما إذا جعل يديه داخل القميص ويجتنب الكف وهو أن يرفع ثيابه بيده عند السجود ويكره الاختصار وهو أن يجعل يده على الخاصرة ويكره الصلب وهو وضع اليدين جميعاً على الخصرين وتجافي العضدين فاذا وقف في الصلاة على الهيئة التي ذكرناها مجتنباً للمكاره فقد تم القيام وكمله فيقرأ آية التوجه والدعاء كما ذكرناه ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقولها في كل ركعة أمام القراءة ويقرأ الفاتحة ومابعدها بحضور قلب وجمع هم ومواطأة بين القلب واللسان بحظ وافر من الوصلة والدنو والهيبة والخشية والخشوع والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة وإن قرأ بين الفاتحة ومايقرأ بعدها إذا كان إماما في السكتة الثانية اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد فحسن وإن قالها في السكتة الأولى فحسن * روى عن النبي عليه السلام أنه قال ذلك وإن كان منفردا يقولها قبل القراءة ويعلم العبد ان تلاوته نطق اللسان ومعناها نطق القلب وكل مخاطب لشخص يتكلم بلسانه ولسانه يعبر عما في

قلبه ولو أمكن المتكلم افهام من يكلمه من غير لسان فعل ولكن حيث تعذر الافهام إلا بالكلام جعل اللسان ترجمانا فاذا قال باللسان من غير مواطأ القلب فما اللسان ترجمانا ولا القارىء متكلما قاصدا اسماع الله حاجته ولا مستمعا إلى الله فاهما عنه سبحانه مايخاطبه وماعنده غير حركة اللسان بقلب غائب عن قصد مايقول فينبغي أن يكون متكلما مناجيا أو مستمعا واعيا فأقل مراتب أهل الخصوص فى الصلاة الجمع بين القلب واللسان فى التلاوة ووراء ذلك أحوال للخواص يطول شرحها (قال بعضهم) مادخلت في صلاة قط فأهمنى فيها غير ماأقول * وقيل لعامر بن عبدالله هل تجد فى الصلاة شيئا من أمور الدنيا فقال لأن تختلف على الأسنة أحب إلى من أن أجد في الصلاة ماتجدون * وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك فى الصلاة بشيء من أمور الدنيا فقال لا فى الصلاة ولا فى غيرها ومن الناس من إذا أقبل على الله فى صلاته يتحقق بمعنى الانابة لأن الله تعالى قدم الانابة وقال منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة فينيب إلى الله تعالى ويتقى الله تعالى ولتبرى عما سواه ويقيم الصلاة بصدر منشرح بالاسلام وقلب منفتح بنور الانعام فتخرج الكلمة من القرآن من لسانه ويسمعها بقلبه فتقع الكلمة في فضاء قلب ليس فيه غيرها فيتملكها القلب بحسن الفهم ولذيذ نعمة الاصغاء ويتشربها بحلاوة الاستماع وكمال الوعى ويدرك لطيف معناها وشريف فحواها معاني تلطف عن تفصيل الذكر وتتشكل بخفى الفكر ويصير الظاهر من معاني القرآن قوت النفس فالنفس المطمئنة متعرضة بمعانى القرآن عن حديثها لكونها معاني ظاهرة متوجهة إلى عالم الحكمة والشهادة تقرب مناسبتها من النفس المكونة لاقامة رسم الحكمة ومعاني القرآن الباطنة التى يكاشف بها من الملكوت قوت القلب وتخلص إلي الروح المقدس إلي أوائل سرادقات الجبروت بمطالعة عظمة المتكلم وبمثل هذه المطالعة يكون كمال الاستغراق فى لجج الأشواق كما نقل عن مسلم بن يسار أنه صلى ذات يوم فى مسجد البصرة فوقعت اسطوانة تسامع بسقوطها أهل السوق وهو واقف فى الصلاة لم يعلم بذلك ثم إذا أراد الركوع يفصل بين القراءة والركوع ثم يركع منطوى القامة والنصف الأسفل بحاله فى القيام من غير انطواء الركبتين ويجافى مرفقيه عن جنبيه ويمد عنقه مع ظهره ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الأصابع (روى) مصعب بن سعد قال صليت إلى جنب سعد

ابن مالك فجعلت يدي بين ركبتي وبين فخذي وطبقتهما فضرب بيدي وقال اضرب بكفيك على ركبتيك وقال يابني انا كنا نفعل ذلك فأمرنا أن نضرب بالأكف على الركب ويقول سبحان ربي العظيم ثلاثا وهو أدنى الكمال والكمال أن يقول احدى عشرة وما يأتي به من العدد يكون بعد التمكن من الركوع ومن غير أن يمزج آخر ذلك بالرفع ويرفع يديه للركوع والرفع من الركوع ويكون فى ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخشوع من النظر إلى موضع السجود وانما ينظر إلى موضع سجوده فى قيامه ويقول بعد التسبيح اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري وعظمي ومخي وعصبي ويكون قلبه في الركوع متصفا بمعنى الركوع من التواضع والاخبات ثم يرفع رأسه قائلا سمع الله لمن حمده عالما بقلبه مايقول فاذا استوى قائما يحمد ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شيء بعد ثم يقول أهل الثناء والمجد أحق ماقال العبد وكلنا لك عبد لامانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فان أطال فى النافلة القيام بعد الرفع من الركوع فليقل لربي الحمد مكررا ذلك مهماشاء فأما فى الفرض فلا يطول تطويلا يزيد على الحد زيادة بينة ويقنع فى الرفع من الركوع بتمام الاعتدال باقامة الصلب (ورد) عن رسول الله ﷺ أنه قال لا ينظر الله إلى من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود ثم يهوي ساجدا ويكون فى هويه مكبرا مستيقظا حاضرا خاشعا عالما بما يهوى فيه وإليه وله فمن الساجدين من يكاشف أنه يهوى إلى تخوم الأرضين متغيبا فى أجزاء الملك لامتلاء قلبه من الحياء واستشعار روحه عظيم الكبرياء كما ورد أن جبريل عليه السلام تستر بخافية من جناحه حياء من الله تعالى ومن الساجدين من يكاشف أنه يطوى بسجوده بساط الكون والمكان ويسرح قلبه فى فضاء الكشف والعيان فيهوى دون هويه أطباق السموات وتنمحى لقوة شهوده تماثيل الكائنات ويسجد على طرف رداء العظمة وذاك أقصى ماينتهى إليه طائر الهمة البشرية وتنى بالوصول إليه القوى الانسانية ويتفاوت الأنبياء والأولياء فى مراتب العظمة واستشعار كنهها لكل منهم على قدره حظ من ذلك وفوق كل ذى علم عليم ومن الساجدين من يتسع وعاؤه وينتشر ضياؤه ويحظى بالصنفين ويبسط الجناحين فيتواضع بقلبه اجلالا ويرفع

بروحه اكراما وافضالا فيجتمع له الأنس والهيبة والحضور والغيبة والفرار والقرار والاسرار والجهار فيكون في سجوده سابحا في بحر شهوده لم يتخلف منه عن السجود شعرة كما قال سيد البشر في سجوده سجدلك سوادي وخيالي (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً) الطوع للروح والقلب لما فيهما من الأهلية والكره من النفس لما فيها من الأجنبية ويقول في سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاثا إلى العشر الذي هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأنهما يسجدان وفي الهوى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه ويكون ناظرا نحو أرنبة أنفه في السجود فهو أبلغ في الخشوع للساجد ويباشر بكفيه المصلي ولا يلفهما في الثوب ويكون رأسه بين كفيه ويداه حذو منكبيه غير متيامن ومتياسر بهما ويقول بعد التسبيح اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين * وروى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده ذلك وإن قال سبوح قدوس رب الملائكة والروح فحسن (روت) عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده ذلك ويجافي مرفقيه عن جنبيه ويوجه أصابعها في السجود نحو القبلة ويضم أصابع كفيه مع الابهام ولا يفرش ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موجها بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكلف ضمهما وتفريجهما ويقول رب اغفرلي وارحمني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطيل هذه الجلسة في الفريضة أما في النافلة فلا بأس مهما أطال قائلا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الاقعاء في القعود وهو ههنا أن يضع أليتيه على عقبيه ثم إذا أراد النهوض إلى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة ويفعل في بقية الركعات هكذا ثم يتشهد وفي الصلاة سر المعراج وهو معراج القلوب والتشهد مقر الوصول بعد قطع مسافات الهيآت على تدريج طبقات السموات والتحيات سلام على رب البريات فليذهن لما يقول ويتأدب مع من يقول ويدور كيف يقول ويسلم على النبي ﷺ ومثاله بين عيني قلبه ويسلم على عباد الله الصالحين فلا يبقى عبد في السماء ولا في الأرض من عباد الله إلا ويسلم عليه بالنسبة

الروحية والخاصية الفطرية ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى مقبوضة الأصابع إلا المسبحة ويرفع المسبحة فى الشهادة فى إلا الله لا فى كلمة النفى ولا يرفعها منتصبة بل مائلة برأسها إلى الفخذ منطوية فهـذه هيئة خشوع المسبحة ودليل سراية خشوع القلب اليها ويدعو فى آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين إن كان إماما ينبغى أن لا ينفرد بالدعاء بل يدعو لنفسه ولمن ورائه فان الامام المتيقظ فى الصلاة كحاجب دخل على سلطان ووراءه أصحاب الحوائج يسألهم ويعرض حاجاتهم والمؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا وبهذا وصفهم الله تعالى فى كلامه بقوله سبحانه (كأنهم بنيان مرصوص) وفى وصف هذه الأمة فى الكتب السالفة صفهم فى صلاتهم كصفهم فى قتالهم (حدثنا) بذلك شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي املاء قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن عيسى بن شعيب المالينى قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن ابن محمد المظفر الواعظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن احمد السرخسى قال أنا أبو عمران عيسى بن عمر بن العباس السمرقندى قال أنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى قال أنا مجاهد بن موسى قال حدثنا معن هو ابن عيسى أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله ﷺ فى التوراة قال نجد محمد بن عبـد الله يولد بمكة ويهاجر لطيبة ويكون ملكه بالشام وليس بفحاش ولا سخاب فى الأسواق ولا يكافيء بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر أمته الحمادون يحمدون الله فى كل سراء ويكبرون الله على كل نجد يوضؤن أطرافهم ويأتزرون فى أوساطهم يصفون فى صلاتهم كما يصفون فى قتالهم دويهم فى مساجدهم كدوي النحل يسمع مناديهم فى جو السماء فالامام فى الصلاة مقدمة الصف فى محاربة الشيطان فهو أولى المصلين بالخشوع والاتيان بوظائف الأدب ظاهرا وباطنا والمصلون المتيقظون كلما اجتمعت ظواهرهم تجتمع بواطنهم وتتناصر وتتعاضد وتسرى من البعض إلى البعض أنوار وبركات بل جميع المسلمين المصلين فى أقطار الارض بينهم تعاضد وتناصر بحسب القلوب ونسب الاسلام ورابطة الايمان بل يمدهم الله تعـالى بالملائكة الكرام كما أمد رسول الله ﷺ بالملائكة المسومين فحاجاتهم إلى محاربة الشيطان أمس من حاجتهم إلى محاربة الكفار ولهذا كان يقول رسول الله ﷺ رجعنا من الجهاد

الأصغر إلى الجهاد الأكبر فتداركهم الأملاك بل بأنفاسهم الصادقة تماسك الأفلاك فاذا أراد الخروج من الصلاة يسلم على يمينه وينوى مع التسليم الخروج من الصلاة والسلام على الملائكة والحاضرين من المؤمنين ومؤمنى الجن ويجعل خده مبينا لمن على يمينه بالواء عنقه ويفصل بين هذا السلام والسلام عن يسار فقد ورد النهى عن المواصلة والمواصلة خمس اثنان تختص بالامام وهو أن لايوصل القراءة بالتكبير والركوع بالقراءة واثنان على المأموم وهو أن لا يوصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة على الامام والمأمومين وهو أن يوصل تسليم الفرض بتسليم النفل ويجزم التسليم ولا يمد مدا ثم يدعو بعد التسليم بما شاء من أمر دينه ودنياه ويدعو قبل التسليم أيضا فى صلب الصلاة فانه يستجاب ومن أقام الصلوات الخمس فى جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وكل المقامات والأحوال زبدتها الصلوات الخمس فى جماعة وهى سر الدين وكفارة المؤمن وتمحيص للخطايا على ما أخبرنا شيخنا شيخ الاسلام ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله اجازة قال أنا أبو منصور محمد بن عبدالملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس بن زكريا قال حدثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال حدثنا الحسين ابن الحسن المروزى قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا يحيى بن عبد الله قال سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات للخطايا واقرؤا إن شئتم إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين

﴿ الباب الثامن والثلاثون فى ذكر آداب الصلاة وأسرارها ﴾

أحسن آداب المصلى أن لا يكون مشغول القلب بشيء قل أو كثر لأن الاكياس لم يرفضوا الدنيا إلا ليقيموا الصلاة كما أمروا لأن الدنيا واشتغالها لما كانت شاغلة للقلب رفضوها غيرة على محل المناجاة ورغبة فى أوطان القربات واذعانا بالباطل لرب البريات لأن حضور الصلاة بالظاهر اذعان الظاهر وفراغ القلب فى الصلاة عما سوى الله تعالى اذعان الباطل فلم يروا حضور الظاهر وتخلف الباطن

حتى لايختل اذعانهم فتنخرم عبوديتهم فيجتنب أن يكون باطنــه مرتهنا بشيء ويدخل الصلاة (وقيل) من فقه الرجل أن يبدأ بقضاء حاجته قبل الصلاة ولهذا ورد إذا حضر العشاء والعشاء فقدموا العشاء على العشاء ولا يصلى وهو حاقن يطالبه البول ولا حازق يطالبه الغائط والحزق أيضا ضيق الخلق ولا يصلى أيضا وخفه ضيق يشغل قلبه فقد قيل لارأي لحازق قيل الذى يكون معه ضيق وفي الجملة ليس من الأدب أن يصلي وعنده ما يغير مزاج باطنه عن الاعتدال كهذه الأشياء التي ذكرناها والاهتمام المفرط والغضب (وفى الخبر) لايدخل أحدكم في الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان فلا ينبغى للعبد أن يتلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الهيآت وأحسن لبسة المصلى سكون الأطراف وعدم الالتفات والاطراف ووضع اليمين على الشمال فما أحسنها من هيئة عبــد ذليل واقف بين يدى ملك عزيز وفى رخصــة الشرع دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب العزيمة يتركون الحركة فى الصلاة جملة وقد حركت يدى فى الصــلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكر على وقال عندنا ان العبد إذا وقف في الصلاة ينبغى أن يبقى جمادا مجمدا لايتحرك منه شيء * وقد جاء في الخبر سبعة أشياء فى الصــلاة من الشيطان الرعاف والنعــاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء من الشيطان أيضا وقيل السهو والشك (وقد روى) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان الخشوع فى الصلاة أن لايعرف المصلى من على يمينه وشماله (ونقل عن سفيان) أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروي عن معاذ بن جبــل أشد من ذلك قال من عرف من عن يمينه وشماله فى الصــلاة متعمدا فلا صلاة له وقال بعض العلماء من قرأ كلمة مكتوبة فى حائط أو بساط فى صلاته فصلاته باطلة قال بعضهم لان ذلك عدوه عملا وقيل فى تفسير قوله تعالى (والذين هم على صلاتهم دائمون) قيل هو سكون الاطراف والطمأنينــة (قال) بعضهم إذا كبرت التكبيرة الأولى فاعلم ان الله ناظر إلي شخصك عالم بما فى ضميرك ومثل في صلاتك الجنة عن يمينك والنار عن

شمالك وانما ذكرنا أن تمثل الجنـة والنار لأن القلب إذا شغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تداويا للقلب لدفع الوسوسة (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبوالنجيب السهروردى اجازة قال أنبأنا عمر بن احمد الصفار قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبـد الرحمن قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت محمد بن الحسين يقول قال سهل من خلا قلبـه عن ذكر الآخرة تعرض لوساوس الشيطان فأما من باشر باطنه صفو اليقين ونور المعرفة فيستغنى بشاهده عن تمثيل مشاهدة قال أبو سعيد الخراز إذا ركع فالأدب فى ركوعه أن ينتصب ويدنو ويتدلى فى ركوعه حتى لايبقى منه مفصل إلا وهو منتصب نحو العرش العظيم ثم يعظم الله تعالى حتى لايكون فى قلبه شىء أعظم من الله تعالى ويصـغر فى نفسه حتى يكون أقل من الهباء وإذا رفع رأسه وحمـد الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك (وقال أيضا) ويكون معه فى الخشية مايكاد يذوب به (قال السراج) إذا أخذ العبد فى التلاوة فالأدب فى ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كانه يسمع من الله تعالي أو كانه يقرأ على الله تعالى وقال السراج أيضا من أدبهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض ونفى كل شىء غير الله تعالى فاذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكانهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس والعقل اللذين دخلوا فى الصلاة بهما فاذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب فكانهم أبدا فى الصلاة فهذا هو أدب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يتهيأ له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحد من أصحابه يعدد عليه كم ركعة صلى (وقيل) للصلاة أربع شعب حضور القالب فى المحراب وشهود العقل عند الملك الوهاب وخشوع القلب بلا ارتياب وخضوع الاركان بلا ارتقاب لأن عند حضور القلب رفع الحجاب وعند شهود العقل رفع العتاب وعند حضور النفس فتح الابواب وعند خضوع الاركان وجود الثواب فمن أتي الصلاة بلا حضور القلب فهو مصل لاه ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصل ساه ومن أتاها بلا خضوع النفس فهو مصل خاطىء ومن أتاها بلا خشوع الاركان فهو مصل جاف ومن أتاها كما وصف فهو مصل واف

(وقد ورد) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام العبد إلى الصلاة المكتوبة مقبلا على الله بقلبه وسمعه وبصره انصرف من صلاته وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وان الله ليغفر بغسل الوجه خطيئة أصابها وبغسل يديه خطيئة أصابها وبغسل رجليه خطيئة أصابها حتى يدخل فى صلاته وليس عليه وزر (وذكرت) السرقة عند رسول الله ﷺ فقال أى السرقة أقبح فقالوا الله ورسوله أعلم فقال أن اقبح السرقة أن يسرق الرجل من صلاته قالوا كيف يسرق الرجل من صلاته قال لايتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها (وروي) عن أبي عمرو بن العلاء أنه قدم للامامة فقال لا أصلح فلما ألحوا عليه كبر فغشى عليه فقدموا إماما آخر فلما أفاق سئل فقال لما قلت استووا هتف بي هاتف هل استويت أنت مع الله قط * وقال عليه السلام ان العبد إذا أحسن الوضوء وصلى الصلاة لوقتها وحافظ على ركوعها وسجودها ومواقيتها قالت حفظك الله كما حفظتنى ثم صعدت ولها نور حتى تنتهى إلى السماء وحتى تصل إلى الله فتشفع لصاحبها وإذا أضاعها قالت ضيعك الله كما ضيعتنى ثم صعدت ولها ظلمة حتى تنتهى إلى أبواب السماء فتغلق دونها ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها (وقال أبو سليمان الداراني) إذا وقف العبد فى الصلاة يقول الله تعالى ارفعوا الحجب فيما بينى وبين عبدى فاذا التفت يقول الله ارخوها فيما بينى وبينه وخلوا عبدى وما اختار لنفسه * وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فانصرف منهما وأنا أستحى من الله حياء رجل انصرف من الزنا قوله هذا لعظيم الادب عنده ومعرفة كل انسان بأدب الصلاة على قدر حظه من القرب (وقيل) لموسى بن جعفر ان الناس أفسدوا عليك الصلاة بمرهم بين يديك قال ان الذى أصلى له أقرب إلي من الذى يمشى بين يدى (وقيل) كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لايعرف من تغيرلونه فيقال له ذلك فيقول أتدرون بين يدى من أريد أن أقف * وروى عمار بن يسار عن رسول الله ﷺ أنه قال لا يكتب للعبد من صلاته الا ما يعقل وقد ورد فى لفظ آخر منكم من يصلى الصلاة كاملة ومنكم من يصلى النصف والثلث والربع والخمس حتى

يبلغ العشر قال الخواص ينبغي للرجل أن ينوى نوافله لنقصان فرائضه فان لم ينوها لم يحسب له منها شيء * بلغنا ان الله لايقبل نافلة حتى تؤدى فريضة يقول الله تعالى مثلكم كمثل العبد السوء بدأ بالهدية قبل قضاء الدين (وقال أيضا) انقطع الخلق عن الله تعالى بخصلتين احداها أنهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية انهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها وأبى الله تعالى أن يقبل من عامل عملا إلا بالصدق واصابة الحق وفتح العين فى الصلاة أولى من تغميض العين إلا أن يتشتت همه بتفريق النظر فيغمض العين للاستعانة على الخشوع وان تثاءب فى الصلاة يضم شفتيه بقدر الامكان ولا يلزق ذقنه بصدره ولا يزاحم فى الصلاة غيره (قيل) ذهب المزحون بصلاة المزاحم (وقيل) من ترك الصف الأول مخافة أن يضيق على أهله فقام فى الثانى أعطاه الله مثل ثواب الصف الأول من غير أن ينقص من أجورهم شيء (وقيل) ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلي الصلاة يسمع خفقان قلبه من ميل (وروت) عائشة رضى الله عنها ان رسول الله ﷺ كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل حتى كان يسمع فى بعض سكك المدينة (وسئل) الجنيد مافريضة الصلاة قال قطع العلائق وجمع الهم والحضور بين يدى الله وقال الحسن ماذا يعز عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك (وقيل) أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء فقال إذا دخلت الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فانى قريب (وقال) أبو الخير الأقطع رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت يارسول الله أوصنى فقال ياأبا الخير عليك بالصلاة فانى استوصيت ربى فأوصانى بالصلاة وقال لى ان أقرب ما أكون منك وأنت تصلى (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان فى تفكر خير من قيام ليلة (وقيل) ان محمد ابن يوسف الفرغاني رأى حاتما الأصم واقفا يعظ الناس فقال له ياحاتم أراك تعظ الناس أفتحسن أن تصلى قال نعم قال كيف تصلى قال أقوم بالأمر وأمشي بالخشية وأدخل بالهيبة وأكبر بالعظمة وأقرأ بالترتيل وأركع بالخشوع وأسجد بالتواضع وأقعد للتشهد بالتمام وأسلم على السنة وأسلمها إلى ربي وأحفظها أيام

حياتي وأرجع باللوم على نفسي وأخاف أن لا تقبل مني وأرجو أن تقبل مني وأنا بين الخوف والرجاء وأشكر من علمني وأعلمها من سألني وأحمد ربي إذ هداني فقال محمد ابن يوسف مثلك يصلح أن يكون واعظا وقوله تعالي (ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) قيل من حب الدنيا وقيل من الاهتمام وقال عليه السلام من صلى ركعتين ولم يحدث نفسه بشيء من الدنيا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وقال ان الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم اللهم فمن لا يفعل ذلك فهي خداج أي ناقصة * وقد ورد ان المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعد عنه الشيطان في أقطار الأرض خوفا منه لأنه تأهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس قيل يضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر إليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله أكبر اطلع الملك في قلبه فاذا لم يكن في قلبه أكبر من الله تعالى يقول صدقت الله في قلبك كما تقول وتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش ويكشف له بذلك النور ملكوت السموات والأرض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات وان الجاهل الغافل إذا قام إلى الصلاة احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر اطلع الله على قلبه فاذا كان شيء في قلبه أكبر من الله تعالى عنده يقول له كذبت ليس الله تعالى أكبر في قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه من الملكوت فيزداد ذلك الحجاب صلابة ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس إليه ويزين حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه * وفي الخبر لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء والقلوب الصافية التي كمل أدبها لكمال أدب قوالبها تصير سماوية تدخل بالتكبير في السماء كما تدخل في الصلاة والله تعالي حرس السماء من تصرف الشياطين فالقلب السماوى لا سبيل للشيطان إليه فتبقى هواجس نفسانية عند ذلك لا تنقطع بالتحصن بالسماء كانقطاع تصرف الشيطان والقلوب المرادة بالقرب تدرج بالتقريب وتعرج في طبقات السموات وفي كل طبقة من أطباق السماء يتخلف شيء من ظلمة النفس وبقدر ذلك يقل الهاجس إلى أن يتجاوز السموات ويقف أمام العرش فعند ذلك يذهب بالكلية هاجس النفس بساطع نور العرش وتندرج ظلمات النفس في نور القلب اندراج الليل في النهار وتتأدي حينئذ حقوق الآداب على وجه الصواب (وماذكرنا) من

أدب الصلاة يسير من كثير وشأن الصلاة أكبر من وصفنا وأكمل من ذكرنا وقد غلط أقوام وظنوا ان المقصود من الصلاة ذكر الله تعالى وإذا حصل الذكر فأى حاجة إلى الصلاة وسلكوا طرقا من الضلال وركنوا إلى أباطيل الخيال ومحوا الرسوم والأحكام ورفضوا الحلال والحرام وقوم آخرون سلكوا فى ذلك طريقا أدتهم إلى نقصان الحال حيث سلموا من الضلال لأنهم اعترفوا بالفرائض وأنكروا فضل النوافل واغتروا بيسير روح الحال وأهملوا فضل الاعمال ولم يعلموا ان الله في كل هيئة من الهيآت وكل حركة من الحركات أسرارا وحكما لا توجد فى شىء من الاذكار فالاحوال والاعمال روح وجسمان ومادام العبد فى دار الدنيا اعراضه عن الاعمال عين الطغيان فالاعمال تزكو بالاحوال والاحوال تنمو بالاعمال

﴿ الباب التاسع والثلاثون فى فضل الصوم وحسن أثره ﴾

روى عن رسول الله ﷺ انه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقيل مافى عمل ابن آدم شىء إلا ويذهب برد المظالم إلا الصوم فانه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لى فلا يقتص أحد منه شيأ (وفى الخبر) الصوم لى وأنا أجزى به قيل اضافه إلى نفسه لأن فيه خلقاً من أخلاق الصمدية وأيضا لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل فى تفسير قوله تعالى السائحون الصائمون لأنهم ساحوا إلى الله تعالي بجوعهم وعطشهم وقيل فى قوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب هم الصائمون لأن الصبر إسم من أسماء الصوم ويفرغ للصائم افراغا ويجازف له مجازفة وقيل أحد الوجوه فى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم الصوم (وقال) يحيى بن معاذ إذا ابتلى المريد بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له ومن ابتلى بحرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة وفى نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها فى كف الشيطان متعلق بها فاذا جوع بطنه وأخذ حلقه وراض نفسه يبس كل عضو أواحترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله وإذا أشبع بطنه وترك حلقه فى لذائذ الشهوات فقد رطب أعضاءه وامكن الشيطان والشبع نهر فى النفس ترده الشياطين والجوع نهر فى الروح ترده الملائكة وينهزم الشيطان من جائع نائم

فكيف إذا كان قائما ويعانق الشيطان شبعانا قائما فكيف إذا كان نائما فقلب المريد الصادق يصرخ إلى الله تعالى من طلب النفس الطعام والشراب * دخل رجل إلى الطيالسي وهو يأكل خبزا يابسا قد بله بالماء مع ملح جريش فقال له كيف تشتهي هذا قال أدعه حتى أشتهيه (وقيل) من أسرف في مطعمه ومشربه يعجل الصغار والذل إليه في دنياه قبل آخرته (وقال) بعضهم الباب العظيم الذي يدخل منه إلى الله تعالى قطع الغذاء (وقال بشر) ان الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق وقال ذوالنون ما أكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت الا عصيت الله أوهممت بمعصية وروى القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يأتي علينا الشهر ونصف شهر ماتدخل بيتنا نار للمصباح ولا لغيره قال قلت سبحان الله فبأي شيء كنتم تعيشون قالت بالتمر والماء وكان لنا جيران من الأنصار جزاهم الله خيرا كانت لهم منائح فربما واسونا بشيء (وروي) ان حفصة بنت عمر رضي الله عنهما قالت لابيها ان الله قد أوسع الرزق فلو أكلت طعاما أكثر من طعامك ولبست ثيابا ألين من ثيابك فقال اني أخاصمك إلى نفسك ألم يكن من أمر رسول الله ﷺ كذا يقول مرارا فبكت فقال قد أخبرتك والله لاشاركنه في عيشه الشديد لعلي أصيب عيشة الرخاء وقال بعضهم مانخلت لعمر دقيقا الا وأناله عاص (وقالت) عائشة رضي الله عنها ماشبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام من خبز بر حتى مضى لسبيله وقالت عائشة رضي الله عنها أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت بالجوع والعطش والظمأ (وقيل) ظهر إبليس ليحيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق فقال ماهذه قال الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجد لي فيها شهوة قال لاغير انك شبعت ليلة فثقلناك عن الصلاة والذكر فقال لاجرم انى لاأشبع أبدا قال إبليس لاجرم اني لاأنصح أحدا أبدا (وقال) شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلاتها الجوع وقال لقمان لابنه إذا ملئت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة (وقال) الحسن لاتجمعوا بين الأدمين فانه من طعام المنافقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغذية فيكره للمريد أن يوالى في الافطار أكثر من أربعة أيام فان النفس

عند ذلك تركن إلى العادة وتتسع بالشهوة (وقيل) الدنيا بطنك فعلى قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا وقال عليه السلام ماملأ آدمى وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال فتح الموصلي صحبت ثلاثين شيخا كل يوصيني عند مفارقتي اياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل

﴿الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والافطار﴾

جمع من المشايخ الصوفية كانوا يديمون الصوم في السفر والحضر على الدوام حتى لحقوا بالله تعالى وكان أبو عبدالله بن جابار قدصام نيفا وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر فجهد به أصحابه يوما فأفطر فاعتل من ذلك أياما فاذا رأى المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائما ويدع للافطار جانبا فهو عون حسن له على مايريد (روى) أبو موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أى لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد في ذلك مارواه أبو قتادة قال سئل رسول الله ﷺ كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر وأول قوم ان صوم الدهر هو أن لا يفطر العيدين وأيام التشريق فهو الذى يكره وإذا أفطر هذه الايام فليس هو الصوم الذى كرهه رسول الله ﷺ ومنهم من كان يصوم يوما ويفطر يوما وقد ورد أفضل الصيام صوم أخي داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما واستحسن ذلك قوم من الصالحين ليكونوا بين حال الصبر وحال الشكر * ومنهم من كان يصوم يومين ويفطر يوما أو يصوم يوما ويفطر يومين ومنهم من كان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة (وقيل) كان سهل بن عبدالله يأكل في كل خمسة عشر يوما مرة وفي رمضان يأكل أكلة واحدة وكان يفطر بالماء القراح للسنة (وحكى) عن الجنيد أنه كان يصوم على الدوام فاذا دخل عليه اخوانه أفطر معهم ويقول ليس فضل المساعدة مع الاخوان بأقل من فضل الصوم غير ان هذا الافطار يحتاج إلى علم فقد يكون الداعى إلى ذلك شره النفس لا نية الموافقة وتخليص النية لمحض الموافقة مع وجود شره النفس صعب وسمعت شيخنا يقول لى سنين ماأكلت شيئا بشهوة نفس ابتداء واستدعاء بل يقدم إلى الشيء فأراه من فضل الله ونعمته

وفعله فأوافق الحق فى فعله (وذكر) أنه فى ذات يوم اشتهى الطعام ولم يحضر ومن عادته تقديم الطعام اليه قال ففتحت باب البيت الذى فيه الطعام وأخذت رمانة لآكلها فدخلت السنور وأخذت دجاجة كانت هناك فقلت هذا عقوبة لي على تصرفى فى أخذ الرمانة (ورأيت) الشيخ أبا السعود رحمه الله يتناول الطعام في اليوم مرات أى وقت أحضر الطعام أكل منه ويرى ان تناوله للطعام موافقة الحق لأن حاله مع الله كان ترك الاختيار فى مأكوله وملبوسه وجميع تصاريفه وكان حاله الوقوف مع فعل الحق وقد كان له في ذلك بداية يعز مثلها حتى نقل أنه كان يبقى أياما لا يأكل ولا يعلم أحد بحاله ولا يتصرف هو لنفسه ولا يتسبب إلي تناول شيء وينتظر فعل الحق لسياقه الرزق اليه ولم يشعر أحد بحاله مدة من الزمان ثم ان الله تعالي أظهر حاله وأقام له الأصحاب والتلامذة وكانوا يتكلفون الأطعمة ويأتون بها اليه وهو يرى فى ذلك فضل الحق والموافقة سمعته يقول أصبح كل يوم وأحب ما إلى الصوم وينقض الحق على محبتى الصوم بفعله فأوافق الحق في فعله (وحكى) عن بعض الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا فى رمضان (وقال) أبو نصر السراج أنكر قوم هذه المخالفة وان كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لى ان هذا ان قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم وهذا يتسلسل والأليق بموافقة العلم امضاء الصوم قال الله تعالي (ولا تبطلوا أعمالكم) ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون والصدق محمود لعينه كيف كان والصادق في خفارة صدقة كيف تقلب وقال بعضهم إذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهمه فانه قد اجتمع معه شيء من الدنيا وقيل إذا كان جماعة متوافقين أشكالا وفيهم مريد يحثونه على الصيام فان لم يساعدوه يهتموا لافطاره ويتكلفوا له رفقا به ولا يحملوا حاله على حالهم وان كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لافطاره إلا من يأمره الشيخ بغير ذلك * وقيل ان بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتي ينظر الشاب اليه فيتأدب به ويصوم بصيامه وحكى عن أبى الحسن المكى أنه كان يصوم الدهر وكان مقيما بالبصرة وكان لا يأكل الخبز إلا ليلة الجمعة وكان قوته في كل شهر أربع دوانيق يعمل

بيده حبال الليف ويبيعها وكان الشيخ أبو الحسن بن سالم يقول لا أسلم عليه إلا أن يفطر ويأكل وكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية له فى ذلك لأنه كان مشهورا بين الناس وقال بعضهم ما أخلص لله عبد قط إلا أحب أن يكون فى جب لا يعرف ومن أكل فضلا من الطعام أخرج فضلا من الكلام وقيل أقام أبو الحسن التنيسى بالحرم مع أصحابه سبعة أيام لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه وأكله فرآه انسان فاتبع أثره وجاء برفق فوضعه بين يدى القوم فقال الشيخ من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن أنت مع جنايتك ورفقك فقال أنا تائب من جنايتي فقال لا كلام بعد التوبة وكانوا يستحبون صيام أيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر * روى ان آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض اسود جسده من أثر المعصية فلما تاب الله عليه أمره أن يصوم أيام البيض فابيض ثلث جسده بكل يوم صامه حتى ابيض جميع جسده بصيام أيام البيض ويستحبون صوم النصف الأول من شعبان وافطار نصفه الاخير وان واصل بين شعبان ورمضان فلا بأس به ولكن إن لم يكن صام فلا يستقبل رمضان بيوم أو يومين وكان يكره بعضهم أن يصام رجب جميعه كراهة المضاهاة برمضان ويستحب صوم العشر من ذى الحجة والعشر من المحرم ويستحب الخميس والجمعة والسبت أن يصام من الاشهر الحرم وورد في الخبر من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت بعد من النار سبعمائة عام

﴿ الباب الحادى والاربعون فى آداب الصوم ومهامه ﴾

آداب الصوفية فى الصوم ضبط الظاهر والباطن وكف الجوارح عن الآثام كمنع النفس عن الطعام ثم كف النفس عن الاهتمام بالاقسام (سمعت) ان بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق أصحابه انهم كانوا يصومون وكلما فتح عليهم قبل وقت الافطار يخرجونه ولا يفطرون إلا على ما فتح لهم وقت الافطار وليس من الادب أن يمسك المريد عن المباح ويفطر بحرام الآثام (قال) أبو الدرداء ياحبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون قيام الحمقى وصيامهم ولذرة من ذى يقين وتقوى فضل من أمثال الجبال من أعمال المغترين ومن فضيلة الصوم وأدبه أن يقلل الطعام عن الحد

الذى كان يأكله وهو مفطر وإلا فاذا جمع الأكلات بأكلة واحدة فقد أدرك بها مافوت ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع وأخذهم من الطعام قدر الضرورة لعلمهم ان الاقتصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الأفعال والاقوال إلى الضرورة والنفس من طبعها انها اذا أقهرت لله تعالى فى شىء واحد على الضرورة تأدى ذلك الى سائر أحوالها فيصير بالأكل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الخير لأهل الله تعالى يجب رعايته وافتقاده ولا يخص بعلم الضرورة وفوائدها وطلبها إلا عبد يريد الله تعالى أن يقربه ويدنيه ويصطفيه ويربيه ويمتنع في صومه من ملاعبة الأهل بالملامسة فان ذلك أنزه للصوم ويتسحر استعمالا للسنة وهو أدعى الى امضاء الصوم لمعنيين أحدهما عود بركة السنة عليه والثاني التقوية بالطعام على الصيام (روى) أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تسحروا فان فى السحور بركة ويعجل الفطر عملا بالسنة فان لم يرد تناول الطعام الا بعد العشاء ويريد احياء مابين العشاءين يفطر بالماء أو على أعداد من الزبيب أو التمر أو يأكل لقيمات إن كانت النفس تنازع ليصفو له الوقت بين العشاءين فاحياء ذلك له فضل كثير وإلا فيقتصر على الماء لأجل السنة (أخبرنا) الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا اسحق بن موسي الانصادى قال حدثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن قرة عن الزهرى عن أبي سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ حكاية عن ربه قال الله عز وجل أحب عبادى إلي أعجلهم فطرا وقال عليه السلام لايزال الناس بخير ماعجلوا الفطر * والافطار قبل الصلاة سنة كان رسول الله ﷺ يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن أو تمرات (وفى الخبر) كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش قيل هو الذى يجوع بالنهار ويفطر على الحرام وقيل هو الذى يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة (قال) سفيان من اغتاب فسد صومه * وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب

قال الشيخ أبو طالب المكى قرن الله الاستماع إلى الباطل والقول بالاثم بأكل الحرام فقال سماعون للكذب أكالون للسحت (وورد) في الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تهلكا فبعثتا إلى رسول الله ﷺ تستأذنانه فى الافطار فأرسل اليهما قدحا وقال قولوا لهما قيئا فيه ما أكلتما فقاءت أحدهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله ﷺ هاتان صامتا وأفطرتا على ما حرم الله عليهما وقال عليه الصلاة والسلام إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم (وفى الخبر) ان الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (والصوفى) الذي لا يرجع إلى معلوم ولا يدرى متى يساق اليه الرزق فاذا ساق الله اليه الرزق تناوله الادب وهو دائم المراقبة لوقته وهو فى افطاره أفضل من الذى له معلوم معد فان كان مع ذلك يصوم فقد أكمل الفضل (حكى) عن رويم قال اجتزت فى المهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت فتقدمت الى باب دار فاستسقيت فاذا جارية قد خرجت ومعها كوز جديد ملآن من الماء المبرد فلما أردت أن أتناوله من يدها قالت صوفى ويشرب بالنهار وضربت بالكوز على الارض وانصرفت قال رويم فاستحييت من ذلك ونذرت أن لا أفطر أبدا * والجماعة الذين كرهوا دوام الصوم كرهوه لمكان ان النفس إذا ألفت الصوم وتعودته اشتد عليها الافطار وهكذا بتعودها الافطار تكره الصوم فيرون الفضل فى أن لا تركن النفس إلى عادة ورأوا ان افطار يوم وصوم يوم أشد على النفس * ومن أدب الفقراء ان الواحد إذا كان بين جمع وفى صحبة جماعة لا يصوم الا باذنهم وانما كان ذلك لان قلوب الجمع متعلقة بفطوره وهم على غير معلوم فان صام باذن الجمع وفتح عليهم بشيء لا يلزمهم ادخاره للصائم مع العلم بأن الجمع المفطرين يحتاجون إلى ذلك فان الله تعالى يأتى الصائم برزقه إلا أن يكون الصائم يحتاج الى الرفق لضعف حاله أو ضعف بنيته لشيخوخة أو غير ذلك وهكذا الصائم لا يليق أن يأخذ نصيبه فيدخره لان ذلك من ضعف الحال فان كان ضعيفا يعترف بحاله وضعفه فيدخره والذى ذكرناه

لأقوام هم على غير معلوم فأما الصوفية المقيمون فى رباط على معلوم فالأليق بحالهم الصيام ولا يلزمهم موافقة الجمع فى الافطار وهذا يظهر فى جمع منهم لهم معلوم يقدم لهم بالنهار فاما إذا كانوا على غير معلوم فقد قيل مساعدة الصوام للمفطرين أحسن من استدعاء الموافقة من المفطرين للصوام وأمر القوم مبناه على الصدق ومن الصدق افتقاد النية وأحوال النفس فكل ما صحت النية فيه من الصوم والافطار والموافقة وترك الموافقة فهو الأفضل فاما من حيث السنة فمن يوافق له وجه إذا كان صائما وأفطر للموافقة وان صام ولم يوافق فله وجه * فاما وجه من يفطر ويوافق فهو ما أخبرنا به أبو زرعة طاهر عن أبيه أبي الفضل الحافظ المقدسي قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله قال أنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوى قال أنا أبو بكر محمد بن حمدويه قال حدثنا عبد الله بن حماد قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى عطاء بن خالد عن حماد بن حميد عن محمد بن المنكدر عن أبي سعيد الخدرى قال اصطنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم اليهم قال رجل من القوم انى صائم فقال رسول الله ﷺ دعاكم أخوكم وتكلف لكم ثم تقول انى صائم افطر واقض يوما مكانه * وأما وجه من لا يوافق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلال صائم فقال رسول الله نأكل رزقنا ورزق بلال فى الجنة فاذا علم ان هنالك قلبا يتأذى أو فضلا يرجى من موافقة من يغتنم موافقته يفطر بحسن النية لا بحكم الطبع وتقاضيه فاذا لم يجد هذا المعنى لا ينبغى أن يتلبس عليه الشره وداعية النفس بالنية فليتم صومه وقد تكون الاجابة لداعية النفس لا لقضاء حق أخيه * ومن أحسن آداب الفقير الطالب انه اذا أفطر وتناول الطعام ربما يجده باطنه متغيرا عن هيئته ونفسه متثبطة عن اداء وظائف العبادة فيعالج مزاج القلب المتغير باذهاب التغير عنه ويذيب الطعام بركعات يصليها أو بآيات يتلوها أو باذكار واستغفار يأتي به فقد ورد فى الخبر أذيبوا طعامكم بالذكر * ومن مهام آداب الصوم كتمانه مهما أمكن إلا أن يكون متمكنا من الاخلاص فلا يبالى ظهر أم بطن

﴿ الباب الثانى والأربعون فى ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة ﴾

الصوفى بحسن نيته وصحة مقصده ووفور علمه واتيانه بآدابه تصير عاداته عبادة والصوفى موهوب وقته لله ويريد حياته لله كما قال الله تعالى لنبيه آمرا له (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) فتدخل على الصوفى أمور العادة لموضع حاجته وضرورة بشريته ويحف بعاداته نور يقظته وحسن نيته فتتنور العادات وتتشكل بالعبادات ولهذا ورد نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح هذا مع كون النوم عين الغفلة ولكن كل مايستعان به على العبادة يكون عبادة فتناول الطعام أصل كبير يحتاج إلي علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك والقلب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والآخرة (وقد ورد) أرض الجنة قيعان نباتها التسبيح والتقديس والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة وباجتماعهما صلحا لعمارة الدارين والله تعالى ركب الآدمى بلطيف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعله مستودع خلاصة الأرضين والسموات وجعل عالم الشهادة وما فيهما من النبات والحيوان لقوام بدن الآدمى قال الله تعالى (خلق لكم مافى الأرض جميعا) فكون الطبائع وهى الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعل النبات قواما للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرة للآدمى يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه فالطعام يصل إلى المعدة وفى المعدة طباع أربع فاذا أراد الله اعتدال مزاج البدن أخذ كل طبع من طباع المعدة ضده من الطعام فتأخذ الحرارة للبرودة والرطوبة لليبوسة فيعدل المزاج ويأمن الاعوجاج وإذا أراد الله تعالى افناء قالب وتخريب بنية أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول فتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم (روى) عن وهب بن منبه قال وجدت فى التوراة صفة آدم عليه السلام انى خلقت آدم وركبت جسده من أربعة أشياء من رطب ويابس وبارد وسخن وذلك لأنى خلقته من التراب وهو يابس ورطوبته من الماء وحرارته من قبل النفس وبرودته

من قبل الروح وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم باذني وبهن قوامه فلا يقوم الجسم الا بهن ولا تقوم منهن واحدة الا بأخرى منهن المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء ومسكن الحرارة في الدم ومسكن البرودة في البلغم فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التي جعلتها ملاكه وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدلت بنيته فإن زادت منهن واحدة عليهن هزمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقتهن ويعجز عن مقدارهن فأهم الأمور في الطعام أن يكون حلالا وكل مالا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع كبر الأمر وأتعب طلب الحلال * ومن أدب الصوفية رؤية المنعم على النعمة وأن يبتديء بغسل اليد قبل الطعام قال رسول الله ﷺ الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وانما كان موجبا لنفي الفقر لأن غسل اليد قبل الطعام استقبال النعمة بالأدب وذلك من شكر النعمة والشكر يستوجب المزيد فصار غسل اليد مستجلبا للنعمة مذهبا للفقر * وقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يسمى الله تعالى فقوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان واختلف الشافعي وأبوحنيفة رحمهما الله في وجوب ذلك وفهم الصوفي من ذلك بعد القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل الطعام الا مقرونا بالذكر فقرونه فريضة وقته وأدبه ويرى ان تناول الطعام والماء ينتج من اقامة النفس ومتابعة هواها ويرى ذكر الله تعالى دواءه وترياقه (روت) عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه فجاء اعرابي فأكله بلقمتين فقال رسول الله ﷺ أما أنه لو كان يسمى الله لكفاكم فاذا أكل أحدكم طعاما فليقل بسم الله فان نسى أن يقول بسم الله فليقل بسم الله أوله وآخره ويستحب أن يقول في أول لقمة بسم الله وفي الثانية

بسم الله الرحمن وفي الثالثة يتم ويشرب الماء بثلاثة أنفاس يقول فى أول نفس الحمد لله إذا شرب وفى الثانية الحمد لله رب العالمين وفي الثالثة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وكما ان للمعدة طباعا تتقدر كما ذكرناه بموافقة طباع الطعام فللقلب أيضا مزاج وطباع لأرباب التفقد والرعايا واليقظة يعرف انحراف مزاج القلب من اللقمة المتناولة تارة تحدث من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض إلي الفضول وتارة تحدث فى القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت وتارة تحدث رطوبة السهو والغفلة وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ ويرى تغير القالب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال كما هو مهم طلبه للقالب فللقلب أهم وأولى وتطرق الانحراف إلى القلب أسرع منه إلى القالب ومن الانحراف ما يسقم به القلب فيموت لموت القالب واسم الله تعالى دواء نافع مجرب يقى الاسواء ويذهب الداء ويجلب الشفاء * حكي ان الشيخ حمدا الغزالى لما رجع إلى طوس وصف له فى بعض القرى عبد صالح فقصده زائرا فصادفه وهو فى صحراء له يبذر الحنطة فى الأرض فلما رأى الشيخ حمدا جاء اليه وأقبل عليه فجاء رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ فى ذلك وقت اشتغاله بالغزالى فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزالى عن سبب امتناعه فقال لأني أبذر هذا البذر بقلب حاضر ولسان ذاكر أرجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيئا فلا أحب أن أسلمه إلى هذا فيبذره بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر (وكان) بعض الفقراء عند الأكل يشرع في تلاوة سورة من القرآن تحضر الوقت بذلك حتى تنغمر أجزاء الطعام بأنوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروه ويتغير مزاج القلب وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي يقول أنا آكل وأنا أصلي يشير إلى حضور القلب فى الطعام وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت أكله لئلا يتفرق همه وقت الأكل ويرى للذكر وحضور القلب فى الأكل أثرا كبيرا لا يسعه الاهمال له ومن الذكر عند الاكل الفكر فيما هيأ الله تعالى من الاسنان المعينة على الاكل فمنها الكاسرة ومنها القاطعة ومنها الطاحنة وما جعل الله تعالى من الماء الحلو فى الفم

حتى لا يتغير الذوق كما جعل ماء العين مالحا لما كان شحماً حتى لا يفسد وكيف جعل النداوة تنبع من أرجاء اللسان والفم ليعين ذلك على المضغ والسوغ وكيف جعل القوة الهاضمة مسلطة على الطعام تفصله وتجزئه متعلقا مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والمعدة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل الهاضمة ولا يفسد الطعام ولا ينفصل ولا يصل إلي كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع تشريح الأعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها بالبعض فى اصلاح الغذاء واستجذاب القوة منه للأعضاء وانقسامه إلى الدم والثفل واللبن لتغذية المولود من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين فتبارك الله أحسن الخالقين فالفكر فى ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكم والقدر فيه من الذكر ومما يذهب داء الطعام المغير لمزاج القلب أن يدعو في أول الطعام ويسأل الله تعالي أن يجعله عونا على الطاعة ويكون من دعائه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما رزقتنا مما نحب اجعله عونا لنا على ما تحب وما زويت عنا مما نحب اجعله فراغا لنا فيما تحب.

﴿ الباب الثالث والأربعون فى آداب الأكل ﴾

فمن ذلك أن يبتدى بالملح ويختتم به (روى) عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلى رضى الله عنه ياعلى ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فان الملح شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الأضراس (وروت) عائشة رضى الله عنها قالت لدغ رسول الله ﷺ فى ابهامه من رجله اليسرى لدغة فقال على بذلك الأبيض الذي يكون فى العجين فجئنا بملح فوضعه فى كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه ويستحب الاجتماع على الطعام وهو سنة الصوفية فى الربط وغيرها (روى) جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال من أحب الطعام إلى الله تعالي ما كثرت عليه الايدى (وروى) أنه قيل يارسول الله انا نأكل ولا نشبع قال لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه ومن عادة الصوفية الاكل على السفر وهو سنة رسول الله ﷺ (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة

عن المقومي باسناده الى ابن ماجه الحافظ القزويني قال أنبأنا محمد بن المثنى قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثنا أبي عن يونس ابن الفرات عن قتادة عن أنس بن مالك قال ماأكل رسول الله ﷺ على خوان ولا فى سكرجة قال فعلام كانوا يأكلون قال على السفر ويصغر اللقمة ويجود الاكل بالمضغ وينظر بين يديه ولا يطالع وجوه الآكلين ويقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ويجلس جلسة التواضع غير متكىء ولا متعزز نهى رسول الله ﷺ أن يأكل الرجل متكئا (وروي) أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه يأكل فقال أعرابي ماهذه الجلسة يارسول الله فقال رسول الله ﷺ ان الله خلقني عبدا ولم يجعلني جبارا عنيدا * ولا يبتدىء بالطعام حتى يبدأ المقدم أو الشيخ (روى) حذيفة قال كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاما لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله ﷺ ويأكل باليمين (روى) أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمنه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطى بشماله وإن كان المأكول تمرا أو ماله عجم لا يجمع من ذلك مايرمى وما يؤكل على الطبق ولا فى كفه بل يضع ذلك على ظهر كفه من فيه ويرميه ولا يأكل من ذروة الثريد (روى) عبد الله ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال إذا وضع الطعام فخذوا من حاشيته وذروا وسطه فان البركة تنزل فى وسطه * ولا يعيب الطعام (روى) أبو هريرة رضى الله عنه قال ماعاب رسول الله ﷺ طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه وإذا سقطت اللقمة يأكلها فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ويلعق أصابعه فقد روى جابر عن النبي ﷺ قال إذا أكل أحدكم الطعام فليمتص أصابعه فانه لايدرى في أى طعامه تكون البركة وهكذا أمر عليه السلام باسلات القصعة وهو مسحها من الطعام قال أنس رضى الله عنه أمر رسول الله ﷺ باسلات القصعة ولا ينفخ فى الطعام فقد روت عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال النفخ فى الطعام يذهب بالبركة وروى عبد الله بن عباس أنه

قال لم يكن رسول الله ﷺ ينفخ فى طعام ولا في شراب ولا يتنفس فى الاناء فليس من الأدب ذلك والخل والبقل على السفرة من السنة قيل ان الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل (روت) أم سعد رضى الله عنها قالت دخل رسول الله ﷺ على عائشة رضى الله عنها وأنا عندها فقال هل من غداء فقالت عندنا خبز وتمر وخل فقال عليه السلام نعم الادام الخل اللهم بارك فى الخل فانه كان ادام الانبياء قبلى ولم يفقر بيت فيه خل ولا يصب على الطعام فهو من سيرة الأعاجم ولا يقطع اللحم والخبز بالسكين ففيه نهى ولا يكف يده عن الطعام حتى يفرغ الجمع فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال إذا وضعت المائدة فلا يقوم رجل حتي ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفرغ القوم وليتعلل فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده وعسى أن يكون له فى الطعام حاجة * وإذا وضع الخبز لا ينتظر غيره فقد روى أبو موسى الأشعرى قال قال رسول الله ﷺ أكرموا الخبز فان الله تعالى سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد والبقر وابن آدم ومن أحسن الأدب وأهمه أن لا يأكل إلا بعد الجوع ويمسك عن الطعام قبل الشبع فقد روى عن رسول الله ﷺ ماملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ومن عادة الصوفية أن يلقم الخادم إذا لم يجلس مع القوم وهو سنة (روى) أبو هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم ﷺ إذا جاء أحدكم خادمه بطعام فان لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين فانه ولي حره ودخانه وإذا فرغ من الطعام تحمد الله تعالى (روى) أبو سعيد قال كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعاما قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين * وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ويتخلل فقد روى عن رسول الله ﷺ تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو إلي الايمان والايمان مع صاحبه فى الجنة ويغسل يديه فقد روى أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ من بات وفى يده غمر لم يغسل فأصابه شىء فلا يلومن إلا نفسه ومن السنة غسل الأيدى فى طست واحد (روى) ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ اترعوا الطسوس وخالفوا المجوس ويستحب مسح العين

ببلل اليد (وروى) أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا توضأتم فاشربوا أعينكم الماء ولا تنفضوا أيديكم فانها مراوح الشياطين قيل لأبي هريرة فى الوضوء وغيره قال نعم فى الوضوء وغيره وفى غسل اليد يأخذ الاشنان باليمين وفى الخلال لا يزدر ما يخرج بالخلال من الاسنان وأما ما يلوكه باللسان فلا بأس به ويجتنب التصنع فى أكل الطعام ويكون أكله بين الجمع كأكله منفردا فان الرياء يدخل فى العبد فى كل شيء وصف لبعض العلماء بعض العباد فلم يثن عليه قيل له تعلم به بأسا قال نعم رأيته يتصنع فى الأكل ومن تصنع فى الأكل لا يؤمن عليه التصنع في العمل وإن كان الطعام حلالا فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم اطعمنا طيباً واستعملنا صالحا وإن كان شبهة يقول الحمد لله على كل حال اللهم صل على محمد ولا تجعله عونا على معصيتك وليكثر الاستغفار والحزن ويبكى على أكل الشبهة ولا يضحك فليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولايلاف قريش ويجتنب الدخول على قوم فى وقت أكلهم فقد ورد من مشى إلى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما وسمعنا لفظا آخر دخل سارقا وخرج مغيرا إلا أن يتفق دخوله على قوم يعلم منهم فرحهم بموافقته ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار ولا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويجتنب المضيف التكلف إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الانفاق ولا يفعل ذلك حياء وتكلفا وإذا أكل عند قوم طعاما فليقل عند فراغه إن كان بعد المغرب أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة (وروى) أيضا عليكم صلاة قوم أبرار ليسوا بآثمين ولا فجار يصلون بالليل ويصومون بالنهار كان بعض الصحابة يقول ذلك * ومن الادب أن لا يستحقر مايقدم له من طعام وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقول ماندرى أيهم أعظم وزرا الذى يحتقر مايقدم إليه أو الذى يحتقر ماعنده أن يقدمه ويكره أكل المباهاة وما تكلف للاعراس والتعازى فما عمل للنوائح لا يؤكل وما عمل للعزاء لا بأس به ومايجرى مجراه وإذا علم الرجل من حال أخيه أنه يفرح بالانبساط اليه فى التصرف في شيء من طعامه فلا حرج أن يأكل من طعامه بغير اذنه قال

الله تعالي (أو صديقكم) قيل دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وأكلوا فدخل سفيان ففرح وقال ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا ومن دعى إلى طعام فالاجابة من السنة وأوكد ذلك الوليمة وقد يتخلف بعض الناس عن الدعوة تكبرا وذلك خطأ وإن عمل ذلك تصنعا ورياء فهو أقل من التكبر (روي) ان الحسن بن علي مر بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على الطرق وقد نثروا كسرا على الأرض وهو على بغلته فلما مر بهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وقالوا هلم الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم إن الله لا يحب المتكبرين ثم ثنى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع العيال (وروى) ان هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدري من صب على يدك قال لا قال أمير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين انما أكرمت العلم وأجللته فأجلك الله تعالى وأكرمك كما أكرمت العلم

﴿ الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه ﴾

اللباس من حاجات النفس وضرورتها لدفع الحر والبرد كما ان الطعام من حاجات النفس لدفع الجوع وكما ان النفس غير قانعة بقدر الحاجة من الطعام بل تطلب الزيادات والشهوات فهكذا في اللباس تتفنن فيه ولها فيه أهوية متنوعة ومآرب مختلفة فالصوفي يرد النفس في اللباس إلى متابعة صريح العلم (قيل) لبعض الصوفية ثوبك ممزق قال ولكنه من وجه حلال وقيل له وهو وسخ قال ولكنه طاهر فنظر الصادق في ثوبه أن يكون من وجه حلال لأنه ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أي لا فريضة ولا نافلة ثم بعد ذلك نظره فيه أن يكون طاهرا لأن طهارة الثوب شرط في صحة الصلاة وما عدا هذين النظرين فنظره في كونه يدفع الحر والبرد لأن ذلك مصلحة النفس وبعد ذلك ما تدعو النفس اليه فكله فضول وزيادة ونظر إلى الخلق والصادق لا ينبغي أن يلبس الثوب إلا لله وهو ستر العورة أو لنفسه لدفع الحر والبرد

﴿ حكى ﴾ ان سفيان الثوري رضي الله عنه خرج ذات يوم وعليه ثوب قد لبسه مقلوبا فقيل له ولم يعلم بذلك فهم أن يخلعه ويغيره ثم تركه وقال حيث لبسته نويت اني ألبسه لله الآن فما أغيره إلا لنظر الخلق فلا أنقض النية الأولى بهذه والصوفية خصوا بطهارة الاخلاق وما رزقوا طهارة الاخلاق إلا بالصلاحية والاهلية والاستعداد الذي هيأه الله تعالى لنفوسهم وفي طهارة الاخلاق وتعاضدها تناسب واقع لوجود تناسب هيئة النفس وتناسب هيئة النفس هو المشار اليه بقوله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي) فالتناسب هو التسوية فمن المناسب أن يكون لباسهم مشاكلا لطعامهم وطعامهم مشاكلا لكلامهم وكلامهم مشاكلا لمقامهم لأن التناسب الواقع في النفس مقيد بالعلم والتشابه والتماثيل في الاحوال يحكم به العلم ومتصوفة الزمان ملتزمون بشيء من التناسب مع مزج الهوى وماعندهم من التطلع إلى التناسب رشح حال سلفهم في وجود التناسب قال أبو سليمان الداراني يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم وشهوته في بطنه بخمسة دراهم أنكر ذلك لعدم التناسب فمن خشن ثوبه ينبغي أن يكون مأكوله من جنسه وإذا اختلف الثوب والمأكول يدل على وجود انحراف لوجود هوى كامن في أحد الطريق إما في طرف الثوب لموضع نظر الخلق وإما في طرف المأكول لفرط الشره وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى المداواة ليعود إلي حد الاعتدال * لبس أبو سليمان الداراني ثوبا غسيلا فقال له احمد لو لبست ثوبا أجود من هذا فقال ليت قلبي في القلوب مثل قميص في الثياب فكان الفقراء يلبسون المرقع وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل ويرقعون بها ثوبهم وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح وهؤلاء ما كان لهم معلوم يرجعون اليه فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت لقمهم من الابواب (وكان) أبو عبدالله الرفاعي مثابرا على الفقر والتوكل ثلاثين سنة وكان إذا حضر للفقراء طعام لا يأكل معهم فيقال له في ذلك فيقول أنتم تأكلون بحق التوكل وأنا آكل بحق المسكنة ثم يخرج بين العشاءين لطلب الكسر من الابواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة ﴿ وحكى ﴾ ان جماعة من أصحاب المرقعات دخلوا على بشر بن الحرث فقال لهم ياقوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزي فانكم تعرفون به وتكرمون له فسكتوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذي جعلنا

ممن يعرف به ويكرم له والله ليظهرن هذا الزي حتى يكون الدين كله لله فقال له بشر أحسنت ياغلام مثلك من يلبس المرقعة فكان أحدهم يبقى زمانه لا يطوى له ثوب ولا يملك غير ثوبه الذي عليه (وروى) ان أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه لبس قميصاً اشتراه بثلاثة دراهم ثم قطع كمه من رؤس أصابعه وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب إن أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشبع ﴿وحكى﴾ عن الجريري قال كان في جامع بغداد رجل لا تكاد تجده إلا في ثوب واحد في الشتاء والصيف فسئل عن ذلك فقال قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب ليلة فيما يرى فرأيت النائم كأني دخلت الجنة فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على مائدة فأردت أن أجلس معهم فاذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني وقالوا لي هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قميصان فلا تجلس معهم فانتبهت ونذرت أن لا ألبس إلا ثوبا واحدا إلى أن ألقى الله تعالى (وقيل) مات أبو يزيد ولم يترك إلا قميصه الذي كان عليه وكان عارية فردوه إلى صاحبه ﴿وحكى﴾ لنا عن الشيخ حماد شيخ شيخنا أنه بقى زمانا لا يلبس الثوب إلا مستأجرا حتى أنه لم يلبس على ملك نفسه شيئا (وقال) أبو حفص الحداد إذا رأيت وضاءة الفقير في ثوبه فلا ترجو خيره (وقيل) مات ابن الكرنبي وكان أستاذ الجنيدي وعليه مرقعته قيل كان وزن فردكم له وتخاريصه ثلاثة عشر رطلا فقد يكون جمع من الصالحين على هذا الزي والتخشن وقد يكون جمع من الصالحين يتكلفون لبس غير المرقع وزي الفقراء ويكون نيتهم في ذلك ستر الحال أو خوف عدم النهوض بواجب حق المرقعة (وقيل) كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم وله بيت فرش فيه الرمل لعله كان ينام عليه بلا وطاء وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يجعلوا بينهم وبين التراب حائلا ويكون لبس أبي حفص الناعم بعلم ونية يلقى الله تعالى بصحتها وهكذا الصادقون إن لبسوا غير الخشن من الثوب لنية تكون لهم في ذلك فلا يعرض عليهم غير ان لبس الخشن والمرقع يصلح لسائر الفقراء بنية التقلل من الدنيا وزهرتها وبهجتها وقد ورد من ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه ألبسه الله تعالى من حلل الجنة وأما لبس الناعم فلا يصلح إلا لعالم بحاله بصير بصفات نفسه متفقد خفي شهوات النفس يلقى الله تعالى بحسن النية في ذلك فلحسن

النية في ذلك وجوه متعددة يطول شرحها ومن الناس من لا يقصد لبس ثوب بعينه لا لخشونته ولا لنعومته بل يلبس مايدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فان رأى للنفس شرها وشهوة خفية أو جلية فى الثوب الذى أدخله الله عليه يخرجه إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فعند ذلك لا يسعه إلا أن يلبس الثوب الذى ساقه الله إليه وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردى رحمه الله لا يتقيد بهيئة من الملبوس بل كان يلبس مايتفق من غير تعمد تكلف واختيار وقد كان يلبس العمامة بعشرة دنانير ويلبس العمامة بدانق وقد كان الشيخ عبد القادر رحمه الله يلبس هيئة مخصوصة ويتطيلس وكان الشيخ على بن الهيتى يلبس لبس فقراء السواد وكان أبو بكر الفراء بزنجان يلبس فروا خشنا كآحاد العوام ولكن في لبسه وهيئته نية صالحة وشرح تفاوت الاقدام فى ذلك يطول (وكان) الشيخ أبو السعود رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار وقد يساق إليه الثوب الناعم فيلبسه وكان يقال له ربما يسبق إلى بواطن بعض الناس الانكار عليك فى لبسك هذا الثوب فيقال لا نلقى إلا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فنقول له هل ترى ان ثوبنا يكرهه الشرع أو يحرمه فيقول لا ورجل يطالبنا بحقائق القوم من أرباب العزيمة فنقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يقدر على لبس الناعم ولبس الخشن ولكن يحب أن يختار الله له هيئة مخصوصة فيكثر اللجأ إلى الله والافتقار إليه ويسأله أن يريه أحب الزى إلى الله تعالى وأصلحه لدينه ودنياه لكونه غير صاحب غرض وهوى فى زي بعينه فالله تعالى يفتح عليه ويعرفه زيا مخصوصا فيلتزم بذلك الزى فيكون لبسه بالله ويكون هذا أتم وأكمل ممن يكون لبسه لله ومن الناس من يتوفر حظه من العلم وينبسط بما بسطه الله فيلبس الثوب عن علم وايقان ولا يبالى بما لبسه ناعما لبس أو خشنا وربما لبس ناعما ولنفسه فيه اختيار وحظ وذلك الحظ فيه يكون مكفرا له مردودا عليه موهوبا له يوافقه الله تعالى فى إرادة نفسه ويكون هذا الشخص تام التزكية تام الطهارة محبوبا مرادا يسارع الله تعالى إلى مراده ومحابه غير ان ههنا مزلة قدم لكثير من المدعين

﴿حكى﴾ عن يحيى بن معاذ الرازى أنه كان يلبس الصوف والخلقان فى ابتداء أمره

ثم صار فى آخر عمره يلبس الناعم فقيل لأبي يزيد ذلك فقال مسكين يحيى لم يصبر على الدون فكيف يصبر على التحف ومن الناس من يسبق اليه علم ماسوف يدخل عليه من الملبوس فيلبسه محمودا فيه وكل أحوال الصادقين على اختلاف تنوعها مستحسنة قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ولبس الخشن من الثياب هو الأحب والأولى والأسلم للعبد والأبعد من الآفات (قال) مسلمة بن عبد الملك دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده فى مرضه فرأيت قميصه وسخا فقلت لامرأته فاطمة اغسلوا ثياب أمير المؤمنين فقالت نفعل إن شاء الله قال ثم عدته فاذا القميص على حاله فقلت يافاطمة ألم آمركم أن تغسلوه قالت والله ماله قميص غير هذا (وقال) سالم كان عمر بن عبد العزيز من ألين الناس لباسا من قبل أن يسلم إليه الخلافة فلما سلم إليه الخلافة ضرب رأسه بين ركبتيه وبكى ثم دعا باطمار له رثة فلبسها (وقيل) لما مات أبو الدرداء وجد فى ثوبه أربعون رقعة وكان عطاؤه أربعة آلاف (وقال) زيد بن وهب لبس على بن أبى طالب قميصا رازيا وكان إذا مد كمه بلغ أطراف أصابعه فعابه الخوارج بذلك فقال أتعيبوني على لباس هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم (وقيل) كان عمر رضى الله عنه إذا رأى على رجل ثوبين رقيقين علاه بالدرة وقال دعوا هذه البراقات للنساء (وروى) عن رسول الله ﷺ أنه قال نوروا قلوبكم بلباس الصوف فانه مذلة فى الدنيا ونور فى الآخرة وإياكم أن تفسدوا دينكم بحمد الناس وثنائهم (وروى) ان رسول الله ﷺ احتذى نعلين فلما نظر إليهما أعجبه حسنهما فسجد لله تعالى فقيل له فى ذلك فقال خشيت أن يعرض عنى ربى فتواضعت له لاجرم لا يبيتان فى منزلي لما تخوفت المقت من الله تعالي من أجلهما فأخرجهما فدفعهما إلى أول مسكين لقيه ثم أمر فاشترى له نعلان مخصوفتان (وروى) أن رسول الله ﷺ لبس الصوف واحتذى المخصوف وأكل مع العبيد وإذا كانت النفس محل الآفات فالوقوف على دسائسها وخفى شهواتها وكامن هواها عسر جدا فالأليق والأجدر والأولى الأخذ بالأحوط وترك مايريب إلى مالا يريب ولا يجوز للعبد الدخول فى السعة إلا بعد اتقان علم السعة وكمال تزكية النفس وذاك إذا غابت النفس بغيبة هواها المتبع وتخلصت النية وتسدد التصرف بعلم صريح واضح وللعزيمة أقوام يركبونها ويراعونها لا يرون النزول

إلى الرخص خوفا من فوت فضيلة الزهد في الدنيا واللباس الناعم من الدنيا (وقد قيل) من رق ثوبه رق دينه وقد يرخص فى ذلك لمن لا يلتزم بالزهد ويقف على رخصة الشرع (روى) علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال النبي عليه السلام إن الله جميل يحب الجمال فتكون هذه الرخصة فى حق من يلبسه لا يهوى نفسه فى ذلك غير مفتخر به ومختال فأما من لبس الثوب للتفاخر بالدنيا والتكاثر بها فقد ورد فيه وعيد (روي) أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال إزرة المؤمن إلى نصف الساق فيما بينه وبين الكعبين فهو فى النار من جر إزاره بطرا لم ينظر الله اليه يوم القيامة فبينما رجل ممن كان قبلكم يتبختر فى ردائه إذ أعجبه ردائه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ومن صح حاله بصحة علمه صحت نيته فى مأكوله وملبوسه وسائر تصاريفه وفى كل الأحوال يستقيم ويتسدد باستقامة الباطن مع الله تعالى وبقدر ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله تعالى

﴿ الباب الخامس والأربعون فى ذكر فضل قيام الليل ﴾

قال الله تعالى (إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان) نزلت هذه الآية فى المسلمين يوم بدر حيث نزلوا على كثيب من الرمل تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون إلى ماء بدر العظمى وغلبوهم عليها وأصبح المسلمون بين محدث وجنب وأصابهم الظمأ فوسوس لهم الشيطان أنكم تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وقد غلب المشركون على الماء وأنتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون الظفر عليهم فأنزل الله تعالى مطرا من السماء سال منه الوادى فشرب المسلمون منه واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الدواب وملؤا الأسقية ولبد الارض حتى ثبت به الاقدام قال الله تعالى (ويثبت به الاقدام إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم) أمدهم الله تعالى بالملائكة حتى غلبوا المشركين ولكل آية من القرآن ظهر وبطن وحد ومطلع والله تعالى كما جعل النعاس رحمة وأمنة للصحابة خاصة فى تلك الواقعة والحادثة فهو رحمة تعم المؤمنين والنعاس

قسم صالح من الاقسام العاجلة للمريدين وهو أمنة لقلوبهم من منازعات النفس لأن النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال والتعب إذ فى شكايتها وتعبها تكدير القلب وباحترامها بالنوم بشرط العلم والاعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من المواطاة عند طمأنينتها للمريدين السالكين فقد قيل ينبغى أن يكون ثلث الليل والنهار نوما حتى لا يضطرب الجسد فيكون ثمان ساعات للنوم ساعتين من ذلك يجعلهما المريد بالليل ويزيد فى أحدهما وينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره في الشتاء والصيف وقد يكون بحسن الارادة وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك إذا صار بالتدريج عادة وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم وجود الروح والأنس فان النوم طبعه بارد رطب ينفع الجسد والدماغ ويسكن من الحرارة واليبس الحادث فى المزاج فان نقص عن الثلث يضر الدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم فاذا ناب عن النوم روح القلب وأنسه لا يضر نقصانه لأن طبيعة الروح والأنس باردة رطبة كطبيعة النوم وقد تقصر مدة طول الليل بوجود الروح فتصير بالروح أوقات الليل الطويلة كالقصيرة كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر الليل لأهل الروح (نقل) عن على بن بكار أنه قال منذ أربعين سنة ما أحزننى إلا طلوع الفجر وقيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما راعيته قط يرينى وجهه ثم ينصرف وما تأملته وقال أبو سليمان الدارانى أهل الليل فى ليلهم أشد لذة من أهل اللهو فى لهوهم وقال بعضهم ليس فى الدنيا شىء يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة ثواب عاجل لأهل الليل (وقال) بعض العارفين ان الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين فى الأسحار فيملؤها نورا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم الفوائد إلى قلوب الغافلين وقد ورد أن الله تعالى أوحى فى بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه ان لى عبادا يحبونى وأحبهم ويشتاقون إلى وأشتاق اليهم. ويذكرونى وأذكرهم وينظرون إلى وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلام بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لى أقدامهم وافترشوا لى وجوههم وناجونى.

بكلامي وتعلقوا إلى بانعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعيني مايتحملون من أجلي وبسمعي مايشتكون من حبي أول ماأعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم والثاني لو كانت السموات السبع والارضون وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالث أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ماأريد أن أعطيه فالصادق المزيد إذا خلا في ليله بمناجاة ربه انتشرت أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره ويصير نهاره في حماية ليله وذلك لامتلاء قلبه بالانوار فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار تصدر من منبع الانوار المجتمعة من الليل ويصير قالبه في قبة من قباب الحق مسددا حركاته موفرة سكناته * وقد ورد من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار ويجوز أن يكون لمعنيين أحدهما ان المشكاة تستنير بالمصباح فاذا صار سراج اليقين في القلب يزهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح اشراقا وتكتسب مشكاة القالب نورا وضياء * كان يقول سهل بن عبد الله اليقين نار والاقرار فتيلة والعمل زيت وقد قال الله تعالى (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) وقال تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) فنور اليقين من نور الله في زجاجة القلب يزداد ضياء بزيت العمل فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدرى وتنعكس أنوار الزجاجة على مشكاة القالب وأيضاً يلين القلب بنار النور ويسرى لينه إلى القالب فيلين القالب للين القلب فيتشابهان لوجود اللين الذي عمهما قال الله تعالى (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) وصف الجلود باللين كما وصف القلوب باللين فاذا امتلأ القلب بالنور ولان القالب بما يسرى فيه من الانس والسرور يندرج الزمان والمكان في نور القلب ويندرج فيه الكلم والآيات والسور وتشرق الارض أرض القالب بنور ربها إذ يصير القلب سماء والقالب أرضاً ولذة تلاوة كلام الله في محل المناجاة تستغرق الكائنات والكلام المجيد بكونه ينوب عن سائر الوجود في مزاحمة صفو الشهود فلا يبقى حينئذ للنفس حديث ولا يسمع الهاجس حسيس وفي مثل هذه الحالة يتصور تلاوة القرآن من فاتحته إلى خاتمته من غير وسوسة وحديث نفس وذلك هو الفضل العظيم * الوجه الثاني لقوله عليه السلام من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار معناه ان وجوه أموره التي يتوجه اليها تحسن وتتداركه المعونة من الله الكريم في تصاريفه.

ويكون معانا فى مصدره ومورده فيحسن وجه مقاصده وأفعاله وينتظم فى سلك السداد مسددا أقواله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب

﴿ الباب السادس والأربعون فى ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم ﴾

فمن ذلك ان العبد يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء ويقعد مستقبل القبلة منتظرا مجيء الليل وصلاة المغرب مقيما فى ذلك على أنواع الأذكار ومن أولاها التسبيح والاستغفار قال الله تعالى لنبيه (واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) ومن ذلك أن يواصل بين العشاءين بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر وأفضل ذلك الصلاة فانه إذا واصل بين العشاءين ينغسل عن باطنه آثار الكدورة الحادثة فى أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم فان ذلك كله له أثر وخدش فى القلوب حتى النظر اليهم يعقب كدرا فى القلب يدركه من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر إلى الخلق للبصيرة كالقذى في العين للبصر وبالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الأثر ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الآخرة فان الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث فى القلب من مواصلة العشاءين ويقيد من قيام الليل سيما إذا كان عريا عن يقظة القلب ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضا معين على قيام الليل * حكى لى بعض الفقراء عن شيخ له بخراسان انه كان يغتسل فى الليل ثلاث مرات مرة بعد العشاء الآخرة ومرة في أثناء الليل بعد الانتباه من النوم ومرة قبل الصبح فللوضوء والغسل بعد العشاء الآخرة أثر ظاهر في تيسير قيام الليل ومن ذلك التعود على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يغلب النوم فان التعود على ذلك يعين على سرعة الانتباه إلا أن يكون واثقا من نفسه وعادته فيتعمل للنوم ويستجلبه ليقوم فى وقته المعهود وإلا فالنوم عن الغلبة هو الذى يصلح للمريدين والطالبين وبهذا وصف المحبون قبل نومهم نوم الغرقى وأكلهم أكل المرضى وكلامهم ضرورة فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل وانما النفس إذا أطمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه وإذا أزعجت بصدق العزيمة لا تسترسل في

الاستقرار وهذا الانزعاج فى النفس بصـدق العزيمة هو التجافى الذى قال الله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) لأن الهم بقيام الليل وصـدق العزيمة يجعل بين الجنب والموضع نبوا وتجافيا وقد قيل للنفس نظران نظر إلي تحت لاستيفاء الأقسام البـدنية ونظر إلي فوق لاستيفاء الأقسام العلوية الروحانية فأرباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الروحانية فأعطوا النفوس حقها من النوم ومنعوها حظها فالنفس بما فيها مركوز من الترابية والجمادية ترسب وتستحلس وتستلذ النوم قال الله تعالى (هو الذى خلقكم من تراب) وللآدمى بكل أصل من أصول خلقته طبيعة لازمة له والرسوب صفة التراب والكسل والتقاعد والتناوم بسبب ذلك طبيعة فى الانسان فأرباب الهمة أهل العلم الذين حكم الله تعالى لهم بالعلم فى قوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) حتى قال (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) حكم لهؤلاء الذين قاموا بالليل بالعلم فهم لموضع علمهم أزعجوا النفوس عن مقار طبيعتها ورقوها بالنظر إلى الذات الروحانية إلى ذرا حقيقتها فتجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الهاجع (ومن ذلك) أن يغير العادة فان كان ذا وسادة يترك الوسادة وإن كان ذا وطاء يترك الوطاء وقد كان بعضهم يقول لأن أرى في بيتى شيطانا أحب إلي من أن أرى وسادة فانها تدعوني إلى النوم ولتغير العادة فى الوسادة والغطاء والوطاء تأثير فى ذلك ومن ترك شيئا من ذلك والله عالم بنيته وعزيمته يثيبه على ذلك بتيسير ما رام (ومن ذلك) خفة المعدة من الطعام ثم تناول ما يأكل من الطعام إذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن أعان على قيام الليل لأن بالذكر يذهب داؤه فان وجد للطعام ثقلا على المعدة ينبغى أن يعلم ان ثقله على القلب أكثر فلا ينـام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار (قال) بعضهم لأن أنقص من عشائى لقمة أحب إلي من أن أقوم ليلة والأحوط أن يوتر قبل النوم فانه لا يدرى ماذا يحدث ويعد طهوره وسواكه عنـده ولا يدخل النوم الا وهو على الطهارة (قال) رسول الله ﷺ إذا نام العبد وهو على الطهارة عرج بروحه إلي العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم

على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق والمريد المتأهل إذا نام فى الفراش مع الزوجة ينتقض وضوءه باللمس ولا يفوته بذلك فائدة النوم على الطهارة مالم يسترسل فى التذاذ النفس باللمس ولا يعدم يقظة القلب فأما إذا استرسل في الالتذاذ وغفل فتنحجب الروح أيضا لمكان صلافته ومن الطهارة التى تثمر صدق الرؤيا طهارة الباطن عن خدش الهوى وكدورة محبة الدنيا والتنزه عن انجاس الغل والحقد والحسد وقد ورد من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم وإذا طهرت النفس عن الرذائل انجلت مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ فى النوم وانتقشت فيه عجائب الغيب وغرائب الانباء ففى الصديقين من يكون له فى منامه مكالمة ومحادثة فيأمره الله تعالى وينهاه ويفهمه فى المنام ويعرفه ويكون موضع ما يفتح له فى نومه من الأمر والنهى كالأمر والنهى الظاهر يعصى الله تعالى إن أخل بها بل تكون هذه الاوامر آكد وأعظم وقعا لأن المخالفات الظاهرة تمحوها التوبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذه أوامر خاصة تتعلق بحاله فيما بينه وبين الله تعالى فاذا أخل بها يخشى أن ينقطع عليه طريق الارادة ويكون فى ذلك الرجوع عن الله واستيجاب مقام المقت فاذا ابتلى العبد في بعض الاحايين بكسل وفتور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث يمسح أعضاءه بالماء مسحا حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل المتيقظين وهكذا إذا كسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد أن يستاك ويمسح أعضاءه بالماء مسحاً حتى يخرج فى تقلباته وانتباهاته عن زمرة الغافلين ففى ذلك فضل كثير لمن كثر نومه وقل قيامه (روى) ان رسول الله ﷺ كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة فى نومه وهو على نوعين فاما على جنبه الايمن كالملحود وإما على ظهره مستقبلا للقبلة كالميت المسجى ويقول باسمك اللهم ربي وضعت جنبي وبك أرفعه اللهم إن أمسكت نفسى فاغفر لها وارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم اني أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك لا ملجأ

ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك الحمد لله الذى حكم فقهر الحمد لله الذى بطن فخبر الحمد لله الذى ملك فقدر الحمد لله الذى هو يحيي الموتي وهو على كل شىء قدير اللهم اني أعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر الشيطان وشركه ويقرأ خمس آيات من البقرة الأربع من الاول والآية الخامسة (إن في خلق السموات والارض) وآية الكرسى وآمن الرسول وإن ربكم الله وقل ادعوا الله وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وجسده وإن أضاف إلى ماقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها فحسن ويقول اللهم ايقظنى فى أحب الساعات إليك واستعملنى بأحب الاعمال إليك التى تقربنى إليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لي اللهم لاتؤمنى مكرك ولا تولنى غيرك ولا ترفع عنى سترك ولا تنسنى ذكرك ولا تجعلنى من الغافلين (ورد) ان من قال هذه الكلمات بعث الله تعالى إليه ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا أمنوا على دعائه وإن لم يقم تعبدت الاملاك فى الهواء وكتب لهم ثواب عبادتهم ويسبح ويحمد ويكبر كل واحد ثلاثا وثلاثين ويتمم المائة بلا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

﴿ الباب السابع والاربعون فى أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل ﴾

إذا فرغ المؤذن من أذان المغرب يصلى ركعتين خفيفتين بين الاذان والاقامة وكان العلماء يصلون هاتين الركعتين فى البيت يعجلون بهما قبل الخروج إلي الجماعة كيلا يظن الناس انهما سنة مرتبة فيقتدى بهم ظنا منهم انهما سنة وإذا صلى المغرب يصلى ركعتى السنة بعد المغرب يعجل بهما فانهما يرفعان مع الفريضة يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم يسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فيقول مرحبا بملائكة الليل مرحبا بالملكين الكريمين

الكاتبين اكتبا فى صحيفتى انى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق والصراط والميزان حق وأشهد أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي إليها اللهم احطط بها وزرى واغفر بها ذنبي وثقل بها ميزاني وأوجب لى بها أماني وتجاوز عنى ياأرحم الراحمين فان واصل بين العشاءين فى مسجد جماعته يكون جامعا بين الاعتكاف ومواصلة العشاءين وان رأي انصرافه إلى منزله وان المواصلة بين العشاءين فى بيته اسلم لدينه وأقرب إلي الاخلاص واجمع لهم فليفعل * وسئل رسول الله عليه السلام عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال هى الصلاة بين العشاءين وقال عليه السلام عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغاة النهار وتهذب آخره ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة البروج والطارق ثم ركعتين بعد ركعتين يقرأ فى الأولي عشر آيات من أول سورة البقرة والآيتين وإلهكم إله واحد إلى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله وفى الثانية آية الكرسى وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ويقرأ فى الركعتين الأخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويصلى بعد ذلك ماشاء فان أراد ان يقرأ شيئا من حزبه فى هذا الوقت فى الصلاة أو غيرها وان شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الاخلاص والفاتحة ولو واصل بين العشاءين بركعتين يطيلهما لحسن وفى هاتين الركعتين يطيل القيام تاليا للقرآن حزبه أو مكررا آية فيها الدعاء والتلاوة مثل ان يقرأ مكررا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير أو آية أخرى فى معناها فيكون جامعا بين التلاوة والصلاة والدعاء ففى ذلك جمع للهم وظفر بالفضل ثم يصلى قبل العشاء أربعا وبعدها ركعتين ثم ينصرف إلى منزله أو موضع خلوته فيصلى أربعا أخرى وقد كان رسول الله ﷺ يصلى فى بيته أول مايدخل قبل أن يجلس أربعا ويقرأ فى هذه الأربع سورة لقمان ويس وحم الدخان وتبارك الملك وان أراد أن يخفف فيقرأ فيها آية الكرسى وآمن الرسول وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ويصلى بعد الاربع احدى عشرة ركعة يقرأ فيها

ثلثمائة آية من القرآن من والسماء والطارق إلى آخر القرآن ثلثمائة آية هكذا ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله وان أراد قرأ هذا القدر في أقل من هذا العدد من الركعات وان قرأ من سورة الملك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وان لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلي عشر مرات إلى أكثر ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجد إلا أن يكون واثقا من نفسه في عادتها بالانتباه للتهجد فيكون تأخير الوتر إلي آخر التهجد حينئذ أفضل (وقد كان بعض العلماء) إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلي ركعة يشفع بها وتره ثم يتنفل ماشاء ويوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول الليل يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً يقرأ فيهما باذا زلزلت والهاكم وقيل فعل الركعتين قاعدا بمنزلة الركعة قائما يشفع له الوتر حتى إذا أراد التهجد يأتي به ويوتر في آخر تهجده ونية هاتين الركعتين نية النفل لاغير ذلك وكثيرا ما رأيت الناس يتفاوضون في كيفية نيتهما وان قرأ في كل ليلة المسبحات وأضاف اليها سورة الاعلى فتصير ستا فقد كان العلماء يقرؤن هذه السور ويترقبون بركتها فاذا استيقظ من النوم فمن احسن الأدب عند الانتباه ان يذهب بباطنه إلى الله ويصرف فكره إلي أمر الله قبل ان يجول الفكر في شيء سوى الله ويشغل اللسان بالذكر فالصادق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام ينام على محبة الشيء وإذا انتبه يطلب ذلك الشيء الذى كان كلف به وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام إلى الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه من النوم ما همه فانه هكذا يكون عند القيام من القبر ان كان همه الله فهمه هو والا فهمه غير الله والعبد إذا انتبه من النوم فباطنه عائد إلى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذى انتبه عليه ويكون فارا إلى ربه بباطنه خوفا من ذكر الاغيار ومهما وفي الباطن بهذا المعيار فقد انتقى طريق الأنوار وطرق النفحات الالهية لجدير ان تنصب إليه أقسام الليل انصبابا ويسير جناب القرب له موئلا ومآبا ويقول باللسان الحمد لله الذى أحيانا بعد ما اماتنا وإليه النشور ويقرأ العشر الاواخر من سورة آل عمران ثم يقصد الماء الطهور قال الله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وقال عز وجل انزل من السماء ماء فسالت أودية

بقدرها قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الماء القرآن والأودية القلوب فسالت
بقدرها واحتملت ماوسعت والماء مطهر والقرآن مطهر والقرآن بالتطهير اجدر
فالماء يقوم غيره مقامه والقرآن والعلم لايقوم غيره مقامه ولايسد مسده فالماء
الطهور يطهر الظاهر والعلم والقرآن يطهران الباطن ويذهبان رجز الشيطان فالنوم
غفلة وهو من آثار الطبع وجدير ان يكون من رجز الشيطان لما فيه من الغفلة عن
الله تعالى وذلك ان الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الأرض فكانت
القبضة جلدة الأرض والجلدة ظاهرها بشرة وباطنها أدمة قال الله تعالى انى خالق
بشرا من طين فالبشرة والبشر عبارة عن ظاهره وصورته والادمة عبارة عن
باطنه وأدميته والآدمية مجمع الاخلاق الحميدة كان التراب موطىء اقدام إبليس
ومن ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة معجونة فى طينة الآدمي ومنها
الصفات المذمومة والأخلاق الرديئة ومنها الغفلة والسهو فاذا استعمل الماء وقرأ
القرآن أتي بالمطهرين جميعا ويذهب عنه رجز الشيطان وأثر وطاته ويحكم له بالعلم
والخروج من حيز الجهل فاستعمال الطهور أمر شرعى له تأثير في تنوير القلب بازاء
النوم الذى هو الحكم الطبيعى الذي له تأثير فى تكدير القلب فيذهب نور هذا
بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله
بالوضوء من القهقهة فى الصلاة حيث رآها حكما طبيعيا جالبا للاثم والاثم رجز
من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من الغيبة والكذب
وعند الغضب لظهور النفس وتصرف الشيطان في هذه المواطن ولو ان المتحفظ
المراعى المراقب المحاسب كلما انطلقت النفس فى مباح من كلام أومساكنة إلى
مخالطة الناس أوغير ذلك مما هو بعرضة تحليل عقد العزيمة كالخوض فيما لا يعنى قولا
وفعلا عقب ذلك بتجديد الوضوء لثبت القلب على طهارته ونزاهته ولكان الوضوء
لصفاء البصيرة بمثابة الجفن الذى لايزال بخفة حركته يجلو البصر وما يعقلها
الا العاملون فتفكر فيما نبهتك عليه تجد بركته واثره ولو اغتسل عند هذه
المتجددات والعوارض والانتباه من النوم لكان ازيد فى تنوير قلبه ولكان
الاجدر ان العبد يغتسل لكل فريضة باذلا مجهوده فى الاستعداد لمناجاة الله ويجدد

غسل الباطن بصدق الانابة وقد قال الله تعالى منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة قدم الانابة للدخول فى الصلاة ولكن من رحمة الله تعالي وحكم الحنيفية السهلة السمحة ان رفع الحرج وعوض بالوضوء عن الغسل وجوز اداء مفترضات بوضوء واحد دفعا للحرج عن عامة الأمة وللخواص وأهل العزيمة مطالبات من بواطنهم تحكم عليهم بالأولى وتلجئهم إلى سلوك طريق الاعلى فاذا قام إلي الصلاة وأراد استفتاح التهجد يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ويقول سبحان الله والحمد لله الكلمات عشر مرات ويقول الله أكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء العظمة والجلال والقدرة اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد عليه السلام حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفرلى ماقدمت وما أخرت وماأسررت وماأعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لاإله إلا أنت اللهم آت نفسى تقواها وزكاها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لايهدى لاحسنها إلاأنت واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها إلا أنت اسألك مسئلة البائس المسكين وادعوك دعاء الفقير الذليل فلا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما ياخير المسؤلين ويا أكرم المعطين ثم يصلى ركعتين تحية الطهارة يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة ولو انهم إذ ظلموا أنفسهم الآية وفى الثانية ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ويستغفر بعد الركعتين مرات ثم يستفتح الصلاة بركعتين خفيفتين ان أراد يقرأ فيهما بآية الكرسى وآمن الرسول وإن أراد غير ذلك ثم يصلى ركعتين طويلتين هكذا روى عن رسول الله ﷺ انه كان يتهجد هكذا ثم يصلى ركعتين طويلتين أقصر من الأولين وهكذا يتدرج إلى ان يصلى اثنتى عشرة ركعة أو ثمان ركعات أو يزيد على ذلك فضلا كثيرا والله أعلم

﴿ الباب الثامن والأربعون فى تقسيم قيام الليل ﴾

قال الله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل فى تفسير قوله تعالى فلاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون كان عملهم قيام الليل وقيل فى تفسير قوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة استعينوا بصلاة الليل على مجاهدة النفس ومصابرة العدو (وفى الخبر) عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملغاة للوزر ومذهب كيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد (وقد كان) جمع من الصالحين يقومون الليل كله حتى نقل ذلك عن أربعين من التابعين كانوا يصلون الغداة بوضوء العشاء منهم سعيد ابن المسيب وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد وأبو سليمان الداراني على بن بكار وحبيب العجمى وكهمس بن المنهال وأبو حازم ومحمد بن المنكدر وأبو حنيفة رحمه الله وغيرهم عدهم وسماهم بانسابهم الشيخ أبو طالب المكى فى كتابه قوت القلوب فمن عجز عن ذلك يستحب له قيام ثلثيه أو ثلثه وأقل الاستحباب سدس الليل فاما ان ينام ثلث الليل الأول ويقوم نصفه وينام سدسه الآخر أو ينام النصف الاول ويقوم ثلثه وينام السدس (روى) ان داود عليه السلام قال يارب انى أحب ان أتعبد لك فأى وقت أقوم فاوحى الله تعالى إليه ياداود لاتقم أول الليل ولا آخره فانه من قام أوله نام آخره ومن قام آخره نام أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك وارفع إلي حوائجك ويكون القيام بين نومتين و الافيغالب النفس من أول الليل ويتنفل فاذا غلبه النوم ينام فاذا انتبه يتوضأ فيكون له قومتان ونومتان ويكون ذلك من أفضل مايفعله ولا يصلى وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل مايقول (وقد ورد) لاتكابدو الليل (وقيل) لرسول الله ﷺ ان فلانة تصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ماتيسر فاذا غلبه النوم فلينم (وقال عليه السلام) لاتشادوا هذا الدين فانه متين فمن تشاده يغلبه ولاتبغض إلى نفسك عبادة الله ولايليق بالطالب ولاينبغى له ان يطلع الفجر وهو نائم إلا ان يكون قد سبق له فى الليل قيام طويل فيعذر فى ذلك على انه إذا استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام

قليل سبق فى الليل يكون أفضل من قيام طويل ثم النوم إلى بعد طلوع الفجر فاذا استيقظ قبل الفجر يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم تلك الساعة وكلما يصلى بالليل يجلس قليلا بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ويصلى على رسول الله ﷺ فانه يجد بذلك ترويحا وقوة على القيام وقد كان بعض الصالحين يقول هى أول نومة فان انتبهت ثم عدت إلى نومة أخرى فلا أنام الله عينى (وحكى) لى بعض الفقراء عن شيخ له انه كان يأمر الأصحاب بنومة واحدة بالليل وأكلة واحدة لليوم والليلة (وقد جاء) في الخبر قم من الليل ولو قدر حلب شاة وقيل يكون ذلك قدر أربع ركعات وقدر ركعتين (وقيل) فى تفسير قوله تعالي تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء هو قيام الليل ومن حرم قيام الليل كسلا وفتورا فى العزيمة أوتهاونا به لقلة الاعتداد بذلك أواغترارا بحاله فليبك عليه طريق كبير من الخير وقد يكون من أربابه الأحوال من يكون له ايواء إلى القرب ويجد من دعة القرب مايفتر عليه داعية الشوق ويرى ان القيام وقوف فى مقام الشوق وهذا يغلط فيه ويهلك به خلق من المدعين والذى له ذلك ينبغى ان يعلم ان استمرار هذه الحالة معتذر والانسان متعرض للقصور والتخلف والشبهة ولاحالة أجل من حال رسول الله ﷺ وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى تورمت قدماه وقد يقول بعض من يحاج فى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريعا فنقول مابالنا نتبع تشريعه وهذه دقيقة فتعلم ان رؤية الفضيلة فى ترك القيام وادعاء الايواء إلى جناب القرب واستواء النوم واليقظة امتلاء وابتلاء حالي وهو تقيد بالحال وتحكم للحال وتحكم من الحال فى العبد والاقوياء لايتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال فى صور الأعمال فهم متصرفون فى الحال لا الحال متصرف فيهم فليعلم ذلك فانا رأينا من الأصحاب من كان فى ذلك ثم انكشف لنا بتأييد الله تعالى ان ذلك وقوف وقصور (قيل) للحسن ياأباسعيد اني ابيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فمابالى لاأقوم قال ذنوبك قيدتك فليحذر العبد فى نهاره ذنوبا تقيده فى ليله (وقال النورى) رحمه الله حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنب أذنبته فقيل له ما كان الذنب قال رأيت رجلا بكاء فقلت فى نفسى هذا مراء (وقال بعضهم) دخلت على كرز ابن وبرة وهو يبكى فقلت ما

بالك أتاك نعى بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك قال أشد فقلت وماذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وماذاك إلا بذنب احدثته (وقال بعضهم) الاحتلام عقوبة وهذا صحيح لأن المراعى المتحفظ بحسن تحفظه وعلمه بحاله يقدر ويتمكن من سد باب الاحتلام ولا يتطرق الاحتلام الا على جاهل بحاله أو مهمل حكم وقته وأدب حاله ومن كمل تحفظه ورعايته وقيامه بأدب حاله قد يكون من ذنبه الموجب للاحتلام ووضع الرأس على الوسادة إذا كان ذا عزيمة فى ترك الوسادة وقد يتمهد للنوم ووضع الرأس على الوسادة بحسن النية من لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نية للعون على القيام وقد يكون ذلك ذنبا بالنسبة إلى بعض الناس فاذا كان هذا القدر يصلح أن يكون ذنبا جالبا للاحتلام فقس على هذا ذنوب الاحوال فانها تختص بأربابها ويعرفها أصحابها وقد يرتفق بأنواع الرفق من الفراش الوطىء والوسادة ولا يعاقب بالاحتلام إذا كان عالما ذا نية يعرف مداخل الامور ومخارجها وكم من نائم يسبق القائم لوفر علمه وحسن نيته (وفى الخبر) إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فان قعد وذكر الله تعالى انحلت عقدة وان توضأ انحلت عقدة أخرى وان صلى ركعتين انحلت العقد كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح كسلان خبيث النفس (وفى خبر آخر) ان من نام حتى يصبح بال الشيطان فى اذنه والذى يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بأمور الدنيا وكثرة اشغال الدنيا واتعاب الجوارح والامتلاء من الطعام وكثرة الحديث واللغو واللغط واهمال القيلولة والموفق من يغتنم وقته ويعرف داءه ودواءه ولا يهمل فيهمل

﴿ الباب التاسع والأربعون فى استقبال النهار والأدب فيه والعمل ﴾

قال الله تعالى وأقم الصلاة طرفى النهار أجمع المفسرون على ان أحد الطرفين أراد به الفجر واختلفوا في الطرف الآخر قال قوم أراد به المغرب وقال آخرون صلاة العشاء وقال قوم صلاة الفجر والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب طرف وزلفا من الليل صلاة العشاء ثم ان الله تعالى أخبر عن عظيم بركة الصلاة وشرف فائدتها وثمرتها وقال ان الحسنات يذهبن السيئات أى الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات (وروى) ان

أباالیسر كعب بن عمروالانصارى كان يبيع التمر فاتت امرأة تبتاع تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت أجود منه فهل لك فيه رغبة قالت نعم فذهب بها إلي بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم ثم أتى النبي عليه السلام وقال يارسول الله ماتقول فى رجل راود امرأة عن نفسها ولم يبق شيء مما يفعل الرجال بالنساء الاركبه غير انه لم يجامعها قال عمر بن الخطاب لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ولم يرد رسول الله ﷺ عليه شيئا وقال انتظر أمر ربي وحضرت صلاة العصر وصلى النبي عليه الصلاة والسلام العصر فلما فرغ أتاه جبريل بهذه الآية فقال النبي عليه السلام أين أبو اليسر فقال هاأناذا يارسول الله قال شهدت معنا هذه الصلاة قال نعم قال اذهب فانها كفارة لما عملت فقال عمر يارسول الله هذا له خاصة أولنا عامة فقال بل للناس عامة * فيستعد العبد لصلاة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر ويستقبل الفجر بتجديد الشهادة كما ذكرنا فى أول الليل ثم يؤذن ان لم يكن اجاب المؤذن ثم يصلى ركعتى الفجر يقرأ في الأولي بعد الفاتحة قل ياأيها الكافرون وفى الثانية قل هو الله أحد وان أراد قرأ فى الأولى قولوا آمنا بالله وما أنزل الآية فى صورة البقرة وفى الأخرى ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ثم يستغفر الله ويسبح الله تعالي بما تيسر له من العدد وان اقتصر على كلمة أستغفر الله لذنبي سبحان الله بحمد ربى أتى بالمقصود من التسبيح والاستغفار (ثم يقول) اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبي وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها الفتن عنى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلقنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم أعطنى إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم انى أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم انى انزل بك حاجتى وان قصر رأيى وضعف عملى وافتقرت إلى رحمتك وأسألك ياقاضى الأمور وياشافى الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرنى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ماقصر عنه رأيى وضعف فيه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير

وعدته أحدا من عبادك أوخير أنت معطيه أحدا من خلقك فانا راغب إليك فيه وأسألك اياه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء منى ومنك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان إنا لله وإنا إليه راجعون ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ذى الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وأنت تفعل ماتريد سبحان من تعطف بالعز وقال به سبحان من لبس المجد وتكرم به سبحان الذى لاينبغى التسبيح الاله سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى الجود والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبي ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدي ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا واعطنى نورا واجعل لى نورا ولهذا الدعاء أثر كثير ومارأيت أحدا حافظ عليه إلاوعنده خير ظاهر وبركة وهو من وصية الصادقين بعضهم بعضا بحفظه والمحافظة عليه منقول عن رسول الله ﷺ انه كان يقرؤه بين الفريضة والسنة من صلاة الفجر ثم يقصد المسجد للصلاة فى الجماعة ويقول عند خروجه من منزله وقل رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ويقول فى الطريق اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك لم أخرج أشرا ولا بطرا ولارياء ولاسمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك ان تنقذنى من النار وان تغفر لى ذنوبى انه لايغفر الذنوب إلا أنت (وروى) أبو سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال ذلك إذا خرج إلى الصلاة وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله تعالى عليه بوجهه الكريم حتى يقضى صلاته وإذا دخل المسجد أودخل سجادته للصلاة يقول بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ويقدم رجله اليمنى فى

الدخول واليسرى فى الخروج من المسجد أو السجاد فسجادة الصوفى بمنزلة البيت والمسجد ثم يصلى صلاة الصبح فى جماعة فاذا سلم يقول لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويقرأ هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم التسعة والتسعين إسما إلى آخرها فاذا فرط منها يقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمى وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه اداء واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ماهو أهله واجزه عنا أفضل ماجازيت نبيا عن أمته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اللهم صل على محمد في الأولين وصل على محمد فى الآخرين وصل على محمد إلى يوم الدين اللهم صل على روح محمد فى الأرواح وصل على جسد محمد فى الأجساد واجعل شرائف صلواتك ونوامى بركاتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك ورضوانك على محمد عبدك ونبيك ورسولك اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اللهم انى أصبحت لااستطيع دفع ماأكره ولاأملك نفع ماارجو وأصبح الأمر بيد غيرى وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لاتشمت بي عدوى ولاتسىء بى صديقى ولاتجعل مصيبتى فى دينى ولاتجعل الدنيا أكبر همى ولاتسلط على من لايرحمنى اللهم هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها وماعملت فيه من سيئة فاغفرلي انك غفور رحيم ودود رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا اللهم انى أسألك خير هذا اليوم وخير مافيه وأعوذ بك من شره وشر مافيه وأعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار ومن بغتات الأمور وفجات الأقدار ومن شر كل طارق يطرق إلا طارقا يطرق منك بخير يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وأعوذ بك ان أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على عز

جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك وعظمت نعمائك أعوذ بك من شر مايلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها أعوذ بك من حدة الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة الغفلة وتعاطى الكلفة اللهم إنى أعوذ من مباهاة المكاثرين والازراء على المقلين وان أنصر ظالما أو أخذل مظلوما وان أقول فى العلم بغير علم أو أعمل فى الدين بغير يقين أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وابن عبديك وعلى عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اللهم اجعل أول يومنا هـذا صلاحا وآخره نجاحا وأوسطه فلاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والكبرياء لله والجبروت والسلطان لله والليل والنهار وما سكن فيهما لله الواحد القهار أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم انا نسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والاكرام أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ياحي ياقيوم ياحي حين لا حي فى ديمومة ملكه وبقائه ياحي محيي الموتي ياحي مميت الأحياء ووارث الأرض والسماء اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم اللهم إنى اسألك باسمك الأعظم الأجل الأعز الأكرم الذى إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت يا نور النور يا مدبر الأمور يا عالم ما في الصدور ياسميع يا قريب يامجيب الدعاء يالطيفا لما يشاء يا رؤف يارحيم ياكبير ياعظيم يا ألله يا رحمن ياذا الجلال والاكرام الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم وعنت الوجوه للحى القيوم يا إلهى وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت اللهم إنى أسألك باسمك يا ألله الله الله الذى لا إله إلا هو رب العرش العظيم فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو

رب العرش الكريم أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وسعت كل شيء رحمة وعلما كهيعص حم عسق الر حم ن ياواحد ياقهار ياعزيز ياجبار ياأحـد ياصمد ياودود ياغفور هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم إني أعوذ باسمك المكنون. المخزون المنزل السلام الطهر الطاهر القدوس المقدس يادهر يادیهور یادیهار یاأبد ياأزل يامن لم يزل ولا يزال ولا يزول هو ياهو لا إله إلا هو يامن لاهو إلا هو يامن لا يعلم ما هو إلا هو ياكان ياكينان ياروح يا كائن قبل كل كون يا كائن بعد كل كون يامكون لكل كون أهيا أشراهيا أدوناي اصبؤت يامجلي عظائم الأمور فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم إنك حميد مجيد. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع اللهم إني أعوذ بك من فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت وشر مالم أعلم وأعوذ بك من شر سمعي وبصري ولساني وقلبي اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والذل والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسائر الأسقام اللهم إني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحويل عافيتك ومن فجاة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم إني أسألك الصلاة على محمد وعلى آله وأسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وأسألك ما سألك عبدك ونبيك محمد ﷺ وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك ياأرحم الراحمين ياقيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله يانور السموات والأرض ياجمال السموات والأرض

يا عماد السموات والأرض يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والاكرام ياصريخ المستصرخين ياغوث المستغيثين يامنتهى رغبة الراغبين والمفرج عن المكروبين والمروح عن المغمومين ومجيب دعوة المضطرين وكاشف السوء وأرحم الراحمين وإله العالمين منزول بك كل حاجة ياأرحم الراحمين اللهم استرعوراتي وأمن روعاتي وأقلني عثراتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن اغتال من تحتي اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضائي اللهم اني ضعيف فقوني اللهم اني ذليل فأعزني اللهم اني فقير فأغنني برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي والرضا بما قسمت لي ياذا الجلال والاكرام اللهم ياهادي المضلين ويا راحم المذنبين ومقيل عثرة العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. آمين يارب العالمين اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات تلقى الروح بأمر على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا إله إلا هو أنت المصير يامن لا يشغله شأن عن شأن ولا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الأصوات ويامن لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات ويامن لا يتبرم بالحاح الملحين اذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك اللهم إني أسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد واسألك حبك وحب من أحبك وحب عمل يقرب إلي حبك اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على خلقك أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم أقسم لي من خشيتك ماتحول به بيني وبين معصيتك ومن طاعتك

مايدخلني جنتك ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا اللهم ارزقنا حزن خوف الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وخوف ما منه نهرب اللهم ألبس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحا واسكن فى نفوسنا من عظمتك مهابة وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك أحب إلينا مما سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك نسألك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام العصمة وداء الشكر بحسن العبادة اللهم إنى أسألك بركة الحياة وخير الحياة وأعوذ بك من شر الحياة وشر الوفاة وأسألك خير ما بينهما أحينى حياة السعداء حياة من تحب بقاءه وتوفنى وفاة الشهداء وفاة من تحب لقاءه ياخير الرازقين وأحسن التوابين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ورب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم ماخلقت واغفر ما قدرت وطيب ما رزقت وتمم ما أنعمت وتقبل ما استعملت وأحفظ مااستحفظت ولاتهتك ماسترت فانه لا إله إلا أنت أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خدمتك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح بغير مجالستك ومن كل شغل بغير معاملتك اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه اللهم إنى أستغفرك من كل عقد عقدته ثم لم أوف به اللهم إنى أستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فقويت بها على معصيتك اللهم إنى أستغفرك من كل عمل عملته لك نخالطه ماليس لك اللهم إنى أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وأسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه وأعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم احفظنا فيما أمرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا ما أعطيتنا يا حافظ الحافظين ويا ذاكر الذاكرين وياشاكر الشاكرين بذكرك ذكروا وبفضلك شكروا ياغياث يامغيث يامستغاث ياغياث المستغيثين لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين فاهلك ولا إلى أحد من خلقك فاضيع اكلأنى كلاءة الوليد ولا تحل عنى وتولنى بما تتولى به عبادك الصالحين أنا عبدك وابن عبدك ناصيتى بيدك جار فى حكمك عدل فى قضاؤك نافذ فى مشيئتك أن تعذب فأهل ذلك أنا وأن ترحم فأهل ذلك أنت فافعل اللهم يامولاى يا ألله يارب ماأنت له أهل ولا تفعل اللهم يارب يا ألله ما أنا له أهل إنك أهل التقوى وأهل المغفرة يامن

لاتضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لى مالا يضرك وأعطنى مالا ينقصك يا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وألحقنى بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا العون على الطاعة والعصمة من المعصية وإفراغ الصبر فى الخدمة وإيذاع الشكر فى النعمة أسألك حسن الخاتمة وأسألك اليقين وحسن المعرفة بك وأسألك المحبة وحسن التوكل عليك وأسألك الرضا وحسن الثقة بك وأسألك حسن المنقلب إليك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد فرجا عاجلا ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم اللهم اغفر لى ولوالدى ولمن تولدا وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر لأعمامنا وعماتنا وأخوالنا وخالاتنا وأزواجنا وذرياتنا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات يا أرحم الراحمين يا خير الغافرين (ولما كان) الدعاء مخ العبادة أحببنا أن نستوفى من ذلك قسما صالحا نرجو بركته وهذه الأدعية استخرجها الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله فى كتاب قوت القلوب وعلى نقله كل الاعتماد وفيه البركة فليدع بهذه الدعوات منفردا أو فى الجماعة إماما أو مأموما ويختصر منها ما يشاء

﴿ الباب الخمسون فى ذكر العمل فى جميع النهار وتوزيع الأوقات ﴾

فمن ذلك أن يلازم موضعه الذى صلى هو فيه مستقبل القبلة إلا أن يرى انتقاله إلى زاويته أسلم لدينه لئلا يحتاج إلى حديث أو التفات إلي شيء فان السكوت فى هذا الوقت وترك الكلام له أثر ظاهر بين تجده أهل المعاملة وأرباب القلوب وقد ندب رسول الله ﷺ إلى ذلك ثم يقرأ الفاتحة وأول سورة البقرة إلى المفلحون والآيتين وإلهكم إله واحد وآية الكرسى والآيتين بعدها وآمن الرسول والآية قبلها وشهد الله وقل اللهم مالك الملك وإن ربكم الله الذى خلق

السموات والأرض إلى المحسنين ولقد جاءكم رسول إلى الآخر وقل ادعوا الله الآيتين وآخر الكهف من ان الذين آمنوا وذا النون إذ ذهب مغاضبا إلي خير الوارثين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وسبحان ربك إلى آخر السورة ولقد صدق الله وأول سورة الحديد إلي بذات الصدور وآخر سورة الحشر من لو أنزلنا ثم يسبح ثلاثا وثلاثين وهكذا يحمد مثله ويكبر مثله ويتمها مائة بلا إله إلا الله وحده لاشريك له فاذا فرغ من ذلك يشتغل بتلاوة القرآن حفظا أو من المصحف أو يشتغل بأنواع الأذكار ولا يزال كذلك من غير فتور وقصور ونعاس فان النوم فى هذا الوقت مكروه جدا فان غلبه النوم فليقم فى مصلاه قائما مستقبل القبلة فان لم يذهب النوم بالقيام يخط خطوات نحو القبلة يتأخر بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة ففى ادامة استقبال القبلة وترك الكلام والنوم ودوام الذكر فى هذا الوقت أثر كبير وبركة غير قليلة وجدنا ذلك بحمد الله ونوصي به الطالبين وأثر ذلك فى حق من يجمع فى الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والنهار مظنة الآفات فاذا أحكم أوله بهذه الرعاية فقد أحكم بنيانه وتبتنى أوقات النهار جميعا على هذا البناء فاذا قارب طلوع الشمس يبتدىء بقراءة المسبعات العشر وهى من تعليم الخضر عليه السلام علمها ابراهيم التيمى وذكر أنه تعلمها من رسول الله ﷺ وينال بالمداومة عليها جميع المتفرق فى الأذكار والدعوات وهى عشرة أشياء سبعة سبعة الفاتحة والمعوذتان وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسى وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والصلاة على النبي وآله ويستغفر لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات ويقول سبعا اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم (وروى) ان ابراهيم التيمى لما قرأ هذه بعد أن تعلمها من الخضر رأى فى المنام أنه دخل الجنة ورأى الملائكة والأنبياء عليهم السلام وأكل من طعام الجنة وقيل أنه مكث أربعة أشهر لم يطعم وقيل لعله كان ذلك لكونه أكل من طعام الجنة فاذا فرغ من المسبعات أقبل على التسبيح والاستغفار والتلاوة إلى أن تطلع

الشمس قدر رمح (روى) عن رسول الله ﷺ أنه قال لأن أقعد فى مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب ثم يصلى ركعتين قبل أن ينصرف من مجلسه فقد نقل عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلى الركعتين وبهاتين الركعتين تتبين فائدة رعاية هذا الوقت واذا صلى الركعتين بجمع هم وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ يجد في باطنه أثرا ونورا وروحا وأنسا اذا كان صادقا والذى يجده من البركة ثواب معجل له على عمله هذا وأحب أن يقرأ في هاتين الركعتين فى الأولى آية الكرسى وفي الأخرى آمن الرسول والله نور السموات والأرض الى آخر الآية وتكون نيته فيهما الشكر لله على نعمه فى يومه وليلته ثم يصلى ركعتين أخريين يقرأ المعوذتين فيهما فى كل ركعة سورة وتكون صلاته هذه ليستعيذ بالله تعالى من شر يومه وليلته ويذكر بعد هاتين الركعتين كلمات الاستعاذة فيقول أعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر السامة والهامة وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر عذابك وشر عبادك وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر مايجري به الليل والنهار ان ربي الله لااله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ويقول بعد الركعتين الأوليين اللهم انى أصبحت لاأستطيع دفع ماأكره ولا أملك نفع ماأرجو وأصبحت مرتهنا بعملى وأصبح أمرى بيد غيرى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بي عدوى ولا تسىء بي صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولامبلغ علمى ولا تسلط على من لا يرحمنى اللهم اني أعوذ بك من الذنوب التى تزيل النعم وأعوذ بك من الذنوب التى توجب النقم ثم يصلى ركعتين أخريين بنية الاستخارة لكل عمل يعمله فى يومه وليلته وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعاء على الاطلاق والا فالاستخارة التى وردت بها الأخبار هى التي يصليها أمام كل أمر يريده ويقرأ فى هاتين الركعتين قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد ويقرأ دعاء الاستخارة كما سبق ذكره في غير هذا الباب ويقول فيه كل قول وعمل أريده فى هذا اليوم اجعل فيه الخيرة * ثم يصلى ركعتين أخريين يقرأ فى الأولى سورة الواقعة وفى الأخرى سورة الأعلى ويقول بعدها اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

واجعل حبك أحب الأشياء إلى وخشيتك أخوف الأشياء عندى واقطع عنى حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك وإذ أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر عينى بعبادتك واجعل طاعتك فى كل شىء منى ياأرحم الراحمين ثم يصلى بعد ذلك ركعتين يقرأ فيهما شيئا من حزبه من القرآن ثم بعد ذلك ان كان متفرغا ليس له شغل فى الدنيا يتنقل فى أنواع العمل فى الصلاة والتلاوة والذكر إلى وقت الضحى وان كان ممن له فى الدنيا شغل إما لنفسه أو لعياله فليمض لحاجته ومهامه بعد أن يصلى ركعتين لخروجه من المنزل وهكذا ينبغى أن يفعل أبدا لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصلى ركعتين ليقيه الله سوء المخرج ولا يدخل البيت إلا ويصلى ركعتين ليقيه الله سوء المدخل بعد أن يسلم على من فى المنزل من الزوجة وغيرها وإن لم يكن فى البيت أحد يسلم أيضا ويقول السلام على عباد الله الصالحين المؤمنين وإن كان متفرغا فأحسن اشغاله فى هذا الوقت إلى الصلاة صلاة الضحى فان كان عليه قضاء صلى صلاته يوم أو يومين أو أكثر وإلا يصل ركعات يطولها ويقرأ فيها القرآن فقد كان من الصالحين من يختم القرآن فى الصلاة بين اليوم والليلة وإلا فليصل اعدادا من الركعات خفيفة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وبالآيات التي فى القرآن وفيها الدعاء مثل قوله تعالى (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) وأمثال هذه الآية يقرأ فى كل ركعة آية منها إما مرة أو يكررها مهما شاء ويقدر للطالب أن يصلى بين الصلاة التى ذكرناها بعد طلوع الشمس وبين صلاة الضحى مائة ركعة خفيفة وقد كان فى الصالحين من ورده بين اليوم والليلة مائة ركعة إلى مائتين إلى خمسمائة إلى ألف ركعة ومن ليس له فى الدنيا شغل وقد ترك الدنيا على أهلها فما باله يبطل ولا يتنعم بخدمة الله تعالى (قال) سهل بن عبد الله التسترى لايكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله فى الدنيا حاجة فاذا ارتفعت الشمس وتنصف الوقت من صلاة الصبح الى الظهر كما يتنصف العصر بين الظهر والمغرب يصلى الضحى فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى قال رسول الله ﷺ صلاة الضحى إذا رمضت الفصال وهو أن ينام الفصيل فى ظل أمه عند حر الشمس وقيل الضحى إذا ضحيت الاقدام بحر الشمس

وأقل صلاة الضحى ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ويجعل لنفسه دعاء بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ثم بعد ذلك إن كان هناك حق يقضى مما ندب اليه من زيارة أو عيادة يمضى فيه وإلا فيديم العمل لله تعالى من غير فتور ظاهرا وباطنا وقلبا وقالبا وإلا فباطنا وترتيب ذلك انه يصلي مادام منشرحا ونفسه مجيبة فان سئم ينزل من الصلاة إلي التلاوة فان مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة فان سئم التلاوة أيضا يذكر الله بالقلب واللسان فهو أخف من القراءة فان سئم الذكر يدع ذكر اللسان ويلازم بقلبه المراقبة والمراقبة علم القلب بنظر الله تعالى إليه فما دام هذا العلم ملازما لقلبه فهو مراقب والمراقبة عين الذكر وأفضله فان عجز عن ذلك أيضا وتملكته الوساوس وتزاحم في باطنه حديث النفس فلينم ففى النوم السلامة وإلا فكثرة حديث النفس تقسى القلب ككثرة الكلام لأنه كلام من غير لسان فيحترز عن ذلك * قال سهل بن عبد الله أسوأ المعاصى حديث النفس والطالب يريد أن يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره فانه بحديث النفس وما يتخايل له من ذكر ما مضى ورأى وسمع كشخص آخر فى باطنه فيقيد الباطن بالمراقبة والرعاية كما يقيد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر ويمكن للطالب المجد أن يصلى من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون ركعة يصليها خفيفة أو يقرأ فى كل ركعتين جزء من القرآن أو أقل أو أكثر والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وبعد الفراغ من أعداد أخر من الركعات حسن (قال سفيان) كان يعجبهم إذا فرغوا أن يناموا طلبا للسلامة وهذا النوم فيه فوائد منها انه يعين على قيام الليل ومنها ان النفس يستريح ويصفو النهار لبقية النهار والعمل فيه والنفس إذا استراحت عادت جديدة فبعد الانتباه من نوم النهار تجدد فى الباطن نشاطا آخر وشغفا آخر كما كان فى أول النهار فيكون للصادق فى النهار نهاران يغتنمهما بخدمة الله تعالي والدؤب فى العمل وينبغى أن يكون انتباهه من نوم النهار قبل الزوال بساعة حتى يتمكن من الوضوء والطهارة قبل الاستواء بحيث يكون وقت الاستواء مستقبل القبلة ذاكرا أو مسبحا أو تاليا قال الله تعالى (وأقم الصلاة طرفى النهار) وقال (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) قيل قبل

طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر (ومن آناء الليل فسبح) أراد العشاء الآخيرة (وأطراف النهار) أراد الظهر والمغرب لأن الظهر صلاة فى آخر الطرف الأول من النهار وآخر الطرف الآخر غروب الشمس وفيها صلاة المغرب فصار الظهر آخر الطرف الأول والمغرب آخر الطرف الآخر فيستقبل الطرف الآخر باليقظة والذكر كما استقبل الطرف الأول وقد عاد بنوم النهار جديدا كما كان بنوم الليل ويصلى فى أول الزوال قبل السنة والفرض أربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله ﷺ وهذه صلاة الزوال قبل الظهر فى أول أوقاتها ويحتاج أن يراعى لهذه الصلاة أول الوقت بحيث يفطن للوقت قبل المؤذنين حين يذهب وقت الكراهية بالاستواء فيشرع فى صلاة الزوال ويسمع الأذان وقد توسط هذه الصلاة ثم يستمد لصلاة الظهر فإن وجد في باطنه كدرا من مخالطة أو مجالسة اتفقت يستغفر الله تعالى ويتضرع اليه ولا يشرع فى صلاة الظهر إلا بعد أن يجد الباطن عائدا إلى حالة من الصفاء والذائقون حلاوة المناجاة لابد أن يجدوا صفو الأنس فى الصلاة ويتكدرون بيسير من الاسترسال فى المباح ويصير على بواطنهم من ذلك عقد وكدر وقد يكون ذلك بمجرد المخالطة والمجالسة مع الأهل والولد مع كون ذلك عبادة ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين فلا يدخل الصلاة إلا بعد حل العقد واذهاب الكدر وحل العقد بصدق الانابة والاستغفار والتضرع إلى الله تعالي ودواء ما يحدث من الكدر بمجالسة الأهل والولدان أن يكون فى مجالسته غير راكن اليهم كل الركون بل يسترق القلب فى ذلك نظرات إلى الله تعالى فتكون تلك النظرات كفارة لتلك المجالسة إلا أن يكون قوى الحال لا يحجبه الخلق عن الحق فلا ينعقد على باطنه عقدة فهو كما يدخل فى الصلاة لا يجدها ويجد باطنه وقلبه لأنه حيث استروحت نفس هذا إلي المجالسة كان استرواح نفسه منغمرا بروح قلبه لأنه يجالس ويخالط وعين ظاهرة ناظره إلى الخلق وعين قلبه مطالعة للحضرة الالهية فلا ينعقد على باطنه عقدة وصلاة الزوال التى ذكرناها تحل العقد وتهيىء الباطن لصلاة الظهر فيقرأ فى صلاة الزوال بمقدار سورة البقرة فى النهار الطويل وفى القصير ما يتيسر من ذلك قال الله تعالى (وعشيا وحين تظهرون) وهذا هو الاظهار فإذا انتظر بعد السنة حضور الجماعة للفرض وقرأ الدعاء الذى بين

الفريضة والسنة من صلاة الفجر فحسن وكذلك ما ورد أن رسول الله ﷺ دعا به إلى صلاة الفجر ثم إذا فرغ من صلاة الظهر يقرأ الفاتحة وآية الكرسي ويسبح ويحمد ويكبر ثلاثا وثلاثين كما وصفنا ولو قدر على الآيات كلها التي ذكرناها بعد صلاة الصبح وعلى الأدعية أيضا كان ذلك خيرا كثيرا وفضلا عظيما ومن له همة ناهضة وعزيمة صادقة لا يستكثر شيئا لله تعالى ثم يحيي بين الظهر والعصر كما يحيي بين العشاءين على الترتيب الذي ذكرناه من الصلاة والتلاوة والذكر والمراقبة ومن دام سهره ينام نومة خفيفة في النهار الطويل بين الظهر والعصر ولو أحبه بين الظهر والعصر بركعتين يقرأ فيهما ربع القرآن أو يقرأ ذلك في أربع ركعات فهو خير كثير وإن أراد أن يحيي هذا الوقت بمائة ركعة في النهار الطويل أمكن ذلك أو بعشرين ركعة يقرأ فيها قل هو الله أحد ألف مرة في كل ركعة خمسين ويستاك قبل الزوال إذا كان صائما وإن لم يكن صائما فأي وقت تغير فيه الفم وفي الحديث السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعند القيام الى الفرائض يستحب (قيل) ان الصلاة بالسواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وقيل هو خبر وإن أراد أن يقرأ بين الصلاتين في صلاته في عشرين ركعة في كل ركعة آية أو بعض آية يقرأ في الركعة الأولى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (ثم) في الثانية ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (ثم) ربنا لا تؤاخذنا إلي السورة (ثم) ربنا لا تزغ قلوبنا الآية (ثم) ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الآية (ثم) ربنا آمنا بما أنزلت (ثم) أنت ولينا فاغفر لنا (ثم) فاطر السموات والأرض أنت وليي (ثم) ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن الآية (ثم) وقل رب زدني علما (ثم) لا إله إلا أنت سبحانك (ثم) رب لا تذرني فردا (ثم) وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين (ثم) ربنا هب لنا من أزواجنا (ثم) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (ثم) يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور (ثم) رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي (الآية) من سورة الأحقاف (ثم) ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين الآية (ثم) ربنا عليك توكلنا (ثم) رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا مهما يصل

فليقرأ بهذه الآيات وبالمحافظة على هذه الآيات في الصلاة مواطئا للقلب واللسان يوشك أن يرقى الى مقام الاحسان ولو ردد فرد آية من هذه فى ركعتين من الظهر أو العصر كان فى جميع الوقت مناجيا لمولاه وداعيا وتاليا ومصليا والدؤب في العمل واستيعاب أجزاء النهار بلذاذة وحلاوة من غير سآمة لا يصح إلا لعبد تزكت نفسه بكمال التقوى والاستقصاء في الزهد فى الدنيا وانتزع منه متابعة الهوى ومتى بقى على الشخص من التقوى والزهد والهوى بقية لا يدوم روحه فى العمل بل ينشط وقتا ويسأم وقتا ويتناوب النشاط والكسل فيه لبقاء متابعة شىء من الهوى بنقصان تقوى أو محبة دنيا وإذا صح فى الزهد والتقوى فان ترك العمل بالجوارح لا يفتر عن العمل بالقلب فمن رام دوام الروح واستحلاء الدؤب فى العمل فعليه بحسم مادة الهوى والهوى روح النفس لا يزول ولكن تزول متابعته والنبي عليه السلام مااستعاذ من وجود الهوي ولكن استعاذ من متابعته فقال أعوذ بك من هوى متبع ولم يستعذ من وجود الشح فانه طبيعة النفس ولكن استعاذ من طاعته فقال وشح مطاع ودقائق متابعة الهوى تتبين على قدر صفاء القلب وعلو الحال فقد يكون متبعا للهوى باستحلاء مجالسة الخلق ومكالمتهم أو النظر اليهم وقد يتبع الهوى بتجاوز الاعتدال فى النوم والأكل وغير ذلك من أقسام الهوى المتبع وهذا شغل من ليس له شغل إلا فى الدنيا * ثم يصلى العبد قبل العصر أربع ركعات فان أمكنه تجديد الوضوء لكل فريضة كان أكمل وأتم ولو اغتسل كان أفضل فكل ذلك له أثر ظاهر فى تنوير الباطن وتكميل الصلاة ويقرأ فى الأربع قبل العصر إذا زلزلت والعاديات والقارعة والهاكم ويصلى العصر ويجعل من قراءته في بعض الأيام والسماء ذات البروج وسمعت ان قراءة سورة البروج فى صلاة العصر أمان من الدماميل ويقرأ بعد العصر ماذكرنا من الآيات والدعاء ومايتيسر له من ذلك فاذا صلى العصر ذهب وقت التنفل بالصلاة وبقى وقت الأذكار والتلاوة وأفضل من ذلك مجالسة من يزهده فى الدنيا ويسدد كلامه عرا التقوى من العلماء الزاهدين المتكلمين بما يقوى عزائم المريدين فاذا صحت نية القائل والمستمع فهذه المجالسة أفضل من الانفراد والمداومة على الأذكار وإن عدمت هذه المجالسة وتعذرت فليتروح بالتنفل في أنواع الأذكار وإن كان خروجه لحوائجه وأمر معاشه فى هذا

الوقت يكون أفضل وأولى من خروجه فى أول النهار ولا يخرج من المنزل إلا وهو على الوضوء وكره جمع من العلماء تحية الطهارة بعد صلاة العصر واجازة المشايخ والصالحون ويقول كلما خرج من منزله بسم الله ماشاء الله حسبي الله لاقوة إلا بالله اللهم إليك خرجت وأنت أخرجتنى وليقرأ الفاتحة والمعوذتين ولا يدع أن يتصدق كل يوم بما يتيسر له ولو تمرة أو لقمة فان القليل بحسن النية كثير * وروى ان عائشة رضي الله عنها أعطت السائل عنبة واحدة وقالت ان فيها لمثاقيل ذر كثير * وجاء فى الخبر كل امرىء يوم القيامة تحت ظل صدقته ويكون من ذكره من العصر إلى المغرب مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فقد ورد عن رسول الله ﷺ ان من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحدا بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين فقد ورد ان من قال فى يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين لم يعمل أحد فى يومه أفضل من عمله ويقول مائة مرة سبحان الله والحمد لله الكلمات ومائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين ومائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومائة مرة أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة ومائة مرة ماشاء الله لاقوة إلا بالله ورأيت بعض الفقراء من المغرب بمكة وله سبحة فيها ألف حبة فى كيس له ذكر أن ورده أن يديرها كل يوم اثنتي عشرة مرة بأنواع الذكر (ونقل) عن بعض الصحابة ان ذلك كان ورده بين اليوم والليلة ونقل عن بعض التابعين كان ورده من التسبيح ثلاثين ألفا بين اليوم والليلة وليقل مائة مرة بين اليوم والليلة هذا التسبيح سبحان الله العلى الديان سبحان الله شديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح فى كل مكان (روى) ان بعض الأبدال بات على شاطىء البحر فسمع فى هذه الليلة هذا التسبيح فقال من الذى أسمع صوته ولا أرى شخصه فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت فقلت ما اسمك فقال مهليهيائيل فقلت ماثواب هذا

التسبيح قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يري مقعده من الجنة أو يرى له (وروى) ان عثمان رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى (له مقاليد السموات والأرض) فقال سألتني عن شيء عظيم ماسألني غيرك هو لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله عزوجل وأستغفر الله الأول الآخر الظاهر الباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشرا حين يصبح وحين يمسى أعطى ست خصال فأول خصلة أن يحرس من ابليس وجنوده الثانية أن يعطى قنطارا من الأجر الثالثة يرفع له درجة فى الجنة الرابعة يزوجه الله من الحور العين الخامسة اثناعشر ملكا يستغفرون له السادسة يكون له من الأجر كمن حج واعتمر ويقول أيضا فى هذا الوقت وفى أول النهار اللهم أنت خلقتنى وأنت هديتنى وأنت تطعمنى وأنت تسقينى وأنت تميتنى وأنت تحيينى أنت ربى لا رب لي سواك ولا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ويقول ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله ويقول حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ثم يستعد لاستقبال الليل بالوضوء والطهارة ويقرأ المسبعات قبل الغروب ويديم التسبيح والاستغفار بحيث تغيب الشمس وهو فى التسبيح والاستغفار ويقرأ عند الغروب أيضا والشمس والليل والمعوذتين ويستقبل الليل كما استقبل النهار قال الله تعالى (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) فكما ان الليل يعقب النهار والنهار يعقب الليل ينبغي أن يكون العبد بين الذكر والشكر يعقب أحدهما الآخر ولا يتخللهما شيء كما لا يتخلل بين الليل والنهار شيء والذكر جميعه أعمال القلب والشكر أعمال الجوارح قال الله تعالي (اعملوا آل داود شكرا) والله الموفق والمعين

﴿ الباب الحادى والخمسون في آداب المريد مع الشيخ ﴾

أدب المريدين مع الشيوخ عند الصوفية من مهام الآداب وللقوم فى ذلك اقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم روى عن عبدالله ابن الزبير قال قدم وفد

على رسول الله الله ﷺ من بنى تميم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ماأردت الاخلافى وقال عمر ماأردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فانزل الله تعالى ياأيها الذين آمنوا الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما لاتقدموا لاتتكلموا بين يدى كلامه وقال جابر كان ناس يضحون قبل رسول الله فنهوا عن تقديم الأضحية على رسول الله ﷺ وقيل كان قوم يقولون لوأنزل فى كذا وكذا فكره الله ذلك وقالت عائشة رضى الله عنها أى لاتصوموا قبل أن يصوم نبيكم وقال الكلبي لاتسبقوا رسول الله بقول ولافعل حتى يكون هو الذى يأمركم به وهكذا أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لايتصرف فى نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره وقد استوفينا هذا المعنى فى باب المشيخة وقيل لاتقدموا لاتمشوا بين يدي رسول الله ﷺ وروي أبو الدرداء قال كنت أمشي امام أبي بكر فقال لى رسول الله ﷺ تمشى امام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة وقيل نزلت فى أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فاذا سئل الرسول عليه السلام عن شىء خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك وهكذا أدب المريد فى مجلس الشيخ ينبغى ان يلزم السكوت ولايقول شيئا بحضرته من كلام حسن الا إذا استامر الشيخ ووجد من الشيخ فسحة له فى ذلك وشان المريد فى حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقا يساق إليه فتطلعه إلى الاستماع ومايرزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام ارادته وطلبه واستزادته من فضل الله و تطلعه إلى القول يرده عن مقام الطلب والاستزادة إلى مقام اثبات شىء لنفسه وذلك جناية المريد وينبغى أن يكون تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ على ان الصادق لايحتاج إلى السؤال باللسان فى حضرة الشيخ بل يبادئه بما يريد لأن الشيخ يكون مستنطقا نطقه بالحق وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه إلى الله ويستمطر ويستسقى لهم فيكون لسانه وقلبه فى القول والنطق مأخوذين إلى مهم الوقت من أحوال الطالبين المحتاجين إلى مايفتح به عليه لأن الشيخ يعلم تطلع الطالب إلى قوله واعتداده بقوله والقول كالبذر يقع فى الأرض فاذا كان البذر فاسدا لاينبت وفساد الكلمة

بدخول الهوى فيها فالشيخ ينقى بذر الكلام عن شوب الهوى ويسلمه إلى الله ويسأل الله المعونة والسداد ثم يقول فيكون كلامه بالحق من الحق للحق فالشيخ للمريدين أمين الالهام كما أن جبريل أمين الوحى فكما لايخون جبريل فى الوحى لايخون الشيخ فى الالهام وكما أن رسول الله ﷺ لاينطق عن الهوى فالشيخ مقتد برسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا لايتكلم بهوى النفس وهوى النفس فى القول بشيئين أحدهما طلب استجلاب القلوب وصرف الوجوه إليه وماهذا من شأن الشيوخ والثاني ظهور النفس باستحلاء الكلام والعجب وذلك خيانة عند المحققين والشيخ فيما يجرى على لسانه راقد النفس تشغله مطالعة نعم الحق فى ذلك فاقد الحظ من فوائد ظهور النفس بالاستحلاء والعجب فيكون الشيخ لما يجرى به الحق سبحانه وتعالي عليه مستمعا كاحد المستمعين (وكان) الشيخ أبوالسعود رحمه الله يتكلم مع الأصحاب بما يلقى إليه وكان يقول أنا فى هذا الكلام مستمع كاحدكم فاشكل ذلك على بعض الحاضرين وقال إذا كان القائل هو يعلم مايقول كيف يكون كمستمع لايعلم حتى يسمع منه فرجع إلى منزله فرأى ليلته فى المنام كان قائلا يقول له أليس الغواص يغوص فى البحر لطلب الدر ويجمع الصدف فى مخلاته والدر قد حصل معه لكن لايراه إلا إذا خرج من البحر ويشاركه فى رؤية الدر من هو على الساحل ففهم بالمنام اشارة الشيخ في ذلك فاحسن أدب المريد مع الشيخ السكوت والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بماله فيه من الصلاح قولا وفعلا (وقيل أيضا) فى قوله تعالى لاتقدموا بين يدى الله ورسوله لاتطلبوا منزلة وراء منزلته وهذا من محاسن الاداب وأعزها وينبغى للمريد ان لايحدث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ بل يحب للشيخ كل منزلة عالية ويتمنى للشيخ عزيز المنيح وغرائب المواهب وبهذا يظهر جوهر المريد فى حسن الارادة وهذا يعز فى المريدين فارادته للشيخ تعطيه فوق ما يتمنى لنفسه ويكون قائما بأداب الارادة قال السرى رحمه الله حسن الأدب ترجمان العقل وقال أبو عبد الله بن حنيف قال لى رويم يابنى اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا * وقيل التصوف كله أدب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن يلزم الأدب

يبلغ مبلغ الرجال ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول ومن تأديب الله تعالى أصحاب رسول الله ﷺ قوله تعالى (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) كان ثابت ابن قيس ابن شماس في أذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان إذا كلم إنسانا جهر بصوته وربما كان يكلم النبي ﷺ فيتأذي بصوته فأنزل الله تعالي الاية تأديبا له ولغيره (أخبرنا) ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا مؤمل بن اسمعيل قال حدثنا نافع ابن عمر بن جميل الجمحى قال حدثنى حابس بن أبى مليكة قال حدثنى عبد الله ابن الزبير أن الأقرع بن حابس قدم على النبي ﷺ فقال أبو بكر استعمله على قومه فقال عمر لا تستعمله يارسول الله فتكلما عند النبي ﷺ حتى علت أصواتهما فقال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافى وقال عمر ما أردت خلافك فأنزل الله تعالي الآية فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبي ﷺ لا يسمع كلامه حتى يستفهم وقيل لمانزلت الآية آلى أبو بكر أن لايتكلم عند النبي الا كاخ السرار فهكذا ينبغى أن يكون المريد مع الشيخ لا ينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام إلا إذا بسطه الشيخ فرفع الصوت تنحية جلبات القلب الوقار والوقار إذا سكن القلب عقل اللسان ما يقول وقد ينازل باطن بعض المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ مالا يستطيع المريد أن يشبع النظر إلي الشيخ وقد كنت أحم فيدخل على عمى وشيخى أبو النجيب السهروردي رحمه الله فيترشح جسدي عرقا وكنت أعنى العرق لتخف الحمى فكنت أجد ذلك عند دخول الشيخ على ويكون فى قدومه بركة وشفاء وكنت ذات يوم فى البيت خاليا وهناك منديل وهبه لي الشيخ وكان يتعمم به فوقع قدمى على المنديل اتفاقا فتألم باطنى من ذلك وهالنى الوطء بالقدم على منديل الشيخ وانبعث من باطنى من الاحترام ما أرجو بركته (قال ابن عطاء) في قوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم زجر عن الأدنى لئلا يتخطى أحد إلى ما فوقه من ترك الحرمة وقال

سهل فى ذلك لا تخاطبوه إلا مستفهمين (وقال) أبو بكر بن طاهر لا تبدؤه
الخطاب ولا تجيبوه إلا على حدود الحرمة ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
أي لا تغلظوا له فى الخطاب ولا تنادوه باسمه يامحمد ياأحمد كما ينادي بعضكم بعضا ولكن
فخموه واحترموه وقولوا له يانبي الله يارسول الله ومن هذا القبيل يكون الخطاب
المريد مع الشيخ وإذا سكن الوقار القلب علم اللسان كيفية الخطاب ولما كلفت النفوس
بمحبة الأولاد والأزواج وتمكنت أهوية النفوس والطباع استخرجت من اللسان
عبارات غريبة وهي تحت وقتها صاغها كلف النفس وهواها فاذا امتلأ القلب
حرمة ووقارا يعلم اللسان العبارة (وروى) لما نزلت هذه الآية قعد ثابت بن قيس فى
الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدى فقال مايبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف
أن تكون نزلت فى أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وأنا رفيع الصوت على
النبي ﷺ أخاف أن يحبط عملي وأكون من أهل النار فمضى عاصم إلى رسول الله
ﷺ وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول فقال لها
إذا دخلت بيت فرسي فسدي على الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى إذا خرجت عطفته
وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عنى رسول الله ﷺ فلما أتى عاصم النبي
وأخبره بخبره فقال اذهب فادعه فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فلم يجده فجاء إلى
أهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا
رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأخاف
أن تكون هذه الآية نزلت فى فقال له رسول الله اما ترضى أن تعيش سعيدا وتقتل
شهيدا وتدخل الجنة فقال قد رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله ولا أرفع صوتي أبدا
على رسول الله فأنزل الله تعالى (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) قال أنس
كنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة
رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء وما
يصنعون ثم قال ثابت لسالم بن حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ
مثل هذا ثم ثبتا ولم يزالا تقاتلان حتى قتل واستشهد ثابت كما وعده رسول الله ﷺ
وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام فقال له اعلم أن فلانا رجلا من

المسلمين نزع درعي فذهب بها وهو في ناحية من العسكر وعنده فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد فأخبره حتي يسترد درعي وأت أبا بكر خليفة رسول الله عليه السلام فقل له إن علي دينا حتي يقضى عني وفلان من عبيدي عتيق فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ماوصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس رضي الله عنهما لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه فهذه كرامة ظهرت لثابت بحسن تقواه وأدبه مع رسول الله ﷺ فليعتبر المريد الصادق ويعلم أن الشيخ عنده تذكرة من الله ورسوله وأن الذي يعتمده مع الشيخ عوض مالو كان في زمن رسول الله ﷺ واعتمده مع رسول الله ﷺ فلما قام القوم بواجب الأدب أخبر الحق عن حالهم وأثنى عليهم فقال أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أي اختبر قلوبهم واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه وكما أن اللسان ترجمان القلب وتهذب اللفظ لتأدب القلب فهكذا ينبغي أن يكون المريد مع الشيخ (قال أبو عثمان) الأدب عند الأكابر وفي مجالسة السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا والخير في الأولي والعقبي ألا ترى إلي قول الله تعالى (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) ومما علمهم الله تعالى قوله سبحانه (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) وكان هذا الحال من وفد بني تميم جاؤا إلى رسول الله ﷺ فنادوا يا محمد أخرج إلينا فان مدحنا زين وذمنا شين قال فسمع رسول الله ﷺ فخرج إليهم وهو يقول إنما ذلكم الله الذي ذمه شين ومدحه زين في قصة طويلة وكانوا أتوا بشاعرهم وخطيبهم فغلبهم حسان بن ثابت وشبان المهاجرين والأنصار بالخطبة وفي هذا تأدب للمريد في الدخول على الشيخ والأقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره إلى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته * سمعت أن الشيخ عبد القادر رحمه الله كان إذا جاء إليه فقير زائر يخبر بالفقير فيخرج ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوته وإذا جاءه أحد ممن ليس من زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه فخطر لبعض الفقراء نوع انكار لتركه الخروج إلى الفقير وخروجه لغير الفقير فانتهى ماخطر للفقير إلي الشيخ فقال الفقير رابطتنا معه رابطة قلبية

وهو أهل وليس عنده أجنبية فتكتفى معه بموافقة القلوب وتقنع بها عن ملاقاة الظاهر بهذا القدر وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات والظاهر فمتى لم يعرف حقه من الظاهر استوحش فحق المريد عمارة الظاهر والباطن بالأدب مع الشيخ (قيل) لأبي منصور المغربى كم صحبت أبا عثمان قال خدمته لا صحبته فالصحبة مع الاخوان والأقران ومع المشايخ الخدمة وينبغى للمريد أنه كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى وإذا أخبره الخضر بسرها رجع موسى عن انكاره فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة مايوجد من الشيخ فللشيخ فى كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة (سأل) بعض أصحاب الجنيد مسألة من الجنيد فأجابه الجنيد فعارضه فى ذلك فقال الجنيد فان لم تؤمنوا لى فاعتزلون وقال بعض المشايخ من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الأدب وقيل من قال لأستاذه لا لايفلح أبدا (أخبرنا) شيخنا ضياء الدين عبدالوهاب بن على قال أنا أبوالفتح الهروى قال أنا أبونصر الترياق قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسي الترمذى قال حدثنا هناد عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اتركونى ما تركتكم وإذا حدثتكم فخذوا منى فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم (قال) الجنيد رحمه الله رأيت مع أبي حفص النيسابورى انسانا كثير الصمت لايتكلم فقلت لأصحابه من هذا فقيل لي هذا انسانا يصحب أبا حفص ويخدمنا وقد انفق عليه مائة ألف درهم كانت له واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه ما يسوغ له أبى حفص أن يتكلم بكلمة واحدة وقال أبو زيد البسطامى صحبت أبا على السندى فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه وكان يعلمنى التوحيد والحقائق صرفا * وقال أبوعثمان صحبت أبا حفص وأنا غلام حدث فطردني وقال لا تجلس عندى فلم أجعل مكافأتي له على كلامه ان أولى ظهرى إليه فانصرفت أمشى إلي خلف ووجهى مقابل له حتى غبت عنه واعتقدت أن أحفر لنفسى بئرا على بابه وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا

باذنه فلما رأى ذلك منى قربنى وقبلنى وصيرنى من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله * ومن آدابهم الظاهرة ان المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة فان المريد من شأنه التبتل للخدمة وفى السجادة ايماء إلى الاستراحة والتعزز ولا يتحرك فى السماع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حد التميز وهيبة الشيخ تملك المريد عن الاسترسال فى السماع وتقيده واستغراقه فى الشيخ بالنظر إليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنجع له من الاصغاء الى السماع ومن الأدب أن لايكتم عن الشيخ شيئا من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر له من كرامة واجابة ويكشف للشيخ عن حاله مايعلم الله تعالى منه وما يستحى من كشفه يذكره ايماء وتعريضا فان المريد متى انطوي ضميره على شيء لايكشفه للشيخ تصريحاً أو تعريضا يصير على باطنه منه عقدة فى الطريق وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة وتزول ومن الأدب أن لايدخل فى صحبة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه وانه أقوم بالتأديب من غيره ومتى كان عند المريد تطلع الى شيخ آخر لا تصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ اليه فان المريد كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته والمحبة والتألف هو الواسطة بين المريد والشيخ وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال لأن المحبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ أو بعض حاله (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن احمد قال حدثنا أنس بن أسلم قال حدثنا عتبة بن رزين عن أبي أمامة الباهلى عن رسول الله ﷺ قال من علم عبدا آية من كتاب الله فهو مولاه ينبغى له أن لايخذله ولا يستأثر عليه فمن فعل ذلك فقد فصم عروة من عرا الاسلام ومن الأدب أن يراعى خطرات الشيخ فى جزئيات الأمور وكلياتها ولا يستحقر كراهة الشيخ ليسير حركاته معتمدا على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته (قال) ابراهيم بن شيبان كنا نصحب أبا عبدالله المغربي ونحن شبان ويسافر بنا فى البرارى والفلوات وكان معه شيخ اسمه حسن وقد صحبه سبعين

سنة فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتغير عليه حال الشيخ نتشفع اليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان * ومن أدب المريد مع الشيخ أن لا يستقل بوقائعه وكشفه دون مراجعة الشيخ فان الشيخ علمه أوسع وبابه المفتوح إلى الله أكبر فان كان واقعة المريد من الله تعالي يوافقه الشيخ ويمضيها له وما كان من عند الله لا يختلف وإن كان فيه شبهة تزول شبهة الواقعة بطريق الشيخ ويكتسب المريد علما بصحة الوقائع والكشوف فالمريد لعله في واقعته يخامره كمون ارادة في النفس فيتشبك كمون الارادة بالواقعة مناما كان ذلك أو يقظة ولهذا سر عجيب ولا يقوم المريد باستئصال شافة الكامن في النفس وإذا ذكره للشيخ فما في المريد من كمون ارادة النفس مفقود في حق الشيخ فان كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وان كان ينزع واقعته الى كمون هوى النفس تزول وتبرأ ساحة المريد ويتحمل الشيخ ثقل ذلك لقوة حاله وصحة ابوائه الى جناب الحق وكمال معرفته ومن الأدب مع الشيخ ان المريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالاقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتي يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه وقوله متفرغ فكما ان للدعاء أوقاتا وآدابا وشروطا لأنه مخاطبة الله تعالى فللقول مع الشيخ أيضا آداب وشروط لأنه من معاملة الله تعالي ويسأل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب من الأدب وقد نبه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما أمر به أصحاب رسول الله ﷺ في مخاطبته فقال (ياأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) يعنى أمام مناجاتكم * قال عبد الله ابن عباس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثروا حتى شقوا عليه وأحفوه بالمسئلة فأدبهم الله تعالى وفطمهم عن ذلك وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الأغنياء يأتون النبي عليه السلام ويغلبون الفقراء على المجلس حتى كره النبي عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فأما أهل العسرة فلأنهم لم يجدوا شيئا وأما أهل اليسرة فبخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ونزلت الرخصة وقال تعالى أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات وقيل لما أمر الله تعالى بالصدقة لم يناج رسول الله ﷺ إلا على ابن أبي طالب فقدم دينارا فتصدق به وقال على فى كتاب الله آية ماعمل بها أحد قبلى ولايعمل بها أحد بعدي وروى أن رسول الله ﷺ لما نزلت الآية دعا عليا وقال ماترى فى الصدقة كم تكون دينارا قال على لايطيقونه قال كم قال على تكون حبة أوشعيرة فقال رسول الله ﷺ انك لزهيد ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية ومانبه الحق عليه بالأمر بالصدقة ومافيه من حسن الأدب وتقييد اللفظ والاحترام مانسخ والفائدة باقية (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سلمان قال أناأبو الفضل أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا مطلب بن شعيب قال حدثنا عبدالله بن صالح قال حدثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه فاحترام العلماء توفيق وهداية واهمال ذلك خذلان وعقوق

﴿ الباب الثاني والخمسون فى آداب الشيخ ومايعتمده مع الأصحاب والتلامذة ﴾

أهم الآداب أن لايتعرض الصادق للتقدم على قوم ولايتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع فاذا رأى أن الله تعالى يبعث إليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن وصدق الارادة يحذر أن يكون ذلك ابتلاء وامتحانا من الله تعالى والنفوس مجبولة على محبة اقبال الخلق والشهرة وفى الخمول السلامة فاذا بلغ الكتاب أجله وتمكن العبد من حاله وعلم بتعريف الله اياه انه مراد بالارشاد والتعليم للمريدين فيكلمهم حينئذ كلام الناصح المشفق الوالد لولده بماينفعه فى دينه ودنياه وكل مريد ومسترشد ساقه الله تعالى إليه يراجع الله تعالى فى معناه ويكثر اللجأ إليه أن يتولاه فيه وفى القول معه ولايتكلم مع المريد بالكلمة إلاوقلبه ناظر إلى الله مستعين به في الهداية للصواب من القول سمعت شيخنا أباالنجيب السهروردى رحمه الله يوصى بعض أصحابه ويقول لاتكلم أحدا من الفقراء

إلا فى أصفى أوقاتك وهذه وصية نافعة لان الكلمة تقع فى سمع المريد الصادق كالحبة تقع فى الأرض وقد ذكرنا أن الحبة الفاسدة تهلك وتضيع وفساد حبة الكلام بالهوى وقطرة من الهوى تكدر بحرا من العلم فمند الكلام مع أهل الصدق والارادة ينبغى أن يستمد القلب من الله تعالى كما يستمد اللسان من الجنان وكما ان اللسان ترجمان القلب يكون قلبه ترجمان الحق عند العبد فيكون ناظرا إلى الله مصغيا إليه متلقيا مايرد عليه مؤديا للامانة فيه ثم ينبغى للشيخ أن يعتبر حال المريد ويتفرس فيه بنور الايمان وقوة العلم والمعرفة مايتأتى منه ومن صلاحيته واستعداده فمن المريدين من يصلح للتعبد المحض وأعمال القوالب وطريق الابرار ومن المريدين من يكون مستعدا صالحا للقرب وسلوك طريق المقربين المرادين بمعاملة القلوب والمعاملات السنية ولكل من الأبرار والمقربين مباد ونهايات فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص ومايصلح له والعجب أن الصحراوى يعلم الاراضى والغروس ويعلم كل غرس وارضه وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها حتى المرأة تعلم قطنها ومايأتى منه من الغزل ودقته وغلظه ولا يعلم الشيخ حال المريد ومايصلح له وكان رسول الله ﷺ يكلم الناس على قدر عقولهم ويأمر كل شخص بما يصلح له فنهم من كان يأمره بالانفاق ومنهم من أمره بالامساك ومنهم من أمره بالكسب ومنهم من قرره على ترك الكسب كأصحاب الصفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف أوضاع الناس ومايصلح لكل واحد فاما فى رتبه الدعوة فقد كان يعمم الدعوة لانه مبعوث لاثبات الحجة وايضاح المحجة يدعو على الاطلاق ولا يخصص بالدعوة من يتفرس فيه الهداية دون غيره ومن أدب الشيخ أن يكون له خلوة خاصة ووقت خاص لايسعه فيه معاناة الخلق حتي يفيض على جلوته فائدة خلوته ولا تدعى نفسه قوة ظنا منها ان استدامة المخالطة مع الخلق والكلام معهم لايضره ولا يأخذ منه وانه غير محتاج إلى الخلوة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كمال حاله كان له قيام الليل وصلوات يصليها ويدوم عليها وأوقات يخلو فيها فطبع البشر لايستغنى عن السياسة قل ذلك أوكثر لطف ذلك أوكثف وكم من مغرور قانع باليسير من طيبة القلب اتخذ ذلك رأس ماله واغتر بطيبة

قلبه واسترسل فى الممازجة والمخالطة وجعل نفسه مناخاللبطالين بلقمة تؤكل عنده وبرفق يوجد منه فيقصده من ليس قصده الدين ولا بغيته سلوك طريق المتقين فافتتن وافتن وبقى فى حطة القصور ووقع فى دائرة الفتور فما يستغنى الشيخ عن الاستمداد من الله تعالى والتضرع بين يدى الله بقلبه اذ لم يكن بقالبه وقلبه فيكون له فى كل كلمة إلى الله رجوع وفى كل حركة بين يدى الله خضوع وإنما دخلت الفتنة على المغرورين المدعين للقوة والاسترسال في الكلام والمخالطة لقلة معرفتهم بصفات النفس واغترارهم بيسير من الموهبة وقلة تادبهم بالشيوخ كان الجنيد رحمه الله يقول لاصحابه لو علمت ان صلاة ركعتين لى أفضل من جلوسى معكم ماجلست عندكم فاذا رأى الفضل فى الخلوة يخلو وإذا رأى الفضل فى الجلوة يجلس مع الأصحاب فتكون جلوته فى حماية خلوته وجلوته مزيدا لخلوته وفى هذا سر وذلك ان الآدمى ذو تركيب مختلف فيه تضاد وتغاير على ماأسلفنا من كونه مترددا بين السفلى والعلوى ولما فيه من التغاير له حظ من الفتور عن الصبر على صرف الحق ولهذا كان لكل عامل فترة والفترة قد تكون تارة في صورة العمل وتارة فى عدم الروح فى العمل وان لم تكن فى صورة العمل ففى وقت الفترة للمريدين والسالكين تضييع واسترواح للنفس وركون إلى البطالة فمن بلغ رتبة المشيخة انصرف قسم فترته إلى الخلق فافلح الخلق بقسم فترته وما ضاع قسم فترته كضياعه فى حق المريدين فالمريد يعود من الفترة بقوة الشدة وحدة الطلب إلى الاقبال على الله والشيخ يكتسب الفضيلة من نفع الخلق بقسم فترته ويعود إلى أوطان خلوته وخاص حاله بنفس مشرئبة أكثر من عود الفقير بحدة إرادته من فترته فيعود من الخلق إلى الخلوة منتزع الفتور بقلب متعطش وافر النور وروح متخلصة عن مضيق مطالعة الاغيار قادمة بحدة شغفها إلى دار القرار * ومن وظيفة الشيخ حسن خلقه مع أهل الارادة والطلب والنزول من حقه فيما يجب من التبجيل والتعظيم للمشايخ واستعماله التواضع (حكى) الرقي قال كنت بمصر وكنا في المسجد جماعة من الفقراء جلوسا فدخل الزقاق فقام عنداسطوانة يركع فقلنا يفرغ الشيخ من صلاته ونقوم نسلم عليه فلما فرغ جاء إلينا وسلم علينا فقلنا نحن كنا أولى بهذا

من الشيخ فقال ماعذب الله قلبي بهذا قط يعني ماتقيدت بان أحترم وأقصد * ومن آداب الشيوخ النزول إلى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم (قال بعضهم) إذا دأيت الفقير الفه بالرفق ولاتلقه بالعلم فان الرفق يؤنسه والعلم يوحشه فاذا فعل الشيخ هذا المعنى من الرفق يتدرج المريد ببركة ذلك إلي الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم * ومن آداب الشيوخ التعطف على الأصحاب وقضاء حقوقهم في الصحة والمرض ولايترك حقوقهم اعتمادا على ارائهم وصدقهم قال بعضهم لاتضيع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة (وحكى) عن الجريرى قال وافيت من الحج فابتدأت بالجنيد وسلمت عليه وقلت حتي لايتعنى ثم أتيت منزلى فلما صليت الغداة التفت وإذا بالجنيد خلفى فقلت ياسيدى إنما ابتدأت بالسلام عليك لكيلا تتعنى إلى ههنا فقال لى ياأبامحمد هذا حقك وذاك فضلك * ومن آداب الشيوخ انهم إذا علموا من بعض المسترشدين ضعفا فى مراغمة النفس وقهرها واعتماد صدق العزيمة ان يرفقوا به ويوقعوه على حد الرخصة ففى ذلك خير كثير ومادام العبد لايتخطى حريم الرخصة فهو حر ثم إذا ثبت وخالط الفقراء وتدرب فى لزوم الرخصة يدرج بالرفق إلى أوطان العزيمة (قال أبو سعيد بن الاعرابى) كان شاب يعرف بابراهيم الصائغ وكان لابيه نعمة فانقطع إلى الصوفية وصحب أباأحمد القلانسى فربما كان يقع بيد أبي أحمد شيء من الدراهم فكان يشترى له الرقاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول هذا خرج من الدنيا وقد تعود النعمة فيجب ان نرفق به ونؤثره على غيره * ومن آداب الشيوخ التنزه عن مال المريد وخدمته والارتفاق من جانبه بوجه من الوجوه لانه جاء لله تعالى فيجعل نفعه وارشاده خالصا لوجه الله تعالي فما يسدى الشيخ للمريد من أفضل الصدقات (وقد ورد) ماتصدق متصدق بصدقة أفضل من علم يبثه فى الناس وقد قال الله تعالي تنبيها على خلوص ماله وحراسته من الشوائب إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا فلا ينبغى للشيخ أن يطلب على صدقته جزاء الاأن يظهر له فى شيء من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى فى قبول الرفق منه أوصلاح يتراءى للشيخ فى حق المريد بذلك فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمته لمصلحة تعود على المريد .

مأمونة الغائلة من جانب الشيخ قال الله تعالى يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم معنى يحفكم أى يجهدكم ويلح عليكم قال قتادة علم الله تعالى ان فى خروج المال اخراج الاضغان وهذا تأديب من الله الكريم والأدب أدب الله * قال جعفر الخلدى جاء رجل إلى الجنيد وأراد أن يخرج عن ماله كله ويجلس معهم على الفقر فقال له الجنيد لا تخرج من مالك كله احبس منه مقدار ما يكفيك واخرج الفضل وتقوت بما حبست واجتهد فى طلب الحلال لا تخرج كل ما عندك فلست امن عليك ان تطالبك نفسك * وكان النبي عليه السلام إذا أراد أن يعمل عملا تثبت وقد يكون الشيخ يعلم من حال المريد انه إذا خرج من الشيء يكسبه من الحال ما لا يتطلع به إلى المال فحينئذ يجوز له ان يفسح للمريد فى الخروج من المال كما فسح رسول الله ﷺ لابى بكر وقبل منه جميع ماله (ومن آداب الشيخ) إذا رأى من بعض المريدين مكروها أو علم من حاله اعوجاجا أو أحس منه بدعوى أو رأى انه داخله عجب ان لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم مع الأصحاب ويشير إلى المكروه الذي يعلم ويكشف عن وجه المذمة مجملا فتحصل بذلك الفائدة للكل فهذا أقرب إلى المدارة وأكثر أثر التالف القلوب وإذا رأى من المريد تقصيرا في خدمة ندبه إليها تحمل تقصيره ويعفو عنه ويحرضه على الخدمة بالرفق واللين وإلى ذلك ندب رسول الله ﷺ فيما أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن على قال أنا أبو الفتح الكروخى قراءة عليه قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا قتيبة قال حدثنا رشدين بن سعد عن أبي هلال الخولاني عن ابن عباس بن جليد الحجرى عن عبد الله ابن عمر قال جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة * وأخلاق المشايخ مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحق الناس باحياء سنته في كل ما أمر وندب وأنكر وأوجب (ومن جملة مهام الآداب) حفظ اسرار المريدين فيما يكاشفون به ويمنحون من أنواع المنح فسر المريد لا يتعدى ربه وشيخه ثم يحقر الشيخ فى نفس المريد ما يجده فى خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شىء من خوارق العادات ويعرفه أن

الوقوف مع شيء من هذا يشغل عن الله ويسد باب المزيد بل يعرفه ان هذه نعمة تشكر ومن ورائها نعم لا تحصى ويعرفه ان شأن المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره فاذاعة الأسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر الموجب لاذاعة السر يوصف به النسوان وضعفاء العقول من الرجال وسبب اذاعة السر ان للانسان قوتين آخذة ومعطية وكلتاهما تتشوف الى الفعل المختص بها ولولا ان الله تعالي وكل المعطية باظهار ما عندها ما ظهرت الأسرار فكامل العقل كلما طلبت القوة الفعل قيدها ووزنها بالعقل حتى يضعها فى مواضعها فيجل حال الشيوخ من اذاعة الأسرار لرزانة عقولهم وينبغى للمريد أن يحفظ سره من بثه ففى ذلك صحته وسلامته وتأييد الله سبحانه وتعالى له بتدارك المريدين الصادقين فى موردهم ومصدرهم

﴿ الباب الثالث والخمسون فى حقيقة الصحبة
وما فيها من الخير والشر ﴾

المقتضى للصحبة وجود الجنسية وقد يدعو اليها أعم الأوصاف وقد يدعو اليها أخص الاوصاف فالدعاء بأعم الأوصاف كميل جنس البشر بعضهم إلى بعض والدعاء بأخص الأوصاف كميل أهل كل ملة بعضهم إلى بعض ثم أخص من ذلك كميل أهل الطاعة بعضهم إلى بعض وكميل أهل المعصية بعضهم إلى بعض فاذا علم هذا الأصل وان الجاذب إلى الصحبة وجود الجنسية بالأعم تارة وبالأخص أخرى فليتفقد الانسان نفسه عند الميل إلى صحبة شخص وينظر ما الذى يميل به إلى صحبته ويزن أحوال من يميل اليه بميزان الشرع فان رأى أحواله مسددة فليبشر نفسه بحسن الحال فقد جعل الله تعالي مرآته مجلوة يلوح له فى مرآة أخيه جمال حسن الحال وإن رأى أفعاله غير مسددة فيرجع إلي نفسه باللائمة والاتهام فقد لاح له فى مرآة أخيه سوء حاله فبالجدير أن يفر منه كفراره من الأسد فانهما إذا اصطحبا ازدادا ظلمة واعوجاجا ثم إذا علم من صاحبه الذى مال اليه حسن الحال وحكم لنفسه بحسن الحال طالع ذلك فى مرآة أخيه فليعلم ان الميل بالوصف الأعم مركوز فى جبلته والميل بطريقه واقع وله بحسبه أحكام والنفس

بسببه سكون وركون فيسلب الميل بالوصف الأعم جدوى الميل بالوصف الأخص ويصير بين المتصاحبين استرواحات طبيعية وتلذذات جبلية لا يفرق بينها وبين خلوص الصحبة لله الا العلماء الزاهدون وقد ينفسد المريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما ينفسد بأهل الفساد ووجه ذلك ان أهل الفساد علم فساد طريقهم فأخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم فمال اليهم بجنسية الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله فاكتسب من طريقهم الفتور فى الطلب عن بلوغ الارب فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة ويأخذ من الصحبة أصفى الأقسام ويذر منها مايسد فى وجهه المرام قال بعضهم هل رأيت شرا قط الا ممن تعرف ولهذا المعنى أنكر طائفة من السلف الصحبــة ورأوا الفضيلة فى العزلة والوحدة كابراهيم بن أدهم وداود الطائي وفضيل بن عياض وسليمان الخواص (وحكى) عنه أنه قيل له جاء ابراهيم بن أدهم أما تلقاه قال لأن ألقى سبعاً ضاريا أحب إلي من أن ألقى ابراهيم بن أدهم قال لأني إذا رأيته أحسن له كلامى وأظهر نفسى باظهار أحسن أحوالها وفى ذلك الفتنة وهذا كلام عالم بنفسه وأخلاقها وهذا واقع بين المتصاحبين الا من عصمه الله تعـالى (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقى اجازة قال أنا الحافظ أبو بكر محمد بن احمد قال أنا أبو القاسم اسمعيل بن مسعدة قال أنا أبو عمرو محمد بن عبدالله بن احمد قال أنا أبو سليمان احمد ابن محمد الخطابي قال أنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق قال حدثنا سليمان بن الأشعث قال حدثنا عبدالله بن مسلمة عن مالك عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه عن الفتن قال الله تعالى اخبارا عن خليله ابراهيم (وأعتزلـكم وما تدعون من دون الله وادعو ربى) استظهر بالعزلة على قومه (قيل) العزلة نوعان فريضة وفضيلة فالفريضة العزلة عن الشر وأهله والفضيلة عزلة الفضول وأهله ويجوز أن يقال الخلوة غير العزلة فالخلوة من الاغيــار والعزلة من النفس وتدعو اليه ومايشغل عن الله فالخلوة كثيرة الوجود والعزلة قليلة الوجود قال أبو بكر الوراق ماظهرت الفتنة إلا بالمخلطة من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا

وما سلم إلا من جانب الخلطة وقيل السلامة عشرة أجزاء تسعة في الصمت وواحدة في العزلة وقيل الخلوة أصل والخلطة عارض فليلزم الأصل ولا يخالط الا بقدر الحاجة وإذا خالط لايخالط إلا بحجة وإذا خالط يلازم الصمت فانه أصل والكلام عارض ولا يتكلم إلا بحجة فخطر الصحبة كثير يحتاج العبد فيه إلى مزيد علم والأخبار والآثار في التحذير عن الخلطة والصحبة كثيرة والكتب بها مشحونة وأجمع الأخبار في ذلك ما أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح باسناده السابق الى أبي سليمان قال حدثنا احمد بن سلمان النجاد قال حدثنا محمد بن يونس الكريمي قال حدثنا محمد ابن منصور الجشمي قال حدثنا مسلم بن سالم قال حدثنا السري بن يحيى عن الحسن عن أبي الأحوص عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ليأتين على الناس زمان لايسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذى يروغ قالوا ومتى ذلك يارسول الله قال إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يارسول الله وقد أمرتنا بالتزوج قال انه إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فان لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده فان لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يد قرابته قالوا وكيف ذلك يارسول الله قال يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف مالا يطيق حتي يورده موارد الهلكة * وقد رغب جمع من السلف في الصحبة والاخوة في الله ورأوا ان الله تعالى من على أهل الايمان حيث جعلهم اخوانا فقال سبحانه وتعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) وقال تعالى (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) وقد اختار الصحبة والاخوة في الله تعالى سعيد بن المسيب وعبدالله بن المبارك وغيرهما وفائدة الصحبة انها تفتح مسام الباطن ويكتسب الانسان بها علم الحوادث والعوارض (قيل) أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفات ويتصلب الباطن برزين العلم ويتمكن الصدق بطريق هبوب الآفات ثم التخلص منها بالايمان ويقع بطريق الصحبة والاخوة التعاضد والتعاون وتتقوى جنود القلب وتستروح الأرواح بالتشام وتتفق في التوجه الى الرفيق الأعلى ويصير مثالها

فى الشاهد كالأصوات اذا اجتمعت خرقت الاجرام واذا تفردت قصرت عن بلوغ المرام * ورد فى الخبر عن رسول الله ﷺ المؤمن كثير بأخيه وقال الله تعالى مخبرا عمن لاصديق له فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والحميم فى الأصل الهميم إلا انه أبدلت الهاء بالحاء لقرب مخرجهما إذ هما من حروف الحلق والهميم مأخوذ من الاهتمام أى يهتم بأمر أخيه فالاهتمام بهم الصديق حقيقة الصداقة وقال عمر إذا رأى أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقد قال القائل

وإذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد

وأوحى الله تعالى إلي داود عليه السلام قال ياداود مالى أراك منتبذ وحدك قال إلهى قليت الخلق من أجلك فأوحى الله اليه ياداود كن يقظانا مرتادا لنفسك اخوانا وكل خدن لا يوافق على مسرتي فلا تصحبه فانه عدو يقسى قلبك ويباعدك منى وقد ورد فى الخبر ان أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون فالمؤمن آلف مألوف وفى هذا دقيقة وهى أنه ليس من اختار العزلة والوحدة لله يذهب عنه هذا الوصف فلا يكون آلفا مألوفا فان هذه الاشارة من رسول الله ﷺ الى الخلق الجبلى وهذا الخلق يكمل فى كل من كان أتم معرفة ويقينا وأرزن عقلا وأتم أهلية واستعدادا وكان أوفر الناس حظا من هذا الوصف الأنبياء ثم الأولياء وأتم الجميع فى هذا نبينا صلوات الله عليه وكل من كان من الأنبياء أتم ألفة كان أكثر تبعا ونبينا ﷺ كان أكثرهم ألفة وأكثرهم تبعا وقال تنا كحوا تكثروا فانى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة * وقد نبه الله تعالى على هذا الوصف من رسول الله ﷺ فقال (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وانما طلب العزلة مع وجود هذا الوصف ومن كان هذا الوصف فيه أقوى وأتم كان طلب العزلة فيه أكثر في الابتداء ولهذا المعنى حبب إلي رسول الله ﷺ الخلوة في أول أمره وكان يخلو في غار حراء ويتحنث الليالى ذوات العدد وطلب العزلة لا يسلب وصف كونه آلفا مألوفا وقد غلط في هذا قوم ظنوا ان العزلة تسلب هذا الوصف فتركوا العزلة طلبا لهذه الفضيلة وهذا خطأ وسر طلب العزلة لمن هذا الوصف فيه أتم من الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ما أسلفنا فى أول الباب اذ فى الانسان ميلا الى الجنس بالوصف الأعم فلما علم الحذاق ذلك ألهمهم الله تعالى محبة الخلوة

والعزلة لتصفية النفس عن الميل بالوصف الأعم لترتقى الهمم العالية عن ميل الطباع الي تألف الأرواح فاذا وفوا التصفية حقها اشرأبت الأرواح إلي جنسها بالتألف الأصلي الأولي وأعادها الله تعالى الى الخلق ومخالطتهم مصفاة واستنارت النفوس الطاهرة بأنوار الأرواح وظهرت صفة الجبلة من الألفة المكملة آلفة مألوفة فصارت العزلة من أهم الأمور عند من يألف فيؤلف ومن أدل الدليل على ان الذى اعتزل آلف مألوف حتي يذهب الغلط عن الذى غلط فى ذلك وذم العزلة على الاطلاق من غير علم بحقيقة الصحبة وحقيقة العزلة فصارت العزلة مرغوبا فيها فى وقتها والصحبة مرغوبا فيها فى وقتها قال قال محمد بن الحنفية رحمه الله ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا وكان بشر بن الحرث يقول إذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنسه فالأنيس يهيئه الله للصادقين رفقا من الله تعالي وثوابا للعبد معجلا والأنيس قد يكون مفيدا كالمشايخ وقد يكون مستفيدا كالمريدين فصحيح الخلوة والعزلة لا يترك من غير أنيس فان كان قاصرا يؤنسه الله بمن يتمم حاله به وان كان غير قاصر يقيض الله تعالى له من يؤنسه من المريدين وهذا الأنس ليس فيه ميل بالوصف الأعم بل هو بالله ومن الله وفى الله (روى) عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال المتحابون فى الله على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر الي المتحابين فى الله عز وجل فاذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل وقال أبو ادريس الخولاني لمعاذ انى أحبك فى الله فقال له ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يارسول الله قال المتحابون في الله عز وجل

(وروي) عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال يقول الله عز وجل حقت محبتى للمتحابين في والمتباذلين في والمتصادقين في (أخبرنا) الشيخ أبو الفتح محمد

ابن عبد الباقى اجازة قال أنا احمد بن الحسين بن خيرون قال أنا أبوعبدالله احمد
ابن عبد الله المحاملى قال أنا أبو القاسم عمر بن جعفر بن محمد بن سلام قال أنا
أبواسحق ابراهيم بن اسحق الحربى قال حدثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن سعيد
ابن المسيب ان رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة
والصدقة قالوا وما هو قال اصلاح ذات البين وإياكم والبغضة فانها هى الحالقة
وباسناد ابراهيم الحربى عن عبيدالله بن عمر عن أبى أسامة عن عبدالله بن الوليد
عن عمران بن رباح قال سمعت أبا مسلم يقول سمعت أبا هريرة يقول الخبر وفى
الخبر تحذير عن البغضة وهو أن يجفو المختلى الناس مقتالهم وسوء ظن بهم
وهذا خطأ وانما يريد أن يخلو مقتا لنفسه وعلما بما فى نفسه من الآفات وحذرا
على نفسه من نفسه وعلى الخلق أن يعود عليهم من شره فمن كانت خلوته بهذا
الوصف لايدخل تحت هذا الوعيد والاشارة بالحالقة يعنى ان البغضة حالقة
الدين لأنه نظر إلى المؤمنين والمسلمين بعين المقت (وأخبرنا) الشيخ أبوالفتح
باسناده إلى ابراهيم الحربى قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا أبو عاصم
عن ثور عن خالد بن معدان قال ان لله تعالى ملكا نصفه من نار ونصفه من ثلج
وان من دعائه اللهم فكما ألفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطفىء
النار ولا النار تذيب الثلج ألف بين قلوب عبادك الصالحين وكيف لا تتألف
قلوب الصالحين وقد وجدهم رسول الله ﷺ فى وقته العزيز بقاب قوسين فى
وقت لايسعه فيه شيء للطف حال الصالحين وجدهم فى ذلك المقام العزيز وقال
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهم مجتمعون وان كانوا متفرقين وصحبتهم
لازمة وعزيمتهم فى التواصل فى الدنيا والآخرة جازمة * وعن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه لو ان رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب فى الله
ولم يبغض فيه مانفعه ذلك (أخبرنا) رضى الدين احمد بن اسمعيل بن يوسف اجازة
ان لم يكن سماعا قال أنا أبو المظفر عن والده أبي القاسم القشيرى قال سمعت
أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبدالله بن المعلم يقول سمعت أبا بكر التلمسانى
يقول اصحبوا مع الله فان لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم

بركة صحبتهم إلى صحبة الله (وأخبرنا) شيخنا ضياء الدين أبو النجيب اجازة قال أنا عمر بن احمد الصفار النيسابوري اجازة قال أنا أبو بكر احمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا نصر الاصفهاني يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول سمعت على بن سهل يقول الأنس بالله تعالى أن تستوحش من الخلق الا من أهل ولاية الله فان الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله وقد نبه (القائل) نظما على حقيقة جامعة لمعاني الصحبة والخلوة وفائدتهما وما يحذر فيهما بقوله

وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير من قعود المرء وحده

﴿الباب الرابع والخمسون فى أدب حقوق الصحبة والاخوة في الله تعالى﴾

قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى)وقال تعالى (وتواصوا بالحق وتواصوا بالمرحمة) وقال فى وصف أصحاب رسول الله ﷺ أشداء على الكفار رحماء بينهم وكل هذه الآيات تنبيه من الله تعالى للعباد على آداب حقوق الصحبة فمن اختار صحبة أو اخوة فأدبه فى أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسئلة والدعاء والتضرع ويسأل البركة فى الصحبة فانه يفتح على نفسه بذلك إما بابا من أبواب الجنة وإما بابا من أبواب النار فان كان الله تعالى يفتح بينهما خيرا فهو باب من أبواب الجنة قال الله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) وقيل إن أحد الاخوين فى الله تعالي يقال له ادخل الجنة فيسأل عن منزل فان كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله فان قيل له لم يكن يعمل مثل عملك فيقول إني كنت أعمل لى وله فيعطى جميع مايسأل لأخيه ويرفع أخوه إلي درجته وإن فتح الله تعالى عليهما بالصحبة شرا فهو باب من أبواب النار قال الله تعالى (ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) وإن كانت الآية وردت فى قصة مشهورة ولكن الله تعالي نبه بذلك عباده على الحذر من كل خليل يقطع عن الله واختيار الصحبة والاخوة اتفاقا من غير نية فى ذلك وتثبت في أول الأمر شأن أرباب الغفلة الجاهلين بالنيات والمقاصد والمنافع والمضار وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى كلام لو هل يفسد الناس إلا الناس فالفساد

بالصحبة متوقع والصلاح متوقع وماهذا سبيله كيف لايحذر فى أوله ويحكم الأمر فيه بكثرة اللجأ إلى الله تعالى وصدق الاختيار وسؤال البركة والخيرة فى ذلك وتقديم صلاة الاستخارة ثم إن اختيار الصحبة والاخوة عمل وكل عمل يحتاج إلى النية وإلى حسن الخاتمة وقد قال عليه الصلاة والسلام فى الخبر الطويل سبعة يظلهم الله تعالى فمنهم اثنان تحابا فى الله فعاشا على ذلك وماتا عليه اشارة إلى أن الاخوة والصحبة من شرطهما حسن الخاتمة حتى يكتب لهما ثواب المؤاخاة ومتى أفسد المؤاخاة بتضييع الحقوق فيها فسد العمل من الأول (قيل) ماحسد الشيطان متعاونين على بر حسده متآخيين فى الله متحابين فيه فانه يجهد نفسه ويحث قبيله على افساد ما بينهما (وكان) الفضيل يقول إذا وقعت الغيبة ارتفعت الاخوة والاخوة فى الله تعالى مواجهة قال الله تعالى (اخوانا على سرر متقابلين) ومتى أضمر أحدهما للآخر سوأ أوكره منه شيئاً ولم ينبهه عليه حتى يزيله أو يتسبب إلى إزالته منه فما واجهه بل استدبره (قال الجنيد) رحمه الله ماتواخى اثنان فى الله واستوحش أحدهما من صاحبه إلا لعلة في أحدهما فالمؤاخاة فى الله أصفى من الماء الزلال وما كان لله فالله مطالب بالصفاء فيه وكل ماصفا دام والأصل فى دوام صفائه عدم المخالفة قال رسول الله ﷺ لاتمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه (قال أبوسعيد الخراز) صحبت الصوفية خمسين سنة ماوقع بيني وبينهم خلاف فقيل له وكيف ذلك قال لأني كنت معهم على نفسي (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب السهروردي اجازة قال أنا عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت عبدالله الداراني قال سمعت أبا عمرو الدمشقي الرازي يقول سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول وقد سأله رجل على أى شرط أصحب الخلق فقال إن لم تبرهم فلا تؤذهم وإن لم تسرهم فلا تسؤهم (وبهذا الاسناد) قال أبو عبدالله لاتضيع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة والصداقة فان الله تعالى فرض لكل مؤمن حقوقا لم يضيعها إلا من لم يراع حقوق الله عليه ومن حقوق الصحبة إنه إذا وقع فرقة ومباينة لايذكر أخاه إلا بخير (قيل) كان لبعضهم زوجة وكان يعلم منها مايكرهه فكان يقال له استخبارا عن حالها فيقول لاينبغى للرجل أن يقول في أهله إلا خيرا ففارقها وطلقها

فاستخبر عن ذلك فقال امرأة بعدت عني وليست مني في شيء كيف أذكرها وهذا من التخلق بأخلاق الله تعالى أنه سبحانه يظهر الجميل ويستر القبيح وإذا وجد من أحدهما مايوجب التقاطع فهل يبغضه أو لا اختلف القول في ذلك كان أبو ذر يقول إذا انقلب عما كان عليه أبغضه من حيث أحببته وقال غيره لا يبغض الأخ بعد الصحبة ولكن يبغض عمله قال الله تعالى لنبيه ﷺ (فان عصوك فقل إني برىء مما تعملون) ولم يقل إني برىء منكم (وقيل) كان شاب يلازم مجالس أبي الدرداء وكان أبو الدرداء يميزه على غيره فابتلى الشاب بكبيرة من الكبائر وانتهى إلى أبي الدرداء ما كان منه فقيل له لو أبعدته وهجرته فقال سبحان الله لا يترك الصاحب بشيء كان منه (قيل) الصداقة لحمة كلحمة النسب (وقيل) الحكيم مرة أيما أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخي إذا كان صديق وهذا الخلاف في المفارقة ظاهرا وباطناً وأما الملازمة باطناً إذا وقعت المباينة ظاهرا فتختلف باختلاف الأشخاص ولا يطلق القول فيه إطلاقا من غير تفصيل فمن الناس من كان تغيره رجوعا عن الله وظهور حكم سوء السابقة فيجب بغضه وموافقة الحق فيه ومن الناس من كان تغيره عثرة حدثت وفترة وقعت يرجى عوده فلا ينبغي أن يبغض ولكن يبغض عمله في الحالة الحاضرة ويلحظ بعين الود منتظرا له الفرج والعود إلى أوطان الصلح فقد ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام لما شتم القوم الرجل الذى أتى بفاحشة قال مه وزجرهم بقوله ولا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم (وقال) إبراهيم النخعى لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا (وفي الخبر) اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته (وروى) أن عمر رضى الله عنه سأل عن أخ له كان آخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال مافعل أخي فقال له ذاك أخوه الشيطان قال له مه قال له إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر فقال إذا أردت الخروج فاذني قال فكتب إليه (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى فقال صدق الله تعالى ونصح عمر فتاب ورجع وروى أن رسول الله ﷺ رأى ابن عمر يلتفت يمينا وشمالا فسأله فقال يارسول الله آخيت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال

ياعبد الله إذا آخيت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته وكان يقول ابن عباس رضى الله عنهما مااختلف رجل إلى مجلسى ثلاثا من غير حاجة تكون له فعلمت ما مكافأته فى الدنيا وكان يقول سعيد ابن العاص لجليسى على ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وعلامة خلوص المحبة لله تعالى أن لا يكون فيها شائبة حظ عاجل من رفق أو احسان فان ما كان معلولا يزول بزوال علته ومن لا يستند فى خلته إلى علة يحكم بدوام خلته ومن شرط الحب فى الله إيثار الأخ بكل مايقدر عليه من أمر الدين والدنيا قال الله تعالى يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقوله تعالى لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي لا يحسدون اخوانهم على ما لهم وهذان الوصفان بهما يكمل صفو المحبة أحدهما انتزاع الحسد على شيء من أمر الدين والدنيا والثانى الايثار بالمقدور وفى (الخبر) عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام المرء على دين خليله ولا خير لك فى صحبة من لا يرى لك مثل مايرى لنفسه (وكان) يقول أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير منى قيل وكيف ذاك قال كلهم يرى لى الفضل عليه ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى ولبعضهم نظما :

تذلل لمن ان تذللت له يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لم يزل على الأصدقاء يرى الفضل له

﴿ الباب الخامس والخمسون فى آداب الصحبة والاخوة ﴾

سئل أبو حفص عن أدب الفقراء فى الصحبة فقال حفظ حرمات المشايخ وحسن العشرة مع الاخوان والنصيحة للأصاغر وترك صحبة من ليس فى طبقتهم وملازمة الايثار ومجانبة الادخار والمعاونة في أمر الدين والدنيا فمن أدبهم التغافل عن زلل الاخوان والنصح فيما يجب فيه النصيحة وكتم عيب صاحبه واطلاعه على عيب يعلم منه قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه رحمه الله امرأ أهدى إلى عيوبي وهذا فيه مصلحة كلية تكون للشخص ممن ينبهه على عيوبه قال جعفر بن برقان قال لى ميمون ابن مهران قل لى فى وجهى ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتي لا يقول له فى

وجهه مايكرهه فان الصادق يحب من يصدقه والكاذب لايحب الناصح قال الله تعالى (ولكن لاتحبون الناصحين) والنصيحة ما كانت فى السر * ومن آداب الصوفية القيام بخدمة الاخوان واحتمال الأذى منهم فبذلك يظهر جوهر الفقير روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بقلع ميزاب كان فى دار العباس بن عبدالمطلب إلي الطريق بين الصفا والمروة فقال له العباس قلعت ما كان رسول الله ﷺ وضعه بيده فقال إذا لا يرده إلي مكانه غير يدك ولا يكون لك سلم غير عاتق عمر فأقامه على عاتقه ورده إلى موضعه ومن أدبهم أن لا يرون لنفسهم ملكا يختصون به قال إبراهيم ابن شيبان كنا لا نصحب من يقول نعلى (أخبرنا) بذلك رضى الدين عن أبى المظفر عن والده أبي القاسم القشيرى قال سمعت أبا حاتم الصوفى قال سمعت أبانصر السراج يقول ذلك وقال أحمد بن القلانسى دخلت على قوم من الفقراء يوما بالبصرة فا كرموني وبجلوني فقلت يوما لبعضهم أين ازاري فسقطت من أعينهم (وكان) إبراهيم بن أدهم إذا صحبه انسان شارطه على ثلاثة أشياء أن تكون الخدمة والأذان له وان تكون يده فى جميع مايفتح الله عليهم من الدنيا كيده فقال رجل من أصحابه أنا لا أقدر على هذا فقال اعجبنى صدقك (وكان) إبراهيم بن أدهم ينظر البساتين ويعمل فى الحصاد وينفق على أصحابه (وكان) من أخلاق السلف ان كل من احتاج إلي شيء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة قال الله تعالى وأمرهم شورى بينهم أى مشاع هم فيه سواء ومن أدبهم أنهم إذا استثقلوا صاحبا يتهمون أنفسهم ويتسببون فى إزالة ذلك من مواطنهم لأن انطواء الضمير على مثل ذلك للمصاحب وليجة فى الصحبة * قال أبو بكر الكتاني صحبنى رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له شيئاً بنية أن يزول ثقله من قلبي فلم يزل فخلوت به يوما وقلت له وضع رجلك على خدى فأبي فقلت له لابد من ذلك ففعل ذلك فزال ما كنت أجده فى باطنى قال الرقى قصدت من الشام إلى الحجاز حتى سألت الكتانى عن هذه الحكاية * ومن أدبهم تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له فى المجلس والايثار بالموضع روى أن رسول الله ﷺ كان جالسا فى صفة ضيقة فجاءه قوم من البدريين فلم يجدوا موضعا يجلسون فيه فأقام رسول الله ﷺ من لم يكن من أهل بدر فجلسوا مكانهم فاشتد

ذلك عليهم فأنزل الله تعالى (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) الآية (وحكى) أن على بن بندار الصوفى ورد على أبى عبد الله بن خفيف زائرا فتماشيا فقال له أبو عبد الله تقدم فقال بأى عذر فقال بأنك لقيت الجنيد وما لقيته ومن أدبهم ترك صحبة من همه شىء من فضول الدنيا قال الله تعالى (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا) ومن أدبهم بذل الانصاف للاخوان وترك مطالبة الانصاف قال أبو عثمان الحيرى حق الصحبة أن توسع على أخيك من مالك ولا تطمع فى ماله وتنصفه من نفسك ولا تطلب منه الانصاف منه وتكون تبعا له ولا تطمع أن يكون تبعا لك وتستكثر ما يصل إليك منه وتستقل ما يصل إليه منك * ومن أدبهم فى الصحبة لين الجانب وترك ظهور النفس بالصولة قال أبو على الروذبارى الصولة على من فوقك قحة وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز * ومن أدبهم أن لا يجري فى كلامهم لو كان كذا لم يكن كذا وليت كان كذا وعسى أن يكون كذا فانهم يرون هذه التقديرات عليه اعتراضا * ومن أدبهم فى الصحبة حذر المفارقة والحرص على الملازمة (قيل) صحب رجل رجلا ثم أراد المفارقة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لا تصحب أحدا إلا إذا كان فوقنا وإن كان فوقنا أيضا فلا تصحبه لأنك صحبتنا أولا فقال الرجل زال عن قلبي نية المفارقة * ومن أدبهم التعطف على الأصاغر (قيل) كان إبراهيم بن أدهم يعمل فى الحصاد ويطعم الأصحاب وكانوا يجتمعون بالليل وهم صيام وربما كان يتأخر فى بعض الأيام فى العمل فقالوا ليلة تعالوا نأكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا يسرع فافطروا وناموا فرجع إبراهيم فوجدهم نياما فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام فعمد إلي شىء من الدقيق فعجنه فانتبهوا وهو ينفخ فى النار واضعا محاسنه على التراب فقالوا له فى ذلك فقال قلت لعلكم لم تجدوا فطورا فنمتم فقالوا أنظروا بأى شىء عاملناه وبأى شىء يعاملنا * ومن أدبهم أن لا يقولوا عند الدعاء إلى أين ولم وبأي سبب قال بعض العلماء إذا قال الرجل للصاحب قم بنا فقال إلى أين فلا يصحبه * وقال آخر من قال لأخيه أعطنى من مالك فقال كم تريد ما قام بحق الاخاء وقد قال الشاعر :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم للنائبات على ما قال برهانا

ومن أدبهم أن لايتكلفوا للاخوان قيل لما ورد أبوحفص العراق تكلف له الجنيد أنواعا من الأطعمة فانكر ذلك أبوحفص وقال صير أصحابي مثل المخانيث يقدم لهم الألوان والفتوة عندنا ترك التكلف واحضار ماحضر فان بالتكلف ربما يؤثر مفارقة الضيف وبترك التكلف يستوى مقامه وذهابه ومن أدبهم فى الصحبة المداراة وترك المداهنة وتشتبه المداراة بالمداهنة والفرق بينهما ان المداراة ماأردت به صلاح أخيك فداريته لرجاء صلاحه واحتملت منه ماتكره والمداهنة ماقصدت به شيئا من الهوى من طلب حظ أو إقامة جاه * ومن أدبهم فى الصحبة رعاية الاعتدال بين الانقباض والانبساط نقل عن الشافعى رحمه الله انه قال الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط * ومن أدبهم ستر عورات الاخوان قال عيسى عليه السلام لاصحابه كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما فكشف الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه فقال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا قال أحدكم يسمع فى أخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها * ومن أدبهم الاستغفار للاخوان بظهر الغيب والاهتمام لهم مع الله تعالى في دفع المكاره عنهم (حكى) ان أخوين ابتلى أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه فقال انى ابتليت بهوى فان شئت ان لاتعقد على محبتى لله فافعل فقال ما كنت لاجل عقد أخائك لاجل خطيئتك وعقد بينه وبين الله عقدا أن لايأكل ولايشرب حتى يعافيه الله تعالى من هواه وطوى أربعين يوما كلما يسأله عن هواه يقول مازال فبعد الأربعين أخبره ان الهوى قد زال فأكل وشرب * ومن أدبهم أن لايحوجوا صاحبهم إلى المدارة ولايلجؤه إلى الاعتذار ولايتكلفوا للصاحب مايشق عليه بل يكونوا للصاحب من حيث هو مؤثرين مراد الصاحب على مراد أنفسهم * قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه شر الأصدقاء من أحوجك إلى مدارة أو ألجاك إلى اعتذار وتكلف له (وقال) جعفر الصادق أثقل اخوانى على من يتكلف لي وأتحفظ منه واخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدى فآداب الصحبة وحقوق الاخوة كثيرة والحكايات فى ذلك يطول نقلها وقد رأيت فى كتاب الشيخ أبى طالب المكى

رحمه الله من الحكايات فى هذا المعنى شيئا كثيرا فقد أودع كتابه كل شيء حسن من ذلك وحاصل الجميع ان العبد ينبغى له أن يكون لمولاه ويريد كل مايريد لمولاه لا لنفسه وإذا صاحب شخصا تكون صحبته اياه لله تعالى وإذا صحبه لله تعالى يجتهد له فى كل شيء يزيده عند الله زلفى وكل من قام بحقوق الله تعالى يرزقه الله تعالى علما بمعرفة النفس وعيوبها ويعرفه محاسن الأخلاق ومحاسن الآداب ويوقفه من اداء الحقوق على بصيرة ويوفقه فى ذلك كله ولايفوته شيء مما يحتاج إليه فيما يرجع إلي حقوق الحق وفيما يرجع إلى حقوق الخلق لكل تقصير وجد من خبث النفس وعدم تزكيتها وبقاء صفاتها عليه فان صحبت ظلمت بالافراط تارة وبالتفريط أخري وتعدت الواجب فيما يرجع إلي الحق والخلق والحكايات والمواعظ والاداب وسماعها لا يعمل فى النفس زيادة تأثير ويكون كبئر يقلب فيه الماء من فوق فلا يمكث فيه ولا ينتفع به وإذا أخذت بالتقوى والزهد فى الدنيا نبع منها ماء الحياء وتفقهت وعلمت وأدت الحقوق وقامت بواجب الاداب بتوفيق الله سبحانه وتعالى

﴿ الباب السادس والخمسون فى معرفة الانسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك ﴾

حدثنا شيخنا أبو النجيب السهروردى قال أنا الشريف نور الهدى أبو طالب الزينى قال أنا كريمة المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم الكشميهنى قال أخبرنا أبو عبد الله الفربرى قال أنا أبو عبد الله البخارى قال حدثنا عمر بن حفص قال حدثنا أبي قال حدثنا الأعمش قال حدثنا زيد بن وهب قال حدثنا عبد الله قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله تعالى إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة وان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين أى حريز

لاستقرارها فيه إلي بلوغ امدها ثم قال بعد ذكر تقلباته ثم انشأناه خلقا آخر قبل هذا الانشاء نفخ الروح فيه واعلم ان الكلام في الروح صعب المرام والامساك عن ذلك سبيل ذوى الاحلام وقد عظم الله تعالي شأن الروح واسجل على الخلق بقلة العلم حيث قال وماأوتيتم من العلم إلا قليلا وقد أخبرنا الله تعالى فى كلامه عن اكرامه بنى آدم فقال (ولقد كرمنا بنى آدم) وروى انه لما خلق الله تعالي آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان فمع هذه الكرامة واختياره سبحانه وتعالى اياهم على الملائكة لما أخبر عن الروح أخبر عنهم بقلة العلم وقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى الخ قال ابن عباس قال اليهود للنبي عليه السلام أخبرنا ماالروح وكيف تعذب الروح التى فى الجسد وإنما الروح من أمر الله ولم يكن نزل إليه فيه شيء فلم يجبهم فأتاه جبرائيل بهذه الآية وحيث امسك رسول الله ﷺ عن الاخبار عن الروح وماهيته باذن الله تعالى ووحيه وهو صلوات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة فكيف يسوغ لغيره الخوض فيه والاشارة إليه لاجرم لما تقاضت الأنفس الانسانية المتطالعة إلي الفضول المتشوفة إلي المعقول المتحركة بوضعها بالسكون فيه والمتسورة بحرصها إلى كل تحقيق وكل تمويه واطلقت عنان النظر فى مسارح الفكر وخاضت غمرات معرفة ماهية الروح تاهت فى التيه وتنوعت اراؤها فيه ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل فى شيء كالاختلاف فى ماهية الروح ولو لزمت النفوس حدها معترفة بعجزها كان ذلك اجدر بها وأولي فأما أقاويل من ليس متمسكا بالشرائع فننزه الكتاب عن ذكرها لانها أقوال ابرزتها العقول التى ضلت عن الرشاد وطبعت على الفساد ولم يصبها نور الاهتداء ببركة متابعة الأنبياء فهم كما قال الله تعالي كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لايستطيعون سمعا وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فلما حجبوا عن الانبياء لم يسمعوا وحيث لم يسمعوا لم يهتدوا فأصروا على الجهالات وحجبوا بالمعقول عن المأمول والعقل حجة الله تعالى يهدى به قوما ويضل به قوما آخرين

فلم تنقل أقوالهم فى الروح واختلافهم فيــه وأما المستمسكون بالشرائع الذين تكلموا فى الروح فقوم منهم بطريق الاستدلال والنظر وقوم منهم بلسان الذوق والوجد لاباستعمال الفكر حتى تكلم فى ذلك مشايخ الصوفية أيضا وكان الأولى الامساك عن ذلك والتأدب بأدب النبي عليه السلام * وقد قال الجنيد الروح شيء استاثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه باكثر من موجود ولكن نجعل للصادقين محملا لاقوالهم وأفعالهم ويجوز ان يكون كلامهم في ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى والآيات المنزلة حيث حرم تفسيره وجوز تأويله اذلا يسع القول فى التفسير الا نقل وأما التأويل فتمتد العقول اليه بالباع الطويل وهو ذكر مايحتمل الاية من المعنى من غير القطع بذلك واذا كان الأمر كذلك فللقول فيه وجه ومحل قال أبو عبد الله النباجى الروح جسم يلطف عن الحس ويكبر عن اللمس ولايعبر عنه بأكثر من موجود وهو وان منع عن العبارة فقد حكم بانه جسم فكانه عبر عنه وقال ابن عطاء خلق الله الارواح قبل الاجساد لقوله تعالى ولقد خلقناكم يعنى الارواح ثم صورناكم يعنى الاجساد وقال بعضهم الروح لطيف قائم فى كثيف كالبصر جوهر لطيف قائم فى كثيف وفي هذا القول نظر وقال بعضهم الروح عبارة والقائم بالاشياء هو الحق وهذا فيه نظر أيضا الاأن يحمل على معنى الاحياء فقد قال بعضهم الاحياء صفة المحيي كالتخليق صفة الخالق وقال قل الروح من أمر ربى وأمره كلامه وكلامه ليس بمخلوق أى صار الحى حيا بقوله كن حيا وعلى هذا لا يكون الروح معنى فى الجسد فمن الاقوال مايدل على ان قائله يعتقد قدم الروح ومن الاقوال مايدل على انه يعتقد حدوثه ثم ان الناس مختلفون فى الروح الذى سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال قوم هو جبرائيل ونقل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنــه انه قال هو ملك من الملائكة له سبعون الف وجه ولكل وجه منه سبعون الف لسان ولكل لسان منه سبعون الف لغة يسبح الله تعالي بتلك اللغات كلها ويخلق من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة وروى عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ان الروح خلق من خلق الله صورهم على صورة بنى آدم ومانزل من السماء ملك

الا ومعه واحد من الروح وقال أبو صالح الروح كهيئة الانسان وليسوا بناس وقال مجاهد الروح على صورة بنى آدم لهم ايد وأرجل ورؤس يأكلون الطعام وليسوا بملائكة وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبلغ السموات والأرضين السبع فى لقمة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش والملائكة معه فى صف واحد وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور احرق أهل السموات من نوره فهذه الاقاويل لاتكون الا نقلا وسماعا بلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك واذا كان الروح المسؤل عنه شيئا من هذا المنقول فهو غير الروح الذى فى الجسد فعلى هذا يسوغ القول فى هذا الروح ولا يكون الكلام فيه ممنوعا وقال بعضهم الروح لطيفة تسرى من الله الى اماكن معروفة لايعبر عنه بأكثر من موجود بايجاد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج من كن لانه لو خرج من كن كان عليه الذل قيل فمن أى شيء خرج قال من بين جماله وجلاله سبحانه وتعالي بملاحظة الاشارة خصها بسلامه وحياها بكلامه فهى معتقة من ذل كن (وسئل) أبو سعيد الخراز عن الروح أمخلوقة هى قال نعم ولولا ذلك ما أقرت بالربوبية حيث قالت بلى والروح هى التى قام بها البدن واستحق بها اسم الحياة وبالروح ثبت العقل وبالروح قامت الحجة ولو لم يكن الروح كان العقل معطلا لاحجة عليه ولا له وقيل انها جوهر مخلوق ولكنها ألطف المخلوقات وأصفى الجواهر وأنورها وبها تتراءى المغيبات وبها يكون الكشف لأهل الحقائق وإذا حجبت الروح عن مراعاة السير أساءت الجوارح الأدب ولذلك صارت الروح بين تجل واستتار وقابض ونازع وقيل الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء وقيل الأرواح أقسام أرواح تجول فى البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والملائكة وتسمع ماتتحدث به فى السماء عن أحوال الآدميين وأرواح تحت العرش وأرواح طيارة الى الجنان وإلى حيث شاءت على أقدرها من السعى إلى الله أيام الحياة وروى سعيد بن المسيب عن سلمان قال أرواح المؤمنين تذهب فى برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردها الى جسدها وقيل اذا

ورد على الأرواح ميت من الأحياء التقوا وتحدثوا وتساءلوا ووكل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء حتى اذا عرض على الأموات ما يعاقب به الأحياء في الدنيا من أجل الذنوب قالوا نعتذر إلى الله ظاهرا عنه فانه لا أحد أحب اليه العذر من الله تعالى وقد ورد في الخبر عن النبي ﷺ تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا فاتقوا الله تعالى ولا تؤذوا موتاكم وفي خبر آخر ان أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فان كان حسنا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وهذه الأخبار والأقوال تدل على انها أعيان في الجسد وليست بمعان واعراض (سئل) الواسطي لأي علة كان رسول الله ﷺ أحلم الخلق قال لأنه خلق روحه أولا فوقع له صحبة التمكن والاستقرار ألا تراه يقول كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد أي لم يكن روحاً ولا جسدا وقال بعضهم الروح خلق من نور العزة وإبليس من نار العزة ولهذا قال خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدر ان النور خير من النار فقال بعضهم قرن الله تعالى العلم بالروح فهي للطافتها تنمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء وهذا في علم الله لأن علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والمختار عند أكثر متكلمي الاسلام ان الانسانية والحيوانية عرضان خلقا في الانسان والموت بعدمهما وان الروح هي الحياة بعينها صار البدن بوجودها حيا وبالاعادة اليه في القيامة يصير حيا وذهب بعض متكلمي الاسلام الى انه جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة لاشتباك الماء بالعود الأخضر وهو اختيار أبي المعالي الجويني وكثير منهم مال الى انه عرض الا انه ردهم عن ذلك الاخبار الدالة على انه جسم لما ورد فيه من العروج والهبوط والتردد في البرزخ فحيث وصف بأوصاف دل على انه جسم لأن العرض لا يوصف بأوصاف إذ الوصف معنى والمعنى لا يقوم بالمعنى واختار بعضهم انه عرض (سئل) ابن عباس رضي الله عنهما قيل أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان فقال أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الأدهان قيل له فأين تذهب الجسوم إذا بليت قال فأين تذهب لحمها إذا مرضت وقال بعض

من يتهم بالعلوم المردودة المذمومة وينسب الى الاسلام الروح تنفصل من البدن في جسم لطيف وقال بعضهم انها اذا فارقت البدن تحل معها القوة الوهمية بتوسط النطقية فتكون حينئذ مطالعة للمعاني والمحسوسات لأن تجردها من هيآت البدن عند المفارقة غير ممكن وهي عند الموت شاعرة بالموت وبعد الموت متخلية بنفسها مقهورة وتتصور جميع ما كانت تعتقده حال الحياة وتحس بالثواب والعقاب في القبر وقال بعضهم أسلم المقالات أن يقال الروح شيء مخلوق أجرى الله تعالى العادة أن يحيي البدن مادام متصلا به وانه أشرف من الجسد يذوق الموت بمفارقة الجسد كما ان الجسد بمفارقته يذوق الموت فان الكيفية والماهية يتماشى العقل فيهما كما يتماشى البصر في شعاع الشمس ولما رأى المتكلمون انه يقال لهم الموجودات محصورة قديم وجسم وجوهر وعرض فالروح من أي هؤلاء فاختار قوم منهم انه عرض وقوم منهم انه جسم لطيف كما ذكرنا واختار قوم انه قديم لأنه أمر والأمر كلام والكلام قديم فما أحسن الامساك عن القول فيما هذا سبيله وكلام الشيخ أبي طالب المكي في كتابه يدل على انه يميل الى ان الارواح أعيان في الجسد وهكذا النفوس لانه يذكر ان الروح تتحرك للخير ومن حركتها يظهر نور في القلب يراه الملك فيلهم الخير عند ذلك وتتحرك للشر ومن حركتها تظهر ظلمة في القلب فيرى الشيطان الظلمة فيقبل بالاغواء وحيث وجدت أقوال المشايخ تشير الي الروح (أقوال) ماعندي في ذلك على معنى ماذكرت من التأويل دون أن أقطع به إذ ميلي في ذلك الي السكوت والامساك فأقول والله أعلم الروح الانساني العلوي السماوي من عالم الامر والروح الحيواني البشري من عالم الخلق والروح الحيواني البشري محل الروح العلوي ومورده والروح الحيواني جسماني لطيف حامل لقوة الحس والحركة ينبعث من القلب أعني بالقلب ههنا المضغة اللحمية المعروفة الشكل المودعة في الجانب الايسر من الجسد وينتشر في تجاويف العروق الضوارب وهذه الروح لسائر الحيوانات ومنه تفيض قوى الحواس وهو الذي قوامه باجراء سنة الله بالغذاء غالبا ويتصرف بعلم الطب فيه باعتدال مزاج الاخلاط ولورود الروح الانساني العلوي على هذا الروح تجنس الروح الحيواني

وباين أرواح الحيوانات واكتسب صفة أخرى فصار نفسا محلا للنطق والالهام قال الله تعالى (ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها) فتسويتها بورود الروح الانساني عليها وانقطاعها عن جنس أرواح الحيوانات فتكونت النفس بتكوين الله تعالى من الروح العلوى وصار تكون النفس التى هى الروح الحيوانى من الآدمى من الروح العلوى فى عالم الأمر كتكون حواء من آدم فى عالم الخلق وصار بينهما من التألف والتعاشق كما بين آدم وحواء وصار كل واحد منهما يذوق الموت بمفارقة صاحبه قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن إليها فسكن آدم إلى حواء وسكن الروح الانسانى العلوى إلى الروح الحيوانى وصيره نفسا وتكون من سكون الروح إلى نفس القلب وأعنى بهذا القلب اللطيفة التى محلها المضغة اللحمية فالمضغة اللحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الأمر وكان تكون القلب من الروح والنفس فى عالم الأمر كتكون الذرية من آدم وحواء فى عالم الخلق ولولا المساكنة بين الزوجين اللذين أحدهما النفس ماتكون القلب فمن القلوب قلب متطلع إلى الأب الذى هو الروح العلوى ميال إليه وهو القلب المؤيد الذى ذكره رسول الله ﷺ فيما رواه حذيفة رضى الله عنه قال القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها والقلب المنكوس ميال إلي الأم التى هى النفس الامارة بالسوء ومن القلوب قلب متردد في ميله إليها وبحسب غلبة ميل القلب يكون حكمه من السعادة والشقاوة والعقل جوهر الروح العلوى ولسانه والدال عليه وتدبيره للقلب المؤيد والنفس الزكية المطمئنة تدبير الوالد للولد البار والزوج للزوجة الصالحة وتدبيره للقلب المنكوس والنفس الامارة بالسوء تدبير الوالد للولد العاق والزوج للزوجة السيئة فمنكوس من وجه ومنجذب إلى تدبيرهما من وجه إذ لا بد له منهما وقول القائلين واختلافهم فى محل العقل فمن قائل أن محله الدماغ ومن قائل أن محله القلب كلام القاصرين عن درك حقيقة ذلك واختلافهم فى ذلك لعدم استقرار العقل على نسق واحد وانجذابه إلى البار تارة وإلى العاق أخرى والقلب والدماغ

نسبة إلي البار والعاق فاذا رؤى في تدبير العاقل قيل مسكنه الدماغ وإذا رؤى فى تدبير البار قيل مسكنه القلب فالروح العلوى يهم بالارتفاع إلى مولاه شوقا وحنوا وتنزها عن الأكوان ومن الأكوان القلب والنفس فاذا ارتقى القلب إليه حنوا لولد الحنين البار إلى الولد وتحن النفس إلى القلب الذى هو الولد حنين الوالدة الحنينة إلي ولدها وإذا حنت النفس ارتقت من الأرض وانزوت عروقها الضاربة فى العالم السفلى وانطوى هواها وانحسمت مادته وزهدت فى الدنيا وتجافت عن دار الغرور وأنابت إلى دار الخلود وقد تخلد النفس التي هى الأم إلى الأرض بوضعها الجبلى لتكونها من الروح الحيوانى الجنس ومستندها فى ركونها إلى الطبائع التى هى أركان العالم السفلى قال الله تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه) فاذا سكنت النفس التى هى الأم إلى الأرض انجذب إليها القلب المنكوس انجذاب الولد الميال إلي الوالدة المعوجة الناقصة دون الوالد الكامل المستقيم وتنجذب الروح إلي الولد الذي هو القلب لما جبل عليه من انجذاب الوالد إلى ولده فعند ذلك يتخلف عن حقيقة القيام بحق مولاه وفى هذين الانجذابين يظهر حكم السعادة والشقاوة ذلك تقدير العزيز العليم (وقد ورد) فى أخبار داود عليه السلام أنه سأل ابنه سليمان أين موضع العقل منك قال القلب لأنه قلب الروح والروح قالب الحياة (وقال) أبو سعيد القرشى الروح روحان روح الحياة وروح الممات فاذا اجتمعا عقل الجسم وروح الممات هى التى إذا خرجت من الجسد يصير الحى ميتا وروح الحياة ما به مجارى الانفاس وقوة الأكل والشرب وغيرهما (وقال) بعضهم الروح نسيم طيب يكون به الحياة والنفس ريح حارة تكون منها الحركات المذمومة والشهوات ويقال فلان حار الرأس وفى الفصل الذى ذكرناه يقع التنبيه بماهية النفس وإشارة المشايخ بماهية النفس إلي مايظهر من آثارها من الأفعال المذمومة والأخلاق المذمومة وهى التى تعالج بحسن الرياضة إزالتها وتبديلها والأفعال الرديئة تزال والأخلاق الرديئة تبدل (أخبرنا) الشيخ العالم رضى الدين أحمد بن اسمعيل القزوينى قال أنا اجازة أبو سعيد محمد بن أبى العباس الخليلى قال أنا القاضى محمد بن سعيد الفرخزادى قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم قال أنا الحسين بن محمد بن عبدالله السفياني قال

حدثنا محمد بن الحسن اليقطيني قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن يزيد العقيلي قال حدثنا صفوان بن صالح قال حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن خالد بن زيد عن سعيد ابن أبي هلال أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية (قد أفلح من زكاها) وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وزكها أنت خير من زكاها (وقيل) النفس لطيفة مودعة فى القالب منها الأخلاق والصفات المذمومة كما أن الروح لطيفة مودعة في القلب منها الأخلاق والصفات المحمودة كما أن العين محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والفم محل الذوق وهكذا النفس محل الأوصاف المذمومة والروح محل الأوصاف المحمودة وجميع أخلاق النفس وصفاتها من أصلين أحـدهما الطيش والثانى الشره وطيشها من جهلها وشرهها من حرصها وشبهت النفس في طيشها بكرة مستديرة على مـكان أملس مصوب لا تزال متحركة بجبلتها ووضعها وشبهت فى حرصها بالفراش الذى يلقى نفسه على ضوء المصباح ولا يقنع بالضوء اليسير دون الهجوم على جرم الضوء الذى فيـه هلاكه فمن الطيش توجد العجلة وقلة الصبر والصبر جوهر العقل والطيش صفة النفس وهواها وروحها لا يغلبه إلا الصبر. إذ العقل يقمع الهوى ومن الشره يظهر الطمع والحرص وهما اللذان ظهرا فى آدم حيث طمع في الخلود فحرص على أكل الشجرة وصفات النفس لها أصول من أصل تـكونها لانها مخلوقة من تراب ولها بحسبه وصف وقيل وصف الضعف فى الآدمى من التراب ووصف البخل فيه من الطين ووصف الشهوة فيه من الحمأ المسنون ووصف الجهل فيه من الصلصال وقيـل قوله كالفخار فهذا الوصف فيه شىء من الشيطنة لدخول النار فى الفخار فمن ذلك الخداع والحيل والحسد فمن عرف أصول النفس وجبلاتها عرف أن لا قدرة له عليها إلا بالاستعانة ببارئها وفاطرها فلا يتحقق العبد بالانسانية إلا بعد أن يدبر دواعى الحيوانية فيه بالعلم والعدل وهو رعاية طرفى الافراط والتفريط ثم بذلك تتقوى انسانيته ومعناه ويدرك صفات الشيطنة فيه والأخلاق المذمومة وكمال انسانيته ويتقاضاه ان لا يرضى لنفسه بذلك ثم تنكشف له الاخلاق التى تنازع بها الربوبية من الكبر والعز ورؤية النفس والعجب وغير

ذلك فيرى ان صرف العبودية فى ترك المنازعة للربوبية والله تعالى ذكر النفس فى كلامه القديم بثلاثة أوصاف بالطمأنينة قال ياأيتها النفس المطمئنة وسماها لوامه قال لاأقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وسماها امارة فقال ان النفس لأمارة بالسوء وهى نفس واحدة ولهـا صفات متغايرة فاذا امتلا القلب سكينة خلع على النفس خلع الطمأنينة لان السكينة مزيد الايمان وفيها ارتقاء القلب إلى مقام الروح لما منح من حظ اليقين وعند توجه القلب إلي محل الروح تتوجه النفس إلى محل القلب وفى ذلك طمأنينتها وإذا انزعجت من مقار جبلاتها ودواعى طبيعتها متطلعة إلى مقار الطمأنينة فهى لوامة لانها تعود باللائمة على نفسها لنظرها وعلمها بمحل الطمأنينة ثم انجذابها إلي محلها التى كانت فيه امارة بالسوء وإذا أقامت في محلها لايغشاها نور العلم والمعرفة فهى على ظلمتها امارة بالسوء فالنفس والروح يتطاردان فتارة يملك القلب دواعى الروح وتارة يملكه دواعى النفس وأما السر فقد أشار القوم إليه ووجدت فى كلام القوم انمنهم من جعله بعد القلب وقبل الروح ومنهم من جعله بعد الروح واعلى منها والطف وقالوا السر محل المشاهدة والروح محل المحبة والقلب محل المعرفة والسر الذى وقعت اشارة القوم إليه غير مذكور فى كتاب الله وإنما المذكور فى كلام الله الروح والنفس وتنوع صفاتها والقلب والفؤاد والعقل وحيث لم نجد فى كلام الله تعالى ذكر السر بالمعنى المشار إليه ورأينا الاختلاف فى القول فيه وأشار قوم إلي انه دون الروح وقوم إلى انه الطف من الروح فنقول والله أعلم الذى سموه سرا ليس هو بشىء مستقل بنفسه له وجود وذات كالروح والنفس وإنما لما صفت النفس وتزكت انطلق الروح من وثاق ظلمة النفس فأخذ فى العروج إلي أوطان القرب وانتزح القلب عند ذلك عن مستقره متطلعا إلى الروح فاكتسب وصفا زائدا على وصفته فانعجم على الواجدين ذلك الوصف حيث رأوه أصفى من القلب فسموه سرا ولما صار للقلب وصف زائد على وصفه بتطلعه إلي الروح اكتسب الروح وصفا زائدا في عروجه وانعجم على الواجدين فسموه سرا والذى زعموا أنه الطف من الروح روح متصفة بوصف أخص مما عهدوه والذى سموه قبل الروح سرا هو قلب اتصف بوصف زائد غير

ماعهدوه وفى مثل هذا الترقي من الروح والقلب تترقى النفس إلى محل القلب وتنخلع من وصفها فتصير نفساً مطمئنة تريد كثيرا من مرادات القلب من قبل إذصار القلب يريد مايريده مولاه متبرئا عن الحول والقوة والارادة والاختيار وعندها ذاق طعم صرف العبودية حيث صار حرا عن ارادته واختياراته وأما العقل فهو لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان وقد ورد فى الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال أول ماخلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له أقعد فقعد ثم قال له انطق فنطق ثم قال له اصمت فصمت فقال وعزتي وجلالى وعظمتى وكبريائى وسلطانى وجبروتى ماخلقت خلقا أحب إلى منك ولا أكرم على منك بك أعرف وبك أحمد وبك أطاع وبك آخذ وبك أعطى واياك أعاتب ولك الثواب وعليك العقاب وما أكرمتك بشيء أفضل من الصبر * وقال عليه السلام لايعجبكم اسلام رجل حتى تعلموا ماعقده عقله وسألت عائشة رضى الله عنها النبي ﷺ قالت قلت يارسول الله بأى شيء يتفاضلون الناس قال بالعقل فى الدنيا والآخرة قالت قلت أليس يجزى الناس بأعمالهم قال ياعائشة وهل يعمل بطاعة الله إلا من قد عقل فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر مايعملون يجزون وقال عليه السلام ان الرجل لينطلق إلى المسجد فيصلى وصلاته لاتعدل جناح بعوضة وان الرجل ليأتى المسجد فيصلى وصلاته تعدل جبل أحد إذا كان أحسنهما عقلا قيل وكيف يكون أحسنهما عقلا قال أورعهما عن محارم الله واحرصهما على أسباب الخير وان كان دونه في العمل والتطوع (وقال) عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى قسم العقل بين عباده أشتاتا فان الرجلين يستوى علمهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان فى العقل كالذرة فى جنب أحد (وروى) عن وهب بن منبه أنه قال اني أجد فى سبعين كتابا ان جميع ماأعطى الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من العقل فى جنب عقل رسول الله ﷺ كهيئة رملة وقعت من بين جميع رمال الدنيا واختلف الناس فى ماهية العقل والكلام فى ذلك يكثر ولاتؤثر نقل الأقاويل وليس ذلك من غرضنا فقال قوم العقل من العلوم فان الخالي من جميع العلوم لايوصف بالعقل وليس العقل جميع العلوم فان الخالى

عن معظم العلوم يوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية فان من شرط ابتداء النظر تقدم كمال العقل فهو إذا من العلوم الضرورية وليس هو جميعها فان صاحب الحواس المختلطة عاقل وقد عدم بعض مدارك العلوم الضرورية وقال بعضهم العقل ليس من أقسام العلوم لانه لو كان منها لوجب الحكم بأن الذاهل عن ذكر الاستحالة والجواز لايتصف بكونه عاقلا ونحن نرى العاقل فى كثير من أوقاته ذاهلا وقالوا هذا العقل صفة يتهيأ بها درك العلوم (ونقل عن الحرث) ابن أسد المحاسبي وهو من أجل المشايخ أنه قال العقل غريزة يتهيأ بها درك العلوم وعلى هذا يتقرر ماذكرناه فى أول ذكر العقل انه لسان الروح لان الروح من أمر الله وهى المتحملة للامانة التى أبت السموات والارضون ان يحملنها ومنها يفيض نور العقل وفى نور العقل تتشكل للعلوم فالعقل للعلوم بمثابة اللوح المكتوب وهو بصفته منكوس متطلع الي النفس تارة ومنتصب مستقيم تارة فمن كان العقل فيه منكوسا الى النفس فرقه في اجزاء الكون وعدم حسن الاعتدال بذلك واخطأ طريق الاهتداء ومن انتصب العقل فيه واستقام تايد العقل بالبصيرة التى هى للروح بمثابة القلب واهتدى الى المكون ثم عرف الكون بالمكون مستوفيا أقسام المعرفة بالمكون والكون فيكون هذا العقل عقل الهداية فكما أحب الله اقباله فى أمر دله على اقباله عليه وما كرهه الله فى أمر دله على الادبار عنه فلا يزال يتبع محاب الله تعالى ويجتنب مساخطه وكلما استقام العقل وتايد بالبصيرة كانت دلالته على الرشد ونهيه عن الغى ﴿ قال ﴾ بعضهم العقل على ضربين ضرب يبصر به أمر دنياه وضرب يبصر به أمر اخرته (وذكر) أن العقل الأول من نور الروح والعقل الثانى من نور الهداية فالعقل الأول موجود فى عامة ولد آدم والعقل الثاني موجود فى الوحدين مفقود من المشركين (وقيل) إنما سمى العقل عقلا لأن الجهل ظلمة فاذا غلب النور بصره فى تلك الظلمة زالت الظلمة فابصر فصار عقالا للجهل (وقيل) عقل الايمان مسكنه فى القلب ومتمله فى الصدر بين عينى الفؤاد والذي ذكرناه من كون العقل لسان الروح وهو عقل واحد ليس هو على ضربين ولكنه إذا

انتصب واستقام تأيد بالبصيرة واعتدل ووضع الأشياء فى مواضعها وهذا العقل هو العقل المستضيء بنور الشرع لأن انتصابه واعتداله هداه إلى الاستضاءة بنور الشرع لكون الشرع ورد على لسان النبي المرسل وذلك لقرب روحه من الحضرة الالهية ومكاشفة بصيرته التى هى للروح بمثابة القلب بقدرة الله وآياته واستقامة عقله بتأييد البصيرة فالبصيرة تحيط بالعلوم التي يستوعبها العقل والتى يضيق عنها نطاق العقل لأنها تستمد من كلمات الله التى ينفد البحر دون نفادها والعقل ترجمان تؤدى البصيرة إليه من ذلك شطرا كما يؤدى القلب إلى اللسان بعض مافيه ويستأثر ببعضه دون اللسان ولهـذا المعنى من جمد على مجرد العقل من غير الاستضاءة بنور الشرع حظى بعلوم الكائنات التي هى من الملك والملك ظاهر الكائنات ومن استضاء عقله بنور الشرع تأيد بالبصيرة فاطلع على الملكوت والملكوت باطن الكائنات اختص بمكاشفته أرباب البصائر والعقول دون الجامدين على مجرد العقول دون البصائر وقد قال بعضهم ان العقل عقلان عقل للهداية مسكنه فى القلب وذلك للمؤمنين الموقنين ومتعمله فى الصدر بين عينى الفؤاد والعقل الآخر مسكنه فى الدماغ ومتعمله فى الصدر بين عينى الفؤاد فبالأول يدبر أمر الآخرة وبالثانى يدبر أمر الدنيا والذي ذكرناه أنه عقل واحد إذا تأيد بالبصيرة دبر الأمرين وإذا تفرد دبر أمرا واحـدا وهو واضح وأبين وقد ذكرنا فى أول الباب من تدبيره للنفس المطمئنة والامارة مايتنبه الانسان به على كونه عقلا واحـدا مؤيدا بالبصيرة تارة ومنفردا بوصفه تارة والله الملهم للصواب

﴿ الباب السابع والخمسون في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها ﴾

(أخبرنا) شيخنا أبو النجيب السهروردى قال أخبرنا أبو الفتح الهروى قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبوبى قال أنا أبو عيسى الترمذي قال أبو هناد قال أنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن عبـد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق

وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجـد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخري فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وإنما يتطلع إلى معرفة اللمتين وتمييز الخواطر طالب مريد يتشوف إلى ذلك تشوف العطشان إلى الماء لما يعلم من وقع ذلك وخطره وفلاحه وصلاحه وفساده ويكون ذلك عبدا مرادا بالحظوة بصفو اليقين ومنح الموقنين وأكثر التشوف إلى ذلك للمقربين ومن أخـذ به طريقهم ومن أخذ فى طريق الابرار قد يتشوف إلى ذلك بعض التشوف لأن التشوف إليه يكون على قدر الهمة والطلب والارادة والحظ من الله الكريم ومن هو فى مقام عامة المؤمنين والمسلمين لايتطلع إلى معرفة اللمتين ولا يهتم بتمييز الخواطر (ومن الخواطر) ماهى رسل الله تعالى إلى العبـد كما قال بعضهم لي قلب ان عصيته عصيت الله وهذا حال عبد استقام قلبه واستقامة القلب لطمأنينة النفس وفى طمأنينة النفس يأس الشيطان لأن النفس كلما تحركت كدرت صفو القلب وإذا تكدر طمع الشيطان وقرب منه لأن صـفاء القلب محفوف بالتذكر والرعاية وللذكر نور يتقيه الشيطان كاتقاء أحدنا النار (وقد ورد) فى الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى تولي وخنس وإذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه وقال الله تعالي (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وقال الله تعالى (ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فبالتقوى وجود خالص الذكر وبها ينفتح بابه ولا يزال العبد يتقى حتى يحمى الجوارح من المكاره ثم يحميها من الفضول ومالا يعنيه فتصير أقواله وأفعاله ضرورة ثم تنتقل تقواه الى باطنه ويظهر الباطن ويقيـده عن المكاره ثم من الفضول حتى يتقى حديث النفس (قال) سهل بن عبدالله أسوأ المعاصى حديث النفس وروي الاصغاء إلى ماتحدث به النفس ذنبا فيتقيه وبتقة القلب عندهذا الاتقاء بالذكر اتقاد الكواكب فى كبد السماء ويصـير القلب سماء محفوظا بزينة كواكب الذكر فاذا صار كذلك بعـد الشيطان ومثل هذا العبد يندر في حقـه الخواطر الشيطانية ولما ويكون له خواطر النفس ويحتاج إلى أن يتقيها ويميزها

بالعلم لأن منهــا خواطر لا يضر امضاؤها كمطالبات النفس بحاجاتها وحاجاتها تنقسم الى الحقوق والحظوظ ويتعين التمييز عند ذلك واتهام النفس بمطالبات الحظوظ قال الله تعــالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أى فتثبتوا (وسبب) نزول الآية الوليد بن عقبــة حيث بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق فـكذب عليهم ونسبهم إلى الـكفر والعصيان حتى هم رسول الله ﷺ بقتالهم ثم بعث خالدا اليهم فسمع أذان المغرب والعشاء ورأى ما يدل على كذب الوليد بن عقبة فأنزل الله تعــالي الآية فى ذلك فظاهر الآية وسبب نزولها ظاهر وصار ذلك تنبيها من الله عباده على التثبت فى الأمور (قال) سهل فى هذه الآية الفاسق الـكذاب والـكذب صفة النفس لأنها تملى أشياء وتسول أشياء على غير حقائقها فتعين التثبت عند خاطرها والقائها فيجعل العبد خاطر النفس نبأ يوجب التثبت ولا يستفزه الطبع ولا يستعجله الهوى فقد قال بعضهم أدنى الأدب أن تقف عند الجهل وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة ومن الأدب عند الاشتباه انزال الخاطر بمحرك النفس وخالقها وبارئها وفاطرها واظهار الفقر والفــاقة اليه والاعتراف بالجهل وطلب المعرفة والمعونة منه فانه إذا أتي بهذا الأدب يغاث ويعان ويتبين له هل الخاطر لطلب حظ أو طلب حق فان كان للحق أمضاه وإن كان للحظ نفاه وهذا التوقف إذا لم يتبين له الخاطر بظاهر العلم لأن الافتقار إلى باطن العلم عند فقد الدليل فى ظاهر العلم ثم من الناس من لايسعه فى صحته إلا الوقوف على الحق دون الحظ وان أمضى خاطر الحظ يصير ذلك ذنب حاله فيستغفر منه كما يستغفر من الذنوب ومن الناس من يدخل فى تناول الحظ ويمضى خاطره بمزيد علم لديه من الله وهو علم السعة لعبد مأذون له فى السعة عالم بالاذن فيمضى خاطر الحظ والمراد بذلك على بصيرة من أمره يحسن به ذلك ويليق به عالم بزيادته ونقصانه عالم بحاله محكم لعلم الحال وعلم القيام لايقاس على حاله ولا يدخل فيــه بالتقليد لأنه أمر خاص لعبد خاص وإذا كان شأن العبد تمييز خواطر النفس فى مقام تخلصه من لمات الشيطان تكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك وتصير

الخواطر الاربعة فى حقه ثلاثا ويسقط خاطر الشيطان إلا نادرا لضيق مكانه من النفس لان الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتباع الهوى والاخلاد الى الارض ومن ضايق النفس على التمييز بين الحق والحظ ضاقت نفسه وسقط محل الشيطان إلا نادرا لدخول الابتلاء عليه ثم من المرادين المتعلقين بمقام المقربين من إذا صار قلبه سماء مزينا بزينة كوكب الذكر يصير قلبه سماويا يترقى ويعرج بباطنه ومعناه وحقيقته فى طبقات السموات وكلما تترقى تتضاءل النفس المطمئنة وتبعد عنه خواطرها حتى يجاوز السموات بعروج باطنه كما كان ذلك لرسول الله ﷺ بظاهره وقالبه فاذا استكمل العروج تنقطع عنه خواطر النفس لتستره بأنوار القرب وبعد النفس عنه وعند ذلك ينقطع عنه خواطر الحق أيضا لان الخاطر رسول والرسالة إلى من بعد وهذا قريب وهذا الذى وصفناه نازل ينزل به ولا يدوم بل يعود في هبوطه إلى منازل مطالبات النفس وخواطره فتعود اليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك ان الخواطر تستدعى وجودا وما أشرنا اليه حال الفناء ولا خاطر فيه وخاطر الحق انتفى لمكان القرب وخاطر النفس بعد عنه لبعد النفس وخاطر الملك تخلف عنه كتخلف جبريل في ليلة المعراج عن رسول الله ﷺ حيث قال لو دنوت أنملة لاحترقت * قال محمد بن على الترمذى المحدث والمكلم اذا تحققا في درجتهما لم يخافا من حديث النفس (فكما) ان النبوة محفوظة من القاء الشيطان كذلك محل المكالمة والمحادثة محفوظ من القاء النفس وفتنتها ومحروس بالحق والسكينة لأن السكينة حجاب المكلم والمحدث مع نفسه (وسمعت) الشيخ أبا محمد بن عبد الله البصرى بالبصرة يقول الخواطر أربعة خاطر من النفس وخاطر من الحق وخاطر من الشيطان وخاطر من الملك فأما الذى من النفس فيحس به من أرض القلب والذى من الحق من فوق القلب والذي من الملك عن يمين القلب والذي من الشيطان عن يسار القلب والذى ذكرناه إنما يصح لعبد أذاب نفسه بالتقوى والزهد وتصفى وجوده واستقام ظاهره وباطنه فيكون قلبه كالمرآة المجلوة لا يأتيه الشيطان من ناحية إلا ويبصره فاذا اسود القلب وعلاه الرين لا يبصر الشيطان (روى) عن أبي هريرة

رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ان العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل وإن عاد زيد فيه حتى تعلو قلبه قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) سمعت بعض العارفين يقول كلاما دقيقا كوشف به فقال الحديث فى باطن الانسان والخيال الذي تراءى لباطنه وتخيل بين القلب وصفاء الذكر هو من القلب وليس هو من النفس وهذا بخلاف ماتقرر فسألته عن ذلك فذكر ان بين القلب والنفس منازعات ومحادثات وتآلفا وتوددا وكلما انطلقت النفس في شيء يهواها من القول والفعل تأثر القلب بذلك وتكدر فاذا عاد العبد من مواطن مطالبات النفس وأقبل على ذكره ومحل مناجاته وخدمته لله تعالى أقبل القلب بالمعاتبة للنفس وذكر النفس شيئا شيئا من فعلها وقولها كالملائم للنفس والمعاتب لها على ذلك فاذا كان الخاطر أول الفعل ومفتتحه فمعرفته من أهم شأن العبد لأن الأفعال من الخواطر تنشأ حتى ذهب بعض العلماء إلى ان العلم المفترض طلبه بقول رسول الله ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم هو علم الخواطر قال لأنها أول الفعل وبفسادها فساد الفعل وهذا لعمرى لايتوجه لأن رسول الله ﷺ أوجب ذلك على كل مسلم وليس كل المسلمين عندهم من القريحة والمعرفة مايعرفون به ذلك ولكن يعلم الطالب ان الخواطر بمثابة البذر فمنها ماهو بذر السعادة ومنها ماهو بذر الشقاوة (وسبب) اشتباه الخواطر أحد أربعة أشياء لاخامس لها اما ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى أو محبة الدنيا جاهها ومالها وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس فمن عصم عن هذه الأربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلى بها لايعلمها ولا يطلبها وانكشاف بعض الخواطر دون البعض لوجود بعض هذه الأربعة دون البعض وأقوم الناس بتمييز الخواطر أقومهم بمعرفة النفس ومعرفتها صعبة المنال لاتكاد تتيسر إلا بعد الاستقصاء فى الزهد والتقوى (واتفق) المشايخ على ان من كان أكله من الحرام لايفرق بين الالهام والوسوسة * وقال أبو على الدقاق من كان قوته معلوما لايفرق بين الالهام والوسوسة وهذا لايصح على الاطلاق إلا بقيد وذلك ان من المعلوم مايقسمه الحق سبحانه وتعالى لعبد باذن يسبق اليه فى الأخذ منه

والتقوت به ومثل هذا المعلوم لايحجب عن تمييز الخواطر انما ذلك يقال فى حق من دخل في معلوم باختيار منه وإيثار لأنه ينحجب لموضع اختياره والذى أشرنا إليه منسلخ من ارادته فلا يحجبه المعلوم وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا ان النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس بأخرى إذ لاغرض له في تخصيص بل مراده الاغواء كيفما أمكنه وتكلم الشيوخ فى الخاطرين إذا كانا من الحق أيهما يتبع قال الجنيد الخاطر الأول لأنه اذا بقى رجع صاحبه إلي التأمل- وهذا شرط العلم وقال ابن عطاء الثاني أقوى لأنه ازداد قوة بالأول (وقال) أبو عبدالله بن خفيف هما سواء لأنهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر قالوا الواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع خطاب أو مطالبة والواردات تكون تارة خواطر وتارة تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط (وقيل) بنور التوحيد يقبل الخاطر من الله تعالى وبنور المعرفة يقبل من الملك وبنور الايمان ينهى النفس وبنور الاسلام يرد على العدو * ومن قصر عن درك حقائق الزهد وتطلع الى تمييز الخواطر يزن الخاطر أولا بميزان الشرع فما كان من ذلك نفلا أو فرضا يمضيه وما كان من ذلك محرما أو مكروها ينفيه فان استوى الخاطران فى نظر العلم ينفذا قربهما الي مخالفة هوى النفس فان النفس قد يكون لها هوي كامن فى احدهما والغالب من شأن النفس الاعوجاج والركون إلي الدون وقد يلم الخاطر بنشاط النفس والعبد يظن انه بنهوض القلب وقد يكون من القلب نفاق بسكونه إلى النفس يقول بعضهم منذ عشرين سنة ماسكن قلبي إلي نفسى ساعة فيظهر من سكون القلب إلي النفس خواطر الحق على من يكون ضعيف العلم فلا يدرك نفاق القلب والخواطر المتولدة منه الا العلماء الراسخون وأكثر ماتدخل الآفات على أرباب القلوب والآخذين من اليقين واليقظة والحال بسهم من هذا القبيل وذلك لقلة العلم بالنفس والقلب وبقاء نصيب الهوى فيهم وينبغى أن يعلم العبد قطعا انه مهما بقى عليه أثر من الهوى وإن دق وقل يبقى عليه بحسبه بقية من اشتباه الخواطر ثم قد يغلط فى تمييز الخواطر من هو قليل العلم

ولا يؤاخذ بذلك مالم يكن عليه من الشرع مطالبة وقد لايسامح بذلك بعض الغالطين لما كوشفوا به من دقيق الخفاء في التمييز ثم استعجالهم مع علمهم وقلة التثبت (وذكر) بعض العلماء ان لمة الملك ولمة الشيطان وجدتا لحركة النفس والروح وان النفس إذا تحركت انقدح من جوهرها ظلمة تنكت فى القلب همة سوء فينظر الشيطان إلى القلب فيقبل بالاغواء والوسوسة وذكر ان حركة النفس تكون اما هوى وهو عاجل حظ النفس أو أمنية وهى عن الجهل الغريزي أو دعوى حركة أو سكون وهى آفة العقل ومحنة القلب ولا ترد هذه الثلاثة الا بأحد ثلاثة بجهل أو غفلة أو طلب فضول ثم يكون من هذه الثلاثة ما يجب نفيه فانها ترد بخلاف مأمور أو على وفق منهى ومنها ما يكون نفيها فضيلة إذا وردت بمباحات (وذكر) ان الروح اذا تحركت انقدح من جوهرها نور ساطع يظهر من ذلك النور فى القلب همة عالية بأحد معان ثلاثة إما بفرض أمر به أو بفضل ندب اليه وإما بمباح يعود صلاحه اليه (وهذا) الكلام يدل على ان حركتي الروح والنفس هما الموجبتان للمتين (وعندى والله أعلم) ان للمتين يتقدمان على حركة الروح والنفس فحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح وهذه الحركة من الروح ببركة لمة الملك وحركة النفس من لمة الشيطان ومن حركة النفس الهمة الدنيئة وهى من شؤم لمة الشيطان فاذا وردت اللمتان ظهرت الحركتان وظهر سر العطاء والابتلاء من معط كريم ومبل حكيم وقد تكون هاتان اللمتان متداركتين وينمحى أثر أحدهما بالأخري والمتفطن المتيقظ ينفتح عليه بمطالعة وجود هذه الآثار في ذاته باب أنس ويبقى أبدا متفقدا حاله مطالعا آثار اللمتين (وذكر) خاطر خامس وهو خاطر العقل متوسط بين الخواطر الأربعة يكون مع النفس والعدو لوجود التمييز واثبات الحجة على العبد ليدخل العبد فى الشىء بوجود عقل إذ لو فقد العقل سقط العقاب والعتاب وقد يكون مع الملك والروح ليوقع الفعل مختارا ويستوجب به الثواب (وذكر) خاطر سادس وهو خاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم ولا يبعد أن يقال الخاطر السادس وهو خاطر اليقين حاصله راجع إلى ما يرد من خاطر الحق

وخاطر العقل أصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس وليس من العقل خاطر على الاستقلال لأن العقل كما ذكرنا غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم ويتهيأ بها الانجذاب الى دواعى النفس تارة وإلى دواعى الملك تارة وإلى دواعى الروح تارة وإلي دواعى الشيطان تارة فعلى هذا لاتزيد الخواطر على أربعة ورسول الله ﷺ لم يذكر غير اللمتين وهاتان اللمتان هما الأصل والخاطران الآخران فرع عليهما لأن لمة الملك إذا حركت الروح واهتزت الروح بالهمة الصالحة قربت أن تهتز بالهمة الصالحة الى حظائر القرب فورد عليه عند ذلك خواطر من الحق وإذا تحقق بالقرب يتحقق بالفناء فتنبت الخواطر الربانية عند ذلك كما ذكرناه قبل لموضع قربه فيكون أصل خواطر الحق لمة الملك ولمة الشيطان إذا حركت النفس هوت بجبلتها إلي مركزها من الغريزة والطبع فظهر منها لحركتها خواطر ملائمة لغريزتها وطبيعتها وهواها فصارت خواطر النفس نتيجة لمة الشيطان فأصلها لمتان وينتجان أخريين وخاطر اليقين والعقل مندرج فيهما والله أعلم

﴿ الباب الثامن والخمسون فى شرح الحال والمقام والفرق بينهما ﴾

قد كثر الاشتباه بين الحال والمقام واختلفت اشارات الشيوخ فى ذلك ووجود الاشتباه لمكان تشابههما فى نفسهما وتداخلهما فتراءى للبعض الشيء حالا وتراءى للبعض مقاما وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما ولا بد من ذكر ضابط يفرق بينهما على ان اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق فالحال سمى حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره (وقد) يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول فلا يزال العبد حال المحاسبة يتعاهد الحال ثم يحول الحال بظهور صفات النفس إلى أن تتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال المحاسبة وتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه فيصير فى مقام المحاسبة بعد ان كان له حال المحاسبة (ثم) ينازله حال المراقبة فمن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال (ثم) يحول حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة فى باطن العبد إلي أن ينقشع ضباب السهو والغفلة ويتدارك الله

عبده بالمعونة فتصير المراقبة مقاما بعد ان كانت حالا ولا يستقر مقام المحاسبة قراره الا بنازل حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة قراره الا بنازل حال المشاهدة فاذا منح العبد بنازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة أيضا يكون حالا يحول بالاستتار ويظهر بالتجلي ثم يصير مقاما وتتخلص شمسه عن كسوف الاستتار ثم مقام المشاهدة أحوال وزيادات وترقيات من حال الى حال أعلى منه كالتحقق بالفناء والتخلص إلى البقاء والترقي من عين اليقين إلى حق اليقين وحق اليقين نازل يحرق شغاف القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة (وقد) قال رسول الله ﷺ اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي (قال) سهل بن عبدالله للقلب تجويفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسويداؤه والتجويف الثاني ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين وهو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين ومنه تنبعث الأشعة المحيطة بالمرئيات فهكذا تنبعث من نظر العقل أشعة العلوم المحيطة بالمعلومات وهذه الحالة التى خرقت شغاف القلب ووصلت إلي سويدائه وهى حق اليقين هى أسنى العطايا وأعز الأحوال وأشرفها ونسبة هذه الحال من المشاهدة كنسبة الأجر من الثواب إذ يكون ترابا ثم طيناً ثم لبناً ثم آجرا فالمشاهدة هى الاول والاصل يكون منها الفناء كالطين ثم البقاء كاللبن ثم هذه الحالة وهى آخر الفروع ولما كان الإصل فى الاحوال هــذه الحالة وهى أشرف الاحوال وهى محض موهبة لا تكتسب سميت كل المواهب من النوازل بالعبد أحوالا لانها غير مقدورة للعبد بكسبه فأطلقوا القول وتداولت ألسنة الشيوخ ان المقامات مكاسب والاحوال السموات ومتنزل البركات وهذه الاحوال لا يتحقق بها الا ذو قلب سماوى (قال بعضهم) الحال هو الذكر الخفى وهذا اشارة إلى شيء مما ذكرناه (وسمعت) المشايخ بالعراق يقولون الحال مامن الله فكل ما كان من طريق الاكتساب والاعمال يقولون هذا مامن العبد فاذا لاح للمريد شيء من المواهب والمواجيد قالوا هذا مامن الله وسموه حالا اشارة منهم الي ان الحال موهبة (وقال) بعض مشايخ خراسان لاحوال مواريث الاعمال (وقال بعضهم)

الاحوال كالبروق فان بقى لحديث النفس وهذا لا يكاد يستقيم على الاطلاق وانما مواهب وعلى الترتيب الذى درجنا عليه كلها مواهب إذ المكاسب محفوفة بالمواهب والمواهب محفوفة بالمكاسب فالأحوال مواجيد والمقامات طرق المواجيد ولكن في المقامات ظهر الكسب وبطنت المواهب وفى الاحوال بطن الكسب وظهرت المواهب فالاحوال مواهب علوية سماوية والمقامات طرقها وقول أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه سلوني عن طرق السموات فاني أعرف بها من طرق الارض اشارة إلى المقامات والاحوال فطرق السموات التوبة والزهد وغير ذلك من المقامات فان السالك لهذه الطرق يصير قلبه سماويا وهى طرق يكون ذلك فى بعض الاحوال فانها تطرق ثم تستلبها النفس فاما على الاطلاق فلا والاحوال لا تمتزج بالنفس كالدهن لا يمتزج بالماء (وذهب) بعضهم إلي ان الأحوال لا تكون إلا إذا دامت فاما إذا لم تدم فهى لوائح وطوالع وبوارد وهى مقدمات الاحوال وليست بأحوال (واختلفت المشايخ) في ان العبد هل يجوز له أن ينتقل إلى مقام غير مقامه الذى هو فيه قبل أحكام حكم مقامه (قال بعضهم) لا ينبغى أن ينتقل عن الذى هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه وقال بعضهم لا يكمل المقام الذى هو فيه إلا بعد ترقيه إلى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي إلى مادونه من المقام فيحكم أمر مقامه والأولى أن يقال والله أعلم الشخص في مقامه يعطى حالا من مقامه الأعلى الذى سوف يرتقي اليه فبوجدان ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذى هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشيء إلى العبد انه يرتقى أو لا يرتقى فان العبد بالأحوال يرتقى الى المقامات والاحوال مواهب يرقي الى المقامات التي يمتزج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب ترقيه اليه فلا يزال العبد يرقى إلى المقامات بزائد الاحوال فعلى ماذكرناه يتضح تداخل المقامات والاحوال حتى التوبة ولا تعرف فضيلة إلا فيها حال ومقام وفى الزهد حال ومقام وفى التوكل حال ومقام وفى الرضا حال ومقام قال أبو عثمان الحيرى منذ أربعين سنة ماأقامني الله في حال فكرهته أشار إلى الرضا ويكون منه حالا ثم يصير مقاما والمحبة حال ومقام ولا يزال العبد يتتوب بطروق حال التوبة حتي يتوب وطروق حال التوبة بالانزجار أولا (قال بعضهم) الزجر هيجان فى القلب لا يمكنه إلا

الانتباه من الغفلة فيرده إلى اليقظة فاذا تيقظ أبصر الصواب من الخطأ وقال بعضهم الزجر ضياء فى القلب يبصر به خطأ قصده والزجر فى مقدمة التوبة على ثلاثة أوجه زجر من طريق العلم وزجر من طريق العقل وزجر من طريق الايمان فينازل التائب حال الزجر وهى موهبة من الله تعالى تقوده إلى التوبة فلا يزال بالعبد ظهور هوى النفس يمحوه آثار حال التوبة والزجر حتى تستقر وتصير مقاما وهكذا فى الزهد لا يزال يتزهد بنازلة حال تريه لذة ترك الاشتغال بالدنيا وتقبح له الاقبال عليها فتمحوه أثر حاله بدلالة شره النفس وحرصها على الدنيا ورؤية العاجلة حتى تتداركه المعونة من الله الكريم فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقامه ولا تزال نازلة حال التوكل تقرع باب قلبه حتى يتوكل وهكذا احال الرضا حتى يطمئن على الرضا ويصير ذلك مقامه وههنا لطيفة وذلك ان مقام الرضا والتوكل يثبت ويحكم ببقائه مع وجود داعية الطبع ولا يحكم ببقاء حال الرضا مع وجود داعية الطبع وذلك مثل كراهة يجدها الراضى بحكم الطبع ولكن علمه بمقام الرضا يعمر حكم الطبع وظهور حكم الطبع فى وجود الكراهية المغمورة بالعلم لا يخرجه عن مقام الرضا ولكن يفقد حال الرضا لأن الحال لما تجردت موهبة أحرقت داعية الطبع فيقال كيف يكون صاحب مقام فى الرضا ولا يكون صاحب حال فيه والحال مقدمة المقام والمقام أثبت نقول لأن المقام لما كان مشوبا بكسب العبد احتمل وجود الطبع فيه والحال لما كانت موهبة من الله نزهت عن مزج الطبع فحال الرضا أصلف ومقام الرضا أمكن ولا بد للمقامات من زائد الأحوال فلا مقام إلا بعد سابقة حال ولا تفرد للمقامات دون سابقة الاحوال فنها مايصير مقاما ومنها مالا يصير مقاما والسر فيه ماذكرناه ان الكسب فى المقام ظهر والموهبة بطنت وفى الحال ظهرت الموهبة والكسب بطن فلما كان في الاحوال الموهبة غالبة لم تتقيد وصارت الاحوال إلى مالا نهاية لها ولطف سنى الاحوال أن يصير مقاما ومقدورات الحق غير متناهية ومواهبه غير متناهية ولهذا قال بعضهم لو أعطيت روحانية عيسى ومكالمة موسى وخلة ابراهيم عليه السلام لطلبت ماوراء ذلك لان مواهب الله لا تنحصر وهذه أحوال الانبياء ولا تعطى الاولياء ولكن هذه اشارة من القائل الى دوام تطلع العبد وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيه من أمر الحق تعالى لان سيد الرسل صلوات

الله عليه وسلامه نبه على عدم القناعة وقرع باب الطلب واستنزال بركة المزيد بقوله عليه السلام كل يوم لم أزدد فيه علما فلا بورك لى فى صبيحة ذلك اليوم وفي دعائه ﷺ اللهم ماقصر عنه رأيي وضعف فيه عملى ولم تبلغه نيتي وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فأنا أرغب إليك وأسألك إياه فاعلم أن مواهب الحق لاتنحصر والاحوال مواهب وهى متصلة بكلمات الله التي ينفد البحر دون نفادها وتنفد اعداد الرمال دون اعدادها والله المنعم المعطى

﴿ الباب التاسع والخمسون فى الاشارات إلى المقامات على الاختصار والايجاز ﴾

أخبرنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله قال أنا أبو منصور بن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن على بن محمد الجوهرى اجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس بن محمد قال أنا أبو محمد يحيى بن صاعد قال أنا الحسين بن الحسن المروزى قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا الهيثم بن جميل قال أنا كثير بن سليم المدائنى قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال أتي النبي ﷺ رجل فقال يارسول الله إني رجل ذرب اللسان وأكثر ذلك على أهلى فقال له رسول الله ﷺ أين أنت من الاستغفار فاني أستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه فى حديث آخر فانى لأستغفر الله وأتوب إليه فى كل يوم مائة مرة (وروى) أبو بردة قال قال رسول الله ﷺ إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وقال الله عز وجل (إن الله يحب التوابين) وقال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) *

التوبة أصل كل مقام وقوام كل مقام ومفتاح كل حال وهى أول المقامات وهى بمثابة الأرض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له وإني بمبلغ علمى وقدر وسعى وجهدي اعتبرت المقامات والأحوال وثمرتها فرأيتها يجمعها ثلاثة أشياء بعد صحة الايمان وعقوده وشروطه فصارت مع الايمان أربعة ثم رأيتها فى افادة الولادة المعنوية الحقيقة بمثابة الطبائع الأربع التى جعلها الله تعالى باجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقائق

هذه الأربع يلج ملكوت السموات ويكاشف بالقدر والآيات ويصير له ذوق وفهم لكلمات الله تعالى المنزلات ويحظى بجميع الأحوال والمقامات فكلها من هذه الأربع ظهرت وبها تهيأ وتأكدت فأحد الثلاث بعد الايمان التوبة النصوح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله تعالى ظاهرا وباطنا من الأعمال القلبية والقالبيه من غير فتور وقصور ثم يستعان على اتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تماما وقوامها وهى قلة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام والاعتزال عن الناس واتفق العلماء الزاهدون والمشايخ على أن هذه الأربع بها تستقر المقامات وتستقيم الأحوال وبها صار الابدال أبدالا بتأييد الله تعالي وحسن توفيقه ونبين بالبيان الواضح أن سائر المقامات تندرج فى صحة هذه ومن ظفر بها فقد ظفر بالمقامات كلها أولها بعد الايمان التوبة وهى في مبدأ صحتها تفتقر إلى أحوال وإذا صحت تشتمل على مقامات وأحوال ولا بد فى ابتدائها من وجود زاجر ووجد ان الزاجر حال لأنه موهبة من الله تعالي على ما تقرر أن الأحوال مواهب حال الزجر مفتاح التوبة ومبدؤها قال رجل لبشر الحافى مالى أراك مهموما قال لأني ضال ومطلوب ضللت الطريق والمقصد وأنا مطلوب به ولو تبينت كيف الطريق إلى المقصد لطلبت ولكن سنة الغفلة أدركتنى وليس لى منها خلاص إلا أن أزجر فأنزجر وقال الأصمعى رأيت أعرابيا بالبصرة يشتكى عينيه وهما يسيل منهما الماء فقلت له ألا تمسح عينيك فقال لا لأن الطبيب زجرني ولا خير فيمن لا ينزجر فالزاجر فى الباطن حال يهبها الله تعالى ولا بد من وجودها للتائب ثم بعد الانزجار يجد العبد حال الانتباه قال بعضهم من لزم مطالعة الطوارق انتبه (وقال) أبو يزيد علامة الانتباه خمس إذا ذكر نفسه افتقر وإذا ذكر ذنبه استغفر وإذا ذكر الدنيا اعتبر وإذا ذكر الآخرة استبشر وإذا ذكر المولى اقشعر (وقال) بعضهم الانتباه أوائل دلالات الخير إذا انتبه العبد من رقدة غفلته أداه ذلك الانتباه إلى التيقظ فاذا تيقظ ألزمه تيقظه الطلب لطريق الرشد فيطلب وإذا طلب عرف أنه على غير سبيل الحق فيطلب الحق ويرجع إلى باب توبته ثم يعطى بانتباهه حال التيقظ (قال) فارس

أو فى الأحوال التيقظ والاعتبار (وقيل) التيقظ تبيان خط المسلك بعد مشاهدة سبيل النجاة (وقيل) إذا صحت اليقظة كان صاحبها فى أوائل طريق التوبة (وقيل) اليقظة خردة من جهة المولى لقلوب الخائفين تدلهم على طلب التوبة فاذا تمت يقظته نقل بذلك إلي مقام التوبةفهذه أحوال ثلاثة تتقدم التوبة ثم التوبة فى استقامتها تحتاج إلى المحاسبة ولا تستقيم التوبة إلا بالمحاسبة (نقل) عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فالمحاسبة بحفظ الانفاس وضبط الحواس ورعاية الأوقات وإيثار المهمات ويعلم العبد أن الله تعالي أوجب عليه هـذه الصلوات الخمس فى اليوم والليلة رحمة منه لعلمه سبحانه بعبده واستيلاء الغفلةعليه كى لا يستعبده الهوى وتسترقه الدنيا فالصلوات الخمس سلسلة تجذب النفوس إلى مواطن العبودية لاداء حق الربوبية ويراقب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة إلى صلاة أخرى ويسد مداخل الشيطان بحسن المحاسبة والرعاية ولا يدخل فى الصلاة إلا بعد حل العقد عن القلب بحسن التوبة والاستغفار لأن كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تنكت فى القلب نـكتة سوداء وتعقدعليه عقدة والمتفقد المحاسب يهيء الباطن للصلاة بضبط الجوارح ويحقق مقام المحاسبة فيكون عنـد ذلك لصلاته نور يشرق على أجزاء وقته إلى الصلاةالأخرى فلا تزال صلاته منورة تامةبنور وقته ووقته منورا معمورا بنور صلاته وكان بعض المحاسبين يكتب الصلوات في قرطاس ويدع بين كل صلاتين بياضا وكلما ارتـكب خطيئة من كلمة غيبة أوأمر آخر خط خطا وكلما تـكلم أوتحرك فيما لا يعنيه نقط نقطة ليعتبر ذنوبهوحركاته فيما لا يعنيه لتضيق المحاسبة مجارى الشيطان والنفس الأمارة بالسوء لموضع صدقه فى حسن الافتقاد وحرصه على تحقيق مقام العباد وهذا مقام المحاسبة والرعاية يقع من ضرورة صحة التوبة (قال) الجنيد من حسنت رعايته دامت ولايته * وسئل الواسطى أى الأعمال أفضل قال مراعاة السر والمحاسبة فى الظاهر والمراقبة فى الباطن ويكمل أحدها بالآخرة وبهما تستقيم التوبة والمراقبة والرعاية حالان

شريفان ويصيران مقامين شريفين يصحان بصحة مقام التوبة وتستقيم التوبةعلى الـكمال بهما فصارت المحاسبة والمراقبةوالرعاية من ضرورة مقام التوبة(أخبرنا) أبو زرعة اجازة عنابن خلف أبي بكرالشيرازى قال سمعت أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت الحسن الفارسي يقول سمعت الجريرى يقول أمرنا هذا مبنى على فصلين وهو أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى ويكون العلم على ظاهرك قائما(قال) المرتعش المراقبة مراعاة السر لملاحظة الحق فى كل لحظة ولفظة قال الله تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) وهذا هوعلم القيام وبذلك يتم علم الحال ومعرفة الزيادة والنقصان هو أن يعلم معيار حاله فيما بينهوبين الله وكل هذاملازم لصحة التوبة وصحة التوبة ملازم لها لأن الخواطر مقدمات العزائم والعزائم مقدمات الأعمال لأن الخواطر تحقق إرادة القلب والقلب أمير الجوارح ولا تتحرك إلا بتحرك القلب بالارادة وبالمراقبة حسم مواد الخواطر الرديئة فصار من تمام المراقبة تمـام التوبة لأن من حصر الخواطر كـفى مؤنة الجوارح لأن بالمراقبة اصطلام عروق إرادة المـكاره من القلب وبالمحاسبة استدراك ما انفلت من المراقبة (أخبرنا) أبوزرعة عنابن خلف عنالسلمى قالسمعت أباعثمان المغربي يقولأفضل مايلزم الانسان فىهذا الطريق المحاسبة والمراقبة وسياسةالعملبالعلم وإذا صحتالتوبة صحتالانابة قالإبراهيم بن أدهمإذا صدقالعبد فى توبته صار منيباً لأنالانابة ثاني درجة التوبة (وقال) أبوسعيد القرشىالمنيب الراجععنكل شيءيشغله عنالله إلىالله وقالبعضهم الانابةالرجوع منهإليه لامن شيءغيره فمن رجعمن غيره إليه ضيعأحد طرفى الانابة والمنيبعلى الحقيقةمن لم يكن لهمرجع سواهفيرجع إليهمن رجوعهثم يرجع من رجوعرجوعه فيبقىشبحا لا وصف له قائما بين يدى الحق مستغرقا فى عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الأفعال والمجاهدة تتحقق بتحقيق الرعاية والمراقبة * قالأبو سليمان ما استحسنت من نفسى عملا فاحتسبه (وقال) أبوعبد الله السجزى من استحسن شيئا من أحوالهفىحال إرادتهفسدت عليهإرادته إلاأن يرجعإلي ابتدائه فيروض نفسهثانيا ومن لم يزن نفسهبميزان الصدق فيما له وعليه لايبلغ مبلغالرجال ورؤية عيوب الأفعال

من ضرورة صحة الانابة وهو فى تحقيق مقام التوبة ولا تستقيم التوبة إلا بصدق المجاهدة ولا يصدق العبد فى المجاهدة إلا بوجود الصبر (وروى) فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول المجاهد من جاهد نفسه ولا يتم ذلك إلا بالصبر وأفضل الصبر الصبر على الله بعكوف الهم عليه وصدق المراقبة له بالقلب وحسم مواد الخواطر والصبر ينقسم إلى فرض وفضل فالفضل كالصبر على أداء المفترضات والصبر عن المحرمات ومن الصبر الذى هو فضل الصبر على الفقر والصبر عند الصدمة الأولى وكتمان المصائب والأوجاع وترك الشكوى والصبر على اخفاء الفقر والصبر على كتم المنح والكرامات ورؤية العبر والآيات ووجوه الصبر فرضا وفضلا كثيرة وكثير من الناس من يقوم بهذه الأقسام من الصبر ويضيق عن الصبر على الله بلزوم صحة المراقبة والرعاية ونفى الخواطر فاذا حقيقة الصبر كائنة فى التوبة كينونة المراقبة فى التوبة والصبر من أعز مقامات الموقنين وهو داخل في حقيقة التوبة (قال بعض العلماء) أى شىء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى فى كلامه فى نيف وتسعين موضعا وما ذكر شيأ بهذا العدد وصحة التوبة تحتوى على مقام الصبر مع شرفه ومن الصبر الصبر على النعمة وهو أن لا يصرفها فى معصية الله تعالى وهذا أيضا داخل فى صحة التوبة * وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء (وروى) عن بعض الصحابة بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد فى الرضا والغضب والصبر عن محمدة الناس والصبر على الخمول والتواضع والذل داخل فى الزهد وإن لم يكن داخلا فى التوبة وكل مافات من مقام التوبة من المقامات السنية والأحوال وجد فى الزهد وهو ثالث الأربعة التى ذكرنا وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس وطمأنينتها من تزكيتها وتزكيتها بالتوبة فالنفس إذا تزكت بالتوبة النصوح زالت عنها الشراسة الطبيعية وقلة الصبر من وجود الشراسة للنفس وابائها واستعصائها والتوبة النصوح تلين النفس وتخرجها من طبيعتها وشراستها إلى اللين لأن النفس بالمحاسبة والمراقبة تصفو وتنطفىء نيرانها المتأججة بمتابعة الهوى وتبلغ بطمأنينتها محل الرضا ومقامه وتطمئن فى مجارى الأقدار (قال أبو عبدالله) النباجى لله عباد يستحيون من الصبر ويتلقون مواضع اقداره بالرضا تلقفا (وكان) عمر بن عبد العزيز يقول أصبحت ومالى سرور إلا مواقع القضاء قال رسول الله ﷺ لابن

عباس حين وصاه اعمل لله باليقين فى الرضا فان لم يكن فان فى الصبر خيرا كثيرا (وفى الخبر) عن رسول الله ﷺ من خير ماأعطى الرجل الرضا بما قسم الله تعالى له فالأخبار والآثار والحكايات فى فضيلة الرضا وشرفه أكثر من أن تحصى والرضا ثمرة التوبة النصوح وما تخلف عبد عن الرضا إلا بتخلفه عن التوبة النصوح فاذن تجمع التوبة النصوح حال الصبر ومقام الصبر وحال الرضا ومقام الرضا والخوف والرجاء مقامان شريفان من مقامات أهل اليقين وهما كائنان فى صلب التوبة النصوح لأن خوفه حمله على التوبة ولو لا خوفه ماتاب ولولا رجاؤه ماخاف فالرجا والخوف يتلازمان في قلب المؤمن ويعتدل الخوف والرجا للتائب المستقيم فى التوبة دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو فى سياق الموت فقال كيف تجدك قال أجدني أخاف ذنوبي وارجو رحمة ربى فقال ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن إلا أعطاه الله مارجا وآمنه مما يخاف وجاء في تفسير قوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) هو العبد يذنب الكبائر ثم يقول قد هلكت لا ينفعنى عمل فالتائب خاف فتاب ورجا المغفرة ولا يكون التائب تائبا إلا وهو راج خائف ثم أن التائب حيث قيد الجوارح عن المكاره واستعان بنعم الله على طاعة الله فقد شكر النعم لأن كل جارحة من الجوارح نعمة وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها فى الطاعة وأى شاكر للنعمة أكبر من التائب المستقيم فاذا جمع مقام التوبة هذه المقامات كلها فقد جمع مقام التوبة حال الزجر وحال الانتباه وحال التيقظ ومخالفة النفس والتقوي والمجاهدة ورؤية عيوب الافعال والانابة والصبر والرضا والمحاسبة والمراقبة والرعاية والشكر والخوف والرجا وإذا صحت التوبة النصوح وتزكت النفس انجلت مرآة القلب وبان قبح الدنيا فيها فيحصل الزهد والزاهد يتحقق فيه التوكل لأنه لا يزهد فى الموجود إلا لاعتماده على الموعود والسكون إلى وعد الله تعالى هو عين التوكل وكلما بقى على العبد بقية فى تحقق المقامات كلها بعد توبته يستدركه بزهده فى الدنيا وهو ثالث الأربعة (أخبرنا) شيخنا قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى اجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس قال أنا أبو محمد يحيى بن ساعدة قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى قال حدثنا عبدالله بن المبارك قال حدثنا الهيثم

ابن جميل قال أنا محمد بن سليمان عن عبدالله بن بريدة قال قدم رسول الله ﷺ من سفر فبدأ بفاطمة رضي الله عنها فرآها قد أحدثت في البيت سترا وزوائد في يديها فلما رأى ذلك رجع ولم يدخل ثم جلس فجعل ينكت في الأرض ويقول مالي وللدنيا مالي وللدنيا فرأت فاطمة أنه إنما رجع من أجل ذلك الستر فأخذت الستر والزوائد وأرسلت بهما مع بلال وقالت له اذهب إلى النبي ﷺ فقل له قد تصدقت به فضعه حيث شئت فأتى بلال إلى النبي ﷺ فقال قالت فاطمة قد تصدقت به فضعه حيث شئت فقال النبي ﷺ بأبي وأمي قد فعلت بأبي وأمي قد فعلت اذهب فبعه (وقيل) في قوله تعالى (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) قيل الزهد في الدنيا * سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الزهد فقال هو أن لا تبالي بمن أكل الدنيا مؤمن أو كافر (وسئل) الشبلي عن الزهد فقال ويلكم أي مقدار لجناح بعوضة أن يزهد فيها * وقال أبو بكر الواسطي إلى متى تصول بترك كنيف وإلى متى تصول باعراضك عما لا تزن عند الله جناح بعوضة فاذا صح زهد العبد صح توكله أيضا لأن صدق توكله مكنه من زهده في الموجود فمن استقام في التوبة وزهد في الدنيا وحقق هذين المقامين استوفى سائر المقامات وتكون فيها وتحقق بها وترتيب التوبة مع المراقبة وارتباط إحداهما بالأخرى أن يتوب العبد ثم يستقيم في التوبة حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئا ثم يرتقي من تطهير الجوارح عن المعاصي إلى تطهير الجوارح عما لا يعني فلا يسمح بكلمة فضول ولا حركة فضول ثم ينتقل للرعاية والمحاسبة من الظاهر إلى الباطن وتستولي المراقبة على الباطن وهو التحقق بعلم القيام بمحو خواطر المعصية عن باطنه ثم خواطر الفضول فاذا تمكن من رعاية الخطرات عصم عن مخالفة الأركان والجوارح وتستقيم توبته قال الله تعالى لنبيه ﷺ (فاستقم كما أمرت) ومن تاب معك أمره الله تعالى بالاستقامة في التوبة أمراله ولأتباعه وأمته (وقيل) لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال عشرين سنة ولا يلزم من هذا وجود العصمة ولكن الصادق التائب في النادر إذا ابتلي بذنب ينمحي أثر الذنب من باطنه في ألطف ساعة لوجود الندم في باطنه على ذلك والندم توبة فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيأ فاذا تاب توبة نصوحا ثم زهد في الدنيا

حتى لا يهتم فى غدائه لعشائه ولا فى عشائه لغدائه ولا يرى الادخار ولا يكون له تعلق بغد فقد جمع فى هذا الزهد والفقر والزهد أفضل من الفقر وهو فقر وزيادة لأن الفقير عادم للشيء اضطرارا والزاهد تارك للشيء اختيارا وزهده يحقق توكله وتوكله يحقق رضاه ورضاه يحقق الصبر وصبره يحقق حبس النفس وصدق المجاهدة وحبس النفس لله يحقق خوفه وخوفه يحقق رجاءه ويجمع بالتوبة والزهد كل المقامات والزهد والتوبة إذا اجتمعا مع صحة الايمان وعقوده وشروطه يعوز هذه الثلاثة رابع به تمامها وهو دوام العمل لأن الأحوال السنية ينكشف بعضها بهذه الثلاثة وتيسير بعضها متوقف على وجود الرابع وهو دوام العمل وكثير من الزهاد المتحققين بالزهد المستقيمين فى التوبة تخلفوا عن كثير من سنى الأحوال لتخلفهم عن هذا الرابع ولا يراد الزهد فى الدنيا إلا لكمال الفراغ المستعان به على ادامة العمل لله تعالى والعمل لله أن يكون العبد لا يزال ذاكرا أو تاليا أو مصليا أو مراقبا لا يشغله عن هذه إلا واجب شرعى أو مهم لابد منه طبيعى فاذا استولى العمل القلبي عن القلب مع وجود الشغل الذى أداه إليه حكم الشرع لا يفتر باطنه عن العمل فاذا كان مع الزهد والتقوى متمسكا بدوام العمل فقد أكمل الفضل وما آلي جهدا فى العبودية (قال أبو بكر الوراق) من خرج من قالب العبودية صنع به ما يصنع بالآبق (وسئل) سهل بن عبد الله التسترى أى منزلة إذا قام العبد بها قام مقام العبودية قال إذا ترك التدبير والاختيار فاذا تحقق العبد بالتوبة والزهد ودوام العمل لله يشغله وقته الحاضر عن وقته الآتي ويصل إلى مقام ترك التدبير والاختيار ثم يصل إلى أن يملك الاختيار فيكون أخياره من اختيار الله تعالي لزوال هواه ووفور علمه وانقطاع مادة الجهل عن باطنه (قال) يحيى بن معاذ الرازى مادام العبد يتعرف يقال له لاتختر ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف فاذا عرف وصار عارفا يقال له إن شئت اختر وإن شئت لاتختر لأنك إن اخترت فباختيارنا اخترت وإن تركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار فانك بنا في الاختيار وفى ترك الاختيار والعبد لا يتحقق بهذا المقام العالى والحال العزيز الذى هو الغاية والنهاية وهو أن يملك الاختيار بعد ترك التدبير والخروج

من الاختيار إلا بأحكامه هـذه الأربعة التى ذكرناها لأن ترك التدبير فناء وتمليك التدبير والاختيار من الله تعالى لعبده ورده إلى الاختيار تصرف بالحق وهو مقام البقاء وهو الانسلاخ من وجود كان بالعبد إلى وجود يصير بالحق وهذا العبد مابقى عليه من الاعوجاج ذرة واستقام ظاهره وباطنه في العبودية وعمر العلم والعمل ظاهره وباطنه وتوطن حضرة القرب بنفس بين يدى الله عز وجل متمسكة بالاستكانة والافتقار متحققة بقول رسول ﷺ لاتكلنى إلي نفسي طرفة عين فاهلك ولا إلى أحـد من خلقك فأضيع اكلأني كلاءة الوليد ولا تخل عنى

﴿ الباب الستون فى ذكر إشارات المشايخ فى المقامات على الترتيب ﴾

(قولهم فى التوبة) قال رويم معنى التوبة أن يتوب من التوبة قيل معناه قول رابعة أستغفر الله العظيم من قلة صدق فى قولي أستغفر الله (وسئل) الحسن المغازلى عن التسوية فقال تسألنى عن توبة الانابة أو عن توبة الاستجابة فقال السائل ماتوبة الانابة فقال أن تخاف من الله عز وجل من أجل قدرته عليك فما توبة الاستجابة قال أن تستحي من الله لقربه منك وهذا الذى ذكره من توبة الاستجابة إذا تحقق العبد بها ربما تاب فى صلاته من كل خاطر يلم به سوى الله تعالي ويستغفر الله منه وهذه توبة الاستجابة لازمة لبواطن أهل القرب كما قيل : وجودك ذنب لايقاس به ذنب * قال ذوالنون توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وتوبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ مانالهُ غـيرهم (سئل) أبومحمد سهل عن الرجل يتوب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجد حلاوته فقال الحلاوة طبع البشرية ولابد من الطبع وليس له حيلة الاان يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى وينكره بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولايفارقه ويدعو الله ان ينسيه ذلك ويشغله بغـيره من ذكره وطاعته قال وان غفل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه أن لايسلم وتعمل الحلاوة فى قلبه ولـكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن فانه لايضره (وهذا) الذى قاله سهل كاف بالغ لـكل طالب صادق يريد صحة توبته (والعارف) القوى الحـال يتمكن من إزالة

الحلاوة عن باطنه ويسهل عليه ذلك وأسباب سهولة ذلك متنوعة للعارف ومن تمكن من قلبه حلاوة حب الله الخاص عن صفاء مشاهدة وصرف يقين فأى حلاوة تبقى في قلبه وإنما حلاوة الهوى لعدم حلاوة حب الله (وسئل) السوسي عن التوبة فقال التوبة من كل شيء ذمه العلم إلي ما مدحه العلم وهذا وصف يعم الظاهر والباطن لمن كوشف بصريح العلم لانه لا بقاء للجهل مع العلم كما لا بقاء لليل مع طلوع الشمس وهذا يستوعب جميع أقسام التوبة بالوصف الخاص والعام وهذا العلم يكون علم الظاهر والباطن بتطهير الظاهر والباطن باخص أوصاف التوبة وأعم أوصافها (وقال) أبو الحسن النوري التوبة أن تتوب عن كل شيء سوى الله تعالى (قولهم) فى الورع قال رسول الله ﷺ ملاك دينكم الورع (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبي بكر بن خلف عن أبي عبد الرحمن السلمى اجازة قال أنا أبو سعيد الخلال قال حدثني بن قتيبة قال حدثنا عمر بن عثمان قال حدثنا بقية عن أبى بكر بن أبى مريم عن حبيب بن عبيد عن أبي الدرداء رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ توضأ على نهر فلما فرغ من وضوئه أفرغ فضله فى النهر وقال يبلغه الله عز وجل قوما ينفعهم (قال) عمر بن الخطاب لا ينبغى لمن أخذ بالتقوى ووزن بالورع أن يذل لصاحب دنيا قال معروف الكرخى احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم (نقل) عن الحرث بن أسد المحاسبي انه كان على طرف أصبعه الوسطى عرق إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب عليه ذلك العرق (سئل الشبلى) عن الورع فقال الورع أن تتورع أن يتشتت قلبك من الله طرفة عين (وقال) أبو سليمان الدارانى الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضا (وقال) يحيى ابن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل (سئل) الخواص عن الورع فقال أن لا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضى وأن يكون اهتمامه بما يرضى الله تعالي (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبي بكر بن خلف اجازة عن السلمى قال سمعت الحسن بن أحمد بن جعفر يقول سمعت محمد بن داود الدينورى يقول سمعت ابن الجلاء يقول أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة ولم يشرب من ماء زمزم إلا من ماء استقاه بركوته ورشائه ولم يتناول من طعام جلب من مصر شيأ (وقال) الخواص الورع دليل الخوف والخوف دليل المعرفة

والمعرفة دليـل القربة (قولهم فى الزهد) قال الجنيد الزهد خلو الايدى من الاملاك والقلوب من التتبع (وسئل) الشبلى عن الزهد فقال لازهد فى الحقيقة لانه اما ان يزهد فيماليس له فليس ذلك بزهد أو يزهد فيما هو له فكيف زهد فيه وهو معه وعنده فليس إلا ظلف النفس وبذل مواساات يشير إلى الأقسام التى سبقت بها الاقلام وهذا لواطرد هدم قاعدة الاجتهاد والكسب ولكن مقصود الشبلى أن يقلل الزهد فى عين المعتد بالزهد لئلا يغتر به (قال) رسول الله ﷺ إذا رأيتم الرجل قدأوتي زهدا فى الدنيا ومنطقا فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد سمى الله عزوجل الزاهدين علماء فى قصة قارون فقال تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قيل هم الزاهدون (وقال) سهل بن عبدالله للعقل ألف إسم ولكل إسم منه ألف إسم وأول كل إسم منه ترك الدنيا (وقيل) فى قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا قيل عن الدنيا (وفى الخبر) العلماء أمناء الرسل مالم يدخلوا فى الدنيا فاذا دخلوا فى الدنيا فاحذروهم على دينكم (وجاء) فى الاثر لاتزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله مالم يبالوا مانقص من دنياهم فاذا فعلوا ذلك قالوا لا إله إلا الله قال الله تعالي كذبتم لستم بها صادقين (وقال) سهل أعمال البر كلها فى موازين الزهاد وثواب زهدهم زيادة لهم (وقيل) من سمى باسم الزهد فى الدنيا فقد سمى بالف إسم محمود ومن سمى باسم الرغبة فى الدنيا فقد سمى بألف إسم مذموم (قال) السرى الزهد ترك حظوظ النفس من جميع مافى الدنيا ويجمع هذا الحظوظ المالية والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء (وسئل) الشبلى عن الزهد فقال الزهد غفلة لان الدنيا لاشىء والزهد فى لاشىء غفلة (وقال) بعضهم لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا فى زهدهم فى الدنيا لهوانها عندهم (وعندى) ان الزهد فى الزهد غير هذا وإنما الزهد فى الزهد بالخروج من الاختيار فى الزهد لان الزهد اختار الزهد واراده وإرادته تستند إلي علمه وعلمه قاصر فاذا اقيم فى مقام ترك الارادة وانسلخ من اختياره كاشفه الله تعالي بمراده فيترك الدنيا بمراد الحق لا بمراد نفسه فيكون زهده بالله تعالي حينئذ أو يعلم ان مراد الله منه التلبس بشىء من الدنيا فما يدخل بالله فى شىء من الدنيا لا ينقص عليه زهده

فيكون دخوله فى الشيء من الدنيا بالله وباذن منه زهدا فى الزهد والزاهد فى الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمها ان تركها تركها بالله وان اخذها اخذها بالله وهذا هو الزهد فى الزهد وقد رأينا من العارفين من اقيم فى هذا المقام (وفوق) هذا مقام آخر فى الزهد وهو لمن يرد الحق إليه اختياره لسعة علمه وطهارة نفسه فى مقام البقاء فيزهد زهدا ثالثا ويترك الدنيا بعد أن مكن من ناصيتها وأعبدت عليه موهوبة ويكون تركه الدنيا فى هذا المقام باختياره واختياره من اختيار الحق فقد يختار تركها حينا تاسيا بالانبياء والصالحين ويرى أن أخذها في مقام الزهد رفق أدخل عليه لموضع ضعفه عن درك شاو الاقوياء من الأنبياء والصديقين فيترك الرفق من الحق بالحق للحق وقد يتناوله باختياره رفقا بالنفس بتدبير يسوسه فيه صريح العلم (وهذا) مقام التصرف لأقوياء العارفين زهدوا ثالثا بالله كما رغبوا ثانيا بالله كما زهدوا أولا لله (قولهم فى الصبر) قال سهل الصبر انتظار الفرج من الله وهو أفضل الخدمة واعلاها وقال بعضهم الصبر ان تصبر فى الصبر أى لاتطالع فيه الفرج (قال) الله تعالى الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (وقيل) لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين والصبر جار فى الصابر مجرى الانفاس لانه يحتاج إلى الصبر عن كل منهى ومكروه ومذموم ظاهرا وباطنا والعلم يدل والصبر يقبل ولاتنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر ومن كان العلم سائسه فى الظاهر والباطن لايتم ذلك له الا إذا كان الصبر مستقره ومسكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لايستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما وبالصبر يتحامل على النفس وبالعلم يترقى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ليستقر كل واحد منهما في مستقره وفي ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وبانفصال أحدهما عن الآخر أعنى العلم والصبر ميل أحدهما على الآخر أعنى النفس والروح وبيان ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب كل اجير أجره بحساب وأجر الصابرين بغير حساب (وقال) الله تعالى لنبيه واصبر وماصبرك

إلا بالله اضاف الصبر الى نفسه لشرف مكانه وتكمل النعمة به * قيل وقف رجل على الشبلي فقال أي صبر أشد على الصابرين فقال الصبر فى الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فغضب الشبلي وقال ويحك أى شيء هو فقال الرجل الصبر عن الله قال فصرخ الشبلي صرخة كاد أن تتلف روحه (وعندى) فى معنى الصبر عن الله وجه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه وذاك ان الصبر عن الله يكون في أخص مقدمات المشاهدة يرجع العبد عن الله استحياء واجلالا وتنطبق بصيرته خجلا وذوبانا ويتغيب فى مفاوز استكانته وتخفيه لاحساسه بعظيم أمر التجلى وهذا من أشد الصبر لانه يود استدامة هذه الحال تأدية لحق الجلال والروح تود أن تكتحل بصيرتها باستلماع نور الجمال وكان النفس منازعة لعموم حال الصبر فالروح فى هذا الصبر منازعة فاشتد الصبر عن الله تعالى لذلك (وقال) أبو الحسن بن سالم هم ثلاثة متصبر وصابر وصبار فالمتصبر من صبر فى الله فمرة يصبر ومرة يجزع والصابر من يصبر فى الله ولله ولا يجزع ولكن يتوقع منه الشكوى وقد يمكن منه الجزع وأما الصبار فذاك الذى صبره فى الله ولله وبالله فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يجزع ولا يتغير من جهة الوجود والحقيقة لا من جهة الرسم والخلقة واشارته فى هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة الطبيعة (وكان) الشبلى يتمثل بهذين البيتين

ان صوت المحب من ألم الشو ق وخوف الفراق يورث ضرا

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب للصبر صبرا

(قال) جعفر الصادق رحمه الله أمر الله تعالى انبياءه بالصبر وجعل الحظ الاعلى للرسول ﷺ حيث جعل صبره بالله لا بنفسه فقال وما صبرك إلا بالله (وسئل) السرى عن الصبر فتكلم فيه فدب على رجله عقرب فجعل يضربه بابرته فقيل له لما لا تدفعه قال استحيي من الله تعالى ان اتكلم فى حال ثم أخالف ما اتكلم فيه (أخبرنا) أبو زرعة اجازة عن أبي بكر بن خلف اجازة عن أبي عبد الرحمن قال سمعت محمد بن خالد يقول سمعت الفرغاني يقول سمعت الجنيد رحمه الله يقول ان الله تعالى أكرم المؤمنين بالايمان وأكرم الايمان بالعقل وأكرم العقل بالصبر فالايمان

زين المؤمن والعقل زين الايمان والصبر زين العقل وأنشد عن إبراهيم الخواص رحمه الله

صبرت على بعض الأذى خوف كله ودافعت عن نفسى لنفسى فعزت
وجرعتها المكروه حتى تدربت ولو لم أجرعها إذا لاشمازت
ألارب ذل ساق للنفس عزة ويارب نفس بالتذلل عزت
إذا مامددت الكف ألتمس الغنى إلى غير من قال اسألونى فشلت
سأصبر جهدى ان فى الصبر عزة وأرضى بدنياى وان هى قلت

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ماأنعم الله على عبد من نعمة ثم انتزعها فعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ماعاضه خيرا مما انتزعه منه وأنشد لسمنون

تجرعت من حاليه نعمى وابؤسا زمانا إذا أجرى عز إليه احتسى
فكم غمرة قد جرعتنى كؤسها لجرعتها من بحر صبرى اكؤسا
تدرعت صبرى والتحفت صروفه وقلت لنفسى الصبر اوفاهلكى اسى
خطوب لوان الشم زاحمن خطبها لساخت ولم ندرك لها الكف ملمسا

(قولهم فى الفقر) قال ابن الجلاء الفقر ان لايكون لك فاذا كان لك لايكون لك حتى تؤثر (وقال) الكتانى إذاصح الافتقار إلى الله تعالى صح الغنى بالله تعالى لانهما حالان لايتم أحدهما إلا بالآخر (وقال) النورى نعت الفقراء السكون عند العدم والبذل عند الوجود وقال غيره والاضطراب عند الموجود وقال الدراج فتشت كنف استاذى أريد مكحلة فوجدت فيها قطعة فتحيرت فلما جاء قلت له انى وجدت فى كنفك هذه القطعة قال قد رأيتها ردها ثم قال خذها واشتر بها شيئا فقلت ما كان أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال مارزقنى الله تعالى من الدنيا صفراء ولابيضاء غيرها فأردت ان أوصى ان تشد في كفني فاردها إلى الله (وقال) إبراهيم الخواص الفقر رداء الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين (وسئل) سهل بن عبدالله عن الفقير الصادق فقال لايسأل ولايرد ولايحبس (وقال) أبوعلى الروذبارى رحمه الله سألنى الزقاق فقال ياأباعلى لم ترك الفقراء أخذ البلغة فى وقت الحاجة قال قلت لانهم مستغنون بالمعطى عن العطايا قال نعم ولكن

وقع لى شيء آخر فقلت هات أفدنى ماوقع لك قال لانهم قوم لاينفعهم الوجود إذ لله فاقتهم ولاتضرهم الفاقة إذلله وجودهم قال بعضهم الفقر وقوف الحاجة على القلب ومحوها عماسوى الرب وقال المسوحى الفقير الذى لاتغنيه النعم ولاتفقره المحن (وقال) يحيى بن معاذ حقيقة الفقر ان لايستغنى إلا بالله ورسمه عدم الاسباب كلها وقال أبوبكر الطوسى بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الاشياء فلم يجبنى أحد بجواب يقنعنى حتى سألت نصر بن الحمامى فقال لى لانه أول منزل من منازل التوحيد فقنعت بذلك (وسئل) ابن الجلاء عن الفقر فسكت حتى صلى ثم ذهب ورجع ثم قال انى لم أسكت إلا لدرهم كان عندى فذهبت فأخرجته واستحييت من الله تعالى ان أتكلم فى الفقر وعندى ذلك ثم جلس وتكلم (قال) أبوبكر بن طاهر من حكم الفقير ان لايكون له رغبة فان كان ولابد لاتجاوز رغبته كفايته (قال) فارس قلت لبعض الفقراء مرة وعليه أثر الجوع والضر لم لاتسأل فيطعموك فقال انى أخاف ان أسألهم فيمنعونى فلا يفلحون وأنشد لبعضهم

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه ... فقلت خلعة ساق عبده الجرعا
فقر وصبرهما ثوبان تحتهما ... قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
أحرى الملابس ان تلقى الحبيب به ... يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم ان غبت ياأملى ... والعيد مادمت لى مرأى ومستمعا

(قولهم فى الشكر) قال بعضهم

الشكر هو الغيبة عن النعمة برؤية المنعم (وقال) يحيى بن معاذ الرازى لست بشاكر مادمت تشكر وغاية الشكر التحير وذلك ان الشكر نعمة من الله يجب الشكر عليها * وفى أخبار داود عليه السلام الهى كيف اشكرك وأنا لاأستطيع ان أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك فأوحى الله إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتنى ومعنى الشكر فى اللغة هو الكشف والاظهار يقال شكر وكشر إذا كشف عن ثغره واظهره فنشر النعم وذكرها وتعدادها باللسان من الشكر وباطن الشكر ان تستعين بالنعم على الطاعة ولاتستعين بها على المعصية فهو شكر النعمة وسمعت شيخنا

رحمه الله ينشد عن بعضهم

أوليتنى نعما أبوح بشكرها وكيفتنى كل الأمور باسرها
فلأشكرنك ماحييت وان امت فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

(قال) رسول الله ﷺ أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتلى فصبر واعطى فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر قيل فماباله قال أولئك لهم الامن وهم مهتدون (قال) الجنيد فرض الشكر الاعتراف بالنعم بالقلب واللسان (وفي) الحديث أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله (وقال) بعضهم فى قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال الظاهرة العوافي والغنى والباطنة البلاوي والفقر فان هذه نعم أخروية لما يستوجب بها من الجزاء (وحقيقة) الشكر أن يرى جميع المقضى له به نعما غير مايضره في دينه لان الله تعالى لا يقضى للعبد المؤمن شيئا إلا وهو نعمة في حقه فاماعاجلة يعرفها ويفهمها وإما آجلة بما يقضى له من المكاره فاما أن تكون درجة له أو تمحيصا أو تكفيرا فاذا علم ان مولاه انصح له من نفسه واعلم بمصالحه وان كل مامنه نعم فقد شكر (قولهم فى الخوف) قال رسول الله ﷺ رأس الحكمة مخافة الله (وروى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال كان داود النبي عليه السلام يعوده الناس يظنون ان به مرضا ومابه مرض الا خوف الله تعالى والحياء منه (قال) أبو عمر الدمشقى الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان (وقال) بعضهم ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه ولكن الخائف التارك مايخاف ان يعذب عليه (وقيل) الخائف الذى لايخاف غير الله قيل أى لايخاف لنفسه إنما يخاف اجلالاله والخوف للنفس خوف العقوبة (وقال) سهل الخوف ذكر والرجاء أنثى أى منهما تتولد حقائق الايمان (قال) الله تعالي ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وايا كم ان اتقوا الله (قيل) هذه الآية قطب القرآن لان مدار الأمر كله على هذا (وقيل) ان الله تعالى جمع للخائفين مافرقه على المؤمنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان فقال تعالى هدي ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه (وقال)

سهل كمال الايمان بالعلم وكمال العلم بالخوف (وقال) أيضا العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة (وقال) ذوالنون لايسقى المحبة إلا كاس المحبة إلا من بعد ان ينضج الخوف قلبه (وقال) فضيل بن عياض إذا قيل لك تخاف الله أسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت فليس وصفك وصف من يخاف ﴿قولهم في الرجاء﴾ (قال) رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ثم يقول وعزتي وجلالي لا أجعل من آمن بي في ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي (قيل) جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال من يلي حساب الخلق فقال الله تبارك وتعالى قال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال النبي ﷺ مما ضحكت يا اعرابي فقال ان الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح (وقال) شاه الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة (وقيل) الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال (وقيل) قرب القلب من ملاطفة الرب قال أبو علي الروذباري الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم في طيرانه (قال) أبو عبدالله بن خفيف الرجاء ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو (قال) مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا والخوف والرجاء للايمان كالجناحين ولا يكون خائفا إلا وهو راج ولا راجيا إلا وهو خائف لان موجب الخوف الايمان وبالايمان رجاء وموجب الرجاء الايمان ومن الايمان خوف ولهذا المعنى روى عن لقمان انه قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تأمن فيه مكره وارجه أشد من خوفك قال فكيف استطيع ذلك وإنما لي قلب واحد قال اما علمت ان المؤمن لذو قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر وهذا لأنهما من حكم الايمان ﴿قولهم في التوكل﴾ قال السري التوكل الانخلاع من الحول والقوة (وقال) الجنيد التوكل ان تكون لله كما لم تكن فيكون الله لك كما لم يزل (وقال) سهل كل المقامات لها وجه وقفا غير التوكل فانه وجه بلا قفا (قال) بعضهم يريد توكل العناية لا توكل الكفاية والله تعالى جعل التوكل مقرونا بالايمان فقال وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال لنبيه وتوكل على الحي الذي لا يموت (وقال) ذوالنون التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة (وقال) أبو بكر الزقاق التوكل رد العيش إلى يوم واحد

واسقاط هم غد (وقال) أبو بكر الواسطى أصل التوكل صدق الفاقة والافتقار وان لايفارق التوكل فى امانيه ولا يلتفت بسره إلى توكله لحظة فى عمره (وقال) بعضهم من أراد ان يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبرا يدفنها فيه وينس الدنيا وأهلها لان حقيقة التوكل لايقوم له أحد من الخلق على كماله (وقال) سهل أول مقامات التوكل أن يكون العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف أراد ولا يكون له حركة ولا تدبير (وقال) حمدون القصار التوكل هو الاعتصام بالله (وقال) سهل أيضا العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل (وقال) التقوى واليقين مثل كفتى الميزان والتوكل لسانه به تعرف الزيادة والنقصان ويقع لى أن التوكل على قدر العلم بالوكيل فكل من كان اتم معرفة كان أتم توكلا ومن كمل توكله غاب فى رؤية الوكيل عن رؤية توكله ثم ان قوة المعرفة تفيد صرف العلم بالعدل فى القسمة وان الاقسام نصبت بازاء المقسوم لهم عدلا وموازنة فان النظر إلى غير الله لوجود الجهل فى النفس وكل ما أحس بشيء يقدح فى توكله يراه من منبع النفس. فنقصان التوكل يظهر بظهور النفس وكماله يثبت بغيبة النفس وليس للاقوياء اعتداد بتصحيح توكلهم وانما شغلهم فى تغييب النفس بتقوية مواد القلب فاذا غابت النفس انحسمت مادة الجهل فصح التوكل والعبد غير ناظر اليه وكلما تحرك من النفس بقية يرد على ضميرهم سر قوله تعالى ان الله يعلم مايدعون من دونه من شيء فيغلب وجود الحق الاعيان والاكوان ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون فى نفسه ويصير التوكل حينئذ اضطرارا ولا يقدح في توكل مثل هذا المتوكل مايقدح في توكل الضعفاء في التوكل من وجود الاسباب والوسائط لانه يرى الأسباب مواتا لاحياة لها الا بالتوكل وهذا توكل خواص أهل المعرفة

﴿ قولهم فى الرضا ﴾ قال الحرث الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم وقال ذو النون الرضا سرور القلب بمر القضاء (وقال) سفيان عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت له أما تستحى أن تطلب رضا من لست عنه براض فسألها بعض الحاضرين متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى فقالت إذا كان سروره بالمصيبة

كسروده بالنعمة (وقال) سهل اذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت الطمانينة فطوبى لهم وحسن مآب (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا (وقال) عليه السلام ان الله تعالى بحكمته جعل الروح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط (وقال) الجنيد الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب فاذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا وليس الرضا والمحبة كالخوف والرجاء فانهما حالان لا يفارقان العبد فى الدنيا والآخرة لأنه فى الجنة لا يستغنى عن الرضا والمحبة (وقال) ابن عطاء الرضا سكون القلب إلي قديم اختيار الله للعبد لأنه اختار له الأفضل فيرضى له وهو ترك السخط (وقال) أبو تراب ليس ينال الرضا من الله من للدنيا فى قلبه مقدار قال السرى خمس من أخلاق المقربين الرضا عن الله فيما تحب النفس وتكره والحب له بالتحبب إليه والحياء من الله والأنس به والوحشة مما سواه (وقال) الفضيل الراضى لا يتمنى فوق منزلته شيأ وقال ابن شمعون الرضا بالحق والرضا له والرضا عنه فالرضا به مدبرا ومختارا والرضا عنه قاسما ومعطيا والرضا له إلها وربا (سئل) أبو سعيد هل يجوز أن يكون العبد راضيا ساخطا قال نعم يجوز أن يكون راضيا عن ربه ساخطا على نفسه وعلى كل قاطع يقطعه عن الله وقيل للحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنهما أن أباذر يقول الفقر أحب إلى من الغنى والسقم أحب إلى من الصحة قال رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن أنه فى غير الحالة التى اختار الله له وقال على رضى الله عنه من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه أبدا ومن جلس على بساط السؤال لم يرض عن الله فى كل حال (وقال) يحيى يرجع الأمر كله إلى هذين الأصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضي بما عمل وتخلص فيما تعمل (وقال) بعضهم الراضي من لم يندم على فائت من الدنيا ولم يتأسف عليها (وقيل) ليحيى بن معاذ متي يبلغ العبد إلى مقام الرضا قال إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به يقول إن أعطيتنى قبلت وإن منعتنى رضيت وإن تركتنى عبدت وإن دعوتنى أجبت وقال الشبلى رحمه الله بين يدى الجنيد لا حول

ولاقوة إلا بالله قال الجنيد قولك ذا ضيق صدر فقال صدقت قال فضيق الصدر ترك الرضا بالقضاء وهذا إنما قاله الجنيد رحمه الله تنبيها منه على أصل الرضا وذلك أن الرضا يحصل لانشراح القلب وانفساحه وانشراح القلب من نور اليقين قال الله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فاذا تمكن النور من الباطن اتسع الصدر وانفتحت عين البصيرة وعاين حسن تدبير الله تعالى فينتزع السخط والتضجر لأن اتساع القدرة يتضمن حلاوة الحب وفعل المحبوب بموقع الرضا عن المحب الصادق لأن المحب يرى أن الفعل من المحبوب مراده واختياره فيفنى فى لذة رؤية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه كما قيل وكل ما يفعل المحبوب محبوب

﴿ الباب الحادى والستون فى ذكر الأحوال وشرحها ﴾

(حدثنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى رحمه الله قال أنا أبو طالب الزينى قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أنا أبو الهيثم الكشميهنى قال أنا أبو عبد الله الفريرى قال أنا أبو عبد الله البخارى قال حدثنا سليمان ابن حرب قال حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس ابن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبه إلا لله ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذا أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار (وأخبرنا) شيخنا أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا أبو عمر بن حيوة قال حدثنى أبو عبيد بن مؤمل عن أبيه قال حدثنى بشر بن محمد قال حدثنا عبد الملك ابن وهب عن ابراهيم بن عبلة عن العرباض بن سارية قال كان رسول الله ﷺ يدعو اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسى وسمعى وبصرى وأهلى ومالي ومن الماء البارد فكان رسول الله ﷺ طلب خالص الحب وخالص الحب هو أن يحب الله تعالى بكليته وذلك ان العبد قد يكون في حال قائما بشروط حاله بحكم العلم والجبلة تتقاضاه بضد العلم مثل أن يكون راضيا والجبلة قد تكره ويكون النظر إلى الانقياد بالعلم لا إلى الاستعصاء بالجبلة فقد يحب الله تعالى ورسوله بحكم الايمان

ويحب الأهل والولد بحكم الطبع وللمحبة وجوه وبواعث المحبة فى الانسان متنوعة * فنها محبة الروح ومحبة القلب ومحبة النفس ومحبة العقل فقول رسول الله ﷺ وقد ذكر الأهل والمال والماء البارد معناه استئصال عروق المحبة بمحبة الله تعالى حتى يكون حب الله تعالى غالبا فيحب الله تعالى بقلبه وروحه وكليته حتى يكون حب الله تعالى أغلب فى الطبع أيضا والجبلة من حب الماء البارد وهذا يكون حبا صافيا لخواص تنغمر به وبنوره نار الطبع والجبلة وهذا يكون حب الذات عن مشاهدة بعكوف الروح وخلوصه إلى مواطن القرب (قال) الواسطى فى قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فالهاء راجعة إلي الذات دون النعوت والصفات (وقال) بعضهم المحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن حبه فيه حقيقة فاذا الحب حبان حب عام وحب خاص فالحب العام مفسر بامتثال الأمر وربما كان حبا من معدن العلم بالآلاء والنعماء وهذا الحب مخرجه من الصفات وقد ذكر جمع من المشايخ الحب فى المقامات فيكون النظر إلى هذا الحب العام الذى يكون لكسب العبد فيه مدخل (وأما) الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذى فيه السكرات وهو الاصطناع من الله الكريم لعبده واصطفاؤه إياه وهذا الحب يكون من الأحوال لأنه محض موهبة ليس للكسب فيه مدخل وهو مفهوم من قول النبى ﷺ أحب إلى من الماء البارد لانه كلام عن وجدان روح تلتذ بحب الذات (وهذا) الحب روح والحب الذى يظهر عن مطالعة الصفات ويطلع من مطالع الايمان قالب هذا الروح ولما صحت محبتهم هذه أخبر الله تعالى عنهم بقوله (أذلة على المؤمنين) لان المحب يدل لمحبوبه ولمحبوب محبوبه وينشد

لعين تفدى ألف عين وتتقى ويكرم ألف للحبيب المكرم

وهذا الحب الخالص هو أصل الأحوال السنية وموجبها وهو فى الأحوال كالتوبة فى المقامات فمن صحت توبته على الكمال تحقق بسائر المقامات من الزهد والرضا والتوكل على ماشرحناه أولا ومن صحت محبته هذه تحقق بسائر الأحوال من الفناء والبقاء والصحو والمحو وغير ذلك والتوبة لهذا الحب أيضا بمثابة الجسمان لأنها مشتملة على الحب العام الذى هو لهذا الحب كالجسد ومن أخذ فى طريق المحبوبين وهو

طريق خاص من طريق المحبة يكمل فيه ويجتمع له روح الحب الخاص مع قالب الحب العام الذى تشتمل عليه التوبة النصوح وعند ذلك لا يتقلب فى أطوار المقامات لأن التقلب فى أطوار المقامات والترقى من شىء منها إلى شىء طريق المحبين ومن أخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ومن قوله تعالى (ويهدى إليه من ينيب) أثبت كون الانابة سببا للهداية فى حق الحب وفى حق المحبوب صرح بالاجتباء غير معلل بالكسب فقال تعالى (الله يجتبي إليه من يشاء) فمن أخذ فى طريق المحبوبين بطوى بساط أطوار المقامات ويندرج فيه صفوها وخالصها بأتم وصفها والمقامات لا تقيده ولا تحبسه وهو يقيدها ويحبسها بترقية منها وانتزاعه صفوها وخالصها لأنه حيث أشرقت عليه أنوار الحب الخاص خلع ملابس صفات النفس ونعوتها والمقامات كلها مصفية للنعوت والصفات النفسانية فالزهد يصفيه عن الرغبة والتوكل يصفيه عن قلة الاعتماد المتولد عن جهل النفس والرضا يصفيه عن ضربان عرق المنازعة والمنازعة لبقاء جمود فى النفس ما أشرق عليها شموس المحبة الخاصة فبقى ظلمتها وجمودها فمن تحقق بالحب الخاص لانت نفسه وذهب جمودها فماذا ينزع الزهد منه من الرغبة ورغبة الحب أحرقت رغبته وماذا يصفى منه التوكل ومطالعة الوكيل حشو بصيرته وماذا يسكن فيه الرضا من عروق المنازعة والمنازعة ممن لم تسلم كلية (قال) الروذبارى مالم تخرج من كليتك لا تدخل فى حد المحبة وقال أبو يزيد من قتلته محبته فديته رؤيته ومن قتله عشقه فديته منادمته (أخبرنا) بذلك أبو زرعة عن ابن خلف عن أبى عبد الرحمن قال سمعت احمد بن على بن جعفر يقول سمعت الحسين بن علوية يقول قال أبو يزيد ذلك فاذا التقلب فى أطوار المحبين وطى بساط الأطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون تخلفت عن هممهم المقامات وربما كانت المقامات على مدارج طبقات السموات وهى مواطن من يتعثر فى أذيال بقاياه (قال) بعض الكبار لابراهيم الخواص إلى ماذا أدى بك التصوف فقال إلى التوكل فقال تسعى فى عمران باطنك أين أنت من الفناء فى التوكل برؤية الوكيل فالنفس إذا تحركت بصفتها متفلتة من دائرة الزهد يردها الزاهد إلى الدائرة بزهده والمتوكل إذا تحركت نفسه يردها بتوكله والرضى

يردها برضاه وهذه الحركة من النفس بقايا وجودية تفتقر إلى سياسة العلم وفى ذلك تنسم روح القرب من بعيد وهو اداء حق العبودية مبلغ العلم وبحسبه الاجتهاد والكسب ومن أخذ فى طريق الخاصة عرف طريق التخلص من البقايا بالتستر بأنوار فضل الحق ومن اكتسى ملابس نور القرب بروح دائمة العكوف محمية عن الطوارق والصروف لا يزعجه طلب ولا يوحشه سلب فالزهد والتوكل والرضا كائن فيه وهو غير كائن فيها على معنى أنه كيف تقلب كان زاهدا وإن رغب لأنه بالحق لا بنفسه وإن رؤى منه الالتفات إلى الأسباب فهو متوكل وإن وجد منه الكراهة فهو راض لأن كراهته لنفسه ونفسه للحق وكراهته للحق أعيد إليه نفسه بدواعيها وصفاتها مطهرة موهوبة محمولة ملطوف بها صار عين الداء دواءه وصار الاعلال شفاءه وناب طلب الله له مناب كل طالب من زهد وتوكل ورضا أو صار مطلوبه من الله ينوب عن كل مطلوب من زهد وتوكل ورضا (قالت رابعة) محب الله لا يسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه (وقال) أبو عبدالله القرشى حقيقة المحبة أن تهب لمن أحببت كلك ولا يبقى لك منك شىء (وقال) أبو الحسين الوراق السرور بالله من شدة المحبة له والمحبة فى القلب نار تحرق كل دنس (وقال) يحيى بن معاذ صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبر الانسان عن حبيبه (وقال بعضهم) من ادعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة الجنة من غير انفاق ملكه فهو كذاب ومن ادعى حب رسول الله ﷺ من غير حب الفقراء فهو كذاب وكانت رابعة تنشد

تعصى الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وإذا كان الحب للأحوال كالتوبة للمقامات فمن ادعى حالا يعتبر حبه ومن ادعى محبة تعتبر توبته فان التوبة قالب روح الحب وهذا الروح قيامه بهذا القلب والأحوال اعراض قوامها بجوهر الروح (وقال) سمنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لأن النبى ﷺ قال المرء مع من أحب فهو مع الله تعالى (وقال) أبو يعقوب السوسى

لا تصح المحبة حتى تخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب فى الغيب ولم يكن هذا بالمحبة فاذا خرج المحب إلى هذه النسبة كان محبا من غير محبة (سئل) الجنيد عن المحبة قال دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب (قيل) هذا على معنى قوله تعالى (فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا) وذلك أن المحبة إذا صفت وكملت لا تزال تجذب بوصفها إلى محبوبها فاذا انتهت إلى غاية جهدها وقفت والرابطة متأصلة متأكدة وكمال وصف المحبة ازال الموانع من المحب وبكمال وصف المحبة تجذب صفات المحبوب تعطفا على المحب المخلص من موانع قادحة في صدق الحب ونظرا إلي قصوره بعد استنفاد جهده فيعود المحب بفوائد اكتساب الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتنى أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

وهذا الذى عبرنا عنه حقيقة قول رسول الله ﷺ تخلقوا بأخلاق الله لأنه بنزاهة النفس وكمال التزكية يستعد للمحبة والمحبة موهبة غير معللة بالتزكية ولكن سنة الله جارية أن يزكى نفوس أحبائه بحسن توفيقه وتأييده وإذا منح نزاهة النفس وطهارتها ثم جذب روحه بمجاذب المحبة خلع عليه خلع الصفات والأخلاق ويكون ذلك عنده رتبة في الوصول فتارة ينبعث الشوق من باطنه إلى ماوراء ذلك لكون عطايا الله غير متناهية وتارة يتسلى بما منح فيكون ذلك وصوله الذى يسكن نيران شوقه وبباعث الشوق تستقر الصفات الموهوبة المحققة رتبة الوصول عند المحب ولولا باعث الشوق رجع القهقري وظهرت صفات نفسه الحائلة بين المرء وقلبه ومن ظن من الوصول غيرما ذكرناه أو تخايل له غير هذا القدر فهو متعرض لمذهب النصارى فى اللاهوت والناسوت (وإشارات) الشيوخ فى الاستغراق والفناء كلها عائدة إلي تحقيق مقام المحبة باستيلاء نور اليقين وخلاصة الذكر على القلب وتحقيق حق اليقين بزوال اعوجاج البقايا وامنت اللوث الوجودى من بقاء صفات النفس وإذا صحت المحبة ترتبت عليها الأحوال وتبعتها (سئل) الشبلى عن المحبة فقال كاس

لها وهج إذا استقر في الحواس وسكن فى النفوس تلاشت (وقيل) للمحبة ظاهر وباطن ظاهرها اتباع رضا المحبوب وباطنها أن يكون مفتونا بالحبيب عن كل شيء ولا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه (فمن الأحوال السنية فى المحبة الشوق) ولا يكون المحب إلا مشتاقا أبدا لأن أمر الحق تعالى لا نهاية له فما من حال يبلغها المحب إلا ويعلم أن ما وراء ذلك أوفى منها وأتم

حزني كحسنك لا لذا أمد ينهى إليه ولا لذا أمد

(ثم) هذا الشوق الحادث عنده ليس كسبه وإنما هو موهبة خص الله تعالى بها المحبين قال أحمد بن أبي الحوارى دخلت على أبي سليمان الدرانى فرأيته يبكي فقلت ما يبكيك رحمك الله قال ويحك يا أحمد إذا جن هذا الليل افترشت أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وأشرف الجليل جل جلاله عليهم يقول بعيني من تلذذ بكلامى واستراح إلى مناجاتى وإنى مطلع عليهم فى خلواتهم اسمع أنينهم وأرى بكاءهم يا جبريل نادفيهم ما هذا البكاء الذى أراه فيكم أهل خبركم مخبر ان حبيبا يعذب أحبابه بالنار كيف يجمل بى أن أعذب قوما إذا جن عليهم الليل تملقوا إلى فبي حلفت إذا وردوا القيامة على أن اسفر لهم عن وجهى وأبيحهم رياض قدسى (وهذه) أحوال قوم من المحبين أقيموا مقام الشوق والشوق من المحبة كالزهد من التوبة إذا استقرت التوبة ظهر الزهد وإذا استقرت المحبة ظهر الشوق (قال) الواسطى فى قوله تعالى (وعجلت إليك رب لترضى) قال شوقا واستهانة بمن وراءه قال هم الاء على أثرى من شوقه إلى مكالمة الله ورمى بالألواح لما فاته من وقته (قال) أبو عثمان الشوق ثمرة المحبة فمن أحب الله اشتاق إلى لقائه (وقال) أيضا في قوله تعالى (فان أجل الله لآت) تقربة للمشتاقين معناه إنى أعلم أن شوقكم الى غالب وأنا أجلت للقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم إلي من تشتاقون إليه (وقال) ذو النون الشوق أعلى الدرجات وأعلى المقامات فاذا بلغها الانسان استبطأ الموت شوقا إلى ربه ورجاء للقائه والنظر إليه (وعندي) أن الشوق الكائن فى المحبين إلى رتب يتوقعونها فى الدنيا غير الشوق الذى يتوقعون به ما بعد الموت والله تعالى يكاشف أهل وده بعطايا يجدونها علما ويطلبونها ذوقا فكذلك يكون شوقهم ليصير العلم ذوقا وليس من ضرور

مقام الشوق استبطاء الموت وربما الأصحاء من المحبين يتلذذون بالحياة لله تعالى كما قال الجليل لرسوله عليه الصلاة والسلام (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) فمن كانت حياته لله منحة الكريم لذة المناجاة والمحبة فتمتلىء عينه من النقد ثم يكاشفه من المنح والعطايا في الدنيا مايتحقق بمقام الشوق من غير الشوق إلي مابعد الموت وانكر بعضهم مقام الشوق وقال إنما يكون الشوق لغائب ومتى يغيب الحبيب عن الحبيب حتى يشتاق ولهذا سئل الانطاكى عن الشوق فقال إنما يشتاق إلى الغائب وما غبت عنه منذ وجدته وإنكار الشوق على الاطلاق لا أرى لها وجها لأن رتب العطايا والمنح من انصبة القرب إذ كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من المحب فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة إلى ماوجد ولكن يكون مشتاقا إلي مالم يجد من انصبة القرب فكيف يمنع حال الشوق والأمر هكذا (ووجه آخر) إن الانسان لا بد له من أمور يردها حكم الحال لموضع بشريته وطبيعته وعدم وقوفه على حد العلم الذى يقتضيه حكم الحال ووجود هذه الأمور مثير لنار الشوق ولا نعنى بالشوق إلا مطالبة تنبعث من الباطن إلى الأولى والأعلى من انصبة القرب وهذه المطالبة كائنة فى المحبين فالشوق إذا كائن لا وجه لانكاره وقد قال قوم شوق المشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيبوبة فيكون في حال الغيبوبة مشتاقا إلى اللقاء ويكون فى حال اللقاء والمشاهدة مشتاقا إلي زوائد ومبار من الحبيب وأفضاله وهذا هو الذى أراه وأختاره (وقال فارس) قلوب المشتاقين منورة بنور الله فاذا تحركت اشتياقا أضاء النور مابين المشرق والمغرب فيعرضهم الله على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون إلى أشهدكم أنى إليهم أشوق (وقال) أبو يزيد لو أن الله حجب أهل الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار (سئل) ابن عطاء عن الشوق فقال هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الأكباد من البعد بعد القرب (سئل) بعضهم هل الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لان الشوق يتولد منها فلا مشتاق إلا من غلبه الحب فالحب أصل والشوق فرع وقال النصراباذى للخلق كلهم مقام الشوق لا مقام الاشتياق ومن دخل فى حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار (ومنها الانس) وقد سئل الجنيد عن الانس فقال ارتفاع الحشمة مع وجود

الهيبة (وسئل) ذوالنون عن الانس فقال هوانبساط المحب إلي المحبوب قيل معناه قول الخليل ارنى كيف تحيي الموتي وقول موسى أرنى أنظر إليك وأنشد لرويم

شغلت قلبي بما لديك فلا ينفك طول الحياة عن فكر
آنستنى منك بالوداد فقد أوحشتنى من جميع ذا البشر
ذكرك لى مؤنس يعارضنى يوعدني عنك منك بالظفر
وحيثما كنت يامدى هممى فانت منى بموضع النظر

(وروى) ان مطرف بن الشخير كتب إلي عمر بن عبدالعزيز ليكن انسك بالله وانقطاعك إليه فان لله عبادا استأنسوا بالله وكانوا فى وحدتهم أشد استئناسا من الناس فى كثرتهم وأوحش مايكون الناس أنس ما يكونون وآنس مايكون الناس أوحش مايكونون قال الواسطى لايصل إلى محل الانس من لم يستوحش من الاكوان كلها (وقال) أبو الحسين الوراق لايكون الانس بالله إلاومعه التعظيم لان كل من استأنست به سقط عن قلبك تعظيمه إلاالله تعالى فانك لاتتزايد به انسا الاازددت منه هيبة وتعظيما (قالت) رابعة كل مطيع مستأنس وأنشدت

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى وابحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس وحبيب قلبي فى الفؤاد أنيسى

(وقال مالك بن دينار) من لم يانس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمى قلبه وضيع عمره * قيل لبعضهم من معك فى الدار قال الله تعالى معى ولايستوحش من أنس بربه (وقال الخراز) الانس محادثة الارواح مع المحبوب فى مجالس القرب ووصف بعض العارفين صفة أهل المحبة الواصلين فقال جدد لهم الود فى كل طرفة بدوام الاتصال وآواهم فى كنفه بحقائق السكون إليه حتى أنت قلوبهم وحنت أرواحهم شوقا وكان الحب والشوق منهم اشارة من الحق إليهم عن حقيقة التوحيد وهو الوجود بالله فذهبت منامهم وانقطعت آمالهم عنده لمابان منه لهم ولوان الحق تعالي أمر جميع الأنبياء يسألون لهم ماسألوه بعض ماأعدلهم من قديم وحدانيته ودوام أزليته وسابق علمه وكان نصيبهم معرفتهم به وفراغ هممهم عليه واجتماع أهوائهم فيه فصار يحسدهم من عبيده العموم ان رفع عن

قلوبهم جميع الهموم (وأنشد فى معناه)

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت إذ رأتك النفس أهوائى
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يادينى ودنيائى

(وقد) يكون من الانس الانس بطاعة الله وذكره وتلاوة كلامه وسائر أبواب القربات وهذا القدر من الانس نعمة من الله تعالى ومنحة منه ولكن ليس هو حال الانس الذي يكون للمحبين والانس حال شريف يكون عند طهارة الباطن وكنسه بصدق الزهد وكمال التقوى وقطع الأسباب والعلائق ومحو الخواطر والهواجس وحقيقته عندى كنس الوجود بثقل لائح العظمة وانتشار الروح فى ميادين الفتوح وله استقلال بنفسه يشتمل على القلب فيجمعه به عن الهيبة وفي الهيبة اجتماع الروح ورسوبه إلى محل النفس وهذا الذى وصفناه من أنس الذات وهيبة الذات يكون فى مقام البقاء بعد العبور على ممر الفناء وهما غير الانس والهيبة اللذين يذهبان بوجود الفناء لان الهيبة والانس قبل الفناء ظهرا من مطالعة الصفات من الجلال والجمال وذلك مقام التلوين وماذكرناه بعد الفناء فى مقام التمكين والبقاء من مطالعة الذات ومن الانس خضوع النفس المطمئنة ومن الهيبة خشوعها والخضوع والخشوع يتقاربان ويفترقان بفرق لطيف يدرك بإيماء الروح (ومنها) القرب قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام واسجد واقترب وقد ورد أقرب مايكون العبد من ربه فى سجوده فالساجد إذا أذيق طعم السجود يقرب لانه يسجد ويطوي بسجوده بساط الكون ماكان وما يكون ويسجد على طرف رداء العظمة فيقرب (قال) بعضهم انى لاأجد الحضور فأقول ياالله أويارب فاجد ذلك على أثقل من الجبال قيل ولم قال لان النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا ينادى جليسه وإنما هى اشارات وملاحظات ومناغاة وملاطفات وهذا الذى وصفه مقام عزيز متحقق فيه القرب ولكنه مشعر بمحو ومؤذن بسكر يكون ذلك لمن غابت نفسه في نور روحه لغلبة سكره وقوة محوه فاذا صحا وأفاق تتخلص الروح من النفس والنفس من الروح ويعود كل من العبد إلى محله ومقامه فيقول ياالله

ويارب بلسان النفس المطمئنة العائدة إلى مقام حاجتها ومحل عبوديتها والروح
تستقل بفتوحه وبكمال الحال عن الأقوال وهذا أتم وأقرب من الأول لانه وفي
حق القرب باستقلال الروح بالفتوح وأقام رسم العبودية بعود حكم النفس إلى
محل الافتقار وحظ القرب لايزال يتوفر نصيب الروح باقامة رسم العبودية من
النفس (وقال الجنيد) ان الله تعالي يقرب من قلوب عباده على حسب مايرى من قرب
قلوب عباده منه فانظر ماذا يقرب من قلبك (وقال أبو يعقوب السوسى) مادام
العبد يكون بالقرب لم يكن قريبا حتى يغيب عن رؤية القرب بالقرب فاذا ذهب
عن رؤية القرب بالقرب فذلك قرب وقد قال قائلهم

قد تحققتك فى السر * فناجاك لسانى فاجتمعنا لمعان * وافترقنا لمعان
ان يكن غيبك التعـ * ظيم عن لحظ عياني فلقد صيرك الوجد * من الاحشاء دانى

قال ذو النون ماازداد أحد من الله قربة إلا ازداد هيبة (وقال سهل) أدني مقام من
مقامات القرب الحياء وقال النصراباذى باتباع السنة تنال المعرفة وباداء الفرائض
تنال القربة وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة * ومنها الحياء والحياء على الوصف
العام والوصف الخاص فأما الوصف العام فما أمر به رسول الله ﷺ فى قوله
استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحيى يارسول الله قال ليس ذلك ولكن
من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وماوعى والبطن وماحوي وليذكر
الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله
حق الحياء وهذا الحياء من المقامات وأما الحياء الخاص فمن الأحوال وهو مانقل
عن عثمان رضى الله عنه انه قال اني لاغتسل في البيت المظلم فانطوى حياء من الله
(أخبرنا أبو زرعة) عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن قال سمعت أبا العباس البغدادى
يقول سمعت أحمد السقطى بن صالح يقول سمعت محمد بن عبدون يقول سمعت
أبا العباس المؤدب يقول قال لي سرى إحفظ عنى ماأقول لك إن الحياء والانس
يطوفان بالقلب فاذا وجدا فيه الزهد والورع حطا والا رحلا والحياء اطراق
الروح اجلالا لعظيم الجلال والانس التذاذ الروح بكمال الجمال فاذا اجتمعا فهو
الغاية فى المنى والنهاية فى العطاء وأنشد شيخ الاسلام

أشتاقه فاذا بدا أطرقت من اجلاله لاخيفة بل هيبة وصيانة لجماله
الموت فى ادباره والعيش فى اقباله واصد عنه إذا بدا واروم طيف خياله قال بعض الحكماء من تكلم فى الحياء ولايستحى من الله فيما يتكلم به فهو مستدرج (وقال ذوالنون) الحياء وجود الهيبة فى القلب مع حشمة ماسبق منك إلي ربك (وقال ابن عطاء) والعلم الأكبر الهيبة والحياء فاذا ذهب عنه الهيبة والحياء فلا خير فيه (وقال أبوسليمان) ان العباد عملوا على أربع درجات على الخوف والرجاء والتعظيم والحياء وأشرفهم منزلة من عمل على الحياء لما ايقن ان الله تعالى يراه على كل حال استحيا من حسناته أكثر مما استحيا العاصون من سيآتهم (وقال بعضهم) الغالب على قلوب المستحيين الاجلال والتعظيم دائما عند نظر الله إليهم * ومنها الاتصال (قال النورى) الاتصال مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار وقال بعضهم الاتصال وصول السر إلى مقام الذهول وقال بعضهم الاتصال أن لايشهد العبد غير خالقه ولايتصل بسره خاطر لغير صانعه (وقال) سهل بن عبدالله حركوا بالبلاء فتحركوا ولو سكنوا اتصلوا (وقال يحيى بن معاذ الرازى) العمال أربعة تائب وزاهد ومشتاق وواصل فالتائب محجوب بتوبته والزاهد محجوب بزهده والمشتاق محجوب بحاله والواصل لايحجبه عن الحق شىء (وقال أبوسعيد القرشى) الواصل الذى يصله الله فلايخشى عليه القطع أبدا والمتصل الذى بجهده يتصل وكلما دنا انقطع وكان هذا الذى ذكره حال المريد والمراد لكون أحدهما مباد بالكشوف وكون الآخر مردود إلى الاجتهاد (وقال أبويزيد) الواصلون فى ثلاثة أحرف همهم لله وشغلهم فى الله ورجوعهم إلي الله وقال السيارى الوصول مقام جليل وذلك ان الله تعالى إذا أحب عبدا أن يوصله اختصر عليه الطريق وقرب إليه البعيد (وقال الجنيد) الواصل هو الحاصل عند ربه (وقال رويم) أهل الوصول أوصل الله إليهم قلوبهم فهم محفوظون القوى ممنوعون من الخلق أبدا (وقال) ذو النورى ما رجع من رجع إلا من الطريق وما وصل إليه أحد فرجع عنه واعلم أن الاتصال والمواصلة أشار إليه الشيوخ وكل من وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو من رتبة الوصول ثم يتفاوتون فنهم

من يجد الله بطريق الأفعال وهو رتبة فى التجلى فيفنى فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج فى هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة فى الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والأنس بما يكاشف قلبه به من مطالعة الجمال والجلال وهذا تجلى طريق الصفات وهو رتبة فى الوصول ومنهم من ترقى لمقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيبا فى شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلى الذات لخواص المقربين وهذا المقام رتبة فى الوصول وفوق هذا حق اليقين ويكون ذلك في الدنيا للخواص لمح وهو سريان نور المشاهدة فى كلية العبد حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من أعلى رتب الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة انه بعد فى أول المنزل فأين الوصول هيهات منازل طريق الوصول لا تقطع أبدا الآباد فى عمر الآخرة الأبدى فكيف في العمر القصير الدنيوى * ومنها القبض والبسط وهما حالان شريفان قال الله تعالى (والله يقبض ويبسط) وقد تكلم فيهما الشيوخ وأشاروا باشارات هى علامات القبض والبسط ولم أجد كشفا عن حقيقتهما لأنهم اكتفوا بالاشارة والاشارة تقنع الأهل وأحببت ان أشبع الكلام فيهما لعله يتشوق إلي ذلك طالب ويحب بسط القول فيه والله أعلم (واعلم) أن القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لا يكونان قبله ولا يكونان بعده ووقتهما وموسمهما فى أوائل حال المحبة الخاصة لا فى نهايتها ولا قبل حال المحبة الخاصة فمن هو فى مقام المحبة العامة الثابتة بحكم الايمان لا يكون له قبض ولا بسط وإنما يكون له خوف ورجاء وقد يجد شبه حال القبض وشبه حال البسط ويظن ذلك قبضا وبسطا وليس هو ذلك وإنما هو هم يعتريه فيظنه قبضا واهتزازا نفسانى ونشاط طبيعى يظنه بسطا والهم والنشاط يصدران من محل النفس ومن جوهرها لبقاء صفاتها وما دامت صفة الامارة فيها بقية على النفس يكون منها الاهتزاز والنشاط والهم وهيج ساجور النفس والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فاذا ارتقى من حال المحبة العامة إلى أوائل المحبة الخاصة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفس لوامة ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك لأنه ارتقى

من رتبة الايمان إلى رتبة الايقان وحال المحبة الخاصة فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخرى (قال) الواسطى يقبضك عمالك ويبسط فيما له (وقال) النورى يقبضك بإياك ويبسطك لإياه واعلم أن وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبتها وظهور البسط لظهور صفة القلب وغلبته والنفس مادامت لوامة فتارة مغلوبة وتارة غالبة والقبض والبسط فاعتبار ذلك منهما وصاحب القلب تحت حجاب نورانى لوجود قلبه كما أن صاحب النفس تحت حجاب ظلماني لوجود نفسه فاذا ارتقى من القلب وخرج من حجابه لا يقيده الحال ولا يتصرف فيه فيخرج من تصرف القبض والبسط حينئذ فلا يقبض ولا يبسط مادام متخلصا من الوجود النوراني الذى هو القلب ومتحققا بالقرب من غير حجاب النفس والقلب فاذا عاد إلى الوجود من الفناء والبقاء يعود إلى الوجود النورانى الذى هو القلب فيعود القبض والبسط إليه عند ذلك ومهما تخلص إلى الفناء والبقاء فلا قبض ولا بسط قال فارس أولا القبض ثم البسط ثم لاقبض ولا بسط لأن القبض والبسط يقع فى الوجود فاما مع الفناء والبقاء فلا ثم ان القبض قد يكون عقوبة الافراط فى البسط وذلك أن الوارد من الله تعالى (يرد على القلب فيمتلىء القلب منه روحا وفرحا واستبشارا) فتسترق النفس السمع عند ذلك وتأخذ نصيبها فاذا وصل أثر الوارد إلى النفس طغت بطبعها وأفرطت فى البسط حتى تشاكل البسط نشاطا فتقابل بالقبض عقوبة وكل القبض إذا فتش لايكون إلا من حركة النفس وظهورها بصفتها ولو تأدبت النفس وعدلت ولم تجر بالطغيان تارة وبالعصيان أخرى ماوجد صاحب القلب القبض وما دام روحه وأنسه ورعاية الاعتدال الذى يسد باب القبض متلقى من قوله تعالى (لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) فوارد الفرح مادام موقوفا على الروح والقلب لايكثف ولا يستوجب صاحبه القبض سيما إذا لطف بالمفرح بالوارد بالايواء إلى الله وإذا لم يلتج بالايواء إلى الله تعالى (تطلعت النفس وأخذت حظها من الفرح وهو الفرح بما أتي) الممنوع منه فمن ذلك القبض فى بعض الأحايين وهذا من ألطف الذنوب الموجبة للقبض وفي النفس من حركاتها وصفاتها وثبات متعددة موجبة للقبض ثم الخوف والرجاء

لا يعدمهما صاحب القبض والبسط ولا صاحب الأنس والهيبة لأنهما من ضرورة الايمان فلا ينعدمان وأما القبض والبسط فينعدمان عند صاحب الايمان لنقصان الحظ من القلب وعند صاحب الفناء والبقاء والقرب لتخلصه من القلب وقد يرد على الباطن قبض وبسط ولا يعرف سببهما ولا يخفى سبب القبض والبسط لا على قليل الحظ من العلم الذى لم يحكم علم الحال ولا علم المقام (ومن) أحكم علم الحال والمقام لا يخفى عليه سبب القبض والبسط وربما يشتبه عليه سبب القبض والبسط كما يشتبه عليه الهم بالقبض والنشاط بالبسط وإنما علم ذلك لمن استقام قلبه ومن عدم القبض والبسط وارتقى منهما فنفسه مطمئنة لا تنقدح من جوهرها نار توجب القبض ولا يتلاطم بحر طبعها من أهوية الهوى حتى يظهر منه البسط وربما صار لمثل هذا القبض والبسط فى نفسه لا من نفسه فتكون نفسه المطمئنة بطبع القلب فيجرى القبض والبسط فى نفسه المطمئنة وما لقلبه قبض ولا بسط لأن القلب متحصن بشعاع نور الروح مستقر فى دعة القرب فلا قبض ولا بسط (ومنها الفناء والبقاء) قد قيل الفناء أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ بل يفنى عن الأشياء كلها شغلا بمن فنى فيه وقد قال عامر بن عبد الله لا أبالى امرأة رأيت أم حائطا ويكون محفوظا فيما لله عليه مصروفا عن جميع المخالفات والبقاء يعقبه وهو أن يفنى عماله ويبقى بما لله تعالى (وقيل) الباقي أن تصير الأشياء كلها له شيئا واحدا فيكون كل حركاته في موافقة الحق دون مخالفته فكان فانيا عن المخالفات باقيا فى الموافقات (وعندى) أن هذا الذى ذكره هذا القائل هو مقام صحة التوبة النصوح وليس من الفناء والبقاء فى شيء ومن الاشارة إلى الفناء ما روى عن عبد الله بن عمر أنه سلم عليه انسان وهو فى الطواف فلم يرد عليه فشكاه إلى بعض أصحابه فقال له كنا نتراءى الله فى ذلك المكان (وقيل) الفناء وهو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل (وقال الخراز) الفناء هو التلاشى بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق (وقال) الجنيد الفناء استعجام الكل عن أوصافك واشتغال الكل منك بكليته وقال إبراهيم ابن شيبان علم الفناء والبقاء يدور على اخلاص الوحدانية وصحة العبودية وما كان

غير هذا فهو من المغاليط والزندقة (وسئل) الخراز ماعلامة الفانى قال علامة من ادعى الفناء ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالى (وقال أبو سعيد الخراز) أهل الفناء فى الفناء صحتهم أن يصحبهم علم البقاء وأهل البقاء فى البقاء صحتهم أن يصحبهم علم الفناء * واعلم أن أقاويل الشيوخ فى الفناء والبقاء كثيرة فبعضها اشارة إلى فناء المخالفات وبقاء الموافقات وهذا تقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها اشارة إلى فناء الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة وهذا يقتضيه تزكية النفس وبعضها اشارة إلى حقيقة الفناء المطلق وكل هذه الاشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد فيغلب كون الحق سبحانه وتعالى على كون العبد وهو ينقسم إلى فناء ظاهر وفناء باطن فاما الفناء الظاهر فهو أن يتجلى الحق سبحانه وتعالى بطريق الأفعال ويسلب عن العبد اختياره وإرادته فلا يري لنفسه ولا لغيره فعلا إلا بالحق ثم يأخذ في المعاملة مع الله تعالى بحسبه حتى سمعت أن بعض من أقيم فى هذا المقام من الفناء كان يبقى أياما لا يتناول الطعام والشراب حتي يتجرد له فعل الحق فيه ويقيض الله تعالي له من يطعمه ويسقيه كيف شاء وأحب ولهذا لعمرى فناء لأنه فنى عن نفسه وعن الغير نظرا إلى فعل الله تعالى بفناء فعل غير الله والفناء الباطن أن يكاشف تارة الصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات فيستولى على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من ضرورة الفناء أن يغيب احساسه وقد يتفق غيبة الاحساس لبعض الأشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الاطلاق وقد سألت الشيخ أبا محمد بن عبدالله البصرى وقلت له هل يكون بقاء المتخيلات في السر ووجود الوسواس من الشرك الخفى وكان عندى أن ذلك من الشرك الخفى فقال لى هذا يكون فى مقام الفناء ولم يذكر أنه هل هو من الشرك الخفى أم لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار أنه كان فى الصلاة فوقعت اسطوانة فى الجامع فانزعج لهدتها أهل السوق فدخلوا المسجد فرأوه فى الصلاة ولم يحس بالاسطوانة ووقوعها فهذا هو الاستغراق

والفناء باطنا ثم قد يتسع وعاؤه حتي لعله يكون متحققا بالفناء ومعناه روحا وقلبا ولا يغيب عن كل ما يجرى عليه من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء أن يكون في كل فعل وقول مرجعه إلى الله وينتظر الاذن في كليات أموره ليكون في الأشياء بالله لا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان وصاحب الانتظار لاذن الحق في كليات أموره راجع إلى الله بباطنه في جزئياتها فان ومن ملكه الله تعالى اختياره وأطلقه في التصرف يختار كيف شاء وأراد لا منتظر للفعل ولا منتظرا للاذن هو باق والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفاني محجوب بالحق عن الخلق والفناء الظاهر لأرباب القلوب والأحوال والفناء الباطن لمن أطلق عن وثاق الأحوال وصار بالله لا بالأحوال وخرج من القلب فصار مع مقلبه لا مع قلبه

﴿ الباب الثاني والستون في شرح كلمات مشيرة إلى بعض الأحوال في اصطلاح الصوفية ﴾

(أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان اجازة قال أنا أبو الفضل حمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو مسلم الكشي قال حدثنا مسور بن عيسى قال حدثنا القاسم بن يحيى قال حدثنا ياسين الزيات عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال ان من معادن التقوى تعلمك إلي ما قد علمت علم ما لم تعلم والنقص فيما علمت قلة الزيادة فيه وإنما يزهد الرجل في علم ما لم يعلم قلة الانتفاع بما قد علم فمشايخ الصوفية احكموا أساس التقوى وتعلموا العلم لله تعالى وعملوا بما علموا لموضع تقواهم فعلمهم الله تعالى ما لم يعلموا من غرائب العلوم ودقيق الاشارات واستنبطوا من كلام الله تعالي غرائب العلوم وعجائب الأسرار وترسخ قدمهم في العلم (قال) أبو سعيد الخراز أول الفهم لكلام الله العمل به لأن فيه العلم والفهم والاستنباط وأول الفهم القاء السمع والمشاهدة لقوله تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) (وقال أبو بكر) الواسطي الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم وأراد منهم من مقتضى الآيات ما لم يرد

من غيرهم وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مدخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النص فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة (وقد ورد في الخبر) عن رسول الله ﷺ فيما رواه سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة أنه قال ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله (أخبرنا) أبو زرعة قال أنا أبو بكر بن خلف قال حدثنا أبو عبدالرحمن قال سمعت النصراباذى يقول سمعت ابن عائشة يقول سمعت القرشي يقول هى أسرار الله تعالى يبديها إلي أمناء أونيائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهى من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص (وقال) أبو سعيد الخراز للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة وأنباء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية ويخبرون عنها بعبارة الأزلية وهى من العلم المجهول فقوله بلسان الأبدية وعبارة الازلية اشارة إلى انهم بالله ينطقون وقد قال تعالى على لسان نبيه ﷺ بي ينطق وهو العلم اللدنى الذى قال الله تعالي فيه فى حق الخضر (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) فما تداولته ألسنتهم من الكلمات تفهيما من بعضهم للبعض واشارة منهم أحوال يجدونها ومعاملات قلبية يعرفونها قولهم الجمع والتفرقة (قيل) أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو) فهذا جمع ثم فرق فقال والملائكة وأولوا العلم وقوله تعالي (آمنا بالله) جمع ثم فرق بقوله (وما أنزل إلينا) والجمع أصل والتفرقة فرع فكل جمع بلا تفرقة زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل (وقال الجنيد) القرب بالوجد جمع وغيبته فى البشرية تفرقة وقيل جمعهم فى المعرفة وفرقهم فى الأحوال والجمع اتصال لايشاهد صاحبه الا الحق فمتى شاهد غيره فما جمع والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة وعباراتهم فى ذلك كثيرة والمقصود انهم أشاروا بالجمع الى تجريد التوحيد وأشاروا بالتفرقة الى الاكتساب فعلى هذا لاجمع الا بتفرقة ويقولون فلان في عين الجمع يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه فاذا عاد إلى شيء من أعماله عاد الى التفرقة فصحة الجمع بالتفرقة وصحة التفرقة بالجمع فهذا يرجع حاصله إلى ان الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بأمر الله ولا بد

منهما جميعا (قال) المزين الجمع عين الفناء بالله والتفرقة العبودية متصل بعضها بالبعض وقد غلط قوم وادعوا انهم فى عين الجمع وأشاروا الى صرف التوحيد وعطلوا الاكتساب فتزندقوا وانما الجمع حكم الروح والتفرقة حكم القالب وما دام هذا التركيب باقيا فلا بد من الجمع والتفرقة (وقال) الواسطى إذا نظرت إلي نفسك فرقت وإذا نظرت إلى ربك جمعت وإذا كنت قائماً بغيرك فأنت فان بلا جمع ولا تفرقة (وقيل) جمعهم بذاته وفرقهم فى صفاته وقد يريدون بالجمع والتفرقة انه إذا أثبت لنفسه كسباً ونظر إلى أعماله فهو في التفرقة وإذا أثبت الأشياء بالحق فهو فى الجمع ومجموع الاشارات ينبيء ان الكون يفرق والمكون يجمع فمن أفرد المكون جمع ومن نظر إلى الكون فرق فالتفرقة عبودية والجمع توحيد فاذا أثبت طاعته نظر الى كسبه فرق وإذا أثبتها بالله جمع وإذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع ويمكن أن يقال رؤية الأفعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع (سئل) بعضهم عن حال موسى عليه السلام فى وقت الكلام فقال أفنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسي ثم كلم فكان المكلم والمكلم هو وكيف كان يطيق موسى حمل الخطاب ورد الجواب لولا باياه سمع ومعنى هذا ان الله تعالى منحه قوة بتلك القوة سمع ولولا تلك القوة ماقدر على السمع ثم أنشد القائل متمثلا

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى　　برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه　　صعب الذرى متمتع أركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق　　نظرا إليه ورده أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه　　والماء ماسمحت به أجفانه

(ومنها) قولهم التجلى والاستتار (قال) الجنيد انما هو تأديب وتهذيب وتذويب فالتأديب محل الاستتار وهو للعوام والتهذيب للخواص وهو التجلى والتذويب للأولياء وهو المشاهدة وحاصل الاشارات فى الاستتار والتجلى راجع الى ظهور صفات النفس (ومنها) الاستتار وهو اشارة الى غيبة صفات النفس لا قوة صفات القلب (ومنها) التجلى ثم التجلى قد يكون بطريق الأفعال

وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعالى أبقى على الخواص موضع الاستتار رحمة منه لهم ولغيرهم فاما لهم فلأنهم به يرجعون الى مصالح النفوس وأما لغيرهم فلأنه لولا مواضع الاستتار لم ينتفع بهم لاستغراقه فى جمع الجمع وبروزهم لله الواحد القهار (قال بعضهم) علامة تجلى الحق للأسرار هو أن لايشهد السر مايتسلط عليه التعبير ويحويه الفهم فمن عبر أو فهم فهو صاحب استدلال لاناظر اجلال (وقال بعضهم) التجلى رفع حجبة البشرية لا أن يتلون ذات الحق عز وجل والاستتار أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب (ومنها التجريد والتفريد) الاشارة منهم فى التجريد والتفريد ان العبد يتجرد عن الأغراض فيما يفعله لايأتي بما يأتى به نظرا الى الأغراض فى الدنيا والآخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودية وانقيادا والتفريد أن لايرى نفسه فيما يأتي به بل يرى منة الله عليه فالتجريد بنفى الأغيار والتفريد بنفى نفسه واستغراقه فى رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه (ومنها الوجد والتواجد والوجود) فالوجد مايرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أو حزنا ويغيره عن هيئته ويتطلع إلى الله تعالى وهو فرحة يجدها المغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها إلي الله تعالى والتواجد استجلاب الوجد بالذكر والتفكر والوجود اتساع فرجة الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت بثبوت الجبال وقد قيل

قد كان يطربنى وجدى فأقعدني ... عن رؤية الوجد من فى الوجد موجود
والوجد يطرب من فى الوجد راحته ... والوجد عند حضور الحق مفقود

(ومنها الغلبة) الغلبة وجد متلاحق فالوجد كالبرق يبدو والغلبة كتلاحق البرق وتواتره يغيب عن التمييز فالوجد ينطفىء سريعا والغلبة تبقى للأسرار حرازا منيعا (ومنها) المسامرة وهى تفرد الأرواح بخفى مناجاتها ولطيف مناغاتها فى سر السر بلطيف ادرا كها للقلب لتفرد الروح بها فتلتذ بها دون القلب (ومنها) السكر والصحو فالسكر استيلاء سلطان الحال والصحو العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال (قال) محمد بن خفيف السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب (وقال)

الواسطى مقامات الوجد أربعة الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج فعلى هذا من بقي عليه أثر من سريان الحال فيه فعليه أثر من السكر ومن عاد كل شيء منه إلى مستقره فهو صاح فالسكر لأرباب القلوب والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب (ومنها) المحو والاثبات المحو بازالة أوصاف النفوس والاثبات بما أدير عليهم من آثار الحب كؤوس أو المحو محو رسوم الأعمال بنظر الفناء إلى نفسه وما منه والاثبات اثباتها بما أنشأ الحق له من الوجود به فهو بالحق لا بنفسه باثبات الحق إياه مستأنفا بعد أن محاه عن أوصافه * قال ابن عطاء يمحو أوصافهم ويثبت أسرارهم (ومنها) علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال قال فارس علم اليقين لا اضطراب فيه وعين اليقين هو العلم الذى أودعه الله الأسرار والعلم إذا انفرد عن نعت اليقين كان علما بشبهة فاذا انضم اليه اليقين كان علما بلا شبهة وحق اليقين هو حقيقة ما أشار اليه علم اليقين وعين اليقين وقال الجنيد حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق كما أخبر الصديق حين قال لما قال له رسول الله ﷺ ماذا أبقيت لعيالك قال الله ورسوله وقال بعضهم علم اليقين حال التفرقة وعين اليقين حال الجمع وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد وقيل لليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام وعلم اليقين للأولياء وعين اليقين لخواص الأولياء وحق اليقين للانبياء عليهم الصلاة والسلام وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا محمد ﷺ (ومنها الوقت) والمراد بالوقت ما هو غالب على العبد وأغلب ما على العبد وقته فانه كالسيف يمضي الوقت بحكمه ويقطع وقد يراد بالوقت ما يهجم على العبد لا بكسبه فيتصرف فيه فيكون بحكمه يقال فلان بحكم الوقت يعنى مأخوذا عما منه بما للحق (ومنها الغيبة والشهود) فالشهود هو الحضور وقتا بنعت المراقبة ووقتا بوصف المشاهدة فادام العبد موصوفا بالشهود والرعاية فهو حاضر فاذا فقد حال المشاهدة والمراقبة خرج من دائرة الحضور فهو غائب وقد يعنون بالغيبة عن الأشياء بالحق فيكون على هذا

المعنى حاصل ذلك راجعا إلى مقام الفناء (ومنها الذوق والشرب والرى) فالذوق ايمان والشرب علم والرى حال فالذوق لأرباب البوادر والشرب لأرباب الطوالع واللوائح واللوامع والرى لأرباب الأحوال وذلك ان الأحوال هى التي تستقر فما لم يستقر فليس بحال وإنما هى لوامع وطوالع وقيل الحال لا تستقر لأنها تحول فاذا استقرت تكون مقاما (ومنها المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة) فالمحاضرة لأرباب التلوين والمشاهدة لأرباب التمكين والمكاشفة بينهما إلى أن تستقر فالمشاهدة والمحاضرة لأهل العلم والمكاشفة لأهل العين والمشاهدة لأهل الحق أى حق اليقين (ومنها الطوارق والبوادى والبادة والواقع والقادح والطوالع واللوامع واللوائح) وهذه كلها ألفاظ متقاربة المعنى ويمكن بساط القول فيها ويكون حاصل ذلك راجعاً إلى معنى واحد يكثر بالعبارة فلا فائدة فيه والمقصود ان هذه الأسماء كلها مبادي الحال ومقدماته وإذا صح الحال استوعب هذه الأسماء كلها ومعانيها (ومنها التلوين والتمكين) فالتلوين لأرباب القلوب لأنهم تحت حجب القلوب وللقلوب تخلص إلى الصفات وللصفات تعدد بتعدد جهاتها فظهر لأرباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ولا تجاوز للقلوب وأربابها عن عالم الصفات وأما أرباب التمكين خرجوا عن مشائم الأحوال وخرجوا حجب القلوب وباشرت أرواحهم سطوع نور الذات فارتفع التلوين لعدم التغير في الذات إذ جلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات فلما خلصوا إلى مواطن القرب من أنصبة تجلى الذات ارتفع عنهم التلوين فالتلوين حينئذ يكون فى نفوسهم لأنها فى محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها والتلوين الواقع فى النفوس لا يخرج صاحبه عن حال التمكن لأن جريان التلوين فى النفس لبقاء رسم الانسانية وثبوت القدم فى التمكين كشف حق الحقيقة وليس المعنى بالتمكين أن لا يكون للعبد تغير فانه بشر وانما المعنى فيه انما كوشف من الحقيقة لا يتوارى عنه أبدا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب التلوين قد يتناقص الشىء فى حقه عند ظهور صفات نفسه وتغيب عنه الحقيقة فى بعض الأحوال ويكون ثبوته على مستقر الايمان وتلوينه فى زوائد الاحوال (ومنها النفس) ويقال النفس للمنتهى والوقت

للمبتدى والحال للمتوسط فكأنه اشارة منهم إلى ان المبتدىء يطرقه من الله تعالي طارق لا يستقر والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه والمنتهى صاحب نفس متمكن من الحال لايتناوب عليه الحال بالغيبة والحضور بل تكون المواجيد مقرونة بأنفاسه مقيمة لاتتناوب عليه وهذه كلها أحوال لأربابها ولهم منها ذوق وشرب والله ينفع ببركتهم آمين

﴿ الباب الثالث والستون فى ذكر شىء من البدايات والنهايات وصحتها ﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبوالنجيب السهروردى قال أنا الشريف أبوطالب الحسين بن محمد الزينى قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أخبرنا أبوالهيثم محمد بن مكى الكشميهنى قال أنا أبو عبدالله محمد بن يوسف الفربرى قال حدثنا أبوعبدالله محمد بن إسمعيل بن إبراهيم البخارى قال حدثنا الحميدي قال حدثنا سفيان بن عيينة قال حدثنا يحيى بن سعيد الانصارى قال أخبرنى محمد بن إبراهيم التيمى انه سمع علقمة ابن وقاص قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول على المنبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوي فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلي الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهوجر إليه * النية أول العمل وبحسبها يكون العمل وأهم ماللمريد في ابتداء امره في طريق القوم ان يدخل طريق الصوفية ويتزيا بزيهم ويجالس طائفتهم لله تعالى فان دخوله فى طريقهم هجرة حاله ووقته (وقد ورد) المهاجر من هجر مانهاه الله عنه وقد قال الله تعالي * ومن يخرج من بيته مهاجرا إلي الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله فالمريد ينبغى أن يخرج إلي طريق القوم لله تعالى فانه ان وصل إلى نهايات القوم فقد لحق بالقوم بالمنزل وان ادركه الموت قبل الوصول إلى نهايات القوم فاجره على الله وكل من كانت بدايته احكم كانت نهايته اتم (أخبرنا) أبوزرعة اجازة عن ابن خلف عن أبي عبدالرحمن عن أبي العباس البغدادى عن جعفر الخلدى قال سمعت الجنيد يقول أكثر العوائق والحوائل والموانع من فساد الابتداء فالمريد فى أول سلوك هذا الطريق يحتاج إلى أحكام النية وأحكام النية تنزيهها من دواعي الهوى وكل ما كان للنفس فيه حظ

عاجل حتى يكون خروجه خالصاً لله تعالى (وكتب) سالم بن عبدالله إلي عمر بن عبدالعزيز اعلم ياعمر أن عون الله للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له ومن قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك (وكتب) بعض الصالحين إلى أخيه أخلص النية فى أعمالك يكفك قليل من العمل ومن لم يهتد إلى النية بنفسه يصحب من يعلمه حسن النية قال سهل بن عبدالله التستري أول مايؤمر به المريد المبتديء التبرى من الحركات المذمومة ثم النقل إلي الحركات المحمودة ثم التفرد لأمر الله تعالي ثم التوقف فى الرشاد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ويكون الرضا والتسليم مراده والتفويض والتوكل حاله ثم يمن الله تعالى بعد هذه بالمعرفة فيكون مقامه عندالله مقام المتبرئين من الحول والقوة وهذا مقام حملة العرش وليس بعده مقام هذا من كلام سهل جميع فيه ما فى البداية والنهاية ومتي تمسك المريد بالصدق والاخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا تحقق صدقه واخلاصه شيء مثل متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق فكل الافات التى دخلت على أهل البدايات لموضع نظرهم الى الخلق وبلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال لا يكمل ايمان المرء حتى يكون الناس عنده كالاباعر ثم يرجع الى نفسه فيراها أصغر صاغر اشارة الي قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التقيد بعاداتهم (قال) أحمد بن خضرويه من أحب أن يكون الله تعالى معه على كل حال فليلزم الصدق فان الله تعالي مع الصادقين وقد ورد فى الخبر عن رسول الله ﷺ الصدق يهدى الى البر ولابد للمريد من الخروج من المال والجاه والخروج عن الخلق بقطع النظر عنهم الى أن يحكم أساسه فيعلم دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وأنفع شيء للمريد معرفة النفس ولا يقوم بواجب حق معرفة النفس من له فى الدنيا حاجة من طلب الفضول والزيادات أو عليه من الهوى بقية (قال) زيد ابن أسلم خصلتان هما كمال أمرك تصبح لاتهم لله بمعصية وتمسى ولاتهم لله بمعصية فاذا احكم الزهد والتقوى انكشفت له النفس وخرجت من حجبها وعلم طريق حركتها وخفي شهواتها ودسائسها وتلبيساتها ومن تمسك بالصدق فقد تمسك بالعروة الوثقى (قال ذوالنون) لله تعالى فى أرضه سيف ما وضع

على شيء الاقطع وهو الصدق ونقل فى معنى الصدق ان عابدا من بنى إسرائيل راودته ملكة عن نفسه فقال اجعلوا إلي ماء فى الخلاء اتنظف به ثم صعد على موضع فى القصر فرمى بنفسه فأوحى الله تعالى إلى ملك الهواء ان الزم عبدى قال فلزمه ووضعه على الأرض وضعا رفيقا فقيل لابليس إلا أغويته فقال ليس لى سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى (وينبغى) للمريد ان تكون له فى كل شيء نية لله تعالى حتى فى أكله وشربه وملبوسه فلا يلبس إلا لله ولا يأكل إلا لله ولا يشرب إلا لله ولا ينام إلا لله لان هذه كلها ارفاق ادخلها على النفس كانت لله لا تستعصى النفس وتجيب إلى مايراد منها من المعاملة لله والاخلاص وإذا دخل فى شيء من رفق النفس لا لله بغير نية صالحة صار ذلك وبالا عليه وقد ورد فى الخبر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الاذفر ومن تطيب لغير الله عز وجل جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة (وقيل) كان أنس يقول طيبوا كفى بمسك فان ثابتا يصافحنى ويقبل يدى وقد كانوا يحسنون اللباس للصلاة متقربين بذلك إلى الله بنيتهم فالمريد ينبغى أن يتفقد جميع أحواله وأعماله وأقواله ولا يسامح نفسه أن تتحرك بحركة أوتتكلم بكلمة إلا لله تعالى وقد رأينا من أصحاب شيخنا من كان ينوى عند كل لقمة ويقول بلسانه أيضاً آكل هذه اللقمة لله تعالى ولا ينفع القول إذا لم تكن النية فى القلب لأن النية عمل القلب وإنما اللسان ترجمان فما لم تشتمل عليها عزيمة القلب لله لا تكون نية (ونادى) رجل امرأته وكان يسرح شعره فقال هات المدرى أراد الميل ليفرق شعره فقالت له امرأته أجيء بالمدرى والمرآة فسكت ثم قال نعم فقال له من سمعه سكت وتوقفت عن المرآة ثم قلت نعم فقال إنى قلت لها هات المدرى بنية فلما قالت والمرآة لم يكن لى فى المرآة نية فتوقفت حتى هيأ الله تعالى لى نية فقلت نعم وكل مبتدىء لا يحكم أساس بدايته بمهاجرة الآلاف والأصدقاء والمعارف ويتمسك بالوحدة لا تستقر بدايته وقد قيل من قلة الصدق كثيرة الخطاء وانفع ماله لزوم الصمت وأن لا يطرق سمعه كلام الناس فان باطنه يتغير ويتأثر بالأقوال المختلفة وكل من لا يعلم كمال زهده فى الدنيا وتمسكه بحقائق

التقوى لا يعرفه أبدا فان عدم معرفته لايفتح عليه خيرا وبواطن أهل الابتداء كالشمع تقبل كل نقش وربما استضر المبتدي بمجرد النظر إلى الناس ويستضر بفضول النظر أيضا وفضول المشي فيقف الأشياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة حتي لو مشى فى بعض الطريق يجتهد أن يكون نظره إلى الطريق الذى يسلكه لا يلتفت يمينه ويساره ثم يتقى موضع نظر الناس إليه وإحساسهم منه بالرعاية والاحتراز فان علم الناس منه بذلك اضر عليه من فعله ولا يستحقر فضول المشى فان كل شيء من قول وفعل ونظر وسماع خرج عن حد الضرورة جر إلى الفضول ثم يجر إلى تضييع الأصول (قال سفيان) إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول فكل من لا يتمسك بالضرورة فى القول والفعل لا يقدر أن يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومتى تعدى الضرورة تداعت عزائم قلبه وانحلت شيئا بعد شيء (قال سهل بن عبدالله) من لم يعبد الله اختيارا يعبد الخلق اضطرارا وينفتح على العبد أبواب الرخص والاتساع ويهلك مع الهالكين ولا ينبغي للمبتدىء أن يعرف أحدا من أرباب الدنيا فان معرفته لهم سم قاتل وقد ورد الدنيا مبغوضة الله فمن تمسك بحبل منها قادته إلي النار وما حبل من حبالها إلا كأبنائها والطالبين لها والمحبين فمن عرفهم انجذب إليها شاء أو أبي ويحترز المبتدىء عن مجالسة الفقراء الذين لايقولون بقيام الليل وصيام النهار فانه يدخل عليه منهم أشر ما يدخل عليه بمجالسة أبناء الدنيا وربما يشيرون إلي أن الأعمال شغل المتعبدين وإن أرباب الأحوال ارتقوا عن ذلك وينبغي للفقير أن يقتصر على الفرائض وصوم رمضان فحسب ولا ينبغي أن يدخل هذا الكلام سمعه رأسا فانا اختبرنا ومارسنا الأمور كلها وجالسنا الفقراء والصالحين ورأينا أن الذين يقولون هذا القول ويرون الفرائض دون الزيادات والنوافل تحت القصور مع كونهم أصحاء في أحوالهم فعلى العبد التمسك بكل فريضة وفضيلة فبذلك يثبت قدمه فى بدايته ويراعى يوم الجمعة خاصة ويجعله لله تعالى خالصا لا يمزجه بشيء من أحوال نفسه ومآربها ويبكر إلى الجامع قبل طلوع الشمس بعد الغسل للجمعة إن اغتسل قريبا من وقت الصلاة إذا أمكنه ذلك فحسن قال رسول الله ﷺ

يا أبا هريرة اغتسل للجمعة ولو اشتريت الماء بعشائك وما من نبي إلا وقد أمره الله تعالى أن يغتسل للجمعة فإن غسل الجمعة كفارة للذنوب ما بين الجمعتين ويشتغل بالصلاة والتضرع والدعاء والتلاوة وأنواع الأذكار من غير فتور إلى أن يصلي الجمعة ويجلس معتكفا في الجامع إلى أن يصلي فرض العصر وبقية النهار يشغله بالتسبيح والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ فانه يرى بركة ذلك في جميع الأسبوع حتي يرى ثمرة ذلك يوم الجمعة وقد كان من الصادقين من يضبط أحواله وأقواله وأفعاله جميع الأسبوع لأنه يوم المزيد لكل صادق ويكون ما يجده يوم الجمعة معيارا يعتبر به سائر الأسبوع الذي مضى فانه إذا كان الأسبوع سليما يكون يوم الجمعة فيه مزيد الأنوار والبركات وما يجده في يوم الجمعة من الظلمة وسآمة النفس وقلة الانشراح فلما ضيع في الاسبوع يعرف ذلك ويعتبره ويتقي جدا أن يلبس للناس أما المرتفع من الثياب أو ثياب المتقشفين ليرى بعين الزهد ففي لبس المرتفع للناس هوي وفي لبس الخشن رياء فلا يلبس إلا لله بلغنا أن سفيان لبس القميص مقلوبا ولم يعلم بذلك حتى ارتفع النهار ونبهه على ذلك بعض الناس فهم أن يخلع ويغير ثم امسك وقال لبسته بنية لله فلا أغيره فالبسه بنية الناس فليعلم العبد ذلك وليعتبره ولا بد للمبتديء أن يكون له حظ من تلاوة القرآن ومن حفظه فيحفظ من القرآن من السبع إلى الجميع إلى أقل أو أكثر كيف أمكن ولا يصغى إلى قول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن فانه يجد بتلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما يتمنى بتوفيق الله تعالى وإنما اختار بعض المشايخ أن يديم المريد ذكرا واحدا ليجتمع الهم فيه ومن لازم التلاوة في الخلوة وتمسك بالوحدة تفيده التلاوة والصلاة أوفى ما يفيده الذكر الواحد فاذا سئم في بعض الأحايين يصانع النفس على الذكر مصانعة وينزل من التلاوة إلى الذكر فانه أخف على النفس وينبغي أن يعلم أن الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يعتد به كل الاعتداد فانه عمل ناقص ولا يحقر الوساوس وحديث النفس فانه مضر وداء عضال فيطالب نفسه أن تصير في تلاوة معنى القرآن مكان حديث

النفس من باطنه فكما أن التلاوة على اللسان هو مشغول بها ولا يمزجها بكلام آخر هكذا يكون معنى القرآن فى القلب لا يمزجه بحديث النفس وإن كان أعجب لا يعلم معنى القرآن يكون لمراقبة حلية باطنه فيشتغل باطنه بمطالعة نظر الله إليه مكان حديث النفس فان بالدوام على ذلك يصير من أرباب المشاهدة (قال مالك) قلوب الصديقين إذا سمعت القرآن طربت إلى الآخرة فليتمسك المريد بهذه الأصول وليستعن بدوام الافتقار إلى الله فبذلك ثبات قدمه (قال سهل) على قدر لزوم الالتجاء والافتقار إلى الله تعالى يعرف البلاء وعلى قدر معرفته بالبلاء يكون افتقاره إلى الله فدام الافتقار إلي الله أصل كل خير ومفتاح كل علم دقيق فى طريق القوم وهذا الافتقار مع كل الأنفاس لا يتشبث بحركة ولا يستقل بكلمة دون الافتقار إلى الله فيها وكل كلمة وحركة خلت عن مراجعة الله والافتقار فيها لا تعقب خيرا قطعا علمنا ذلك وتحققناه وقال سهل من انتقل من نفس إلى نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله وأدنى مايدخل على من ضيع حاله دخوله فيما لا يعنيه وتركه ما يعنيه (وبلغنا) أن حسان بن سنان قال ذات يوم لمن هذه الدار ثم رجع إلى نفسه وقال مالى وهذا السؤال وهل هذه إلا كلمة لا تعنينى وهل هذا إلا لاستيلاء نفسى وقلة أدبها وآلى على نفسه أن يصوم سنة كفارة لهذه الكلمة فبالصدق نالوا ما نالوا وبقوة العزائم عزائم الرجال بلغوا ما بلغوا (أخبرنا) أبو زرعة اجازة قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصور يقول سمعت أبا عمرو الانماطى يقول سمعت الجنيد يقول لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته من الله أكثر مما ناله وهذه الجملة يحتاج المبتدىء أن يحكمها والمنتهى عالم بها عامل بحقائقها فالمبتدىء صادق والمنتهى صديق قال أبو سعيد القرشى الصادق الذى ظاهره مستقيم وباطنه يميل أحيانا إلى حظ النفس وعلامته أن يجد الحلاوة فى بعض الطاعة ولا يجدها فى بعض وإذا اشتغل بالذكر نور الروح بحظوظ النفس يحجب عن الاذكار والصدق الذى استقام ظاهره وباطنه يعبد الله تعالي بتلوين الأحوال لا يحجبه عن الله وعن الاذكار أكل ولا نوم ولا شرب ولا طعام والصديق يريد نفسه لله وأقرب

الأحوال إلى النبوة الصديقية (وقال أبو يزيد) آخر نهايات الصديقين أول درجات الأنبياء * واعلم أن أرباب النهايات استقامت بواطنهم وظواهرهم لله وأرواحهم خلصت عن ظلمات النفوس ووطئت بساط القرب ونفوسهم منقادة مطاوعة صالحة مع القلب مجيبة إلى كل ما تجيب إليه القلوب أرواحهم متعلقة بالمقام الاعلى انطفأت فيهم نيران الهوى وتخمر في بواطنهم صريح العلم وانكشفت لهم الآخرة كما قال رسول الله ﷺ فى حق أبي بكر رضى الله عنه من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر اشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى ما كوشف به من صريح العلم الذى لا يصل إليه أعوام المؤمنين إلا بعد الموت حيث يقال فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فأرباب النهايات ماتت أهويتهم وخلصت أرواحهم (قال) يحيى بن معاذ وقد سئل عن وصف العارف فقال رجل معهم بائن منهم وقال مرة عبد كان فبان فأرباب النهايات هم عند الله بحقيقتهم معوقين بتوقيت الأجل جعلهم الله تعالى من جنوده فى خلقه بهم يهدي وبهم يرشد وبهم يجذب أهل الارادة كلامهم دواء ونظرهم دواء ظاهرهم محفوظ بالحكم وباطنهم معمور بالعلم (قال ذو النون) علامة العارف ثلاثة لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك أستار محارم الله فأرباب النهايات كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية وكلما ازدادوا دينا ازدادوا قربا وكلما ازدادوا جاها ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكلما تناولوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت منهم شكرا صافيا يتناولون الشهوات تارة رفقا بالنفوس لأنها معهم كالطفل الذى يلطف بالشيء ويهدى له شيء لأنه مقهور تحت السياسة مرحوم ملطوف به وتارة يمنعون نفوسهم الشهوات تاسيا بالأنبياء واختيارهم التقلل من الشهوات الدنيوية قال يحيى بن معاذ الدنيا عروس تطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف بالله مشتغل بسيده ولا يلتفت إليها (واعلم) أن المنتهى مع كمال حاله لا يستغنى أيضا عن سياسة النفس ومنعها الشهوات وأخذ الحظ من زيادة

الصيام والقيام وأنواع البر وقد غلط فى هـذا خلق وظنوا أن المنتهى استغنى عن الزيادات والنوافل ولا على قلبه من الاسترسال فى تناول الملاذ والشهوات وهذا حظا لا من حيث أنه يحجب العارف عن معرفته ولكن يوقف عن مقام المزيد وقوم لما رأوا أن هـذه الأشياء لا تؤثر فيهم قسوة ولا تورثهم حجبة ركنوا إليها واسترسلوا فيها وقنعوا بأداء الفرائض واتسعوا فى المأكل والمشرب وهذا الانبساط منهم بقية من سكر الأحوال وتقيد بنور الحال وعدم التخلص بالكلية إلي نور الحق ومن تخلص من نور الحال إلى نور الحق يذهب عنه بقايا السكر ويوقف نفسه مقام العبيد كأحد عوام المؤمنين يتقرب بالصلاة والصوم وأنواع البر حتي باماطة الأذي عن الطريق ولا يستكبر ولا تستنكف أن يعود فى صور عوام المؤمنين من اظهار الارادة بكل بر وصلة فيتناول الشهوات وقتا رفقا بالنفس المطهرة المزكاة المنقادة المطواعة لأنها أسيرته ويمنعها الشهوات وقتا لأن فى ذلك صلاحها واعتبر هذا سواء بحال الصبي فانه إن جاوز حد الاعتـدال من اعطاء المراد وقتا ومنعه وقتا انفسد طبعه لأن الجبلة لا بد من قمعها بسياسة العلم وما دامت الجبلة باقية لا بد من سياسة العلم وهـذا باب غامض دخل فى النهايات على المنتهى من ذلك دواخل ووقع الركون وانسد به باب المزيد فالمنتهى ملك ناصية الاختيار في الأخذ والترك ولا بد له من أخذ وترك فى الأعمال والحظوظ ففى الأعمال لابد له من أخذ وترك فتارة يأتي بالاعمال كآحاد الصادقين وتارة يترك زيادة الأعمال رفقا بالنفس وتارة بأخذ الحظوظ والشهوات رفقا بالنفس وتارة يتركها افتقادا للنفس بحسن السياسـة فيكون فى ذلك كله مختارا فمن ساكن ترك الحظوظ بالكلية فهو زاهد تارك بالكلية ومن استرسل في أخذها فهو راغب بالكلية والمنتهى شمل الطرفين فانه على غاية الاعتدال واقف على الصراط بين الافراط والتفريط فمن ردت اليه الاقسام فى النهاية فأخذها زاهدا فى الزهد فهو تحت قهر الحال من ترك الاختيار وتارك الاختيار الواقف مع فعل الله تعالى مقيد بالحال وكما ان الزاهد مقيد بالترك تارك الاختيار فكذلك الزاهد فى الزهد الآخذ من الدنيا ما سبق اليه لرؤيته فعـل الله مقيدا بالأخذ

وإذا استقرت النهاية لايتقيد بالأخذ ولا بالترك بل يترك وقتا واختيـاره من اختيار الله ويأخذ وقتا واختياره من اختيار الله وهكذا صومه النافلة وصلاته النافلة يأتى بها وقتا ويسمح للنفس وقتا لأنه مختار صحيح فى الاختيار فى الحالين وهذا هو الصحيح ونهاية النهاية وكل حال يستقر ويستقيم يشاكل حال رسول الله ﷺ وهكذا كان رسول الله عليه الصلاة السلام يقوم من الليل ولا يقوم الليل كله ويصوم من الشهر كله غير رمضان ويتناول الشهوات ولما قال الرجل انى عزمت أن لا آكل اللحم قال فانى آكل اللحم وأحبه ولو سألت ربي أن يطعمنى كل يوم لأطعمنى وذلك يدلك على ان رسول الله ﷺ كان مختـارا فى ذلك إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل وكان يترك الاكل اختيارا وقد دخلت الفتنة على قوم كلما قيل لهم ان رسول الله ﷺ فعل كذا يقولون كان رسول الله ﷺ مشرعا وهذا إذا قالوه على معنى انه لايلزمهم التأسى به جهل محض فان الرخصة الوقوف على حـد قوله والعزيمة التأسى بفعله وقول رسول الله ﷺ لارباب الرخص وفعله لارباب العزائم ثم ان المنتهى يحاكى حاله حال رسول الله عليه الصلاة والسلام فى دعاء الخلق إلى الحق فكل ما كان يعتمده رسول الله ﷺ ينبغى أن يعتمده فكان قيـام رسول الله ﷺ وصيامه الزائد لا يخلو اما انه كان ليقتدى به واما انه كان لمزيد كان يجده بذلك فان كان ليقتدى به فالمنتهى أيضا مقتدى به ينبغى أن يأتى بمثل ذلك والصحيـح الحق ان رسول الله ﷺ لم يفعل ذلك لمجرد الاقتداء بل كان يجد بذلك زيادة وهو ماذكرناه من تهذيب الجبلة * قال الله تعالى خطابا له (واعبـد ربك حتى يأتيك اليقين) لانه بذلك ازداد استمدادا من الحضرة الالهية وقرع باب الكرم والنبي عليه الصلاة والسلام مفتقر إلى الزيادة من الله تعالى غير مستغن عن ذلك ثم فى ذلك سر غريب وذلك ان رسول الله ﷺ برابطة جنسية النفس كان يدعو الخلق إلى الحق ولولا رابطة الجنسية ماوصلوا اليه ولا انتفعوا به وبين نفسه الطاهرة ونفوس الاتباع رابطة التأليف كما بين روحه وأرواحهم رابطة التأليف ان النفوس ألفت آنفا كما ان الارواح ألفت أولا ولكل روح مع نفسه تأليف خاص والسكون والتأليف

والامتزاج واقع بين الارواح والنفوس وكان رسول الله ﷺ يديم العمل لتصفية نفسه ونفوس الاتباع فما احتاج اليه نفسه من ذلك ناله وما فضل من ذلك وصل إلي نفوس الامة وهكذا المنتهى مع الاصحاب والاتباع على هذا المعنى فلا يتخلف عن الزيادات والنوافل ولا يسترسل فى الشهوات واللذات إلا بدلالة تخص النفس ولا يعطى الاعتدال حقه من ذلك إلا بتأييد الله تعالي ونور الحكمة وكل من يحتاج إلى صحة الجلوة للغير لابد له من خلوة صحيحة بالحق حتى تكون جلوته فى حماية خلوته ومن يتراءى له ان أوقاته كلها خلوة وأنه لايحجبه شيء وان أوقاته بالله ولله ولا يرى نقصانا لأن الله مافطنه لحقيقة المزيد فهو صحيح فى حاله غير انه تحت قصور لانه مانبه لسياسة الجبلة وما عرف سر تمليك الاختيار وما وقف من البيان على البيضاء النقية وقد نقلت عن المشايخ كلمات فيها موضع الاشتباه فقد يسمعها الانسان ويبنى عليها والأولى أن يفتقر إلى الله تعالى فى أى كلمة يسمعها حتى يسمعه الله من ذلك الصواب (نقل) عن بعضهم أنه سئل عن كمال المعرفة فقال إذا اجتمعت المتفرقات واستوت الأحوال والأماكن وسقطت رؤية التمييز ومثل هذا القول يوهم أن لايبقى تمييز بين الخلوة والجلوة وبين القيام بصور الأعمال وبين تركها ولم يفهم منه ان القائل أراد بذلك معنى خاصا يعنى ان حظ المعرفة لايتغير بحال من الأحوال وهذا صحيح لأن حظ المعرفة لا يتغير ولا يفتقر الى التمييز وتستوى الأحوال فيه ولكن حظ المريد يتغير ويحتاج إلى التمييز وليس فى هذا الكلام وأمثاله ماينافى ماذكرناه (قيل) لمحمد ابن الفضل حاجة العارفين إلى ماذا قال حاجتهم إلى الخصلة التى كملت بها المحاسن كلها ألا وهى الاستقامة وكل من كان أتم معرفة كان أتم استقامة فاستقامة أرباب النهاية على التمام والعبد فى الابتداء مأخوذ فى الأعمال محجوب بها عن الأحوال وفى التوسط محفوظ بالأحوال فقد يحجب عن الأعمال وفى الانتهاء لا تحجبه الأعمال عن الأحوال ولا الأحوال عن الأعمال وذلك هو الفضل العظيم (سئل الجنيد) عن النهاية فقال هى الرجوع إلي البداية وقد فسر بعضهم قول الجنيد فقال معناه انه كان فى ابتداء أمره في جهل ثم وصل إلى المعرفة ثم رد إلى التحير

.والجهل وهو كالطفولية يكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالي (لكيلا يعلم بعدعلم شيئا) وقال بعضهم أعرف الخلق بالله أشدهم تحيرا فيه ويجوز أن يكون معنى ذلك ماذكرناه انه يبادىء الأعمال ثم يرقي إلى الأحوال ثم يجمع له بين الأعمال والأحوال وهذا يكون المنتهى المراد المأخوذ فى طريق المحبوبين تنجذب روحه الي الحضرة الالهيــة وتستتبع القلب والقلب يستتبع النفس والنفس تستتبع القالب فيكون بكليته قائما بالله ساجدا بين يدى الله تعالى كما قال رسول الله ﷺ سجد لك سوادى وخيالى وقال الله تعالى (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغـدو والآصال) والظلال والقوالب تسجد بسجود الأرواح وعند ذلك تسرى روح المحبة فى جميع أجزائهم وابعاضهم فيتلذذون ويتنعمون بذكر الله تعالى وتلاوة كلامه محبة وودا فيحبهم الله تعالى ويحببهم إلى خلقه نعمة منه عليهم وفضـلا على ما أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردى رحمه الله قال أنا أبوطالب الزينى قال أخبرتنا كريمة المروزية قالت أنا أبوالهيثم الكشميهنى قال أنا عبدالله الفربرى قال أنا أبو عبـد الله البخارى قال حدثنى اسحق قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن دينار عن أبيه عن أبى صـالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالي إذا أحب عبدا نادى جبريل ان الله تعـالى قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جـبريل فى السماء ان الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول فى الارض وبالله العون والعصمة والتوفيق

تم بحمد الله المعيد المبدى كتاب عوارف المعارف

للامام السهروردى والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى

آله وصحبـه

أجمعين

﴿ فهرست كتاب عوارف المعارف ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت ﴾

﴿ بيان ﴾

﴿ عن بعض الكتب التي بالمكتبة العلامية ﴾

الكائنة بشارع الصنادقية بجواد الأزهر الشريف بمصر

﴿ رياض الصالحين ﴾ من كلام سيد المرسلين للعالم العارف بالله محيي الدين أبي زكريا يحيي بن شرف النووى الشافعى

﴿ مناقب الامام الشافعى رضى الله عنه ﴾ للامام العالم العلامة فخر الملة والدين أبو عبدالله محمد بن عمر الرازى رحمه الله تعالى

﴿ فتح الرحيم الرحمن ﴾ شرح لامية الاستاذ بن الوردى المسمى نصيحة الاخوان (تأليف) الفاضل السيد الشريف مسعود بن حسن ابن أبي بكر القناوى الشافعى نفعنا الله به

﴿ أدب الدنيا والدين ﴾ للعلامة الامام الكبير المحقق الشهير أقضى القضاة أبي الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى

﴿ طبقات الشاذلية الكبري ﴾ للفقير إلى مولاه الحسن بن الحاج محمد الكوهن الفاسى الشاذلي الفتحى المغربي غفر الله له

﴿ المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ﴾ لحجة الاسلام (الامام أبي حامد الغزالى) المتوفى سنة خمس وخمسمائة هجرية

﴿ كتاب الاذكياء ﴾ للشيخ الامام العامل الزاهد الفاضل أبي الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى رضي الله عنه

﴿ نوادر القليوبي ﴾ للاستاذ العالم الشيخ أحمد شهاب الدين

﴿ حلبة الكميت ﴾ فى الأدب والنوادر والفكاهات المتعلقة بالخمريات للشيخ شمس الدين محمد بن الحسن النواجى

﴿ الفرج بعد الشدة ﴾ تأليف القاضى أبي على المحسن التنوخى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

﴿ الناسخ والمنسوخ ﴾ فى القرآن الكريم للامام الأجل الحجة أبي جعفر محمد بن احمد بن اسماعيل الصفار المرادى النحوى المصرى المصنف عرف (بأبي جعفر النحاس) المتوفى سنة ٣٣٨ هـ

بيان

عن بعض الكتب التي بالمكتبة العلامية

الكائنة بشارع الصنادقية بجوار الأزهر الشريف بمصر

﴿رياض الصالحين﴾ من كلام سيد المرسلين للعالم العارف بالله محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الشافعى

﴿مناقب الامام الشافعى رضى الله عنه﴾ للامام العالم العلامة فخر الملة والدين أبو عبدالله محمد بن عمر الرازى رحمه الله تعالى

﴿فتح الرحيم الرحمن﴾ شرح لامية الاستاذ بن الوردى المسمى نصيحة الاخوان (تأليف) الفاضل السيد الشريف مسعود بن حسن ابن أبى بكر القناوى الشافعى نفعنا الله به

﴿أدب الدنيا والدين﴾ للعلامة الامام الكبير المحقق الشهير أقضى القضاة أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى

﴿طبقات الشاذلية الكبرى﴾ للفقير إلى مولاه الحسن بن الحاج محمد الكوهن الفاسى الشاذلى الفتحى المغربى غفر الله له

﴿المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى﴾ لحجة الاسلام (الامام أبى حامد الغزالى) المتوفى سنة خمس وخمسمائة هجرية

﴿كتاب الاذكياء﴾ للشيخ الامام العامل الزاهد الفاضل أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى رضى الله عنه

﴿نوادر القليوبى﴾ للاستاذ العالم الشيخ أحمد شهاب الدين

﴿حلبة الكميت﴾ فى الأدب والنوادر والفكاهات المتعلقة بالخمريات للشيخ شمس الدين محمد بن الحسن النواجى

﴿الفرج بعد الشدة﴾ تأليف القاضى أبى على المحسن التنوخى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

﴿الناسخ والمنسوخ﴾ فى القرآن الكريم للامام الأجل الحجة أبى جعفر محمد بن احمد بن اسماعيل الصفار المرادى النحوى المصرى المصنف عرف (بأبى جعفر النحاس) المتوفى سنة ٣٣٨ هـ

